

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم التاريخ والحضارة

الحروب والمعاهدات العثمانية الروسية

خلال الفترة من (١١٢١- ١٢٢٠هـ/١٧٠٩- ١٨٠٥م)

(دراسة تحليلية نقدية)

إعداد الطالب

منصور بن معاضه بن سعد العمري

إشراف سعادة الأستاذ الدكتور

يوسف بن علي الثقفي

بحث تكميلي للحصول على درجة الدكتوراه في قسم التاريخ والحضارة

١٤٣١هـ /٢٠١٠م

ملخص الدراسة

بسم الله الرحمن الرحيم وأصلي، وأسلم على الهادي البشير والسراج المنير محمد ابـــن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم،وبعد:

فهذه الرسالة المعنونة بـــ" الحروب والمعاهدات العثمانية الروسية خلال الفتـــرة مـــن (١١٢١- ١٢٢٠هـــ / ١٧٠٩ – ١٨٠٥م) دراسة تحليلية نقدية " تشتمل على مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة إضافة، إلى عدد من الملاحق، وقائمة المصادر والمراجع.وتحتوي المقدمة على توضيح لأهمية الموضوع وأسباب اختياره،ويتضمن التمهيد دراسة العلاقات المتنوعة التي نشأت بين الدولة العثمانية وروسيا قبل فترة البحث،مع التركيز على الجوانب العسكرية بين البلدين.أما الفصل الأول فقد ركز على الحروب التي دارت بين الدولة العثمانية وروسيا مع ذكر أسبابها وأحداثها ونتائجها.وفي الفصل الثاني ركزت الدراسة على المعاهدات بين الدولـــة العثمانية وروسيا التي كانت نتاجاً طبيعياً لما تم بينهما من حروب،مع الوقـــوف علـــى تلـــك المعاهدات وتحليلها ومدى تأثيرها على كلا الجانبين.وفي الفصل الثالث ركزت الدراسة علـــى عدد من الحروب التي حدثت بين العثمانيين والروس، مع بيـــان أســـباب تلـــك الحـــروب وأحداثها، وكذلك نتائجها.ويحتوي الفصل الرابع على عدد من المعاهدات التي كانت نتاجـــاً لتلك الحروب، وقد تطرقت الدراسة إلى تحليل تلك المعاهدات والوقـــوف عنـــدها وذكـــر نتائجها،مع ما تضمنته من تأثير على كلا الطرفين.وذيلت الدراسة بخاتمة، وعدد من الملاحق، وقائمة المصادر والمراجع.

الباحث	المشرف	عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
منصور بن معاضه سعد العمري	يوسف بن على الثقفي	د. سعود بن إبراهيم الشريم

Summary of the study

In the name of God the Merciful, pray and gave up on Al-Hady, Al-Bashir and the lit candle Mohamed ibn Abd-Allah upon him blessings and completed peace, and after:

This study titled "wars and treaties ottoman-Russian during the period (1121-1220AH \ 1709-1805AD) Analytical and critical study, includes an introduction and four chapters and a conclusion and a number of supplements and the list of sources and references, containing submitted to clarify the importance of the issue and the reasons for his choice and includes boot study of the relationships varied and that has existed between the Ottoman Empire and Russia, together with the causes, events and results. In the second chapter study focused on the treaties between the state Ottoman Empire and Russia, which was the natural result of what had been two wars, with the stand of the treaties and analysis and their impact on both sides.

In the third chapter, stood on a number of wars which arose between the Ottomans and the Russians and the causes of these wars and events with the stand on its findings. Chapter four contains a number of treaties which were the result of the wars between the Ottomans and the Russians, has dealt with the study to the analysis of those treaties and to stand and then said the results, with the contents of an impact on both sides. Appended to the study conclusion and a number of supplements and the list of sources and references.

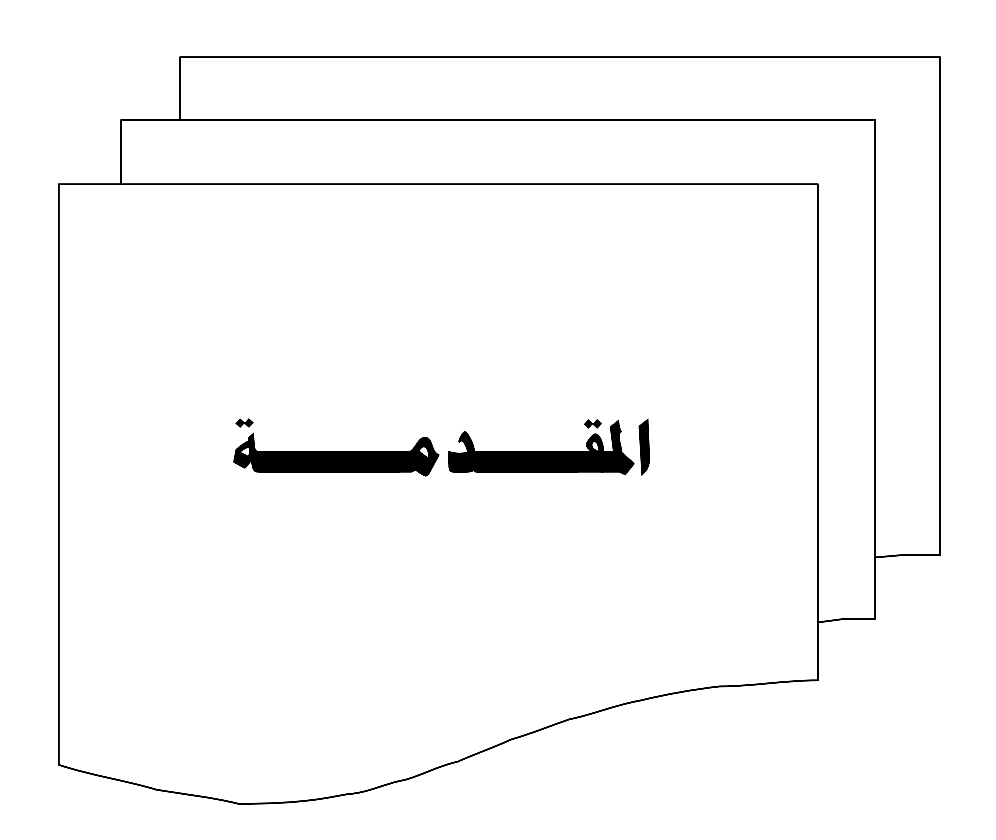
Researcher	**Supervisor**	**Dean of Collage**
Mansour bin Ma'ada Saad El-amri	Youssef Ben Ali Thaqafi	Suad bin Ibrahim al Sheraim

قائمة المحتويات

الفصل الرابع

المعاهدات العثمانية الروسية خلال الفترة من

(١١٨٨-١٢٢٠هـ/ ١٧٧٤-١٨٠٥م) ونتائجها



المقـــدمـــة

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على الهادي البشير والسراج المنير محمد بن عبد الله، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين،،،وبعد: -

ما أن فرغت من السنة المنهجية للدكتوراه إلا وأخذت في شد رحال الفكر والتنقيب والبحث عن موضوع يناسب أطروحة الدكتوراه لتقديمه إلى قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، وذلك كله بعد أخذ موافقة أستاذي سعادة أ.د يوسف بن علي الثقفي - حفظه الله ورعاه- .

وبعد الأخذ والرد بين أمهات الكتب التاريخية،والمراجع والبحوث العلمية، وفقت بمشيئة الله، ثم بتوجيهات أستاذي، إلى اختيار الموضوع الحالي والذي تم عنونته بـ"الحروب والمعاهدات العثمانية الروسية خلال الفترة (١١٢١-١٢٢٠هـ/١٧٠٩-١٨٠٥م) دراسة تحليلية نقدية".وإنما وقع الاختيار على هذه الحقبة الزمنية،لما تمثله من الأهمية التاريخية في نبض شريان الأحداث التاريخية بين الدولة العثمانية وروسيا. من العلاقات بينهما التي غلب عليها في تلك الفترة الجانب الحربي،وانعكاسات تلك العلاقة بينهما على مستواهما الخاص، وعلى الجانب الدولي بشكل عام.

ففي الوقت الذي أخذت فيه روسيا تظهر بقوة على مستوى الأحداث الدولية مزهوة بقوتها،فقد كانت الدولة العثمانية قد أفلت شمس أمجادها، وأخذت في التدرج الإلهي لسنة الدول.وإذا كان هناك عوامل لضعف الدول وقوتها، وكانت هذه السنة الإلهية قد سرت على الحضارات السابقة، وباقية في الحضارات الحالية والآتية؛ فإن الدولة العثمانية إحدى تلك الدول التي اعترتها عوامل الضعف والشيخوخة التي كان مردها إلى عدة أسباب كان من بينها روسيا التي أخذت على عاتقها محاربة الدولة العثمانية وإسقاطها، وبالتالي إخراجها من أوروبا بأسرها.

وقد كانت روسيا مدفوعة في ذلك بفتح العثمانيين للقسطنطينية، وإسقاط الإمبراطورية البيزنطية، وتحويل "آيا صوفيا" إلى مسجد،فإن تلك الأحداث مفادها سقوط الكنيسة الشرقية

قبلة مسيحيي روسيا الأرثوذكس.وبالتالي فقد انتقلت السيادة المسيحية الأرثوذكسية إلى روسيا التي اعتبرت نفسها مسئولة عن حماية المسيحيين الأرثوذكس، والأخذ بثأرهم في إسقاط الدولة العثمانية.بالإضافة إلى ما تقدم فإن الدولة العثمانية، بموقعها الجغرافي، كانت عقبة كؤوداً في طريق التقدم الروسي للاتصال بأوروبا، وعلى ضوء ذلك فقد سعى الروس إلى إسقاط العثمانيين بأي وسيلة كانت.

وبناءً على ما تقدم يتضح أهمية البحث من خلال عدة محاور على النحو التالي:

- الوقوف على تاريخ روسيا، وكيفية بدايات اتضاح ملامحها كدولة مرهوبة الجانب.
- تبيان للعلاقات العثمانية الروسية التي جمعت بينها قبيل فترة البحث .
- إبراز أهم العوامل التي جعلت من المواجهات العثمانية الروسية أمراً حتميًا على كلا الجانبين .
- التعرف على أهم الحروب التي حصلت بين الجانبين خلال فترة البحث، وإخضاعها للتحقيق والتحليل والنقد .
- إيراد أهم المعاهدات التي جمعت العثمانيين والروس،وما نتج عنها على مستوى الطرفين،بالإضافة إلى انعكاسات تلك المعاهدات على المستوى الدولي،مع معالجة نصوص تلك المعاهدات معالجة علمية منهجية .

وعلى ضوء ما سبق فقد بدأت في جمع المادة العلمية التي عانيت منها كثيراً لقلة ما كتب عن موضوع البحث باللغة العربية، ثم تواصلت مع أحد المراكز المتخصصة في إسطنبول الذي أرسل إلَي بما احتجت إليه من الوثائق ، كما تشرفت بالتعامل مع الدكتور "سعد الدين أونال " وكذلك الأستاذ "مؤمن يلدزطاش " اللذين يعملان في الأرشيف العثماني.

وفي مسيرة جمع المادة العلمية عانيت كثيراً للوصول إلى سفارة خادم الحرمين الشريفين في موسكو،وبعد عناء جم استطعت مخاطبة الشخص المسئول عن الطلاب السعوديين الدارسين هناك وما يختص بالشؤون العلمية،وقد حدثته عن حاجتي إلى بعض الوثائق من هناك فوعدني خيراً،وقد مضى على وعده ذاك أجل غير مسمى؛ فلا أدري أياً أسبق وعده أم تقديم

أطروحتي للمناقشة فجزاه الله خيراً.كما خاطبت القائمين على دارة الملك عبد العزيز بالرياض الذين أكدوا لي عدم وجود ما يخص بحثي لديهم. وفيما يخص الترجمات العثمانية والتركية والأجنبية فقد استعنت بالمركز المصري للدراسات الآسيوية والدولية بمصر.

أما من حيث ما يخص خطة البحث فقد اشتملت على مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة.عالجت في التمهيد العلاقات العثمانية الروسية قبل فترة البحث،وبالانتقال إلى الفصل الأول من الرسالة والذي حمل عنوان"الحروب العثمانية الروسية خلال الفترة (١١٢١-١١٥٢هـ/١٧٠٩-١٧٣٩م) وآثارها".فقد ركزت في هذا الفصل على حربين مهمتين بين الدولة العثمانية وروسيا ألا وهي:حرب بروث ١١٢٣هـ/١٧١١م،وحرب عام ١١٥٢هـ/١٧٣٩م.مخضعاً إياهما للتمحيص والتحليل، وأهم آثارهما على كلا الدولتين وانعكاساتهما على المستوى الدولي.بينما ركزت في الفصل الثاني "المعاهدات العثمانية الروسية خلال الفترة (١١٢١-١١٥٢هـ/١٧٠٩-١٧٣٩م) ونتائجها" على جملة من المعاهدات التي كانت بين الدولة العثمانية وروسيا،مع ذكر دوافع إبرامها وأهم نتائجها.وقد وقفت في الفصل الثالث"الحروب العثمانية الروسية خلال الفترة (١١٨٣-١٢٠٢هـ/١٧٦٩-١٧٧٨م) وآثارها"على عدد من الحروب التي قامت بين العثمانيين والروس موضحاً من خلالها أسبابها وسير أحداثها وأهم نتائجها.وأخيراً الفصل الرابع"المعاهدات العثمانية الروسية خلال الفترة (١١٨٨-١٢٢٠هـ/١٧٧٤-١٨٠٥م) ونتائجها"والذي احتوى على عدد من المعاهدات المبرمة بين الجانبين العثماني والروسي. فقد وقفت على تلك المعاهدات وحاولت تحليلها وقراءة ما بين النصوص، مع ذكر أهم نتائجها.منهياً أطروحتي بالخاتمة التي اشتملت على خلاصة هذه الدراسة واهم النتائج المستقاة منها.

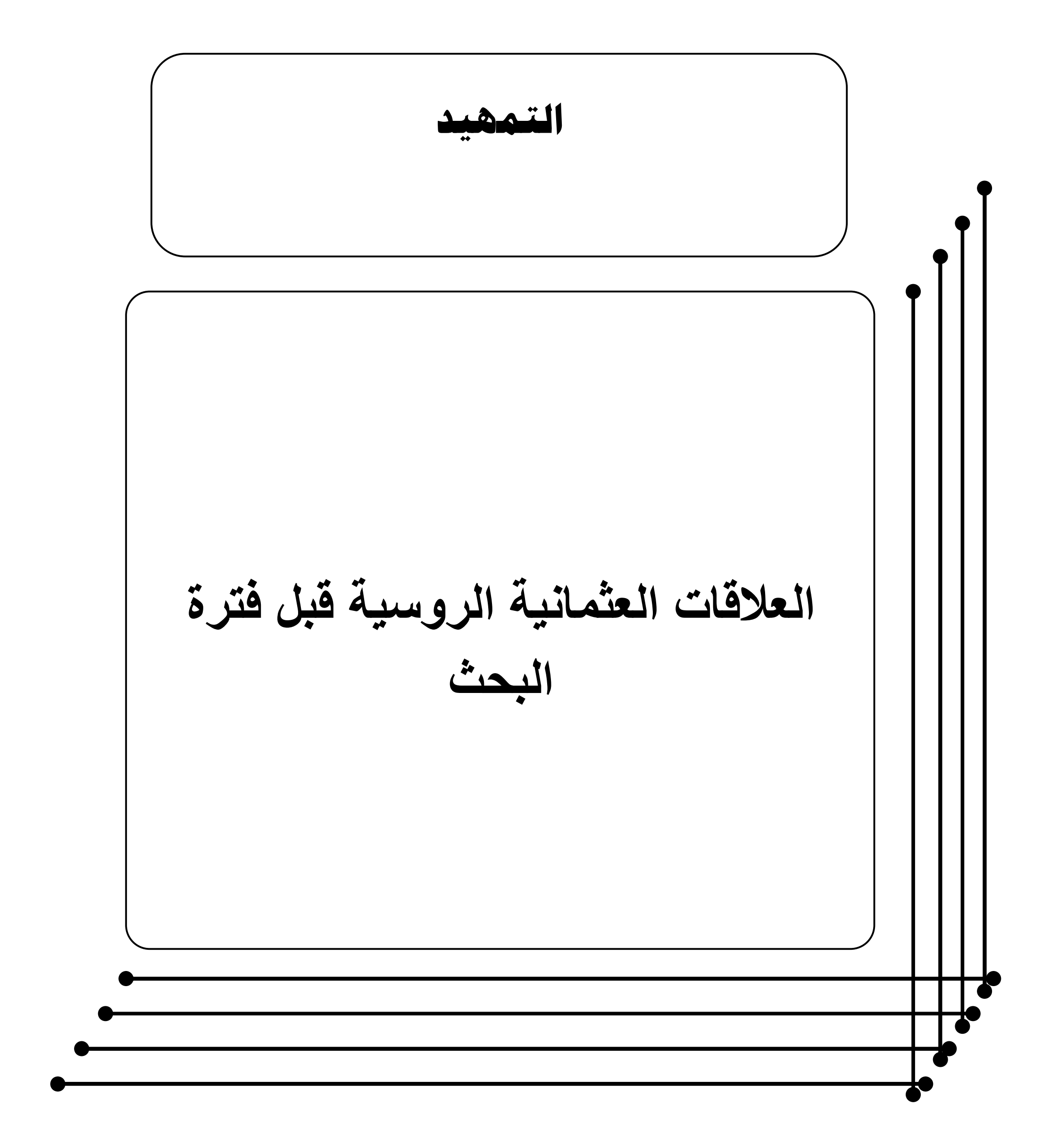
وفي الختام لا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر إلى معالي مدير الجامعة الدكتور/ بكري عساس في دعمه لطلبة العلم وتشجيعه لهم،وكذلك فضيلة الدكتور/سعود بن إبراهيم الشريم عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

كما أتوجه بالشكر الغزير لسعادة الدكتور/ عبدالله بن حسين الشنبري رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية سابقاً، ووكيل الكلية للدراسات العليا حالياً، على ما

قدمه من دعم متواصل ووقوفه إلى جانبي لإخراج هذا البحث إلى سـدة النـور، والشـكر موصول إلى سعادة الدكتور/ طلال بن شرف البركاتي رئيس قسم التاريخ والحضارة لتعامله المتميز والمفيد مع طلاب الدراسات العليا ومرحلة البكالوريوس فضلاً عن خلقه وإخلاصه .

كما لا يسعني في هذا المقام إلا أن أرفع أكف الدعاء إلى شيخي وأسـتاذي ومعلمـي أ.د يوسف بن علي الثقفي،والذي كان لتوجيهاته ومرئياته الأثر الكبير في تسطير هذا الجهد، وقد استفدت من مكتبته الخاصة الشيء الكثير فيما يعجز اللسان عن إيفائه حقه من الشـكر والثناء والدعاء له في ظهر الغيب.

وبعد فإني أرجو من الله أن أفي والدي أقل القليل من حقهما بما أيداني به مـن سـهام الليل،وكذلك أخي الأستاذ/سعد بن معاضه العمري والذي له فضل لا يكافئه به إلا الله،كما لا يفوتني في هذا المقام شكر أبنة أختي "غادة بنت سالم العمري" التي أخذت من وقتها الكثير وأرهقتها بالكثير من نصوص الترجمة فكانت بحق خير بنت لأبيها، جعلها المـولى قـرة عـين لوالديها. وأخيراً فإني أتوجه بالشكر إلى كل من كان له معي بصمة أمـل في إنجـازي هـذه الأطروحة داعيًا الله لهم أن يجزيهم عني خير الجزاء.وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



التمهيد

العلاقات العثمانية الروسية قبل فترة البحث

العلاقات العثمانية الروسية قبل فترة الحرب :

حفلت الفترة الممتدة من ١١٢١ – ١٢٢٠هـ / ١٧٠٩- ١٨٠٥م ، وهي فترة البحث،بالعديد من الحروب والمعاهدات العثمانية الروسية ، التي كان لها دور كبير في إضعاف الدولة العثمانية وإرهاقها، خصوصاً وأن الدولة العثمانية في تلك الفترة لم تكن كما كانت في سابق عهدها من القوة والهيمنة، إذ وصلت الدولة العثمانية إلى حالة من الضعف مما مكن لأعدائها من فرض إرادهم كما يشاءون، ومن هؤلاء روسيا التي كانت آنذاك في عنفوان شبابها. كما سوف نرى من خلال حيثيات البحث .

والحقيقة أنه وحتى أوائل الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي)،ومع كثرة عدد الروس واتساع مساحة بلادهم، إلا أن روسيا لم تكن تجرؤ على مواجهة الدولة العثمانية أو المساس بممتلكاتها، بل لم يكن لها ذلك الدور الفعال والمؤثر على الخارطة السياسية الأوروبية.

فروسيا، وحتى القرن السابع عشر، كانت من أكثر دول القارة الأوروبية تخلفاً في الوقت الذي كانت فيه معظم الدول الأوروبية تنعم بطفرة صناعية وثورة فكرية،وعلى غرار ما كانت أوروبا عليه فإن روسيا قد سيطرت عليها الخرافات والجهل الاجتماعي والتفكك القومي والحروب المتواصلة على السلطة، وانحلال مؤسسات الحكم، وتفشي الرشوة وسيطرة فئة قليلة من الروس على مقدرات البلاد، وتركز الثروات في أيديهم دون بقية الشعب[١].

وما وصلت إليه روسيا إنما هو نتاج طبيعي، وسلسلة من التراكمات السابقة من الغرق في الجهالة،ويدلل على ذلك ما ذكره أحد الرحالة من خلال مخالطة الروس في رحلته إلى هناك بقوله:"وهم أقذر خلق الله،لا يستنجون من غائط ولا بول،ولا يغتسلون من جنابة،ولا يغسلون أيديهم من طعام...ولا بد لهم في كل يوم من غسل وجوههم و رؤوسهم بأقذر ماء يكون،وذلك أن الجارية توافي كل يوم بالغداة،ومعها قصعة كبيرة فيها ماء،فتدفعها إلى مولاها فيغسل فيها يديه ووجهه وشعر رأسه فيغسله ويسرحه بالمشط في القصعة ثم يتمخط ويبصق فيها،ولا يدع شيئاً من القذر إلا فعله في ذلك الماء،فإذا فرغ مما يحتاج إليه حملت

---

(١) علي شعيب : بطرس الأكبر،بيروت،دار الفكر،١٩٩٢م،ص ٥ .

الجارية القصعة إلى الذي إلى جانبه ففعل مثل الذي فعل صاحبه،ولا تزال ترفعها من واحد إلى واحد حتى تديرها على جميع من في البيت،وكل واحد منهم يتمخط ويبصق فيها ويغسل وجهه وشعره فيها"[١].وبالتالي فقد ظل الجهل يخيم على سكان تلك البلاد عقوداً مديدة.

زاد على ذلك أن وقوع روسيا ضمن مفترق الطرق بين آسيا وأوروبا عرضها للكثير من الهجمات، ومنها التترية[٢]والتي استنزفت جهداً ووقتاً في سبيل ظهور روسيا كدولة أوروبية حديثة [٣].

بالإضافة إلى أن الروس أو المسكوف والذين يرجعون إلى السلالة السلافية[٤]، والمنتشرة في شرقي أوروبا مثلوا إمارات مستقلة تعمها الفوضى وعدم الاستقرار حتى عهد ردريك (٨٦٥-٨٧٩)[٥]والذي استطاع توحيد تلك القبائل تحت حكمه .

إلا أن ذلك الاستقرار لم يدم طويلاً وذلك بموت " ردريك "وانقسام الروس على

---

(١) أحمد بن فضلان : رسالة ابن فضلان ، دمشق ، ط٢ ، إحياء التراث العربي ، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م، ص١٧٧-١٧٨.

(٢) اسم عام يطلق علي شعوب اكتسحت أجزاء من آسيا وأوروبا بزعامة المغول في القرن ١٣. ويرجح أن التتار الأصليين جاءوا من شرق وسط آسيا أو من وسط سيبيريا، وبعد أن انحسرت موجات غزوهم نحو الشرق ظل التتار يسيطرون علي كل روسيا وسيبيريا . الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٥م ، ص ٤٩٠ .

(٣) محمد عبداللطيف البحراوى : فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر ، القاهرة ، دار التراث ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ص ١١٦ .

(٤) شعوب تسكن بين جبال الأورال والبحر الأدرياتي في أوروبا الشرقية والوسطى. الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص ١١٢٦

(٥) Rurik:تأسست على يده أول أسرة حاكمة في روسيا،وقد اتخذ من" نعجرود " على نهر "فلكهوف"في الطريق بين بحر البلطيق والبحر الأسود حاضرة ملكه.

- بسام العسلي : بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) مشاهير قادة العالم ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ص ١٨.
- عمر الإسكندري ، سليم حسن : تاريخ أوروبا الحديثة وآثار حضارتها ، القاهرة ، المعارف ، ج١ ، ط٢ ، ١٣٣٢هـ / ١٩٢٠م ، ص ٢٣٦.

أنفسهم مرة أخرى، في الوقت الذي لاح في سماء روسيا خطرٌ داهم، وهو غـــارة المغـــول[١] الذين استطاعوا السيطرة على روسيا وفرض كلمتهم هناك لأكثر من قرنين من الزمان .

ومما زاد من سوء حظ روسيا تعرض الإمارات الروسية للتهديد من الشـــمال ومـــن الغرب، وذلك من جانب كل من السويد[٢] وبولندا[٣] ولتوانيا[٤] في الوقت الذي تمثل فيـــه خطر المغول من الجنوب والذي كان أخطرها [٥].

على أن الروس، وخلال حكم المغول لهم، قاموا بعدد من الثورات معبرين بذلك عن عدم رغبتهم في الحكم المغولي، وسنحت لهم الفرصة لتحقيق حريتهم من ربقة المغول بانقسام المغول على أنفسهم وقيام الحروب بينهم، مما مكن للروس من توحيد صفوفهم والإطاحة بتلك الإمارات المغولية المنقسمة على نفسها مكونين بذلك وحدة روسية مقرها موسكو[٦]. ومـــن أبرز حكام تلك الفترة " إيفان الثالث " الملقب بالعظيم(١٤٦٢-١٥٠٥م)[٧]والذي كان

---

(١) Mongols : شعب آسيوي،منتشر على الخصوص في منغوليا وشرق منشوريا وغربها،وفي القسم الجنوبي من وسط سيبيريا،وداخل الاتحاد السوفييتي سابقاً. الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص ١٧٢٧.

(٢) Sweden : إحدى الدول الإسكندينافية الواقعة في شمال أوروبا،وعاصمتها ســتوكهولم "Stockholm". الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص ١٠٤٠-١٠٤١.

(٣) Poland : ويسميها العرب بلاد "له" ، ويقال لها " بولونيا " ترجمة لاسمها بالفرنسية " Pologne ". للمزيد انظر : بطرس البستاني : دائرة المعارف،ج٥،بيروت،دار المعرفة،ص ص ٧٠٦-٧٠٩. الموسوعة العربية الميسرة، ج١ ، المصدر السابق ، ص ٤٤٠-٤٤٢.

(٤) Lithuania : أكبر دول البلطيق،وإحدى جمهوريات الاتحـــاد الســـوفييتي الســـابق،عاصـــمتها فيلنيـــوس "Vilnius". الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص ١٥٥٢-١٥٥٣.

(٥) بسام العسلي : بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) مشاهير قادة العالم ،المرجع السابق، ص ١٨ .

(٦) Moscow : عاصمة روسيا،تقع على نهر موسكو،وهي أكبر مدن روسيا. الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص ١٧٧٩.

(٧) Ivan III: أول من حمل لقب قيصرTSAR ،تم علي يديه توحيد معظم الإمارات الروسية،تزوج من بيـــت الإمبراطور "قسطنطين باليولوج"مما جعله يعتبر روسيا حامية المذهب الأرثوذكسي بعد سقوط القسطنطينية في يد العثمانيين.للمزيد انظر : بسام العسلي : بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) مشاهير قادة العـــالم ،المرجـــع السابق، ص٢٥. عمر الإسكندري ، سليم حسن : تاريخ أوروبـــا الحديثـــة وآثـــار حضـــارتها،المرجـــع السابق،ص٢٣٨-٢٣٩.

له صلات طيبة مع العالم الأوروبي، وحاول جاهداً التحلي باللباس الحضاري الأوروبي عبر فتح العلاقـــات بينه وبين العالم الأوروبي، بالإضافة إلى جلب الصناع والفنانين إلى روسيا للإفـــادة من خبراتهم .

ولم يكن ذاك ممكناً لإيفان إلا بعد أن خلّص روسيا من حكم المغول بعد هزيمته إيـــاهم سنة ١٤٨٠م لينهي بهذا التاريخ الحقبة المغولية وليعلن حرية الروس .

ومن الجدير بذكر أن " إيفان " قد تزوج من بيت الإمبراطور قسطنطين بـــاليولوج[١] والذي دعم موقف روسيا في ظهورها كحامية لرعايا المذهب الأرثوذكسي [٢][٣] .

على أن أهم ما كان يحلم به " ايفان " هو مد حدود بلاده أو الإشراف علـــى بحـــر البلطيق[٤]وكذلك البحر الأسود[٥]باعتباره منفذاً أو بوابة روسيا تسهيلاً للاتصـــال بالعـــالم الخارجي، إلا أن المنية وافته قبل أن يحقق حلمه ذاك ليخلفه " باســـيل الثالـــث " (١٥٠٥-

---

(١) قسطنطين الحادي عشر Constantine atheist ten : آخر الأباطرة البيزنطيين(١٤٤٨-١٤٥٣م)،نـــادى بالاتحاد بين الكنيستين الشرقية والغربية،وخلال حكمه سقطت القسطنطينية في يد الأتـــراك عـــام ١٤٥٣م. الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص ١٣٨٠.

(٢) محمد عبداللطيف البحراوى : فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر ، المرجع السابق ، ص ١١٧ . للمزيد انظر : صالح حسن العكيلي : الوجه الآخر للنهضة الأوروبية، محاضرات في تاريخ أوروبا في عصر النهضة ١٤٥٣-١٧٨٩ ، عمان ، الوراق للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦م ، ص ٢٠٦. انظـــر : مفيـــد الزيدي : موسوعة تاريخ أوروبا الحـــديث والمعاصـــر(تـــاريخ أوروبـــا في العصـــور الوســـطى ٤٧٦-١٥٠٠م)،عمان،دار أسامة ، الجزء الأول ، ص ٥١٥ .

(٣) Orthodox : تطلق على كل مسيحي غير بروتستانتي،ولا يسلم برياسة بابا روما. الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص ١٤٨٧-١٤٨٨.

(٤) Baltic Sea: ذراع من المحيط الأطلنطي،يمتد في شمال أوروبا. الموسوعة العربية الميســـرة ، ج١ ، المصـــدر السابق ، ص ٣٢٨-٣٢٩.

(٥) Black Sea: بحر داخلي،يربطه بالبحر المتوسط البسفور،وبحر مرمرة،والدردنيل. الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص ٣٢٨-٣٢٩.

١٥٣٣م) [١]والذي حاول جاهداً توثيق العلاقات بالغرب ، إلا أن هذا الأمر الأخير يظهر بوضوح في عهد ابنه " أيفان الرابع " (١٥٣٣-١٥٨٤م)[٢]والملقب بـ " بالفظيع " - لما تميز به عهده الأخير في الحكم من الفظائع - والذي سعى لمد جسور من التواصل العلمي والتجاري مع العالم الغربي فدعا العلماء والصناع إلى روسيا وأغدق عليهم الهدايا وجزيل العطايا . وتحقيقاً لهذا الانفتاح فقد حاول تحقيق حلم جده "أيفان الثالث " في الوصول إلى بحر البلطيق وخاض لهذا الأمر حروباً كثيرة إلا أن المنية كانت أسبق إليه من تحقيق حلمه .

وبموت " إيفان الرابع " انتهى بذلك عهد الاستقرار إذ دخلت روسيا في حالة من الفوضى والانسياب لتعود كما كانت من قبل من الحروب والتطاحن الداخلي إلا أن نهض الروس مرة أخرى وعينوا عليهم أحد الأمراء والمدعو " ميخايل رومانوف"(١٦١٣-١٦٤٥)[٣] والذي تمكن من جمع شتات الروس مرة أخرى وصرف جل اهتمامه على الإصلاحات الداخلية، ومنها الكنيسة الأرثوذكسية لما وصلت إليه من التخلف والاضطراب، فأراد النهوض بروسيا والوصول بها إلى مصاف الدول الأوروبية المتقدمة؛ وبذلك يعتبر " رومانوف " الأب الروحي والمؤسس الحقيقي للأسرة الحاكمة في روسيا منذ توليه في أوائل

---

(١) **Basil III:** نجح في تضييق الخناق على سلطة الأشراف،كما زادت روسيا في عهده انفتاحاً على الغرب.للمزيد انظر: عمر الإسكندري ، سليم حسن : تاريخ أوروبا الحديثة وآثار حضارتها،المرجع السابق،ص٢٣٩.

(٢) **Ivan IV:** تولى عرش روسيا و لم يتجاوز الثالثة من عمره،أطلق على نفسه عام ١٥٤٧لقب القيصر،وضع قانوناً جديداً للإصلاح،كما سعى لإصلاح الكنيسة وتوسيع نطاق مملكته مع عدم إغفاله الانفتاح على الغرب. انظر:

- بسام العسلي : بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) مشاهير قادة العالم ،المرجع السابق، ص ٢٥-٢٦.
- عمر الإسكندري، سليم حسن: تاريخ أوروبا الحديثة وآثار حضارتها، المرجع السابق،ص٢٣٩-٣٤٠-٣٤١.

(٣) **Mikhail Romanov:** مؤسس حكم عائلة رومانوف في روسيا التي ظلت على عرش روسيا القيصرية حتى قيام الثورة الشيوعية ١٩١٧م.

- بسام العسلي : بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) مشاهير قادة العالم ،المرجع السابق، ص ٢٧.

القرن السابع عشر الميلادي وحتى قيام الثورة البلشفية سـنة ١٩١٧م[١]، أوائـل القـرن العشرين الميلادي ، ليكمل مسيرته ابنه " إلكسي " (١٦٤٥-١٦٧٦م) من بعده[٢] .

وقد قام "ألكسي" هذا بدعوة البابا[٣]ومعظم ملوك أوروبا للتحزب ضد العثمـانيين الكفرة – بحسب اعتقادهم - داعياً العالم المسيحي إلى حرب صليبية لاجتثاث العثمانيين مـن القارة الأوروبية[٤].وإن كانت تلك الدعوة لم تجد آذاناً صاغية إلا أنها تعتبر إرهاصات أوليـه لتوجهات روسيا ونظرتها إلى العثمانيين.

ومع ذلك فإن روسيا لم تظهر بمظهر القوة الخارجية والاستقرار الداخلي ويكـن لهـا تأثيرها الدولي وثقلها السياسي إلا في عهد " بطرس الأكـبر " (١٦٧٢-١٧٢٥م) [٥]ابـن "ألكسي" .

على أن ذلك التأخر الحضاري الروسي عما كان في أوروبا حتى تلكم اللحظـة قـد يكون مرده إلى الأسباب الآتية :

١ - بقاء روسيا متروعة الحكم الوطني وبقاؤها تحت الحكم المغولي والذي استمر لما يقـارب القرنين، حتى استطاع "إيفان الثالث" التخلص من المغول .

---

(١) Bolshevik Revolution : قامت في روسيا ،على أفكار ماركس،وتعد أول ثـورة شـيوعية في القـرن العشرين الميلادي . الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص ٥٨٥ .

(٢) Alexei: قيصر روسيا،ولد سنة ١٦٢٩م،وهو والد بطرس الأكبر . بسام العسلي : بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) مشاهير قادة العالم ،المرجع السابق، ص ٢٧.

(٣) هو الحبر الأعظم،والرئيس الأعلى للكنيسة الكاثوليكية،أسقف روما،وخليفة القديس بطرس . الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص ٢٩٦-٢٩٧ .

(٤) ولتير:تاريخ بطرس الأكبر،ترجمة/أحمد الطهطاوي تحـت مسـمى"الـروض الأزهـر في تـاريخ بطـرس الأكبر"،القاهرة،مطبعة بولاق،١٢٦٦م،ص ٥٢ .

(٥) Peter the Great:ولد في الكرملين ١٦٧٢م،وهو ابن القيصر" Alexei"،حكم روسيا منذ عـام ١٦٨٢م مشاركاً لأخيه" Ivan V "وحتى عام ١٦٩٦م،ثم تولى الحكم بمفرده وحتى وفاته .
- الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص ٣٧٧-٣٧٨ .

٢ - قلة المؤثرات الأوروبية الحديثة للتغيير من نمطية الحياة الروسية،إذ أضحت السويد مملكة قوية استطاعت السيطرة على البلطيق،بينما وقفت بولندا الكاثوليكية سداً منيعاً وحاجزاً قوياً في وجه أي امتداد روسي للغرب،فيما سيطر العثمانيون على خانات القرم(١) والبحر الأسود .

٣ - دخول روسيا في حالة من الفوضى بعد موت "إيفان الرابع"١٥٨٤م،وهو العصر الذي عُرف ب"عصر الفوضى"،معبراً بذلك عن نفسه من الانقسام الداخلي والتغلغل الخارجي من قبل كل من بولندا والسويد اللتين اهتمتا ببقاء روسيا على تلك الحالة،والقلق من حدوث أي نهضة في روسيا قد تؤدي إلى قيامها من سباتها.وهو ما حدث بعد ذلك مخلفاً آثاره السيئة على كلا المملكتين .

٤ - انقسام المجتمع الروسي إلى ثلاث طبقات؛ طبقة رجال الدين،وطبقة ملاك الأرض "إقطاعيين "، وعاملين بها " أقنان " . حيث اعتمدت الطبقتان الأولى والثانية على الثالثة في زيادة ثرواتها دون الاكتراث بها،مما حدا بطبقة الأقنان للقيام بالعديد من الثورات التي كلفت روسيا الكثير من الوقت والرجال والأموال (٢).

٥ - عدم مركزية السلطة السياسية،حيث هناك من يشاركها نفوذها متمثلة في السلطة الدينية – الكنيسة الأرثوذكسية – إذ كان لها يدٌ طولى وباعٌ تليد في تحريك الجماهير الروسية لما قد يخالف هواها .

---

(١) **Crimean :** شبه جزيرة بجنوب روسيا،على الساحل الشمالي للبحر الأسود**.** الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص ١٣٧٧ **.**

(٢) أصدق مثال على ذلك ثورة الفلاحين التي تزعمها "أسطفان وازن" في عام ١٦٧١م التي عبرت بشكل واضح عما يتعرض له الفلاح من معاملة الإذلال،كما كانت مقدمة لسلسة من الثورات بلغ عددها ما يقرب ٤٠٠ ثورة**.**

للمزيد انظر :

- محمد على حلة : دراسة في تاريخ أوروبا الحديث ، ط٣ ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، ص ص ٢٠٥-٢٠٩**.**

على أنه ومن المهم جداً، وقبل الحديث عن بطرس الأكبر وما قام به من إصـــلاحات مهمة شملت كافة الجوانب الروسية، وخاصة العسكرية منها،تستوقفنا هنا بعـــض العلاقـــات العثمانية الروسية وخاصة الحربية منها،والتي تبين وبشكل واضح علو كعب الدولة العثمانية.

ففي فترة توحيد الولايات الروسية كانت هناك بعض الصلات الروســـية العثمانيـــة التجارية منها، وخاصة بعد سيطرة العثمانيين على القرم،فقد كان ممثلـــو الـــروس يـــزورون القسطنطينية[١]لتسوية بعض المسائل التجارية هناك [٢].

ففي عام ١٤٩٢م وبالتحديد في عهد حاكم روســـيا آنـــذاك " إيفـــان الثالـــث " (١٤٦٢-١٥٠٥) وصل إلى القسطنطينية أول سفير روسي ومعه جملـــة مـــن الهـــدايا إلى السلطان بايزيد الثاني[٣](١٤٨١-١٥١٢)لتتجدد السفارة الروسية بعد ذلك بأربع سنوات للحصول من الدولة العثمانية على امتيازات للتجار الروس [٤].

---

(١) عاصمة الإمبراطورية الرومانية خلال الفترة من ٣٣٠ إلى ٣٩٥ ،وعاصمة الدولة البيزنطيـــة مـــن ٣٩٥ إلى ١٤٥٣ حين فتحها العثمانيون فدخل محمد الفاتح القسطنطينية، وأطلق عليها (إســـلام بـــول)أو الآســـتانة وبدخوله صارت المدينة عاصمة السلطنة العثمانية. غير اسمها في عام ١٩٣٠ إلى اسطنبول ضمن إصـــلاحات أتاتورك القومية . الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص ١٣٨٠-١٣٨١.

(٢) محمد عبداللطيف البحراوى: فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر ، المرجع الســـابق، ص ١١٧ .

(٣) بايزيد الثاني(٨٥١هـــ/١٤٤٧م-٩١٨هـــ/١٥١٢م)وهو ابن محمد الفاتح،يعد ثامن السلاطين العثمانيين،تولى عرش السلطنة عام ٨٨٦هـــ/١٤٨١م،وكان لين العريكة ميالاً إلى السلم،واجه العديد من الفتن الداخلية التي تمكن من القضاء عليها،تنازل بالحكم إلى ابنه سليم الأول تحت ضغط الإنكشارية،توفي سنة٩١٨هـــ/١٥١٢م. للمزيد انظر:

- حسين مجيب المصري:معجم الدولة العثمانية،القاهرة،الدار الثقافية للنشر،١٤٢٥هـــــ/٢٠٠٤م، ص١٧٥-١٧٦.
- علي محمد الصلابي:الدولـــة العثمانيـــة، عوامـــل النـــهوض وأســـباب الســـقوط،القـــاهرة،دار الفجـــر للتراث،١٤٢٥هـــ/٢٠٠٤م،ص ص٢٠٣-٢١٦.

(٤) محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،تحقيق/إحسان حقي ، بيروت ، دار النفـــائس ، ط٦ ، ١٤٠٨هـــ - ١٩٨٨م ، ص ١٨٣- ١٨٤ .

كما أبرم السلطان سليم الأول[(١)](١٥١٢-١٥٢٠)مع سفير روسيا هدنة في مدينة أدرنة [(٢)] [(٣)].

وحينما تمكن السلطان سليمان القانوني[(٤)](١٥٢٠-١٥٦٦) من الانتصار على المجر[(٥)] وفتح بلغراد ١٥٢١م[(٦)] أرسل إليه قيصر روسيا يهنئه بهذا الظفر [(٧)]. كما تواردت سفارة روسيا على السلطان في الآستانة ١٥٢٣م وذلك عندما تمكن القانوني من فتح رودس [(٨)][(٩)].

---

(١) سليم الأول(٨٧٥هـ/١٤٨٠م-٩٢٦هـ/١٥٢٠م) هو السلطان التاسع،سليم بن السلطان بايزيد الثاني،حكم ابتداءً من سنوات(١٥١٢-١٥٢٠م) قضاها في الحروب،لقب في التاريخ العثماني ب"ياوور"أي الصارم العنيف. للمزيد انظر:س.موستراس:المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية،ترجمة/عصام الشحادات،بيروت،دار ابن حزم،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م،ص٢٧. حسين مجيب المصري:معجم الدولة العثمانية،المرجع السابق،ص١٨١-١٨٢-١٨٣. علي محمد الصلابي:الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط،المرجع السابق،ص ص٢١٧-٢٤٣.

(٢) محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية،المرجع السابق، ص ١٨٨ .

(٣) Edirne : إحدى مدن تركيا،وتقع في أقصى الجهة الغربية من القسم الواقع في أوروبا. الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص ٩٨ .

(٤) سليمان القانوني(٩٠٠هـ/١٤٩٤م-٩٧٤هـ/١٥٦٦م)ابن السلطان سليم الأول،بلغت الدولة في عهده قمة العظمة والقوة،تولى السلطنة عام ١٥٢٠م،لتكون مدة حكمه ٤٦سنة حتى توفي عام٩٧٤هـ/١٥٦٦م. للمزيد انظر:س.موستراس:المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية،المرجع السابق،ص٢٧٩. حسين مجيب المصري:معجم الدولة العثمانية،المرجع السابق،ص١٨٦-١٨٧-١٨٨. علي محمد الصلابي:الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط،المرجع السابق،ص ص٢٤٤-٢٥٠.

(٥) Hungary : تعرف باسم هنغاريا،وهي دولة أوروبية،لا تمتلك منفذاً على البحر. الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص ١٩٠٩-١٩١٠ .

(٦) Belgrade : عاصمة صربيا وأكبر مدنها،تسمى مفتاح البلقان نظراً لأهميتها. الموسوعة العربية الميسرة ، ج١، المصدر السابق ، ص ٣٩٩ .

(٧) محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق، ص ٢٠٢ .

(٨) المصدر السابق، ص ٢٠٦ .

(٩) Rhodes : إحدى جزر اليونان، تقع بالقرب من الساحل الجنوبي لتركيا، في منتصف المسافة بين جزر اليونان الرئيسية وقبرص. الموسوعة العربية الميسرة ، ج١، المصدر السابق ، ص ٨٩٠ .

وفي عام ١٥٦٩م أمر السلطان سليم الثاني[(١)] القوات العثمانية بالتحرك صوب أستراخان[(٢)] واضعةً نصب عينيها إيقاف التقدم الروسي جنوباً، وكذا حماية الحجاج بالإضافة إلى المحافظة على طرق التجارة هناك [(٣)].

ومع إخفاق تلك الحملة إلا أن السبب الرئيسي لذلك الإخفاق هو عدم اهتمام الدولة العثمانية بتلك الحملة الاهتمام الكافي الجالب للنصر- بإذن الله – وذلك أن الدولة العثمانية كانت تنظر إلى روسيا على أنها دولة من الدرجة الثانية ليس لها حيلة إلا دفع ما يترتب عليها سنوياً للعثمانيين [(٤)]. وهذا بحد ذاته يفسر النظرة القاصرة من قبل العثمانيين نحو روسيا . ولتعويض عما سبق من قبل الدولة العثمانية فقد أعدت حملة أخرى بقيادة خان القرم، وذلك عام ١٥٧١م تمكنت من تحقيق نصر عظيم على الروس ومن دخول موسكو وإحراقها. ونتيجة لمباركة السلطان سليم الثاني(١٥٦٦-١٥٧٤م) تلك الأعمال الحربية التي قام بها حاكم القرم؛ فقد أعاد حاكم القرم الكرة مرة أخرى في العام الذي يليه ١٥٧٢م. وذلك بتجهيز حمله أخرى اضطرت من خلالها روسيا لدفع ما قيمته(٦٠٠٠٠) ليرة ذهبية وعقد صلح مع حاكم القرم [(٥)].

---

(١) سليم الثاني(٩٣٠هـ/١٥٢٥م-٩٨٢هـ/١٥٧٤م) هو السلطان العثماني الحادي عشر،سليم الثاني ابن سليمان القانوني، تولى الحكم بعد أبيه٩٧٤هـ/١٥٦٦م،حيث ظل في الحكم مدة ثماني سنوات.للمزيد انظر:س.موستراس:المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية،المرجع السابق،ص٤٤٦. حسين مجيب المصري:معجم الدولة العثمانية،المرجع السابق،ص١٨٣-١٨٤. علي محمد الصلابي:الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط،المرجع السابق،ص٣٣١.

(٢) Astrakhan : إحدى مدن روسيا،إلى الجنوب الشرقي منها على بحر قزوين. الموسوعة العربية الميسرة ، ج١، المصدر السابق ، ص ١٤١ .

(٣) محمد سهيل طقوش : العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ، بيروت ، دار المحروسة ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ، ص ٢٢٨ .

(٤) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، إستانبول ، مؤسسة فيصل للتمويل،ج١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص ٣٦٨

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٧٧ .

وفي عام ١٦٧٧ جهزت الدولة العثمانية، بمساعدة خان القرم، حملة ضد روسيا، التي منيت بالإخفاق؛ مما حدا بالسلطان محمد الرابع[١](١٦٤٨-١٦٨٧م) للخروج بنفسه سنة ١٦٧٨م على رأس حملة تكللت بالنجاح،ليواصل السلطان جهوده الحربية ضد روسيا بتجهيز حملة أخرى عام ١٦٨٠م انتهت بعقد معاهدة أدرنة بين الدولة العثمانية وروسيا، التي كان من أهم بنودها استمرار روسيا في دفع الضريبة السنوية لحكام القرم، بالإضافة إلى دفع ما ترتب من ضريبة توقفت نتيجة الحرب [٢].

ومما يلاحظ التفوق العثماني على روسيا وفرض الشروط العثمانية؛ فمعاهدة أدرنة السابقة الذكر تمت في إستانبول، وعلى أثرها استقبل السلطان محمد الرابع السفير الروسي والذي قدم للسلطان محمد الرابع الهدايا والمبعوثة من قبل قيصر روسيا، ومما دار بين السفير الروسي والسلطان محمد الرابع إبلاغ الأخير لسفير روسيا بقبول شروط المعاهدة بصدر رحب وتنفيذها من قبل القيصر وإلا تعرض للعقاب [٣]. مما يدل دلاله واضحة على علو الكلمة العثمانية وعدم قبول مساومات روسية فيما قد يفرض عليهم من قبل العثمانيين .

ولم يتوقف الاحتكاك الروسي العثماني عند ذلك الحد فقد اهتمت "صوفيا"[٤] بمحاربة

(١) محمد الرابع(١٠٥٢هـ/١٦٤٢م-١١٠٤هـ/١٦٩٢م) تولى الحكم في فترة كانت البلاد تموج خلالها في سلسلة من الفتن الداخلية والخارجية،وقد ظل على حكم البلاد إلى أن تم عزله عام ١٠٩٩هـ/١٦٨٧م .للمزيد انظر: حسين مجيب المصري:معجم الدولة العثمانية،المرجع السابق،ص٢٠٤-٢٠٥. علي محمد الصلابي:الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط،المرجع السابق،ص٣٦٧-٣٦٨.

(٢) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ،ج١، المرجع السابق ، ص ٥٢٤-٥٢٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٢٥-٥٢٦ .

(٤) Sofia:أخت بطرس من أبيه،ووالدتها ماريا زوجة ألكسي الأولى،تميزت بذكائها ومكرها وطموحها للملك والسيطرة، فكان لها ما أرادت حيث تولت حكم روسيا باسم أخويها"إيفان وبطرس"،إلا أن سياستها الفاشلة ومؤامرتها للتخلص من أخيها بطرس ساقتها إلى الاعتقال على يد بطرس ونفيها كأسيرة في دير ديفتشي.للمزيد انظر: بسام العسلي : بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) مشاهير قادة العالم ، المرجع السابق ، ص ص٢٨-٤٣ .

العثمانيين، وسعت لعقد محالفة دينية بهذا الصدد مع بولندا وفينيسا[(١)]والنمسا،بل إنها أوفدت من قبلها وفداً إلى فرنسا وذلك عام ١٦٨٧م،طامعة في تحالف فرنسا معها ضد العثمـــانيين . ونتيجة لجهودها تلك فقد جردت روسيا حملة عام ١٦٨٧م بلغت مائة وخمسين ألف في محاولة منهم لاجتياح القرم.ومع أخفاق تلك الحملة؛ إلا أن روسيا أطلقت حملة أخرى عام ١٦٨٩م ،لم تكن نتيجتها أفضل من سابقتها[(٢)].

وبالعودة للحديث عن "بطرس الأكبر" (١٦٧٢-١٧٢٥م) فإنه يعتبر، وبما قام به من إصلاحات، ابتداءً من قمة الهرم الروسي وحتى أخمص أقدام الإقطاع، بحق المؤســـس الفعلــي لروسيا الحديثة .

فقد " كان بطرس " منذ نعومة أظفاره ولعاً بالحرب محباً للعلم والعلماء، فكان يختــار لنفسه الأساتذة من بينهم ولاسيما الأجــانب منهم ، ويعين لهم ما يريد معرفته من العلــوم، فتعلم شيئاً من الهندســة، وفن الحيل(الميكانيكا)، وتدرب علــى بعــض الفنــون الحربيــة والبحرية.. كما جعل همه الأول وشغله الشاغل إدخال تلك العلوم إلى روسيا ومسح الــبلاد بالمســحة الأوروبية في جميــع أنظمة المعيشة صغيرها وكبيرها، بعد أن كان في كــل ذلــك تعلوها المسحة الشرقية"[(٣)].

وكان الداعم لبطرس للانفتاح على الغرب هو ذلك التأثير والذي تأثر به منذ صــباه من خلال احتكاكه بالأجانب في موسكو من الألمان والهولنديين والأسكتلنديين والذين تعلــم منهم الألمانية والهولندية ومبادئ العلوم والحساب والهندسة،كما اكتشف عن طريقهم مظاهر الحضارة الغربية[(٤)].

---

(١) Venice : أو البندقية،عاصمة مقاطعة فينيتو.تقع شمال إيطاليا. الموسوعة العربية الميســرة ، ج٢ ، المصــدر السابق ، ص ١٣٥٦ .

(٢) بسام العسلي : بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) مشاهير قادة العالم ، المرجع السابق ، ص ٣٢ .

(٣) عمر الإسكندري ، سليم حسن : تاريخ أوروبا الحديثة وآثار حضارتها ، المرجع السابق ، ص ٢٤٢ .

(٤) علي شعيب : بطرس الأكبر ، المرجع السابق ، ص ٩ .

أضف إلى ذلك التخلف الحضاري الروسي، مقارنة بما كان في غرب أوروبا من اتقاد مشعل الحضارة هناك، الأمر الذي دفع بطرس للتحرك نحو الانفتاح على الغرب ومحاولة ترقية روسيا على غراره.

بالإضافة إلى ما سبق فإن مما أعان روسيا على النهوض والالتحاق بمركب الحضارة هو ما تميز به بطرس نفسه من علو الهمة والذكاء المتقد والعزيمة الحديدية في تذليل الصعاب،ويدلل على ذلك تقرير سفير هولندا في موسكو وهو يصف بطرس قائلاً:"إن القيصر بطرس يتحلى بذكاء نادر،وعين ثاقبة،ويتميز في الوقت ذاته بقدرة على كسب ود الآخرين.ويتحلى بميل شديد إلى الشؤون العسكرية وينتظر الناس منه أعمالاً بطولية"(١).

إلا أن مثل هذا التغير الجذري في مسيرة الأمم لا يكون دون معارضة من الذين ألفوا تلك الحياة، أو من أحس بأن مكاسبه سوف تذهب أدراج الرياح بسبب التغيير، وقد أدرك بطرس ذلك .

وقد كان ما تنبأ به بطرس، فأخذت شرذمة من الرجعيين، والذين ألفوا حياة التخلف، بنشر الشائعات عن بطرس واتهموه بأنه ضد المسيح، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك عندما رموا أم بطرس بالزنا واتهموها بأنها زانية وأن بطرس ليس ابن ألكسي (٢)! وكان ذلك كله من قبيل إيقاف حركة الإصلاح والتقدم التي عزم بطرس عليها.

إلا أن تصميم بطرس على إنجاز ما دار بخلده جعله يسعى لتحقيق هذا التغيير بالقوة فلم " يجد هناك ضرورة لوجود هيئات أو مجالس مثل مجلس الدوما الذي كان مؤلفاً من كبار المستشارين أو المجلس الوطني المكون من أكبر الملاك في سائر الأنحاء ولذلك أطاح بما تبقى لها من نفوذ وهيمنة، وكون مجلساً أسماه " مجلس الشيوخ – السناتو" اختار أعضاءه بعناية ليكونوا جميعاً في قبضته يأتمرون بأمره، كما أنه شكل حكومات محلية في الأقاليم لتصريح بما تؤمر به وتنفيذه على وجه الدقة، ولم يشأ بطرس الأكبر أن يترك الكنيسة الأرثوذكسية وشأنها، بل أنه سعى لجعلها تحت سيطرته هي الأخرى فألف لجنة من الأساقفة تدير شئون

---

(١) بوغانوف : حياة بطرس الأكبر ، الاتحاد السوفييتي ، دار التقدم ، ١٩٩٠م ، ص ٤١ .

(٢) بسام العسلي : بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) مشاهير قادة العالم ، المرجع السابق ، ص ٤٠.

الكنيسة تحت رقابة حكومية واعية، وهكذا جمع قيصر روسيا كافة السلطات السياسية والدينية في يده " (١).

كما " أنشأ بطرس كليات لتعليم الناشئة الحديثة ما يلزمهم في خدمة الوطن، حاذياً حذو جرمانيا وغيرها من الممالك المتمدنة، فبنا عشر كليات لتعليم السياسة الخارجية ومبادئ الحرب وإدارها ، وقواعد عمل البحرية، والمالية، والضرائب، والشريعة، والمعامل، والتعدين، والتجارة. وترجم عن اللغة السويدية وغيرها ما يلزم من الكتب لتعليم هذه العلوم والفنون، وجعل الأكفياء من المعلمين الوطنيين في تلك الكليات، وأحضر من الخارج ما يحتاجه إلى ذلك... وأرسل أربعين شاباً إلى " كوتغسبرغ " ليتعلموا إدارة السياسة والمالية، وأعطى للكليات كامل الحرية بانتخاب رؤسائها " (٢). كما أنشأ بطرس دار لطباعة الكتب الغرب أوروبية والاستفادة منها(٣)، وكذا من حسناته، على طرق النهضة الروسية، بناء مدينة "سان بطرسبرغ"(٤) لتكون عاصمة له وحلقة اتصال بالغرب، بعيداً عن مظاهر الحياة القديمة في موسكو(٥).

وبذلك أصبح طريق الإصلاح سالكاً أمام بطرس لانتشال روسيا من النظام الإقطاعي والسير بها في ركب الحضارة ومحاكاة الدول الأوروبية المتقدمة آنذاك . على أن من الأمور المهمة التي سعى بطرس لإصلاحها الجيش فعهد برعايته وإصلاحه وتدريبه إلى اثنين من أمهر ضباط الأمم الغربية، الأول أسكتلندي وهو " بتريك غردون "، والثاني سويسري وهو "ليفور" مدربان على النمط الغربي واللذان قاما بإدخال الكثير من الإصلاحات على الجيش الروسي كما أدخلا في سلكه كثيراً من المتطوعين من غربي أوروبا حتى لم يمض وقت طويل

---

(١) عراقي يوسف محمد : في أصول التاريخ الأوروبي الحديث ، القاهرة ، المنار ، ط١ ، ص٢٠٥.

(٢) بسام العسلي : بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) مشاهير قادة العالم ، المرجع السابق ، ص ٦٨.

(٣) ولتير : تاريخ بطرس الأكبر ، المصدر السابق ، ص ١١٩.

(٤) ثاني مدن روسيا،والعاصمة السابقة لها،كان اسمها " St. Petersburg " حتى عام ١٩١٤م،ثم " بتروجراد" . الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص ١٥٦٧ .

(٥) علي شعيب : بطرس الأكبر ، المرجع السابق ، ص ٦٨ .

على إصلاحاتهما حتى أصبح الجيش الروسي في ملابسه وأسلحته ونظامه وتدريباته وتحركاته مماثلاً للجيوش الأوروبية [١].

كما سعى بطرس جاهداً للإفادة من زياراته للموانئ الأوروبية وخبراته الميدانية في إنشاء أسطول عظيم يضاهي الأساطيل الأوروبية القوية آنذاك .

وفي جهود بطرس، وخاصة الحربية منها، دلالة واضحة من قبله بتحقيق ما عجز عنه أسلافه من الخروج بروسيا من الدائرة البرية والإشراف بها على بحر البلطيق، وكذا البحر الأسود وإن استطاع فالبحر المتوسط[٢]، وكذلك المحيط الهندي[٣] .

وكل تلك الأماني من قبل بطرس لم تكن لتمر جزافاً دون الاصطدام بالدول المسيطرة على تلك البحار ومنها الدولة العثمانية، خصوصاً وأن الدولة العثمانية وصلت في فتوحاتها إلى مدى واسع خلال القرنين الخامس عشر والنصف الأول من القرن السادس عشر فقد تمكنت من فتح القسطنطينية،كما ورثة أملاك إمبراطورية الصرب، وتمكنت من البلغار في البلقان، كما امتدت حدودها على ولايتي الأفلاق[٤] والبغدان[٥].فأصبح البحر الأسود بحيرة

---

(١) عمر الإسكندري : تاريخ أوروبا الحديثة وآثار حضارتها ،المرجع السابق ، ص٢٤٣ .

(٢) بحر يقع إلى الغرب من آسيا وإلى الشمال من إفريقية وإلى الجنوب من أوروبا. ويغطي مساحة تقدر بحوالي ٢,٥ مليون كم٢ أو ٩٦٥،٠٠٠ ميل مربع. وبذلك يكون من أكبر المسطحات المائية في العالم، ويعتبر تقنيًا جزءاً من المحيط الأطلسي حيث يتصل به عن طريق مضيق جبل طارق، ويتصل بالبحر الأسود عن طريق مضيق الدردنيل، وبالبحر الأحمر عن طريق قناة السويس . الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص ٣٢٩.

(٣) ثالث محيطات العالم مساحة،يمتد من الهند إلى المنطقة المتجمدة الجنوبية،ومن شرقي إفريقية إلى جزيرة تسمانيا.الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص ١٦٦٦ .

(٤) Alavlaq : أو فالاسيا هو اسم قديم لإحدى مقاطعات جمهورية رومانيا الحالية وعاصمتها بوخارست. وقد كان هذا الاسم الذي أطلق عليها في العهد العثماني.

- الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص ١٨٢ .
- يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٧٠٢-٧٠٣.

(٥) Moldavia : وأحياناً مولدوفا ،اسمها القديم هو بغدان ،وعاصمتها جاسي،دولة أوروبية ذات نظام جمهوري، تقع شرقي أوروبا بين أوكرانيا ورومانيا.. الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص ١٧٨٦ .

تركية وهددت المجر، وكذا حاصرت مدينة فيينا[١] عاصمة النمسا أكثر من مرة [٢].

ومما زاد من حدة الخطر الروسي إعلان روسيا الدائم والمتكرر بأنها حامية المذهب المسيحي الأرثوذكسي ، ومما يدلل على ذلك أنه وبعد فتح العثمانيين للقسطنطينية (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)، وسقوط كرسي البابوية هناك، فإن مطران روسيا قد اعتلى ذلك المنصب مقلداً روسيا بذلك حق حماية الطائفة الأرثوذكسية [٣]. وفي رسالة بعث بها أحد الرهبان الروس إلى قيصر روسيا "باسيل الثالث" تؤكد هذا الاتجاه الروسي في حماية الأرثوذكس ،ونظرة رجال الدين الأرثوذكس إلى روسيا باعتبارها أصبحت بعد سقوط القسطنطينية حامية المذهب الأرثوذكسي.وقد جاء في تلك الرسالة ما يلي :"فروما الأولى انهارت بسبب هرطقاتها والثانية سقطت-القسطنطينية- ضحية الأتراك،ولكن روما جديدة وثالثة-روسيا- برزت إلى الوجود "[٤].

وبالتالي فإن استرداد القسطنطينية من الواجبات التي رأى الروس أن عليهم الاضطلاع بها،وكذلك أمنياتها – روسيا - في الوصول والسيطرة على المضايق البحرية مثل البسفور[٥] والدردنيل[٦] .

---

(١) Vienna : هي عاصمة النمسا وأكبر مدنها. وسميت بهذا تطويراً عن اسمها اللاتيني القديم (فيندوبونا) ومعناه الهواء الجميل أو النسيم العليل.. الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص ١٣٥٥ .

(٢) أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ج٥، ط٧، ١٩٨٦م ، ص ٧٧٨ .

(٣) بسام العسلي : بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) مشاهير قادة العالم ، المرجع السابق ، ص ٢٤.

(٤) عبدالرؤوف سنو : العلاقات الروسية العثمانية (١٦٨٧-١٨٧٨) سياسة الاندفاع نحو المياه الدافئة،تاريخ العرب والعالم،بيروت،دار النشر العربية،العددان ٧٣/٧٤ ، تشرين الثاني/كانون الأول،١٩٨٤م،ص ٤

(٥) Bosphorus : مضيق طوله (٣٢كم)،واتساعه (٥٤٩م)،يفصل تركيا الأوروبية عن تركيا الآسيوية،ويصل البحر الأسود ببحر مرمرة. الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص ٣٧١.

(٦) Dardanelle : مضيق يبلغ طوله (٦٤كم)،واتساعه (٦كم)،يصل بحر إيجة ببحر مرمرة. الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص ٧٨٩.

وفي الوقت نفسه فإن روسيا ما فتئت " تكيد للمسلمين وتعدهم أعداء دائمين لها ما دامت تقاتل التتار في الشرق والجنوب وهم من المسلمين، وتقاتل العثمانيين الذين دخلوا القسطنطينية مركز المذهب الأرثوذكسي من المسلمين أيضاً، وكلاهما يمت إلى الآخر بصلة من ناحية الجنس " (١).

وبالرجوع مرة أخرى إلى "بطرس الأكبر" وحتى تبرأ الذمة منه،فإنه وبناء على ما تقدم سوف نقف على أهم دعائم سياسته التي كانت على النحو التالي :

أ- سياسته الداخلية : فقد كان "بطرس" يسعى على مستوى سياسته الداخلية إلى :

١ - السلطة المركزية وسيادته على تلك السلطة دون منازع .

٢ - الانفتاح على الغرب والاستفادة منه علمياً وتقنياً .

٣ - النهوض بالمجتمع الروسي الإقطاعي إلى مصاف المجتمعات الأوروبية الصناعية .

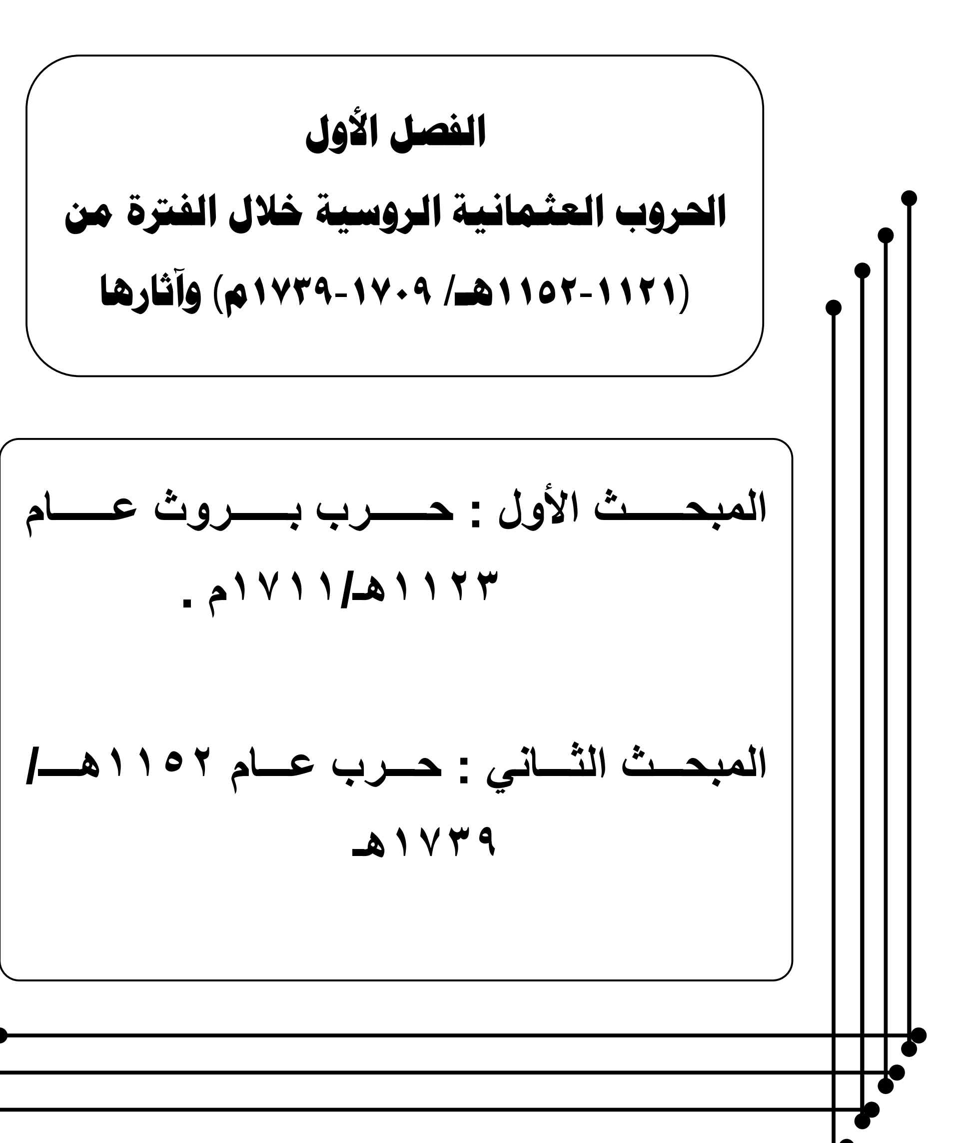
٤ - تكوين جيش حديث على نسق الجيوش الأوروبية المتطورة .

ب-سياسته الخارجية : وقد تمثلت تلك السياسة الخارجية لبطرس في تحقيق حلم أسلافه من قبل في الخروج بروسيا نحو الانفتاحية على مستوى الحدود البرية والبحرية، والتخلص من حصار بولندا والسويد والدولة العثمانية .

ولتحقيق هذا الأمر فقد كان على "بطرس"العمل بجد على ما كان داخلياً، وهذا ما لمسناه منه فيما تقدم . وبالتالي فلم يعد أمام "بطرس"إلا المضي في سياسته الخارجية . وهذا ما سوف نعالجه بإذن الله من خلال البحث .

---

(١) محمود شاكر : تركية ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط٧ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص٤٤ .



الفصل الأول
الحروب العثمانية الروسية خلال الفترة من (١١٢١-١١٥٢هـ/ ١٧٠٩-١٧٣٩م) وآثارها

المبحث الأول : حرب بروث عام ١١٢٣هـ/١٧١١م .

المبحث الثاني : حرب عام ١١٥٢هـ/ ١٧٣٩هـ

المبحث الأول : حرب بروث[١]عام ١١٢٣هـ/١٧١١م:

أخذ "بطرس الأكبر" على عاتقه المضي قدماً ليخرج روسيا من الحصار المفروض عليها براً نحو الاتصال بالعالم عبر التحرر بحراً.وكانت سياسته التي انتهجها، سواءً الداخلية منها أو الخارجية، تهدف إلى هذا الأمر مما أشرنا إليه من قبل .

على أنه من المسلم به أن تحقيق هذا الأمر من قبل روسيا ما هو إلا ضرب من القتال والتضحية في سبيل تحقيقه، باعتبار دول الجوار المحيطة بروسيا لن تسمح لروسيا بتحقيق تلك الأمنيات دون رقيب أو حسيب . فالحرب المزمع الحديث عنها كان لها مقدمات تسببت في حدوثها .

فقد رأى "بطرس" أن الوقت قد حان لظهور روسيا كدولة ذات شأن في المنطقة. ولتحقيق هذا الأمر قرر شن الحرب على العثمانيين وإخراجهم من أوروبا بأسرها،بالإضافة إلى رغبت روسيا في أن تصبح دولة بحرية .

ولتحقيق أهدافه ناقش بطرس مع خاصته موضوع البحر وضرورته بالنسبة لروسيا، وقد اتفق الجميع على تلك الأهمية، بالإضافة إلى أن الوقت قد حان لإيجاد منفذ بحري لروسيا، وكان توجههم نحو البحر الأسود مخصصين أزوف[٢]لتكون فاتحة شهية الحملة الروسية المزمع القيام بها[٣].

---

(١) Pruth : نهر ينبع من جبال الكارياتيان،الواقعة في الجنوب الغربي من روسيا الأوروبية،يمر في الأراضي الرومانية ليصب في نهر الطونة"الدانوب Danube ".

- يوسف آصاف:تاريخ سلاطين آل عثمان،تحقيق/بسام الجابي،دمشق،دار البصائر،ج٢،ط٣، ١٤٠٥/١٩٨٥م،ص ١٢٣-١٢٥.
- بسام العسلي:فن الحرب الإسلامي في العهد العثماني،دمشق،دار الفكر،ج٥،ص ٢٠٣.

(٢) Azov : أو آزاق"Aezag" ، ذراع بحري ،من البحر الأسود،يربطه به مضيق كرتش.

- الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص ١٢٣.
- يوسف آصاف:تاريخ سلاطين آل عثمان،المصدر السابق،ص ١٠٧.
- بسام العسلي:فن الحرب الإسلامي في العهد العثماني،المرجع السابق،ص ١٩٩ .

(٣) بوغانوف : حياة بطرس الأكبر ، المرجع السابق ، ص ٥٧ .

كما كان بطرس مدفوعاً في ذلك من قبل رجال الدين الأرثوذكس والذي ما فتئوا في إيقاد حماسة بطرس لمحاربة الكفرة العثمانيين- في نظرهم - فقد بعث بطريرك أورشليم برسالة إلى موسكو قائلاً فيها:"التتر زمرة تتباهى باستلام الجزية منكم،ولما كان التتر من رعايا العثمانيين،فأنتم أيضاً،والحال هذه، من الرعايا العثمانيين"(١).

أضف إلى ما سبق أن بطرس رأى في محاربة العثمانيين ما يوحد الأمة الروسية، ويجلب مساعدة العالم المسيحي، ويلفت انتباههم إلى دولة روسيا وقائدها،خصوصاً وأن بطرس كان يعتزم القيام برحلة أوروبية، وبالتالي فإن مثل هذا العمل مما يعزز مكانة روسيا في الشؤون الأوروبية(٢).

وفي سبيل تحقيق ذلك حاول بطرس استثارة الدول الأوروبية دينياً للوقوف صفاً معه في محاربة العثمانيين، إلا أنه أيقن بأن الوقت لم يحن حتى تلك اللحظة في وقوف الدول الأوروبية بعضها مع بعض لانشغال بعضها بمشكلاته الداخلية، أو رغبة البعض منها في الحفاظ على روابط مع الدولة العثمانية مثل فرنسا،ومحاولة تفرغ بعضها لما هو أهم من ذلك من وجهة نظرها كالنمسا التي أرادت المحافظة على الهدوء والسكنية ضمن حدودها الشرقية كي تتفرغ إلى حرب الوراثة الإسبانية (٣)(٤) .

إلا أن ذلك كله لم يفت في عضد بطرس أو يقف حاجزاً دون تحقيق أحلامه،فقد دفعت الضرورات الاقتصادية والنمو الزراعي الروسي بطرس إلى التعجيل بإيجاد منفذ حول البحر الأسود لتصدير المنتجات الروسية(٥) ،حيث جرد في عام ١٦٩٥م حملة دينية صليبية

(١) بوغانوف : حياة بطرس الأكبر ، المرجع السابق ، ص ٥٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٨-٥٩ .

(٣) War of the Spanish Succession (١٧٠١- ١٧١٤م) : قامت على حق الإمبراطورية الاسبانية،عقب موت ملك اسبانيا " Charles II " . الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص ٧٠٤ .

(٤) عمر الإسكندري ، سليم حسن : تاريخ أوروبا الحديثة وآثار حضارتها ، المرجع السابق ، ص ٢٤٥.

(٥) عبدالرؤوف سنو : العلاقات الروسية العثمانية (١٦٨٧-١٨٧٨) سياسة الاندفاع نحو المياه الدافئة،المرجع السابق، ص ٥١.

لقتال العثمانيين مستغلاً الحماسة الدينية للشعب الروسي،مخاطباً إياهم بقوله:"في سبيل الدين والوطن،في سبيل كرامتكم وعزتكم،في سبيل حريتكم واستقلالكم،لأجلكم أنتم أنفسكم، ولأجل بنيكم وأحفادكم...فإن أحفاد الوثني محمد- بأبي أنت وأمي ونفسي يا رسول الله- سوف يجري ردهم إلى وطنهم القديم إلى رمال وبراري شبه الجزيرة العربية"[١].فهي حرب صليبية بلا شك.

بل لقد بلغ من أهمية تلك الحملة بالنسبة لبطرس أن جعل منها كرنفالاً شعبياً شارك فيه جميع طبقات الشعب الروسي،حيث ساهم النبلاء والأغنياء في دعم هذه الحملة،كما تطوع الفقراء في الانخراط في الجيش،بالإضافة إلى أن البطريرك والأساقفة قد قاموا بدفع الكثير من المبالغ المالية لدعم هذه الحملة،وكل هذا كان بدافع شرف روسيا ورفعة النصرانية[٢].

وعلى أية حال فقد أسند بطرس قيادة تلك الحملة إلى ثلاثة من قواده وهم:"غولين وغوردون ولافوت "،محدداً مهمة تلك الحملة بالاستيلاء على أزوف [٣].

وقد جمع "بطرس" لهذه الحملة حوالي (٣٠٠٠٠٠) ألف جندي أمام أزوف،وشدد الحصار حول القلعة إلا أن كفاية مرتضى باشا بكلربك[٤]ومن كان معه من العثمانيين حال

---

(١) ياسر عبدالعزيز قاري:الامتيازات الأجنبية في سقوط الدولة العثمانية،مكة المكرمة ، جامعة أم القرى،رسالة دكتوراه،ج٢،١٤٢٢هـ/٢٠٠١م،ص٣٤٠ .

(2) SMOLLETT:History of Peter the Great, Emperor of Russia, LONDON,1836, P88.

(٣) بسام العسلي : بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) مشاهير قادة العالم ، المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(٤) بكلربك:بمعنى بك البكوات أو الحاكم العام.وهو أعلي منصب في الدولة العثمانية.وأول من كان له هذا المنصب واللقب في التاريخ العثماني سليمان باشا ابن أورخان.وكان يوجد في العهود العثمانية الأولى بكلربك واحد،وكان مسئولاً عن الجيش وما يتعلق به من أمور،وكان نافذ الكلمة يأتي بعد السلطان مباشرة.ولما توسعت الفتوحات العثمانية في أوروبا انقسم هذا المنصب إلى قسمين:بكلربك الأناضول وبكلربك الروملي.

- يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج٢،المرجع السابق، ص٦١٧-٦١٨.
- حسين مجيب المصري:معجم الدولة العثمانية،المرجع السابق،ص٣٥.
- سهيل صابان:المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،مراجعة/عبدالرزاق بركات،الرياض،مكتبة الملك فهد،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م،ص٦٤.

دون تمكن الروس من فتحها، وبالتالي إخفاق الحملة [١].كما كان للسلطان مصطفى الثاني (١٦٩٥-١٧٠٣م) [٢]دوره الذي لعبه في الحيلولة دون تمكن الروس من أزوف [٣].

أضف إلى ذلك قوة وحصانة القلعة العثمانية التي كانت مطوقة بصفين من الأسوار الحجرية وبسد ترابي وخندق.وأمامها على ضفتي الدون برجان تمتد بينهما ثلاث سلاسل حديدية تمنع الحركة في مجرى النهر وتقف حاجزاً أمام السفن[٤].

وإذا كان ما سبق من أسباب تفوق العثمانيين ونجاحهم في صد الهجوم الروسي فإنه وفي المقابل فإن إخفاق الروس-إضافة إلى ما سبق- يعود إلى سببين رئيسيين هما:

١. اختفاء القائد المركزي،وتقاسم السلطة الميدانية بين ثلاثة من القواد الروس دون أدنى تنسيق فيما بينهم.

٢. ضعف الأسطول الروسي والذي لم يشكل عائقاً في وصول الإمدادات والأغذية إلى العثمانيين عن طريق البحر[٥].

---

(١) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج١،المرجع السابق ، ص ٥٧٣ . وحول نتائج الحصار السابق الذكر يذكر أوزتونا ما نصه:" تسجل المصادر أنه قتل ما يقرب من ٣٠٠٠٠ وبالنسبة للمصادر العثمانية ٦٠٠٠٠ جندي روسي.طارد ٥٠٠٠ جندي عثماني القيصر أثناء انسحابه وقتلوا ٤٠٠٠ جندي روسي آخر تقريباً" .

(٢) مصطفى الثاني(١٦٦٤-١٧٠٣م):ابن السلطان محمد الرابع،سلطان تركيا(١٦٩٥-١٧٠٣م)،كثرت في عهده الفتن الداخلية والهجمات الخارجية.تم عزله على يد الإنكشارية عام١٧٠٣م وهو نفس العام الذي توفي فيه.

- إملين نسيب:التاريخ القديم والحديث،بيروت، دار الجيل،ص٦٣.
- حسين مجيب المصري:معجم الدولة العثمانية،المرجع السابق،ص٢١٢.
- علي محمد الصلابي:الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط،المرجع السابق،ص٣٦٩-٣٧٠.

(٣) محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،المرجع السابق،ص ٣٠٨. للمزيد انظر: أحمد جودت باشا: تاريخ جودت ، تعريب/عبدالقادر أفندي الدنا ، تحقيق/عبداللطيف محمد حميد ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ، ص ١٣١.

(٤) بوغانوف : حياة بطرس الأكبر ، المرجع السابق ، ص ٦١ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٦٠-٦١ .

إلا أن إخفاق تلك الحملة لم يكن بالنسبة إلى بطرس آخر المطاف،بل كانت تلك الهزيمة مقدمة لبحثه عن أسبابها ومعالجة الخلل ومعاودة الكرة مرة أخرى. وقد توصل بطرس إلى نتيجة مفادها أن الجيوش الجرارة لا فائدة منها إذا افتقدت مهارة التدريب الجيد والانضباط والتعزيز بالأسلحة الحديثة، وبناءً على هذه النتيجة التي توصل إليها بطرس من جراء إخفاق حملته الأولى للاستيلاء على أزوف، فقد بعث بطرس في المدائن حاشرين يأتون بكل ذي خبرة عليم.فقدم عليه رجال المدفعية من هولندا والنمسا وأقبل عليه المهندسون من بروسيا[١]، وانضم إليه الأميرال "اليما" من فينيسيا.وانصرف بطرس لبناء أسطول بحري، وتمكن خلال فترة وجيزة من بناء(٢٢)سفينة نقل و(١٠٠) روث-طوافة-و(٧٠٠)سفينة.وحول كل الموانئ الصغيرة على نهر الدون إلى مرافئ كبيرة حشد فيها(٢٦) ألف عامل من كل أنحاء المملكة" [٢].

وقد كانت وجهة نظر بطرس، في ضرورة إنشاء أسطول بحري، في محلها،فقد أدرك بطرس في هجومه الأول على أزوف أن أحد أسباب هزيمته الرئيسية عدم امتلاكه لأسطول بحري.ومنذ تلك الهزيمة فقد سعى بطرس لبناء الأسطول الروسي،والذي كان أحد أسباب النصر الرئيسية في حملته الثانية نحو أزوف.فقد تمكن الأسطول الروسي من قطع الإمدادات عن أزوف،كما اشتبك مع السفن العثمانية محققاً عليها أول نصر بحري روسي ضد البحرية العثمانية.ونظراً لذلك فقد رأى بطرس البدء فوراً في بناء أسطول روسي كبير، يمكن لروسيا من مقارعة الأسطول العثماني في البحر الأسود.وبناء عليه فقد فرض بطرس ضرائب باهظة على الشعب لكي ينفق منها في بناء ذلك الأسطول،كما أجبر النبلاء على أن يدفعوا لصالح ذلك المشروع[٣].

---

(١) Prussia : اسم كان يطلق بالأصل على المقاطعة الألمانية التي أطلق عليها لاحقاً اسم "بروسيا الشرقية". سميت المنطقة على اسم السكان الأصليين البروسيين ذوي الأصول البلطيقية. الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص ٣٥٩-٣٦٠ .

(٢) بسام العسلي : بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) مشاهير قادة العالم ، المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(3) JACOB ABBOTT : Peter the Great , NEW YORK , 1901 , P 101-102.

وهكذا وبعد أن اطمأن بطرس إلى استعداداته،سار في جيش مكون من (١٠٠٠٠٠) جندي مسنداً قيادته إلى الجنرال الاسكتلندي **Gordon** وإلى السويسري **Lefort**، حيث تم حصار قلعة أزوف مدة ثلاثة وستين يوماً استبسلت الحامية التركية المتواجدة هناك في الدفاع عنها، في الوقت الذي أخذ فيه المهندسون البنادقة والسويديون والدنمركيون والهولنديون والإنكليز بحفر الأنفاق المؤدية إلى القلعة [١]والتي لم تستطع المقاومة أكثر من ذلك خصوصاً في ظل انقطاع الإمدادات العثمانية عنها لتسقط في يد الروس، وقد قُبل هذا النصر الروسي بالفرح والبهجة في موسكو والاستقبال الحار للقيصر وجنوده من قبل المسئولين الروس وكذا الشعب، فزينت الشوارع وعلت الأهازيج وعمت السعادة.وفي المقابل فان ضياع أزوف وجد ردة حزن في الجانب العثماني بالإضافة إلى الاستياء من ضياع أزوف.على أن هذا الاستياء العثماني كان من أهم الأسباب المحركة لحرب بروث عام ١١٢٣هـ/١٧١١م فيما بعد. وفي المقابل وبهذا النصر تمكنت روسيا، وبعد جهود تاريخية مضنية، من تذوق طعم البحر الأسود[٢]، إذ كان النصر الذي حققه بطرس في أزوف مقدمة إلى تحقيق الحلم الروسي بالإشراف على البحار، فسعى بطرس بعد الإطلال على البحر الأسود إلى محاولة الوصول إلى بحر البلطيق والذي كان ضمن ممتلكات مملكة السويد .

وقد رأى بطرس أن الوقت أصبح مناسباً إلى تنفيذ خطته التي ترمي إلى وصول روسيا إلى البلطيق،وهذا بالفعل ما تضمنته وصية بطرس من خلال البند الثامن "على الروسيين أن ينتشروا يوماً فيوماً شمالاً في سواحل بحر البلطيق..." [٣]. وكذا البند التاسع من وصيته "...والاستيلاء على بحر البلطيق ..." [٤]. وإن كل ما سبق ليعبر بشكل واضح عن

---

(١) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ،ج١، المرجع السابق ، ص ٥٧٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٧٣ .

(٣) أحمد جودت باشا: تاريخ جودت ، المصدر السابق ، ص ٤٩٩. انظر: محمد فريك بك المحامي:تاريخ الدولة العلية العثمانية ، المرجع السابق ، ص ٣٣٢.

(٤) أحمد جودت باشا: تاريخ جودت ، المرجع السابق ، ص ٤٩٩. انظر: محمد فريك بك المحامي:تاريخ الدولة العلية العثمانية ، المرجع السابق ، ص ٣٣٢.

نية بطرس المبيتة للاستيلاء على بحر البلطيق، وضرورة عمل الأمة الروسية على تنفيذ وصيته حتى بعد موته.

وكان اتخاذ القرار الروسي في الوقت الذي حكم مملكة السويد شارل الثاني عشر(١)، حيث استمرت المعارك الروسية السويدية منذ عام ١٧٠٠م بين الخصمين وحتى معركة بولتافا(٢)عام ١٧٠٩م .

وقبل معركة بولتافا ١٧٠٩م الحاسمة بين روسيا والسويد خاطب بطرس جنوده قائلاً:"أيها المحاربون ! لقد حلت الساعة التي ستقرر مصير الوطن.فلا تظنوا أنكم تقاتلون من أجل بطرس،بل من أجل الدولة التي أُوكلت إلى بطرس، من أجل شعبكم،من أجل وطنكم..." (٣).وقد صدق بطرس فقد كانت معركة بولتافا ما قررت مصير روسيا.

حيث كانت معركة بولتافا حاسمة بالفعل، ليس على مستوى الصراع الروسي السويدي، بل على مسرح أحداث القارة الأوروبية فيما بعد،فعلى صعيد المواجهة الروسية السويدية ،فقد أدت المعركة إلى ظهور روسيا كقوة يحسب لها ألف حساب،ولم تعد كما كانت في السابق هدفاً سهلاً للطامعين والمتربصين بها،حيث أصبح في مقدورها مواجهة دول أوروبا وحتى الدولة العثمانية. فيما تحطمت القوة السويدية التي كان يضرب بجنودها المثل في أوروبا من حيث الانضباط والتكتيك والتدريب الجاد،وأصبح ملكها شارل لاجئاً لدى الدولة العثمانية.

---

(١) شارل الثاني عشر(CHARLES XII):ابن شارل الحادي عشر ملك السويد،ولد في استوكهولم(١٦٨٢-١٧١٨م)،هزم في معركة بولتافا١٧٠٩م أمام بطرس الأكبر فاتجه إلى الدولة العثمانية.عاد إلى بلاده سنة ١٧١٥م.انظر:بسام العسلي:بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) مشاهير قادة العالم،المرجع السابق،ص٤٥.بسام العسلي : فن الحرب الإسلامي في العهد العثماني،المرجع السابق،ص٢٠١-٢٠٢.

(٢) Poltava : مدينة روسية في إقليم " أوكرانيا " إلى الغرب من " خاركوف " " Kharkov ".بسام العسلي: بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) مشاهير قادة العالم،المرجع السابق،ص ٤٦ .

(٣) علي شعيب : بطرس الأكبر، المرجع السابق ، ص ٤٧ .

وكانت بولتافا من أسطع الصفحات المليئة بالعبر في تاريخ نضال الشعب الروسي [١]، وقد بلغ بها المجد لدى الروس أن تغنوا بها في ملحماتهم[٢].

ومن جهة أخرى فقد تمكنت روسيا، وبعد هذه المعركة، من الإشراف على بحر البلطيق، وفتح نافذة على أوروبا وتقوية صلاتها مع غرب أوروبا[٣].وبذلك تحقق لروسيا أحلامها القديمة التي ناضلت وضحت من أجلها، وكان مفكرها وصانع مجدها القيصر بطرس والذي وقف خلف الروس موقف القائد الملهم الجسور الصابر المتيقن بالنصر .

وهو بالفعل كما وصفه الأتراك "ذو رأس حديدي،وقلب لا يعرف الخوف أو الوجل،وعزم لا يصله الخور أو الوهن مهما عظمت الأحداث " [٤].

بل إن الهزيمة في نظر القيصر بطرس تعد عزيمة يمكن الاستفادة منها فيما بعد في تحقيق النصر، ففي هزائمه التي وقعت مع السويديين فإنه كان يحث جنوده زارعاً الأمل في قلوبهم بقوله: "إني كنت أعلم أن السويديين سيضربوننا هذه المرة، ولكنهم سيعلموننا كيف نضربهم في المستقبل"[٥].

وعلى أية حال فقد كانت لهذه الانتصارات صدى واسع، ليس على مستوى الدولة العثمانية فحسب،بل على صعيد أوروبا بأسرها،والتي خشيت تمدد الدب الروسي أكثر من ذلك.

ونتيجة لهذا الانتصار الروسي، وكردة فعل أوروبية فقد طرحت مراراً وتكراراً فكرة إقامة حلف يجمع بين بلاد أوروبا الشمالية لمواجهة الخطر الروسي،بل إنه في عام ١١٢٣هـ/١٧١١م اقترح وزير بروسيا في موسكو إقامة حلف دفاعي يجمع كلاً من

---

(١) علي شعيب : بطرس الأكبر، المرجع السابق، ص ٤٨ .

(٢) بوغانوف : حياة بطرس الأكبر ، المرجع السابق ، ص ٧٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٣ .

(٤) بسام العسلي : بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) مشاهير قادة العالم ، المرجع السابق ، ص ٥٦ .

(٥) محمد علي حله : دراسة في تاريخ أوروبا الحديث ، المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

الدانمرك[(١)]وبروسيا وبولندا لصد الخطر الروسي.ومما يذكر في هذا الجانب مدللاً على تخـوف أوروبا من الامتداد الروسي ما دار من حوار بين البارون أوربيش-وزير روسـيا في فيينـا- والفيلسوف ليبتز عقب الانتصار الروسي في بولتافا ١١٢١هـ/١٧٠٩م:

البارون أوربيش:"لقد بدأ الناس يخشون القيصر كمـا كـانوا في السـابق يخشـون السويد".

الفيلسوف ليبتز يرد موافقاً:"الخبر يسري في أن القيصر سيكون مخيفاً لأوربـة كلـها وسيكون نوعا ما تركيا الشمال" [(٢)].

كما أنه وبعد معركة بولتافا،فقد تغيرت نظرة الازدراء الأوروبي تجاه الروس، وحـل محلها احترام مختلط بالخوف،انعكس بدوره على احترام البلاطات الأوروبية لممثلـي روسـيا الدبلوماسيين[(٣)].

أما بالنسبة للدولة العثمانية فقد أدركت أن روسيا أصبحت الخطر الماثل والهـاجس المؤرق، ولكن بعد فوات الأوان، ولات حين مناص .وحول هذا الأمر فقد بعث تولستوي- سفير روسيا في الآستانة-بخطاب إلى رئيسه مدير العلاقات الخارجية قائلاً فيه:"لا تدهش لأني كنت أبلغك برغبة الباب العالي في السلام عندما كان الملك السويدي بكامل قواه،وأقول لك الآن،بعد دحر السويديين: إنني أشك وأرتاب.وسبب شكي وارتيابي أن العثمانيين يـرون أن جلالة القيصر انتصر على الشعب السويدي القوي، وسرعان ما يريد أن يرتـب الأمـور في بولونيا على هواه،وبعد ذلك،حيث لا يوجد أمامـه أي عـائق،يمكـن أن يبـدأ الحـرب

---

(١) Denmark : هي إحدى دول أوروبا الإسكندنافية، تقع في شمال القارة. ثلث مساحة البلاد عبارة عن جزر. الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص ٨٠٥-٨٠٦ .

(٢) ماتيو أندرسون : تاريخ القرن الثامن عشر في أوروبة ، ترجمة/نور الدين حاطوم ، دمشـق ، دار الفكـر ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، ص ٢٤٩-٢٥٠.

(٣) بوغانوف : حياة بطرس الأكبر ، المرجع السابق ، ص ٢٧٥-٢٧٦ .

معهم"[١].وهذا يبين القلق والذي أخذ يجتاح العثمانيين من خلو الطريق أمام بطرس بعد هزيمته السويديين.

ولسان الحال يؤكد أن الدولة العثمانية لو فطنت لما كانت تحتويه سياسة بطرس من إضعاف مجاوريه للزمها مساعدة السويد في حربها ضد روسيا[٢].

بل إنه والحال تلك كان يتوجب على الدولة العثمانية آنذاك استغلال تلك الفرصة التي جادة بها السماء- الحرب الروسية السويدية- لصالحها ومساعدة شارل ملك السويد ضد روسيا والذي أشار على الدولة العثمانية بمثل هذا التحالف كما وجه السفير الفرنسي نظر الباب العالي على ضرورة مساعدة السويد في حربها ضد روسيا،إلا أن الجهل والمنفعة الشخصية وعدم إدراك خطر روسيا حال دون تفكير رجالات الدولة العثمانية بشكل صحيح، واستغلال ذاك الطالع الحسن، بل مما زاد الأمر سوءاً عدم استقلالية السلطان برأيه، وخضوعه التام لمن حوله من الأتراك ممن شغلتهم المصلحة الشخصية عن منفعة الدولة العثمانية،ولم يخرج شارل إلا بوعود عثمانية بمساعدته ومعاونته متى تطلب الأمر وهو ما لم يحصل قط [٣].

على أن الدولة العثمانية لم تفقه سياسة بطرس إلا في وقت متأخر ازدادت فيه روسيا قوة،وخلال ذلك كان دور العثمانيين هو دور المنتظر لدوره.فقد دخلت الدولة العثمانية في حالة من تغيير الصدور العظام[٤]واحداً تلو الآخر تبعاً للأهواء والمصالح الشخصية مما شغلها خارجياً عما حام في سمائها من الخطر الروسي .

---

(١) بوغانوف : حياة بطرس الأكبر ، المرجع السابق، ص ٢٨٤ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،المرجع السابق،ص ٣١٢-٣١٣ .

(٣) أحمد حامد،مصطفى محسن : توركيه تاريخي إستانبولك فتحندن زمانمزه قادار،إستانبول،ملي مطبعة، ١٩٢٦م،ص ٢٦٤.

(٤) الصدر الأعظم : الشخص الذي حاز منصب رئيس الوزراء في الدولة العثمانية،وهو من كانت له الجدارة بإدارة شئون الدولة عن السلطان. للمزيد انظر:

- حسين مجيب المصري:معجم الدولة العثمانية،المرجع السابق،ص ٨٢-٨٣.
- سهيل صابان:المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،المرجع السابق،ص ١٤٣-١٤٤.

وكردة فعل جماهيرية عثمانية فقد اشتعلت الثورة في دار السلطنة العثمانية معبرة عـــن غضبها لفقد أزوف وتقاعس الدولة العثمانية عن إنقاذها، بل والتحرك للأخذ على يد المعتدين حيث أصبح بمقدور روسيا استغلال مياه البحر الأسود، بعد أن كان بحيرة عثمانية طوال عدة قرون. وكان من نتائج تلك الثورة عزل السلطان مصطفى الثاني، وتعـــيين الســـلطان أحمـــد الثالث[(١)]بدلاً عنه والذي وجه كل جهده للاقتصاص لضياع أزوف واستعادتها مـــرة أخـــرى وتأديب روسيا [(٢)].

ومما صعد روح العداء العثماني تجاه الروس هو التجاء ملك السويد شارل الثاني عشر إلى قلعة بندر[(٣)] من ممالك الدولة العثمانية؛ ونتيجة لهذا الأمر فقد عد بطرس أمر حماية شارل من قبل العثمانيين تدخلاً فيما لا يعنيها، وبالتالي توجب عليها إرضاءً لبطـــرس طـــرد ملـــك السويد شارل، وعزل رئيس قلعة بندر مما اعتبرته الدولة العثمانية إهانه لها وتجاوزاً من قيصـــر روسيا في التدخل في شؤونها الداخلية [(٤)].

حيث إن انتصار بطرس على السويديين في معركة بولتافا أعطاه نشوة بالنصر منحتـــه جرأة لتغيير سلوكه مع الدولة العثمانية التي اتبع معها أسلوب الاستهجان لها والاســـتخفاف

---

(١) أحمد الثالث(١٠٨٣-١١٤٩هـ/١٦٧٣-١٧٣٦م):ابن السلطان محمد الرابع،تولى السلطة بعد أخيه مصطفى الثاني١٧٠٣م.خلع من قبل الإنكشارية سنة ١٧٣٠م.دخلت في عهده المطبعة،كما تأسست دار للطبعـــة في إستانبول.

- املين نسيب:التاريخ القديم والحديث،المرجع السابق،ص٦٣-٦٤.
- حسين مجيب المصري:معجم الدولة العثمانية،المرجع السابق،ص١٧٣-١٧٤.
- علي محمد الصلابي:الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط،المرجع السابق،ص٣٧٠-٣٧١.

(٢) بسام العسلي : بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) مشاهير قادة العالم ، المرجع السابق ، ص ٧٣ .

(٣) BENDER : وهي معروفة اليوم باسم بندريس(BENDERIS).كانت مدينة إســـلامية تابعـــة لحكـــم العثمانيين.وهي تابعة اليوم للاتحاد السوفييتي . بسام العسلي : بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) مشاهير قادة العالم ، المرجع السابق ،ص٧٢.

(٤) إبراهيم بك حليم : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٤٢٢هـــ/٢٠٠٢م، ص٢٢٦.

بقدراتها العسكرية ودورها التاريخي بالنسبة إلى روسيا.إذ بعث بطرس برسالة بعد انتصاره في بولتافا عبر سفيره في إسطنبول إلى السلطان أحمد الثالث جاء فيها:"أنه يريد ويرغب في عدم استقبال الدولة العثمانية لشارل الثاني عشر،وعدم تجاوزه الحدود العثمانية،وأنه يريد إلقاء القبض على مازيبا حاكم أوكرانيا(١)الذي أهانه من قبل هو وأتباعه"(٢).

وهو في خطابه هذا يخاطب بطرس الدولة العثمانية بصيغة الأمر الإلزامي بتنفيذ ما يطلبه بطرس، وإملاء من قبل بطرس بما تفعله الدولة العثمانية في سبيل كسب ود بطرس .وهو ما لم تقدُم الدولة العثمانية إلى الاستجابة إليه تماماً،وخصوصاً تسليم شارل ملك السويد إلى روسيا حيث إن ذلك يتنافى مع شيم الدولة العثمانية ومع كافة المواثيق والأعراف الدولية،بالإضافة إلى أن شارل الذي ضاع صيته في أوروبا كلها قد أصبح لاجئاً لدى الدولة العثمانية، وهو ما أكسب السلطان العثماني هيبة وسمعة وأعلى من مكانته (٣) .

ومن ناحية أخرى فقد اعتبرت الدولة العثمانية أن شارل ملك السويد ضيف عندها وليس لاجئاً سياسياً وبناءً عليه فقد قامت بواجب الضيافة للضيف وصحبه، ويظهر هذا الأمر من خلال الرسالة التي بعث بها شارل إلى السلطان أحمد في ٣١يوليو١٧٠٩م يشكره فيها على كرم الضيافة العثمانية التي أحس من خلالها أنه في بلده(٤).بل إن الدولة العثمانية، إكراماً للملك شارل، قد طلبت منه إرسال سفير دائم له في إستانبول(٥). معتبرتاً إياه ملكاً على السويد وليس لاجئًا،وهذا في حد ذاته دلالة من قبل الدولة العثمانية على تكريم الملك شارل.

---

(١) Ukraine : عُرفت في المصطلحات والمدونات البيزنطية"روسيا الصغرى"،وبعد ذلك أصبحت كلمة أوكرانيا تعني"السير"أو"المسيرة"أو"بلاد التخوم"أو"البلاد الحدودية".تقع أوكرنيا في أوروبا.وعاصمتها كييف.وهي أكبر بلد أوروبي بعد روسيا. مسعود الخوند:الموسوعة التاريخية الجغرافية،بيروت،مؤسسة هانياد،ج٤،ص٩١-٩٢.

(2) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi,V.Cilt, Güven Yayincvi Tarafindan Yayinianiniştir Güven Basimevi Istanbul. 1971, P2384-2385.

(3) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2385.

(4) Ord . Prof. ismail Hakki UzunÇarşili : Osmanli TarĪhi, Iv.Cilt, I. BöIüm,3 Baski, Türk Tarih Kurumu Basimevi- Ankara 1982, P 64 .

(5) Ord . Prof. ismail Hakki UzunÇarşili : Osmanli TarĪhi, Iv.Cilt, P 66.

بل لقد فرضت الدولة العثمانية للملك شارل مرتباً بلغ قدره ٤١٣،٥ يومياً[١]، فكيف يكون الأمر بالنسبة للدولة العثمانية بعد هذا الكرم للملك شارل بأن ترضخ لمطالب بطرس وترضى بتسليمه، وهي التي استقبلته غير مجبرة على ذلك، كما أنها اعتبرت شارل ضيفها ويجب إكرامه وليس أسره وتسليمه إلى بطرس.

ومع ما تقدم من استهجان بطرس للدولة العثمانية إلا أن العثمانيين، وقبيل إعلان الحرب، قد حاولوا اتباع المنهج السوي السلمي مع روسيا واتخاذ ما يلزم في حسن معاشرة الدول[٢].

ومن ذلك أن شارل الثاني عشر ملك السويد قد طلب مساعدة دولة كراي خان القرم ضد روسيا، ولكن طلبه هذا قد قُبل بالرفض حيث صدرت أوامر من الدولة العثمانية إلى خان القرم بعدم التحرك ضد روسيا بما يتنافى مع السلام المبرم معها[٣]، بالإضافة إلى أن بطرس، وقبل معركة بولتافا، قد بعث بخطاب إلى السلطان العثماني يذكره فيه بالتزامه التام بصداقته مع الدولة العثمانية، وأنه سوف يظل كذلك، وكان سبب هذه الرسالة قلق بطرس من تدخل الدولة العثمانية لمساندة شارل ضده[٤]. وبالفعل فقد التزمت الدولة العثمانية بالحياد محافظة على موقفها في عدم التدخل لصالح أي من السويد أو روسيا وترجيح كفة أحدهما على الآخر.

وعلى الرغم من موقف الدولة العثمانية النبيل تجاه روسيا والتزامها بمبدأ السلام إلا أن بطرس كانت له نوايا غير ذلك، وأخذ في ارتكاب الحماقات تجاه الدولة العثمانية التي تنبئ عن سوء نيته تجاهها، فبعد انتصاره في معركة بولتافا فإنه تجاوز الحدود العثمانية وأقدم على

---

(1) Őmer Faruk Yilmaz : Osmanli Tãrihi , Tashih / Abdüiladir Dedeoĝlu – Nuri Barut III. Cilt, Istanbul 1999, 2. Baski, P 54 .

(٢) إبراهيم بك حليم : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، المرجع السابق،ص ٢٢٥.

(3) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2382.

(4) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2384.

أسر ثلاثمائة جندي سويدي[١] دون أدنى احترام للدولة العثمانية .

ولم تكن هذه الحادثة فريدة في تاريخ بطرس تجاه تعامله مع الدولة العثمانية، أو أنها حصلت من قبله بالخطأ، فقد أقدم مرة أخرى على تكرارها،وذلك أن شارل ملك السويد، والذي أقام في بندر فترة من الزمن، قرر الرجوع إلى بلاده خلال فترة وجيزة وتمهيداً لذلك فقد أرسل سبعمائة من الجنود السويديين والذين كانوا معه لاستكشاف أنسب الطرق التي سوف يسلكها في طريق العودة إلى بلاده.وعندما علم الروس بهذا العمل من قبل شارل فإن ستة آلاف جندي عبروا الحدود العثمانية ليهاجموا تلك القوة السويدية،إذ قتلوا منهم مجموعة وأسروا البقية الباقية [٢].بالإضافة إلى ذلك كله فإن بطرس لم يتوانى في تحريض رعايا الدولة العثمانية من الأرثوذكس في بغدان وصربيا[٣]والجبل الأسود[٤]،إضافة إلى إنشاء العديد من القلاع في كمانكا وأزاق وغيرها[٥] مما اعتبرته الدولة العثمانية تهديداً مباشراً لها.

كما عمل الروس على إنشاء أسطول روسي قوي في بحر الازاق[٦]. مما جعل الدولة العثمانية محاصرة بالحربية الروسية براً وبحراً.

---

(1) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2384.

(2) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2384 - 2385.

(٣) Serbia **:** جمهورية في وسط البلقان، يحدها من الشمال المجر ومن الشرق رومانيا وبلغاريا، ومن الجنوب جمهورية مقدونيا وجمهورية كوسوفا، ومن الغرب كل من كرواتيا والبوسنة والجبل الأسود،عاصمتها بلغراد.

- الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص ١١٢١-١١٢٢.
- مسعود الخوند:الموسوعة التاريخية والجغرافية،المرجع السابق،ج ١١،ص٢١٨

(٤) Montenegro **:**ظهر اسمها أول ما ظهر في أواخر القرن الثاني عشر،مشتقاً من اسم جبل لوفشينLovcen،كما يطلق عليه أيضاً اسم كرنا غوراCrna Gora،أي الجبل الأسود.يقع جنوب شرقي صربيا.وعاصمته بردغوريتاPodgorica.

- الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص ٦١٢-٦١٣.
- مسعود الخوند:الموسوعة التاريخية والجغرافية،المرجع السابق،ج١١،ص٢٣١.

(5) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2386.

(6) Akdes Nimet Kurat : XII Kael'in Türkiyede Kalişi ve Bu Siralarda Osmanli imparatorluğu, Istanbul Riza Kosun Matbaasi , 1943, P62 .

ومع ذلك فقد كانت الدولة العثمانية ذا نفس طويل تجاه روسيا، وقد يعود هذا الأمر إلى عدة أسباب على النحو التالي:

١. عدم رغبة السلطان أحمد الثالث في معايشة الدولة العثمانية لأي كوارث أو نكبات بالإقدام على مغامرات حربية قد تكلف الدولة العثمانية الكثير من الرجال والمال؛ مع الإتيان بنتيجة عكسية على الدولة العثمانية .

٢. غياب الرجل المناسب في منصب الصدارة صاحب الحنكة السياسية والحكمة الإدارية في إدارة الدولة.

٣. شح الخزانة المالية للدولة العثمانية؛ ولذلك فإن السلطان كان يتبنى سياسة الادخار وليس سياسة الإنفاق.ومن المعروف أن الدخول في معارك حربية معناه إنفاق الكثير من الأموال.

٤. علو شأن الروس بعد معركة بولتافا فقد أصبح لدى الجميع هاجس مبالغ فيه حول إمكانات روسيا ومدى قوتها وأن تحقيق الانتصار عليها ليس بالأمر اليسير.

بالإضافة إلى ذلك كله فقد شهد بداية حكم السلطان أحمد الثالث العديد من التغييرات للصدور العظام،وكذلك الكثير من عمليات التمرد في البلاد،وصدور أحكام الإعدام في حق الكثيرين،وتراخي الجيش العثماني وعدم جاهزيته الكلية للحروب،وفقد الحدود العثمانية لنوع من التحصينات الجيدة [1]. كل هذه الأمور مجتمعة قد ساقت الدولة العثمانية إلى محاولة الوصول إلى حل سوي ومنهج معتدل مع روسيا والتغاضي قدر الإمكان عن تصرفاتها.

وفي سبيل هذا المنهج السلمي والذي اتبعته الدولة العثمانية تجاه روسيا فقد بعث العثمانيين سفارة إلى القيصر بطرس للاطلاع على حقيقة التحركات العسكرية الروسية على حدود الدولة العثمانية وفهم حقيقة الموقف.وقد تم تعيين محمد مصطفى أغا رئيساً لهذه السفارة التي قدمت إلى الإمبراطور الروسي احتجاجها الشديد باسم السلطان أحمد الثالث على قيام الروس بإنشاء قلعة كمنقاه على سواحل نهر أوزى، بالإضافة إلى إنشاء السفن

---

(1) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2386.

الروسية بصفة مستمرة في فرنوس،وكان من المفترض أن يرد الروس على تلك الاحتجاجات العثمانية؛ إلا أن تلك السفارة عادة إلى إسطنبول دون أي نتيجة تذكر(١).وبهذا يتبين أن روسيا لم تكن ترغب في الصلح مع الدولة العثمانية ولذلك فقد فضلت عدم الدخول معها في تعهدات من شأنها أن تحد من نشاطها في الاستيلاء على البحر الأسود.

ومن ناحية وكما يبدو فإن بطرس قد وصل إلى مرحلة الغرور بعد الانتصارات التي حققها التي أكدت له أنه أصبح في مقدوره التحكم بمقاليد الأمور في المنطقة دون منازع. بالإضافة إلى أن السياسة التي انتهجها الروس في التعدي على أملاك الدولة العثمانية، ومحاولة الاستيلاء على البحر الأسود، وتجريد الدولة العثمانية من ممتلكاتها هناك،خصوصاً وأن سياسة بطرس كانت تهدف إلى السيطرة على سواحل البحر الأسود مما ضمنه وصيته،فنلاحظ في البند الثامن من وصيته "على الروسيين أن ينتشروا يوماً فيوماً شمالاً في سواحل بحر البلطيق وجنوباً في سواحل البحر الأسود"(٢) وكذلك البند التاسع من وصيته"وينبغي ضبط البحر الأسود شيئاً فشيئاً؛ وذلك لأجل إنشاء دار صناعات بحرية فيه"(٣).وإن ما سبق من وصية بطرس لدلالة واضحة على عزم الروس وإصرارهم على السيطرة على البحر الأسود والذي هو من ضمن ممتلكات الدولة العثمانية كل ذلك قد ساق العثمانيين إلى مجابهة ذلك الخطر الروسي، وأصبحت مواجهة ذلك الخطر أمراً حتمياً على العثمانيين، أو بمعنى آخر فإن الحرب الدفاعية من قبل العثمانيين ضد الروس لحماية أملاكهم أصبحت أمراً لا مفر منه خصوصاً بعد ما تبين للدولة العثمانية سوء نية بطرس تجاهها، فأخذت تعد للحرب عدتها ابتداءً من نوفمبر ١٧١٠م. وقد أيد هذا الهاجس المتخوف من قبل الدولة العثمانية تجاه نية بطرس تلك الرسالة

---

(1) Akdes Nimet Kurat : XII Kael'in Türkiyede Kalişi ve Bu Siralarda Osmanli imparatorluĝu, P63-64 .

(٢) أحمد جودت باشا: تاريخ جودت ، المصدر السابق ، ص ٤٩٩.انظر:محمد فريد بك المحامي،تاريخ الدولة العلية العثمانية،المرجع السابق،ص ٣٣٢.

(٣) أحمد جودت باشا: تاريخ جودت ، المصدر السابق ، ص ٤٩٩. انظر:محمد فريد بك المحامي،تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص ٣٣٢.

التي بعث بها خان القرم دولت كراي المعين من قبل إستانبول إلى السلطان العثماني أحمد الثالث يحذره من خطط بطرس الرامية إلى احتلال إستانبول نفسها، وعدم الاستهانة بما يقوم به الروس من جهود حربية في سبيل ذلك قائلاً فيها:"إنه إذا وثق بالروس فإن القرم سوف تضيع من يد الدولة العثمانية ومن الممكن فقد الروملي(١)، حتى إن الهدف الحقيقي للروس هو الاستيلاء على إستانبول ذاتها"(٢).

كما دعم موقف خان القرم ذاك وزاد من مخاوف السلطان العثماني خطاب شارل ملك السويد إلى جناب السلطان والذي جاء فيه:"نلفت انتباه جلالتكم الإمبراطورية إلى أنه إذا تركنا للقيصر وقتاً كي يستفيد من المنافع التي حصل عليها من مصيبتنا،فسيهجم فجأة على إحدى ولاياتكم مثلما هجم على السويد دون أن يعلن الحرب إطلاقاً.وإن القلاع التي بناها على الدون وعلى سواحل بحر أزوف وأسطوله تفضح نواياه الخبيثة من حيث أضرارها ضد إمبراطوريتكم"(٣). ومما زاد من حدة الموقف وجعله في تصاعد هو سعي ممثلي فرنسا وإنجلترا في العاصمة العثمانية إستانبول بالدسائس بين العثمانيين والروس(٤) .

وعلى أثر ذلك فقد عقد اجتماع طارئ في عاصمة السلطنة العثمانية ترأسه السلطان العثماني أحمد الثالث لمناقشة الأوضاع الروسية في٢٠ ديسمبر ١٧١٠م، وتم من خلال هذا الاجتماع مناقشة تصرفات روسيا من عمل أسطول عند بحر آزاق وإقامة الحصون والتعدي على القرم وانتهاك الحدود العثمانية في ملاحقة من الروس للجنود السويديين وأسرهم،وبناءً على ذلك فقد قرر الحاضرون، بما فيهم السلطان أن روسيا قد تجاوزت حدودها، وأن الحرب

---

(١) Rumeli : الاسم العام الذي أطلق على أراضي الدولة العثمانية الواقعة في أوروبا.
- يلماز أوزتزنا:تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق،ج٢،ص٧٠٣.
- سهيل صابان:المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،المرجع السابق،ص ١٢٩.

(2) Yasar Yücel, Ali Svim: Türkiye Tarihi, III, Türk Tarih Kurumu Basimevi – Ankara 1992, P 256 .

(٣) بوغانوف : حياة بطرس الأكبر ، المرجع السابق ، ص ٢٨٥ .

(٤) المرجع السابق، ص ٢٨٦ .

أصبحت أمراً واقعياً فرضته روسيا على الدولة العثمانية،وقد اقر السلطان ما توصل إليه المجتمعون وتم إعلان الحرب على روسيا،وأرسلت الفرمانات والأوامر إلى سائر الإيالات العثمانية بشأن عمل الاستعدادات الحربية اللازمة التي سوف يتم من خلالها خوض الحرب العثمانية ضد الروس (١).

وبناء على ما تقدم فقد تم حجز سفير روسيا في سجن يديكولا ومعه سبعون آخرون في خطوة من الدولة العثمانية لحماية رعاياها من التجار العثمانيين والموجودين في روسيا (٢) بالإضافة إلى تأكيد القرار المتخذ بشأن الحرب ضد روسيا.

كما أن الدولة العثمانية كانت تنظر بعين الريبة إلى السفير الروسي وتعتبره مصدر تهديد دائم لها باعتباره جاسوساً وعيناً لروسيا ضد الدولة العثمانية؛ مما جعله تحت الرقابة الشديدة(٣).وبالفعل فقد كان ظن الدولة العثمانية في محله فالسفير الروسي والذي ما لبثت أقدامه تطأ إستانبول من الأراضي العثمانية إلا واخذ في إقامة العلاقات غير المحدودة وإنفاق الكثير من الأموال لمعرفة أحوال الدولة العثمانية وإرسال التقارير المفصلة عنها إلى روسيا.

ولتبيان الأمر على حقيقته فضلنا أن نستعرض أجزاء أحد تلك التقارير المرسلة من السفير الروسي إلى روسيا عن الدولة العثمانية وما يجري فيها على النحو التالي:"إن أوضاع المسيحيين في تركيا بها إشكاليات كثيرة للغاية، وما يجعلنا نفهم ذلك جيداً الملابس الخاصة التي يتعين أن يرتدوها،وعندما جاءتهم مساعدات من الخارج فإن الوضع كان على وشك أن يجعل المسيحيين في حالة تمرد،وكذلك فإن ميزانية الدولة العثمانية بها شكوك وشبهات كثيرة، وبالنسبة للضرائب فقد تم جمع ضرائب كثيرة بشدة، حتى إن مجموعة كثيرة من رجال الدولة لصوص،وكان هناك شبه تأييد للحرب ضد فينسيا،ونظراً إلى أنه لم تكن هناك أموال في الخزانة فإن احتمال بداية الحرب في وقت طويل هو احتمال طفيف.ومن ثم فإن وجود جيش دائم في

---

(1) Yasar Yücel, Ali Svim: Türkiye Tarihi, III, P 256-257.

(2) Yasar Yücel, Ali Svim: Türkiye Tarihi, III, P 257.

(3) Akdes Nimet Kurat : XII Kael'in Türkiyede Kalişi ve Bu Siralarda Osmanli imparatorluĝu, P61 .

تركيا والحاجة إلى وقت طويل إلى جلب العديد من رجال الجيش خلال ستة أو سبعة أشـــهر كفيل بإعاقة ومنع بداية الحرب بسرعة،وتسبب ذلك في تدهور أحوال فرقة الإنكشارية، أهم الفرق العسكرية للأتراك،ومن ثم فإن الإنكشارية كانوا يتقاضون أموالاً قليلة للغاية،ولأهـــم كانوا يتحصلون على هذه الرواتب والأموال من خلال التجارة والطـــرق الأخـــرى فـــإهم انشغلوا بهذه التجارة أكثر من انشغالهم بالتدريبات العسكرية ... وفي تلك الأثناء فإن رجال الدولة الأتراك كانوا على قناعة بأنه لا يمكن خوض حرب ضد روسيا، وأنه ينبغي العـــيش في حالة صلح بين الدولة العثمانية وروسيا، ومن ثم فإن الإصلاحات في الجيش الروسي لم تكـــن تروق الأتراك بأي حال من الأحوال، وكذلك تقوية الأسطول الروسي عند بحر الازاق.وهذه الأمور جعلت الأتراك في شك دائم إزاء الروس،بل إن الأتراك كانوا يشكون ويشـــتبهون في الرعايا المسيحيين وكانوا يعدونهم حلفاء للإمبراطور الروسي"(١).

وفي هذا التقرير يتحدث وبالتفصيل عن السياسة الخارجية للدولة العثمانيـــة، وعمـــا يمكن للعثمانيين القيام به،كما يورد بعـــض الأوضـــاع الداخليـــة للمســـيحيين في الدولـــة العثمانية،كما يبين السفير الروسي في التقرير السابق ما وصل إليه الجيش العثمـــاني وخاصـــة فرقة الانكشارية،بالإضافة إلى نظرة العثمانيين إلى الحرب ضد روسيا.ومما لا شك فيـــه فـــإن إعلان الحرب من قبل الدولة العثمانية قد صادف مناسبة تروق العثمانيين في ســـجن ذلـــك السفير الروسي، بالإضافة إلى الأسباب السابقة الذكر، باعتبار ذلك الرجل إنما هو جاســـوس وليس سفيراً من وجهة نظر العثمانيين.

ولم يكن قرار إعلان الحرب من قبل الدولة العثمانية ضد روسيا بالأمر الذي يخفى على بطرس والذي بعث بخطاب إلى السلطان العثماني في محاولة منه للإبقاء على الصلح مع الدولة العثمانية يقول فيه:"إنه أرسل هذا الخطاب عندما لم يتسنى له الحصول على إجابة حول مطالبه الأخيرة،وإن السفير تولستوى تم إلقاؤه في الحبس،وإن خان القرم قد صدرت الأوامـــر لـــه

---

(1) Akdes Nimet Kurat : XII Kael'in Türkiyede Kalişi ve Bu Siralarda Osmanli imparatorluğu, P62.

بالحرب-وذكر-أن ملك السويد سوف يغادر ويعبر من بولندا بصعوبة،وإنه يشعر بصدور قرار الحرب ضده-وتساءل عن صحة هذه الأمور من عدمها مواصلاً حديثه-إذا لم يأتي رد من قبلكم حول استمرار السلام فإنكم بذلك قد أقنعتمونا بنقض الصلح والسلام من قبلكم، وسوف نلجئ إلى الله ونتخذ كافة الترتيبات الحربية إزاء عدونا.ولهذا الهدف فقد أمرنا بإرسال جيوشنا إلى الحدود.وإذا تم سفك الدماء وفسد الصلح لذلك فإنه من المؤكد أن الحق سوف يكون معنا وسوف يساندنا الرب لأننا مضطرون لعمل ذلك وإننا نكرر بأنه ليس في نيتنا على الإطلاق إفساد أو نقض هذا الصلح، ولقد بذلنا جهوداً ومساعي للحفاظ على ذلك، وإننا نعد بالحفاظ على الصلح مستقبلاً.وإذا لم يحصل الإمبراطور الروسي على جواب بعد ذلك فإن هذا يتم تصويره على أنه نهاية للصلح والسلام، لكن إذا حصلنا على جواب قاطع حول عدم إفساد ونقض الصلح فإن الإمبراطور الروسي سيبلغ قواته وجيوشه بالانسحاب على الفور"(١).

ولم يكن ذلك الخطاب من بطرس من باب التودد للدولة العثمانية، ولكنه رأى أن روسيا، التي أثبتت للعالم مدى قوتها بعد معركة بولتافا، سوف تخسر تلك المكانة الرفيعة لو حصل وانهزمت أمام العثمانيين، بالإضافة إلى ما يترتب على تلك الهزيمة من فقد لسيطرة روسيا على بولندا، وكذلك خسارة أوكرانيا وازاق، بالإضافة إلى عودة شارل ملك السويد إلى موطنه وإعادة تنظيم قواته ومهاجمة روسيا والانتقام منها(٢).وبالتالي فقد بعث بطرس ذلك الخطاب معدداً على الدولة العثمانية بعض الأخطاء التي ارتكبتها، ومبيناً لها أن اتخاذها قرار الحرب ليس في محله وأن انسب ما يمكن عمله هو الإبقاء على الصلح بين البلدين، متناسياً في الوقت نفسه أعماله ضد الدولة العثمانية التي كانت المحرك الأول للعثمانيين لاتخاذهم قرار الحرب.

---

(1) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2392.

(2) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2391-2392.

ومع ذلك فإن بطرس كان على يقين من عدم تراجع الدولة العثمانية عن قرار الحرب والذي أعلنته؛ ولذلك فلم ينتظر رد الدولة العثمانية على خطابه فأخذ يعد للحرب عدهّا.

وبهذا فقد سولت له نفسه التحرك سريعاً، وأخذ زمام المبادرة بالحرب في محاولة منه للاستفادة من عامل الوقت في ضرب القوات العثمانية ومباغتتها قبل اكتمال استعداداتها الحربية معلناً إياها حرباً صليبية ضد أعداء المسيح،ومما يدلل على ذلك أن هذه الحرب تم إعلانها من قبل الروس في الكاتدرائية في موسكو بحضور القيصر بطرس[(١)]، محاولاً بطرس بذلك استثارة مشاعر المسيحيين ضمن ممتلكات الدولة العثمانية في محاولة منه في إحداث الاضطرابات الداخلية وشغل الدولة العثمانية وانقسامها على أمرها داخلياً وخارجياً.

ولم يكن هذا التكتيك بمستغرب من قبل بطرس فهو ما ضمنه البند الثاني عشر من وصيته"ينبغي أن نستميل لجهتنا جميع المسيحيين الذين هم من مذهب الروم المنكرين رياسة البابا الروحية والمنتشرين في بلاد المجر والممالك العثمانية وممالك بولندا ونجعلهم أن يتخذوا دولة روسيا مرجعاً ومعيناً لهم، ومن اللازم قبل كل شيء إحداث رياسة مذهبية حتى نتمكن من إجراء نوع نفوذ وحكومة رهبانية عليهم،فنسعى بهذه الواسطة لاكتساب أصدقاء كثيرين ذوي غيرة نستعين بهم في ولاية كل من أعدائنا" [(٢)].وبهذا تحرك بطرس موقناً بالنصر المؤكد.

وكانت خطة بطرس ترتكز على التحرك إلى البغدان،ثم الوصول إلى نهر الطونة عبر ياش[(٣)] مستفيداً من تمرد الأفلاق والبغدان ضد الدولة العثمانية.بالإضافة إلى قيامه بتحريض المسيحيين في الروملي على إعلان التمرد ضد الدولة العثمانية [(٤)].

---

(1) EUGENE SCHUYLER: Peter The Great Emperor Of Russia , New York,Vol II,1884, P187.

(٢) أحمد جودت باشا: تاريخ جودت ، المصدر السابق ، ص ٥٠٠.انظر:محمد فريد بك المحامي،تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٣٣.

(٣) ياش:كانت تحتوي على ٢٠٠٠٠ دار.قصورها وسراياها على الأسلوب العثماني من الناحية المعمارية والتأثيث،كما تحتوي على أكثر من ٢٠٠٠دكان و١١كنيسة.يلماز أوزتونا:تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق،ج٢،ص٧٠٣.

(4) Yasar Yücel, Ali Svim: Türkiye Tarihi, III, P 257.

إلا أن بطرس فوجئ وهو على ضفاف نهر بروث، بتطويق الجيش العثماني له، والبالغ عدده حوالي (٢٠٠) ألف جندي، فيما كان عدد الجنود الروس لا يزيد عن (٤٠) ألف جندي في الوقت الذي أخذ عناء الطريق وعدم الراحة من الجنود الروس كل مأخذ، فقد نزل بطرس بجنوده على نهر بروث،وكان الصدر الأعظم محمد باشا بلطجي[١] محاذياً لهم على طرف النهر من الناحية الأخرى غير مكترث بالجنود الروس حتى بلغ ممر فالجي وقرر العبور منه ولما علم بطرس أرسل إليه فرقة من الجنود الروس لمنعه من العبور في محاولة من بطرس لدفع العثمانيين إلى بناء جسر جديد قد يستغرق الانتهاء منه عدة أيام على حساب اكتمال الاستعدادات الحربية الروسية وأخذ فترة من الراحة والتنظيم على أرض المعركة.إلا أن سهام المكر والخديعة من قبل بطرس قد طاشت هذه المرة. فما لم يكن بالحسبان هو تفوق العثمانيين على الفرقة الروسية، وعبور النهر وإجبارها على الفرار، بل وتشييد عدد من الجسور في وقت قياسي لعبور بقية الجند، والأَمَرُّ من ذلك بالنسبة للروس هو تحرك العثمانيين من فورهم نحو المعسكر الروسي غير مبالين بمشاق الطريق أو طالبين للراحة في الوقت الذي ظن فيه بطرس ومعاونوه أنه حتى مع تجاوز العثمانيين الجهة الأخرى من النهر، فإن المنطق يحتم عليهم أخذ قسط من الراحة وتنظيم صفوفهم قبل الالتقاء بهم، وهذا بحد دوره قد يستغرق عدة أيام تتيح للجنود الروس ترتيب أوراق المعركة بما يرونه مناسباً.وبما تم من العبور السريع للعثمانيين إلى نهر بروث والتحرك سريعاً نحو المعسكر الروسي فقد تفاجأ الروس بهجوم العثمانيين غير المتوقع مما عرضهم للفرار أمام ضربات العثمانيين حيث حصر الروس فيما بين العثمانيين والنهر [٢].

---

(١) محمد باشا بلطجي:عمل في القصر السلطاني مدة مديدة.تولى الصدارة مرتين في عهد السلطان أحمد الثالث.قاد حرب بروث ١١٢٣هـ/١٧١١م التي قامت بين الدولة العثمانية وروسيا وانتهت بتوقيع معاهدة بروث من نفس السنة. حسين مجيب المصري:معجم الدولة العثمانية،المرجع السابق،ص١٢٨.

(٢) احمد جودت باشا: تاريخ جودت ، المصدر السابق ، ص ١٣٤-١٣٥.

وقد فكر بطرس، في محاولة منه للتخلص من الحصار العثماني، في الاستفادة من ظلام الليل إلا أن خان القرم قد فهم ما يرمي إليه بطرس حيث هاجم الجيش الروسي مـــن فـــوره ليجبره على التراجع وقد استطاع خان القرم، ومن خلال هذه الحركة، اغتنام المؤن الغذائيـــة الرئيسية للجيش الروسي(١)، وقد دفع هذا الأمر إلى اتخاذ الروس للوضع الدفاعي في الوقت الذي أصبحت فيه قوات قلعة بندر في الساحل المواجه لنهر بروث ليقع الإمبراطور الروســـي وجيشه في قبضة الحصار العثماني (٢).

وفي ظل هذا الحصار العثماني المفروض على الجيش الروسي فقد بلغ الجوع والعطش وانقطاع الإمدادات من الأخير مبلغه حيث دب اليأس إلى قلب بطرس وجيشه دون أي بادرة أمل في النجاة حتى إن بطرس أصيب بالمرض وشعر بعظم الأزمة، وقال في خطاب أرســـله إلى موسكو يبين حاله تلك :"إنني محاصر بجيش عثماني يفوق جيشي بأربعة أضـــعافه، وإذا كـــان جناب الحق لم يمدنا بمدد فإنني سأظل جائعاً وسوف نموت قتلاً أو نصبح أسرى"(٣) .

كما بعث بطرس برسالة إلى رئيس البرلمان الروسي مخاطباً إياه بما يمكنه فعله في حالـــة أسره أو قتله قائلاً:"إن الجيش الروسي لم يرتكب خطأ، لكن القوات العثمانية قامت بحصاره، وقام الأتراك بقطع الطريق عليهم ولم يستطيعوا الحصول على أي مؤن؛ ولذلك فإن الهزيمـــة ستلاحقهم أو الأسر، ومن ثم فإنني أستقيل من حكم روسيا، وعليكم أن تقوموا بتعيين بـــديل عني قبل أن يقوم الأتراك بأسري"(٤).

وهذه الرسالة من بطرس لهي خير برهان على ما وصل إليه هو وجيشه من الـــلأواء والضَّنك، بل إن ما أصابه من هذه الشدة قد سيرته لإحراق سائر أمتعت الجـــيش الروســـي

---

(1) Ziya Nur Aksun : Osmanli Tarihi, Őtüken Neşriyata.ş, P316 .

(2) Ziya Nur Aksun : Osmanli Tarihi, Őtüken Neşriyata.ş, P316 .

(٣) أحمد حامد،مصطفى محسن : توركيه تاريخي إستانبولك فتحندن زمانمزه قادار،ص ٢٦٥.

(4) Yasar Yücel, Ali Svim: Türkiye Tarihi, III, P 259.

وأسلحته والعربات حتى لا يستفيد منها الجيش العثماني [١]وهذه في حد ذاتها توقع مبكر من بطرس بأنها النهاية التي لا ملجأ منها إلا إليها .كما أصبح جل ما يدور بخلد بطرس ويشغل فكره هو كيفية إيجاد الطعام والماء له ولجيشه[٢].

وفي ظل هذه الظروف غير المتوقعة من قبل الروس وجد بطرس نفسه مضطراً على الصلح وطلب الأمان إذ إن مواصلة المعركة في ظل تلك الظروف ما هو إلا ضرب من ضروب الانتحار وعدم العقلانية إذا كان هناك مجال للصلح.كما كان لكاترين الأولى[٣]زوجة بطرس الدور الأمثل في بث روح العزيمة والحماسة في نفوس الجنود الروس،كما كانت مصرة بل ومقتنعة بمبدأ الصلح مقابل النجاة، وبالتالي فقد كانت عاملاً مهماً في الضغط على القيصر إلى قبول الصلح .

كل هذه الظروف مما أهَّلت بطرس إلى إرسال مندوبين للتفاوض مع العثمانيين حول الصلح وإنهاء تلك الحرب.وبالفعل فقد توصل الطرفين إلى اتفاقية بروث ١١٢٣هـ/١٧١١م التي أنهت تلك الحرب بين الطرفين .

---

(١) أحمد حامد،مصطفى محسن : توركيه تاريخي إستانبولك فتحندن زمانمزه قادار،ص ٢٦٥.

(2) K . WALISZEWSKI: Peter The Great, London , Vol I , 1897 , P 46.

(٣) CATHERIN I (١٠٩٦-١١٤٠هـ/١٦٨٤-١٧٢٧):زوجة بطرس الأكبر.أصلها من عائلة فقيرة من إحدى ولايات ليفونيا،تزوجت أولاً بجندي سويدي،ثم أخُذت أسيرة سنة١٧٠٢م عندما فتح الروس مدينة مريم بورغ.فاتخذها الأمير منشكوف خليلة له.عرفها بطرس الأكبر فأعجبته فاتخذها لنفسه سنة١٧١١م،وقد رافقته في معظم حروبه.تزوجها بطرس ورزق منها بعدة أولاد،وجعل منها إمبراطورة سنة١٧٢٤م.تولت الحكم بعده حتى ماتت سنة ١٧٢٧م. بسام العسلي:فن الحرب الإسلامي في العهد العثماني،المرجع السابق،ص٢٠٣-٢٠٤.

المبحث الثاني : حرب عام ١١٥٢هـ/١٧٣٩م:

ساءت العلاقات بين الدولة العثمانية وروسيا، ويرجع ذلك إلى الأحداث التي صاحبت موت ملك بولونيا أوغسطس الثاني[١].وذلك أنه لما توفي ملك بولونيا أوغسطس الثاني انتخب أهالي بولونيا ستانسلاس لكزونيسكي[٢] ملكاً على بولونيا سنة ١٧٣٣م مما حدا بروسيا والنمسا إلى إعلان الحرب على بولونيا[٣]، فروسيا لم يكن يطيب لها أن يكون سكان بولونيا على قدر من الوحدة أو استقامة الأحوال، بل كانت تسعى إلى تعيين من ترتضيه ملكاً، بالإضافة إلى نشر الفوضى داخل بولونيا بل زوالها وهذا ما اقتضته وصية بطرس-البند الرابع-"ينبغي استعمال أصول الرشوة لأجل إلقاء الفساد والبغضاء والحسد دائماً في داخلية ممالك (له) –أي بولونيا- وتفريق كلمتهم واستمالة أعيان الأمة ببذل المال واكتساب النفوذ في مجلس الحكومة حتى نتمكن من المداخلة في انتخاب الملك.وبعد الحصول على انتخاب من هو من حزب روسيا من تلك الأمة ينبغي حينئذ دخول عساكر روسيا إلى داخل البلاد لأجل حمايتها والتعصب لهم بإقامة العساكر المذكورة مدة مديدة هناك إلى أن تحصل الفرصة لاتخاذ وسيلة تمكننا من الإقامة. وعندما تظهر مخالفة في ذلك من طرف الدول المجاورة فلأجل إخماد نار الفتنة مؤقتاً ينبغي أن نتقاسم المخالفين في ممالك (له) ثم نترقب الفرص لاسترجاع الحصص التي قد أعطيت لهم"[٤]، وبالتالي فإن اتحاد أهالي بولونيا وانتخاب ستانسلاس لكزونيسكي ملكاً عليهم ممن يرتضونه لحكم البلاد والعباد كان في حد ذاته تمرداً على السياسة الروسية ضد بولونيا التي تسعى لتمزيق ذلك البلد، ومن ذلك أن روسيا وفي سنة ١٧٢٢م قد اتفقت

---

(١) August II (١٦٧٠-١٧٣٣م): لقب بالقوي،اعتنق الكاثوليكية،وتحالف مع روسيا والدنمرك ضد شارل الثاني عشر ملك السويد. الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

(٢) Stanislas I (١٦٧٧-١٧٦٦م):انتخب ملكاً عام (١٧٠٤م) ، بتدخل شارل ١٢ ملك السويد.اضطر أن يستسلم لمنافسه أغسطس بعد هزيمة شارل في معركة بولتافا عام ١٧٠٩م.المصدر السابق،ج١،ص٩٦٤.

(٣) محمد فريد بك :تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٢١.

(٤) أحمد جودت باشا:تاريخ جودت،المصدر السابق،ص ٤٩٨-٤٩٩.انظر:محمد فريد بك :تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٣١.

سراً مع كلٍ من النمسا وبروسيا على الوقوف في طريق أي محاولة بولونية للوحدة[١].

وكانت روسيا قبل هذا الاتفاق قد حاولت جاهدة للدخول في تحالفات مع فرنسا إلا إنها لم توفق إلى ذلك سبيلاً [٢].

وعلى النقيض من موقف روسيا والنمسا فإن فرنسا، التي كان من صالحها بقاء بولونيا عزيزة الجانب، أعلنت الحرب ضد النمسا[٣] دفاعاً عن بولونيا في الظاهر، وحفظاً لمصالحها في الباطن، في الوقت الذي أعلن فيه الروس اتحادهم مع النمسا في حربها ضد بولونيا والمنـــاداة بأغسطس الثالث[٤] ابن آغسطس الثاني ملكاً على بولونيا[٥].

ومن خلال ما سبق فقد سعت فرنسا لاستنهاض حليفها التقليدي الدولـــة العثمانيـــة لدخول معها في حربها تلك للحفاظ على وحدة بولونيا عن طريـــق المســـيو دي بونفـــال[٦] موضحة للدولة العثمانية أهمية بولونيا الحاجزة بينها وبين الروس، وأن تجاوز الروس لبولونيـــا معناه أن القسطنطينية قد أصبحت قريبة المنال والهدف بعد بولونيا[٧]. إلا أن الدولة العثمانية

---

(١) محمد فدريد بك :تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٢١.

(2) MAARIF Vekaletinge Mualltmlerden Murekkep Bir Heyete Telif Ettirilmistir " Tarih" III. Kitap , istanbuk , devlet matbaasi , 1929, p. 12.

(٣) محمد فريد بك :تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٢١.

(٤) August III (١٦٩٦-١٧٦٣م): ابن ملك بولندا أغسطس الثاني،انتخب ملكاً لبولندا عام ١٧٣٦م،بعـد حرب الوراثة البولندية.الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

(٥) محمد فريد بك :تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٢١.

(٦) De Bonneval : من أسرة نبيلة من ليموزين.خدم في الجيش الفرنسي خلال حرب الوراثة الأسبانية، لكنه انضم إلى الجيش بعد إهانته،وأصبح يعمل تحت إمرة الأمير"يوجين" صاحب سافوى.وفي عام ١٧١٧م اختلف معه فعرض خدماته على عدة دول،ولم يحالفه الحظ،فاتجه إلى السلطان أحمد الثالث،ودخل في خدمته واعتنـــق الإسلام،وأصبح اسمه "احمد".استمر في خدمة العثمانيين في عهد السلطان "محمود الأول"،وبذل جهداً واضحاً في إصلاح العسكرية العثمانية،وحصل على رتبة باشا عام ١٧٣٥م،وتوفي عـــام ١٧٤٦م. جـــون باتريـــك كينروس:القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،ترجمة/ناهـــد دســـوقي،الإســـكندرية،منشـــأة المعارف،٢٠٠٣م،ص ٤٣٨.

(٧) محمد فريد بك :تاريخ الدولة العلية العثمانية ، المرجع السابق،ص٣٢١-٣٢٢.

لم تلقي أي اهتمام يذكر للـــدخول مع فرنسا في تلك الحرب ممـــا أغفـــــله وزراء الدولـــة العثمانيـــة نتيجة لجهلهم السياسي عما سوف تؤول إليه الأمور في حالة السيطرة الروســـية على بولونيا[١].

وكان كل هم الدولة العثمانية في مقابل وقوفها مع فرنسا، إقامـــة تحـــالف دفـــاعي هجومي بين البلدين، إلا أن تلك الفكرة قد قابلت الكثير من العراقيل الداخليـــة في فرنســـا للتعلل الفرنسي بأن مثل هذا التحالف قد يـــؤدي إلى إثـــارة حفيظـــة كـــل مـــن إنجلتـــرا وهولندا[٢].وبالتالي فإن الوقت غير مناسب لهذا التحالف، خصوصاً أن الحرب كانت علـــى الأبواب؛ إذ كانت فرنسا تسعى لحياديـــة انجلترا وهولندا، وليست مستعدة لفـــتح جبهـــة جديدة ضدها.

وإن كانت فكرة التحالف تلك صائبة إلا أن الجهل يكون في عدم اســـتغلال تلـــك الفرصة التي سنحت للدولة العثمانية في وقوف فرنسا إلى جانبها لصد التقدم الروسي؛ حـــتى ولو لم يتم ذلك التحالف الدفاعي الهجومي بين العثمانيين والفرنسيين.

ولكن فرنسا وإن أخفقت في استنهاض الدولة العثمانية للوقوف معها فإنها قد كسبت حيادية بروسيا ،كما حاولت فرنسا عن طريق سفيرها في بطرسبرج ثني روســـيا عـــن تلـــك الحرب إلا أنها أخفقت في ذلك[٣].

وبالفعل فقد تحركت القوات الروسية بقيادة "Munich "قائد القوات الروسية محاصرة قلعة دانزج[٤]والتي تحصن فيها ستانسلاس منتظراً المساعدات الفرنسية، وأثناء ذلك استطاعت استطاعت القوات الروسية افتتاح قسم من سكوتلانديا كما استولت علـــى سومرســـكانتز بالإضافة إلى مهاجمة قلعة هاغلسبرغ التي كان فيها ألفا جندي فرنسي ، حيث أسفر اشـــتباك

---

(١) محمد فريد بك :تاريخ الدولة العلية العثمانية ، المرجع السابق،ص٣٢٢.

(٢) جون باتريك كينروس:القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٣٥.

(٣) باسيليوس كرباوي:تاريخ روسيا منذ نشأتها إلى الوقت الحاضر،نيويورك،مرآة الغرب،١٩١١م،ص٢٣٢.

(٤) Danzj : مدينة بولندية،وميناء على بحر البلطيق. الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص ٧٧٨.

الطرفين عن انتصار الروسيين وقتل قائد الحامية الفرنسية وأسر الباقين، وليعقب ذلك تمكن الروس من دانزج.وهناك ألقي القبض على سفير فرنسا والذي أخذ أسيراً، أما ستانسلاس فقد تمكن من الفرار[١].

وقد كان للانتصار السابق أثره في قيام فرنسا بمحاولة إرجاع هيبتها عن طريق ضرب النمسا حليفة روسيا؛ وذلك بالاستيلاء على كيال وفيلبسبرغ ودوقية بارما[٢] ومملكة نابولي[٣]، مما حدا بالنمسا إلى طلب المدد والعون من حليفتها روسيا حيث لبت روسيا النداء وبعثت بعشرين ألف مقاتل . وقد اتحد الجيشان الروسي والنمساوي في محاربة الجيش الفرنسي والذي انتصر عليهما [٤].

مما حدا بالنمسا إلى إبرام معاهدة ١٧٣٥م مع فرنسا[٥]بما يوافق هوى المنتصر -فرنسا- حيث حصلت فرنسا على لورين[٦]وقسم من إيطاليا، ومع ذلك فإن فرنسا أحست أحست بأنها، رغم تغلبها ذاك، فإن حسابها مع الروس لم ينتهي بعد بخلاف النمسا مما جعلها توعز إلى الدولة العثمانية بخطر الامتداد الروسي بعد الاستيلاء على بولونيا، وبضرورة اتخاذ الدولة العثمانية للإجراءات المناسبة في حربها للروس بما يكفل أمنها[٧].

---

(١) باسيليوس كرباوي:تاريخ روسيا منذ نشأتها إلى الوقت الحاضر، المرجع السابق،ص٢٣٢-٢٣٣.

(٢) Parma : مدينة شمال إيطاليا بإقليم إميليا رومانيا، عاصمة مقاطعة بارما . الموسوعة العربية الميسرة، ج١،المصدر السابق،ص ٣٠٥ .

(٣) Naples : هي ثالث أكبر مدن إيطاليا، تقع في جنوب البلاد، على ساحل البحر الأبيض المتوسط. عاصمة إقليم كامبانيا ومقاطعة نابولي. المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٨١٢ .

(٤) باسيليوس كرباوي:تاريخ روسيا منذ نشأتها إلى الوقت الحاضر، المرجع السابق،ص٢٣٣.

(٥) محمد فريد بك :تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٢٢.

(٦) Lorraine : هي أحد أقاليم فرنسا الستة والعشرين. عاصمتها ميس. لورين هي المنطقة الفرنسية الوحيدة التي تشترك بالحدود مع ثلاث دول: بلجيكا، ولوكسمبورغ، وألمانيا. الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص ١٥٧٥ .

(٧) باسيليوس كرباوي:تاريخ روسيا منذ نشأتها إلى الوقت الحاضر، المرجع السابق،ص٢٣٣.

وقد أرادة كل من النمسا وروسيا استرجاع ما فقدتاه من هيبتهما التي ذهبت بهزيمتهما أمام فرنسا، وكان الخروج من ذلك الشعور هو اجتياح أراضي الدولة العثمانية حليفة فرنسا كما كانت أحوال الدولة العثمانية، وما وصلت إليه من الاضطرابات الداخلية، سبباً في تجرؤ الأعداء عليها .

بالإضافة إلى تلك الأسباب فإن روسيا، وكما تحلم دائماً، أرادة إقامة تواجد عسكري لها في شمالي البحر الأسود كمقدمة للسيطرة على المضايق وتمكين سفنها، سواء الحربية أو التجارية، من عبور البوسفور والدردنيل بحرية تامة ودون قيد أو شرط، وكان الوسيلة لتحقيق تلك الغاية هي السيطرة على مصاب بعض الأنهار التي تصب شمالي البحر الأسود مثل نهر دنيستر[١] Dniester،ودنيبر Dnieper[٢] ،وكوبان Kuban [٣] [٤].

كل تلك الأسباب مجتمعة، بالإضافة إلى خلو الجو من فرنسا بموجب المعاهدة المبرمة معها من قبل، قد أهلت كلاً من النمسا وروسيا إلى إعلان الحرب على الدولة العثمانية.

وكانت النمسا قد اتفقت مع الروس للحصول على جنوب صربيا[٥] والبوسنة[٦]في مقابل حصول الروس على استقلال بغدان والأفلاق، بالإضافة إلى حرية ملاحة

---

(١) Dniester : نهر يفصل بين أوكرانيا ومولدافيا،ويصب في البحر الأسود.محمد فريد بك:تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص ٣٣٥ .

(٢) أحد الأنهار ويصب في البحر الأسود،يبلغ طوله (٢٥٩٢كم).الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص ٨٠٦ .

(٣) ينبع من القوقاز،ويجري شمالاً ثم غرباً حتى يصب بفرعين في بحر أزوف والبحر الأسود،بطول(٩٣٥كم). المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٤٩٤ .

(٤) عبد العزيز الشناوي:الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها،القاهرة،مكتبة الأنجلو المصرية،ج١،ص ١٩٥.

(٥) Serbia : جمهورية في وسط البلقان، يحدها من الشمال المجر، ومن الشرق رومانيا وبلغاريا، ومن الجنوب جمهورية مقدونيا وجمهورية كوسوفا، ومن الغرب كل من كرواتيا والبوسنة والجبل الأسود. الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص ١١٢١-١١٢٢ .

(٦) Bosnia : دولة تقع في البلقان بجنوب شرق أوروبا، إحدى جمهوريات يوغوسلافيا السابقة. تقع في جنوب أوروبا. يحدها من الشمال والغرب والجنوب كرواتيا. الموسوعة العربية الميسرة، ج١، المصدر السابق، ص٤٣٥.

ملاحة السفن الروسية في البحر الأسود[١].

وعلى ضوء الاتفاق السابق فقد افتتحت روسيا الحرب على الدولة العثمانية متخـذة من مرور بعض قازاق القرم من أراضيها في مارس سنة ١٧٣٦م متجهين إلى بلاد الكرج[٢]، لمساعدة الدولة العثمانية ضد إيران، حجة لإعلان الحرب على الدولة العثمانية[٣].

وبهجوم مفاجئ وغير متوقع استولى الـروس علـى قلعـة آزاك بعـد حصـار دام ٣٤يوماً(١٧٣٦/٥/٣م)كما قام الروس بقيادة الماريشال "Munich" من اجتيـاز أورقـابو، ولأول مرة في التاريخ، حيـث دخلـوا قـرم وقـاموا خـلال شـهر بتخريـب كـبير (١٧٣٦/٥/٢٨م)[٤].

كما قام الروس بقوة قدرها (٨٠) ألف بمهاجمة بندر[٥] وخوتين وميونخ حيث تجاوز تجاوز الجيش الروسي نهر الطورله ودنيستر وتقدم الروس نحو خوتين.وكان لهذه التحركـات الروسية أثرها في أخذ الاستعدادات من قبل ولي باشا سر عسكر بندر وقوجلك إلياس باشـا محافظ خوتين وحاكم بغدان، ووالي مرعش[٦]علي باشا، وسر عسكر بوجاق[٧] إسلام كراي،

---

(1) MAARIF Vekaletinge Mualltmlerden Murekkep Bir Heyete Telif Ettirilmistir " Tarih" III. Kitap , p 14.

(٢) Georgia : تعرف قديماً ببلاد الكرج أو كرجستان. وهي دولة ذات سيادة في منطقة القوقاز. تقع عند ملتقى أوروبا الشرقية مع غرب آسيا، كما يحدها من الغرب البحر الأسود، ومن الشمال روسيا، تركيا ،و أرمينيا من الجنوب، وأذربيجان من الشرق،وعاصمتها تبليسي . محمد فريد بك :تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٢٦١.

(٣) محمد فريد بك :تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٢٢.

(٤) يلماز أوزتونا:تاريخ الدولة العثمانية،ج١، المرجع السابق،ص٦٠٩.

(٥) Bendery : في الاتحاد السوفييتي،على نهر دينيستر شرق رومانيا،وإلى الشمال الغربي من أوديسا.محمد فريـد بك :تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣١٣.

(٦) Merasch : مدينة في تركية الآسيوية"الأناضول"،في ولاية أضنه.س.موستراس:المعجم الجغرافي للإمبراطوريـة العثمانية،المرجع السابق،ص ٤٦١.

(٧) Boudjak : بلـدة في تركيـة الآسـيوية"الأناضـول"،في ولايـة قـره مـان.يطلـق عليهـا اسم"كرمكي".س.موستراس:المعجم الجغرافي للامبراطورية العثمانية،المرجع السابق،ص ١٧١.

كراي، بالإضافة إلى محافظ اق قرمان وجانجا[١].

واقتضت الخطة العثمانية مهاجمة القوات العثمانية بقيادة علي باشا القوات الروسية على أطراف خوتين؛ إلا أن هوى الرأي قد غلب على القائد العثماني علي باشا فقرر الدخول في مواجهة حاسمة ومباشرة مع الروس، فكان أن استغل الروس تلك الفرصة وجعلوا العثمانيين يتقدمون، حتى إذا أصبحوا في مدى مرمى مدافعهم بدأ الهجوم المدفعي الروسي ضد الجيش العثماني، وكان غاية في الشدة حتى أودى بحياة الكثير من العثمانيين، ومن فر منهم فقد ذهب إلى خوتين بينما ذهب آخرون إلى بندر، وكان من نتائج تلك المعركة انهزام المعنوية الجندية العثمانية وصدور القرار السلطاني بإعدام علي باشا والذي كان المتسبب الأول في تلك الكارثة[٢].

وعلى الفور فقد تحرك الجيش الروسي، استغلالاً للهزيمة العثمانية، وضرب حصاره حول قلعة خوتين مما اضطر قولجاك إلياس باشا محافظ خوتين، والذي كان في وضع لا يسمح له بمقاتلة الجيش الروسي، إلى الدخول في مفاوضات مع الروس لتسليم القلعة، وكان شرطه في ذلك هو سلامة سكان خوتين، إلا أن الروس لم يلتزموا بذلك الشرط رغم إقرارهم به، فأخذوا في مهاجمة الكبار والصغار وأعملوا السلب والنهب[٣].

كما تقدم الروس بسرعة متجهين إلى بغدان التي استطاعوا دخولها معلنين تمكنهم من عاصمتها ياش.وبناء على ذلك فقد أتت الأوامر العثمانية للقادة العثمانيين بعرقلة التقدم الروسي كما تم إرسال أعداد كبيرة من المتطوعين إلى محافظة بندر لحمايتها، بالإضافة إلى أنه تم تسليح السكان على ضفاف الطونة-الدانوب- وكذا فقد تم تكليف محمد باشا محافظ إبرائيل بتشكيل وحدة قوامها اثنا عشر ألف جندي وقيادتها لتحرير ياش[٤].

---

(1) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2514.

(2) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2515.

(3) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2515-2516.

(4) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2516-2517.

ومما عجل بتقوية الجبهة العثمانية ورغبة الروس للسلام هو الثورة العارمة التي قام بها سكان بغدان، وكان سبب ذلك هو ما كان من الروس في احتقار سكان بغدان ومعاملتهم على درجة من الإذلال، ولم يكن هذا فقد على رؤوس سكان بغدان بل شمل أيضاً حاكمها فقد أضفى الروس على المدينة نوعاً من الحزن حيث استولوا على بيوتها وكنائسها وأموالها وأديرتها مما عجل بثورة البغدان وانقلابهم ضد الروس(١).

كما وأنه ومن حسن طالع الدولة العثمانية في تلك الفترة أن تصدر منصب الصدارة رجل محنك سياسي وهو الصدر حاجي إيواز محمد باشا والذي أخذ في جمع الجيوش وإعداد لوازم الحرب حيث نجح في صد تقدم الروس(٢). بالإضافة إلى أنه ومن الناحية العسكرية العثمانية فقد تولى تدريبها على النسق الأوروبي الفرنسي كونت دى بونيفال والذي أسس فرقاً من قاذفي القنابل والمدربة على النسق الأوروبي، كما أنه عمل جاهداً على إعادة إحياء الجيوش العثمانية وإدخال التحديثات الأوروبية الحديثة مما أعاد الحياة فيها من جديد(٣).

كما أنه ورد إلى علم الروس بأن النمسا وعلى الجانب الآخر قد شرعت في مفاوضات رسمية مع الدولة العثمانية لتسوية النزاع القائم بينهما وإنهاء تلك الحرب؛ مما كان له وقع أثر سيئ على الروس.حيث أدرك الروس أنه لو تم الاتفاق بين العثمانيين والنمساويين فإنهم بذلك قد أصبحوا في الميدان وحدهم في مواجهة الدولة العثمانية.

ولخطورة انسحاب النمسا فقد لجئ الروس إلى تفرقة الجهود العثمانية بالقتال في عدة جبهات لصرف الضغط العثماني على النمسا، واستنهاض الهمم النمساوية للاستمرار في القتال؛ إلا أن ذلك لم يؤتي ثماره(٤)، خصوصاً بعد أن تم التأكيد من قبل النمسا على مبدأ

2517.

(1) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2517.

(٢) محمد فريد بك :تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٢٢.

(٣) جون باتريك كينروس:القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق ،ص ٤٣٨.

(4) Yasar Yücel, Ali Svim: Türkiye Tarihi, IV, P 22 .

الصلح والذي اتضحت صورته في البعثة التي أرسلها إمبراطور النمسا بقيادة الجنرال فون نيبرج **Von Neipperg** حيث أعطاه الصلاحيات التامة للتفاوض مع العثمانيين وإنهاء تلك الحرب[(١)]، خصوصاً بعدما تمكنت الجيوش العثمانية من الانتصار على النمسا في البوسنة والصرب والفلاخ-الأفلاق- ملجئه إياها إلى ما وراء الدانوب بعد أن سالت الكثير من الدماء النمساوية، وبالتالي فقد وسطت النمسا المسيو "**Flanov** " سفير فرنسا للصلح بينها وبين العثمانيين[(٢)]، وكذا بعد الهزيمة التي لحقت النمسا على يد بكلربك بوسنة في المعركة الميدانية بانياقولو (١٧٣٧/٨/٤م)، وأيضاً هزيمتهم في صربيا في الوقت الذي تمكن فيه عوض محمد باشا من استرجاع قلعة فتح الإسلام وآدا قلعة وسمنديره كما تمكن حكيم أوغلو من دخول كرواتيا وقد كان هذا النجاح دافعاً للعثمانيين للتقدم نحو بلغراد ومحاصرتها مما اضطر النمسا إلى طلب الصلح خاصةً بعد تأكدها من فقد بلغراد وعدم تمكنها من الدفاع عن تامشوار إذا استمرت الحرب، خصوصاً في ظل الظروف التي اجتاحت فيينا من الثورة ضد الإمبراطور[(٣)].

كل هذه الأمور أدت إلى خفض الروح المعنوية لدى الجنود النمساويين في مواصلة القتال، بالإضافة إلى فقد النمسا للقادة الأكفياء، وكذا المقاومة الشرسة التي مني بها النمساويين من جانب القوات الإقطاعية في البوسنة والذين تحولوا إلى الإسلام، بالإضافة إلى عدم وجود سير خطة عمل حربية واضحة المعالم بين الروس والنمساويين؛ مما جعل العمل عشوائياً دون ترتيب أو تنسيق بين البلدين[(٤)] كل تلك الأمور عجلت بهزيمة نمساوية مبكرة أمام العثمانيين ورغبتهم الشديدة إلى الصلح.وكان هذا بدوره مؤثراً على الجبهة الروسية العثمانية حيث إن فقد روسيا لحليفتها النمسا قد قربها من التفكير وبجدية حول الدخول في

---

(١) جون باتريك كينروس:القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٣٩.
(٢) محمد فريد بك :تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٢٢.
(٣) يلماز أوزتونا:تاريخ الدولة العثمانية،ج١، المرجع السابق،ص٦٠٩-٦١٠-٦١١.
(٤) جون باتريك كينروس:القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٣٧-٤٣٨.

معاهدة بلغراد مع ما كانت روسيا تحلم به لو استمرت الحرب من تحقيق انتصار عظيم على العثمانيين، وهو ما عبر عنه قائد القوات الروسية:"فليشكر الأتراك محمد وفلنوف ونيبرج"[١].وهو يشير هنا إلى مبدأ الجهاد والذي حفز الجنود العثمانيين على النضال وابتغاء الشهادة التي رغبهم بها الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم،كما أنه يعول على السفير الفرنسي والذي قام بما هو منوط به من قبل بلاده في تحقيق رغباتها وانعكاس الموازين في التدخل الفرنسي المؤثر على سير الحرب، ومن ناحية أخرى فإنه يوجه شكره إلى رئيس بعثة التفاوض النمساوية الجنرال فون نيبرج **Von Neipperg** والذي سعى إلى التفكير في الصلح بدلاً من إقناع إمبراطور النمسا بطرق حربية أخرى للانتصار على العثمانيين .

(١) جون باتريك كينروس:القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٤٠.

الفصل الثاني

المعاهدات العثمانية الروسية خلال الفترة من (١١٢٣-١١٥٢هـ/ ١٧١١-١٧٣٩م) ونتائجها

المبحث الأول : معاهدة بروث عام ١١٢٣هـ/ ١٧١١م

المبحث الثاني : معاهدة أدرنة عام ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م .

المبحث الثالث : معاهدة الصلح عام ١١٣٦هـ/ ١٧٢٤م .

المبحث الرابع : معاهدة بلغراد عام ١١٥٢هـ/ ١٧٣٩هـ

المبحث الأول : معاهدة بروث ١١٢٣هـ/١٧١١م:

إن المعاهدة التي نحن بصدد الحديث عنها هي تلك المعاهدة التي أسفرت عنها أحداث حرب بروث ١١٢٣هـ/١٧١١م بين الدولة العثمانية من جهة والروس من جهة أخرى.حيث تم الاتفاق بين الطرفين العثماني والروسي على إنهاء الحرب بينهما مقابل ما أقرته معاهدة بروث.

وحقيقة الأمر أن معاهدة بروث ١١٢٣هـ/١٧١١م ما هي إلا بمثابة طوق نجاة بالنسبة إلى الروس اقتضته ظروف الحرب على روسيا بعدما بلغت القلوب الحناجر، ولم يعد أمام الروس ما يخلصهم من الأسر أو القتل إلا طلب الأمان، وكان ذلك ما ضمنته لهم معاهدة بروث. فبطرس الذي خرج معلناً الحرب على الدولة العثمانية يحدوه الأمل في الانتصار عليها وتحطيم قوتها والسيطرة على البحر الأسود؛ قد أخطأ هذه المرة في حساباته العسكرية، ويكمن ذلك الخطأ الحربي من قبل بطرس في مسيره المتواصل وتوغله باتجاه العثمانيين وابتعاده كثيراً عن بلاده وخط تموينه، حيث وقع فيما وقع فيه من قبل خصمه شارل الثاني عشر ملك السويد في حربهما معاً فيما عرف بحرب الشمال، وذلك أن شارل، وهو ذلك العسكري الفذ، قد طاش سهمه هذه المرة في حربه ضد الروس، وبدلاً من أن يسير مباشرتاً باتجاه موسكو ويضرب عدوه في مقتله اتجه جنوباً إلى الأوكرين حيث يسكنها القوقاز الثائرون على روسيا يريد شارل مساعدتهم ضد الروس وقد أتاح هذا الخطأ من قبل شارل لبطرس الفرصة إلى تخريب الطريق المؤدية إلى موسكو والانكفاء داخلها تاركاً الجيش السويدي يعاني طول المسير ورداءة الجو وقلة الزاد وسوء الطرق[١].

وعند العودة مرة أخرى إلى حرب بروث فإن ما حدث لشارل ملك السويد من قبل حدث لبطرس من بعد وذلك أن دولت كراي خان القرم قد قام بعمل هجمات ضد الجنود الروس كما قام بتخريب الأماكن الممتدة حتى مدينة "إيزوم" عند الشاطئ الأيسر من نهر

(١) عمر الإسكندري ، سليم حسن : تاريخ أوروبا الحديثة وآثار حضارتها، المرجع السابق ، ص ٢٤٧.

طورله ،كما قامت قوة تاتارية أخرى قدرها ثلاثون ألف جندي بهجمات متواصلة على القوات الروسية بطول نهر طورله مع قوات أخرى قازاقية وأخرى بولندية (١).

بالإضافة إلى ذلك فإن بطرس اخطأ عندما اعتمد على مساعدات مسيحية غير مؤكدة؛ وذلك أن بطرس نجح أول الأمر في استشارة سكان كل من مولدافيا والصرب والجبل الأسود واليونان في مساعدته ضد الكفرة العثمانيين، مع الوعد من قبله لسكان تلك المناطق من المسيحيين بتخليصهم من أعدائهم العثمانيين، وبالتالي فقد سقط بطرس في مصيدة المأمول حيث إن تلك البلدان القليلة السكان لم تقدم ما كان بطرس يرتجيه منها، بل على العكس فإن حاكم مولدافيا أعلن ولاءه للسلطان العثماني (٢).

ومن ذلك أن حاكم مولدافيا قد اتفق سراً مع بطرس على أن يمده بعشرة آلاف من القوات لمساندته ضد الأتراك، مع ضمان بطرس في أن تصبح مولدافيا مستقلة تحت حماية روسيا.وكل ذلك في حال نجاح الحملة الروسية. أما إذا فشلت هذه الحملة فإن القيصر بطرس قد وعد حاكم مولدافيا باستقباله في روسيا مع إعطائه الكثير من الثروة والجاه(٣). وبذلك فقد أسرع بطرس بجيشه القليل معتمداً على المساعدات المسيحية التي لم تحصل قط ليواجه بطرس جيشاً عثمانياً يفوق جيشه ثلاثة أضعافه.

وللوقوف على حقيقة التعاون بين الروس ورعايا الدولة العثمانية من المسيحيين فإن قصة ذلك التعاون تعود إلى بطرس نفسه والذي كان يعلم يقيناً بأن الحرب بينه وبين العثمانيين في ظل السياسة التي ينتهجها لا مناص منها، وبذلك أراد بطرس الاستئثار برعايا الدولة العثمانية من المسيحيين وتوظيفهم لحسابه وكسب ولائهم له ،ومن تلك الطرق التي انتهجها بطرس والموجهة لكسب ولاء هؤلاء المسيحيين أمره بكتابة جملة "بطرس الإمبراطور الأول للروس واليونانيين" أسفل صورته على العملة الروسية التي قام بتوزيعها عملاؤه السريين على

---

(1) Yasar Yücel, Ali Svim: Türkiye Tarihi, III, P 257.

(٢) بسام العسلي : بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) مشاهير قادة العالم ، المرجع السابق،ص ٧٦.

(3) EUGENE SCHUYLER: I bib , P187.

المسيحيين في البلقان[١]،كما وزع عملاء بطرس على المسيحيين البيـان الموجه من قبل الإمبراطور بطرس مخاطباً مسيحيي الدولة العثمانية والذي أعلن فيه أنه حامي المسيحية، وذكر بهتاناً فيه أن الدولة العثمانية تقوم بظلم المسيحيين في سائر الإمبراطورية العثمانية [٢].

ومن الطبيعي أن مثل هذه الادعاءات قد وجدت رواجاً بين مسيحي الدولة العثمانية، وإنما أراد بطرس من ذلك كله إحداث البلبلة والفوضى داخل أركان الدولة العثمانية، كما أراد بطرس إيصال رسالة إلى أولئك المسيحيين مفادها أن روسيا سوف تحميهم وتكون عوناً لهم ضد ظلم الدولة العثمانية عند قيامهم بأدنى ثورة ضد الدولة العثمانية وأن الخير بل كل الخير لهؤلاء المسيحيين هو الانضمام إلى بني دينهم وهم الروس [٣].

وبالفعل فقد وجدت تلك الدعوات الروسية صداها لدى مسيحيي الدولة العثمانية إذ أقدم حاكم الجبل الأسود على التمرد على الدولة العثمانية والاعتداء على رعاياها المسلمين، بل وإجبارهم على الديانة بالمسيحية غير مكترث بالدولة العثمانية كما أنه هاجم حدود البوسنة والهرسك[٤].

كما أخذ بطرس في تكرار أنه إمبراطور الروم وانه حامي المسيحيين، وعمل لذلك دعاية دينية ضخمة وخاصة بين رعايا الدولة العثمانية من المسيحيين، وفي سبيل تحقيق ذلك فقد بعث بالعديد من الرهبان[٥] إلى المسيحيين في الدولة العثمانية لترسيخ هذه الفكرة

---

(١) Balkan : شبه جزيرة،تقع في الجنوب الشرقي لقارة أوروبا،يدخل في تسميتها كل من:ألبانيا،اليونان،جنوب شرق رومانيا،بلغاريا،تركيا الجنوبية ومعظم يوغسلافيا.الموسوعة العربية الميسرة،ج١،المصدر السابق،ص٤٠٠.

(2) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2387.

(3) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2387.

(٤) للمزيد انظر :

- Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2387.
- EUGENE SCHUYLER: I bib , P183.

(٥) الرهبان : جمع راهب،والراهب في النصرانية هو رجل عابد عزل نفسه عن سبل الحياة الاعتيادية،ليكرس نفسه لدينه.والكلمة من الرهب بمعنى الخوف.وللرهبان دور بارز في النصرانية، خصوصاً في الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية الشرقية،كما تظهر أهميتهم أيضاً في البوذية،واليانية،والهندوسية.يعيش الرهبان في وحدات تسمى الأديرة.وكل رهبنة تتبع مجموعة تعليمات مرشديها.الموسوعة العربية العالمية:مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع،الرياض،ج١١،ص٨٧.

ولتحريضهم على الثورة ضد الدولة العثمانية(١).

وكان لانتصار بطرس في بولتافا أثره في توثيق عرا التعاون بين روسيا ورعايا الدولة العثمانية من المسيحيين فظهر في موسكو بعد تلك المعركة صربي يدعى بابوفيتش "Bapovic" معلناً أن هناك ١٩ ألف صربي مسلح ينتظرون أوامر الإمبراطور بطرس،كما قام حاكم الأفلاق بتوقيع معاهدة سرية للتعاون فيما بينه وبين روسيا، وكذلك حصل مثل هذا الاتفاق بين روسيا وحاكم بغدان (٢).

وبناءً على ما سبق فقد كان اعتماد بطرس على الجالية العثمانية المسيحية لم يكن نتيجة تخمينات جُزاف، وإنما عن بينة جهد روسي سبقت المواجهة الروسية العثمانية، وإن كان ذلك الجهد الروسي لم يؤت ثماره كما كان يتوقع بطرس .

ونتيجة للإحداث غير المتوقعة من قبل بطرس ونتيجة لإخفاق بطرس فيما كان يطمح إليه فقد عقد مجلس حرب أخير في ظل الحصار العثماني شارك فيه كافة الوزراء والقادة والجنرالات، بالإضافة إلى زوجته كاترين واقترح المجتمعون محاولة الوصول إلى صلح مع العثمانيين؛ وبناء على ذلك فقد بعث شارمتيف-قائد القوات الروسية-برسالة إلى الصدر الأعظم يعرض عليه رغبة روسيا في الصلح (٣).

ويروى أن أمر الصلح الذي ارتضاه الحاضرون في هذا الاجتماع إنما أدلت به كاترين التي رأت أن نجدة الإمبراطور هي المسألة الرئيسية التي يجب الحديث حولها مع العثمانيين، ويقال إن الذي أشار عليها بتلك الفكرة هو قطريوط أحد قادة الأفلاق والذي هرب من بلاده وانضم إلى الإمبراطور الروسي (٤).

وهذا نص خطاب شارمتيف والذي أرسله إلى الصدر الأعظم يعرض في طياته رغبة روسيا في الصلح وإنهاء الحرب الدائرة بين البلدين والذي جاء فيه:"سيدي الصدر الأعظم

---

(1) Ord . Prof. ismail Hakki UzunÇarşili : Osmanli TarÎhi, Iv.Cilt, P 70.

(2) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2387.

(3) Yasar Yücel, Ali Svim: Türkiye Tarihi, III, P 259.

(4) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2400.

المحترم نائب حضرة السلطان، على الرغم من رغبة الإمبراطور في هذه الحرب فإنه وحسب علمنا قام السلطان بهذا الخلاف أولاً،ومعروف لدى رجال دولتكم الشخص الذي تسبب في ذلك الأمر،وفي حالة زيادة الأمر عن حدِّه فإنني أصبحت مكلفاً بإنهاء الحرب وإقرار الصلح والسلام الذي من الممكن إقراره.وإذا أقررتم بأمر الصلح فإنني على استعداد لهذه الرغبة، وسوف يجازي الله من تسبب في سفك هذه الدماء.وإنني متفائل بان الله سوف يساعد من يعمل على إعانة ومنع سفك هذه الدماء.وإننا ننتظر ردكم وإعادة الرجل الذي قمنا بإرساله"[١].

لكن الصدر الأعظم أمر بحبس مبعوث الرسالة ومواصلة حصار الجيش الروسي وعدم إيقاف إطلاق المدافع ظناً منه أنها هي مكيدة أراد الروس من خلالها كسب الوقت[٢].

وفي هذه الأثناء فقد شوهدت الرايات البيض ترفرف في معسكرات الجيش الروسي، وارتفعت الأصوات من قبل الروس بكلمة الأمان بالعثمانية[٣].وكأن الروس فهموا ما جال بفكر الصدر الأعظم ورجاله، فأرادوا بتلك الحركة تأكيد نيتهم الصادقة فيما يخص الصلح.

في الوقت الذي وصل فيه إلى الصدر الأعظم خطاب آخر من شارمتيف مؤكداً فيه التزام الروس ورغبتهم في الصلح مع العثمانيين وعدم رغبتهم في سفك مزيد من الدماء[٤].

وبعد التأكد من صدق نوايا الروس في الصلح أمر الصدر الأعظم باجتماع للتشاور مع خان القرم وأركان الجيش العثماني في بحث إمكانية الصلح، وكان موقف خان القرم المعارضة التامة لمبدأ الصلح، وإصراره على تحطيم القوات الروسية، وعدم إعطاء الإمبراطور الروسي الأمان لأنه شخص ماكر وغدار، ومن الطبيعي إلا ينفذ شروط الصلح كاملة، مع تذكيره للصدر الأعظم بنوايا ذلك الإمبراطور في الاستيلاء على إسطنبول نفسها إذا سنحت له الفرصة، وإصرار خان القرم على عدم الدخول في مفاوضات البتة مع الروس؛ لأن

---

(1) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2400.

(2) Yasar Yücel, Ali Svim: Türkiye Tarihi, III, P 257.

(3) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2400.

(4) Yasar Yücel, Ali Svim: Türkiye Tarihi, III, P 257.

الإمبراطور الروسي رجل محتال، وقد يفلح في إقناع رجال الدولة العثمانية في الصلح [١].

وكان موقف خان القرم هذا متفقاً تماماً في ذلك مع السويديين والذين قاموا بإخبار ملكهم شارل الثاني عشر المتواجد في بندر لمنع الصلح؛ إلا أنه لم يتمكن من النجاح في مسعاه هذا حيث قد اتفق العثمانيين بقيادة الصدر الأعظم واستقر رأيهم على ارتضاء الصلح في حال قبول روسيا بكافة الشروط المفروضة من قِبَل العثمانيين [٢].

وكان قبول العثمانيين لمبدأ الصلح والذي عرضه الروس بمثابة عيد بالنسبة للروس فلم يصدق بطرس أن العثمانيين قد وافقوا على إيقاف الحرب وقبول ما عرضه الروس من الصلح. وبناءً عليه فقد تم تكليف وفد روسي من قبل بطرس يتكون من وزير خارجية روسيا وشارمتيف من أجل التفاوض مع العثمانيين بشأن الصلح، وكانت التعليمات التي حصلوا عليها من قبل الإمبراطور لتفاوض حول شروط الصلح كالتالي :

١ - إعادة كافة المناطق التي تم الاستيلاء عليها إلى الدولة العثمانية مقابل السلام ونجاة الإمبراطور الروسي وجيشه .

٢ - هدم كافة الحصون والقلاع التي شيدت في هذه المناطق وتسليمها إلى العثمانيين.

٣ - إعادة لتوانيا إلى السويد في حالة مناقشة الأمر مع السويد .

مع إمكانية منح العثمانيين ولايات أخرى إذا تطلب الأمر وعدم معارضة ما يراه العثمانيين مناسباً لإتمام الصلح، وإظهار الرضا والقبول من قبل الروس بالإضافة إلى تفويض شارمتيف لاتخاذ القرارات باسم حكومته، سواء مع العثمانيين أو مع السويد، فيما يراه مناسباً مع إمكانية هذا الوفد الروسي إلى دفع الرشاوى سواءٌ إلى الصدر الأعظم أو غيره من العثمانيين لإتمام هذا الصلح[٣].

---

(1) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2400-2401.

(2) Yasar Yücel, Ali Svim: Türkiye Tarihi, III, P 257.

(3) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2401.

حيث أسفرت تلك المحادثات عن معاهدة بروث في ٢٣يونيه ١١٢٣هـــ/١٧١١م التي تضمنت ما يلي [(١)]:

١ - قلعة أزاق مع أراضيها وسائر ملحقاتها يجري تسليمها كالأول للدولة العلية .

٢ - القلعة الجديدة الكائنة في أعالي طيفان وقمانكه وصمار المختصة بالقيصر تهدم بالكلية،والمدافع والجبخانة[(٢)] الموجودة ضمن قمانكة يجري تسليمها بتمامها للدولة العلية.وفيما يأتي من الزمن لا يبني في المحل المذكور قلعة .

٣ - لا تحصل مداخلة بعد الآن من طرف القيصر المرقوم مع اللهويين[(٣)] والتابعين لهم وهم رياش والبورتقال، ولا إلى القزاق التابعين لحضرة صاحب السعادة دولتكراي خان، خان القرم،بل يرفع القيصر يده عن جميع تلك المواضع بحيث تعود كما كانت قبل الآن .

٤ - بعد اليوم لا يحق للقيصر أن يقيم سفيراً في إستانبول من طرفه،وأما التجار الروسيون الذين يأتون براً إلى ممالك المحروسة لأجل التجارة فإنهم مأذونون في الإقامة فيها .

٥ - الأسرى من المسلمين الذين أسروا من قبل ومن بعد يلزم ويجب على القيصر أن يسلمهم للدولة العلية مهما كان عددهم .

٦ - ملك أسوج ؛حيث إنه التجأ ووقع تحت جناح عناية الدولة العلية،فبعد الآن يتوجه إلى مملكته بالأمن والسلامة،ولا يحصل له التعرض والممانعة من طرفهم قطعاً.وإذا وجد بينهم عدم التوفيق ورضاء اتحاد فعليهم أن يجريا المصالحة.

٧ - غض طرف الدولة العلية عن الحركات الخارجية، التي سبق وقوعها في جانب رعايا الدولة العلية، وسائر المنسوبين إلى الممالك المحروسة، وأن لا يصير عليهم فيما يأتي من

---

(١) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، المصدر السابق ، ص ٤٩٤-٤٩٥.

(٢) Cephane : مكان حفظ الدروع في الأصل،ثم شمل مكان حفظ البارود ،والقنابل،والأسلحة والذخائر.سهيل صابان:المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،المرجع السابق،ص٨١.

(٣) ما كان يطلقه الأتراك على البولنديين.محمد فريد بك:تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٥٥.

الزمان تعد كما تقرر ذلك في الشروط والعهود.

هذا ما ورد في المصادر التركية عن معاهدة بروث، أما إذا يممنا بفكرنا شطر المصادر الأجنبية، وأردنا أن نجمع بين الحسنيين فسوف يوافينا"Hurewitz " معاهدة بروث على النحو التالي[١]:

١ - قلعة أزق يجب أن تعود إلى الإمبراطورية العثمانية كما كانت وقت احتلالها، هي والأرض التي حولها.

٢ - الثلاثة قلاع، تيكان، وكاميني زاتون والقلعة الجديدة تاجاً نروج التي بنيت بالقرب من نهر سامارا يجب أن تهدم جميعاً. والمدفع الذي يخص القلعة الأخيرة هو وكل ذخيرته يسلم إلى الإمبراطورية العثمانية. ويحظر إعادة بناء أي من القلاع الثلاثة.

٣ - يجب على القيصر عدم التعرض بأي أسلوب في المستقبل لباراباس وبوتكالى الكوساك، رعايا بولندا وهؤلاء الذين يعتمدون على قوة هاث ديفلت جيرى أمير كريما، يجب أن يتركهم القيصر يتمتعون بأراضيهم، كما تم تعريف ذلك من قبل.

٤ - في المستقبل، باستثناء التجار الذين يسافرون، فإن القيصر يجب ألا يكون له أي ممثلين يقيمون في القسطنطينية ولو كانوا برتبة سفير أو وزير.

٥ - جميع الأتراك الذين سجنوا أو أخذوا عبيداً، بغض النظر عن عددهم يجب أن يطلق سراحهم .

٦ - حيث إن ملك السويد وضع نفسه تحت حماية الباب العالي[٢]، فيجب ألا تمتد يد إليه، وعندما يعود إلى دولته يجب ألا يقاوم بأي عنف. وبالمثل إذا لم يستطيع العودة، يجب أن يحل السلام بين الطرفين بمجرد التوصل إلى قبول الشروط.

---

(1) Hurewitz, J. C : Diplomacy in the Near and Middle East ,A Documentary record: 1535-1914, D-Van Nostrand Compony, In C, Vol. I. London, 1956. p 39 .

(٢) مقر رئيس الوزراء أو مقر الحكم في الدولة العثمانية.سهيل صابان:المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،المرجع السابق،ص٤٩ .حسين مجيب المصري:معجم الدولة العثمانية،المرجع السابق،ص٣٠.

٧ - يجب على الباب العالي من جانبه، وعلى الروس من جانبهم، أن يعطوا وعداً للسكان من الرعايا وغيرهم ممن هم تحت الحماية بعدم التعرض من أي نوع، وأن يعيشوا في أمان.

وعند النظر إلى بنود معاهدة بروث،فالبند الأول يتحدث عن تسليم قلعة أزاق وجميع ما يتبعها من الأراضي، من قبل الروس إلى الدولة العلية.بينما البند الثاني من المعاهدة يلزم في طياته روسيا بهدم القلاع المتفق عليها،مع التعهد الروسي بعدم بناء مثل تلك القلاع في المستقبل.ومن جانبه يلتزم قيصر روسيا في البند الثالث من المعاهدة بعدم التعرض لأي من رعايا بولندا أو القرم هم وكافة ممتلكاتهم.وحول البند الرابع من معاهدة بروث فإنه أعفى الدولة العثمانية من أي التزام تجاه روسيا باستقبال ممثليها،كما ألزم روسيا من جهة أخرى بعدم إرسال سفير عنها دائم إلى الدولة العلية،باستثناء التجار الذين استثنتهم المعاهدة في الانتفاع من أراضي الدولة العثمانية من أجل التجارة.أما البند الخامس فهو يخص الأسرى حيث نص ذلك البند على إطلاق جميع الأسرى الذين في حوزة أي من الطرفين دون قيد أو شرط.وقد لامس البند السادس الملك شارل ملك السويد وعن عودته إلى بلاده دون ممانعة أو تعرض له من قبل الروس،كما أشار البند نفسه عن وجوب إحلال السلام بين الجانبين الروسي والسويدي، وإذا لم يكن ذاك فالأولى بهما إبرام هدنة بين الطرفين إلى حينه.وحول البند السابع من معاهدة بروث فقد كان إيذاناً عن عفو شامل يمنح من قبل العثمانيين والروس إلى جميع من شارك في الحرب من رعايا الطرفين لصالح طرف آخر.

وعند النظر إلى بنود معاهدة بروث فهي من الناحية العملية بنود معقولة ومقبولة جداً بالنسبة للروس،بينما لم تكن بذلك المكسب المقنع بالنسبة للعثمانيين،نظراً لخط سير المعركة وحصر القيصر الروسي وأسرته وحاشيته وكافة جيشه.فإن ما تم في معاهدة بروث ما هو إلا استرجاع من قبل العثمانيين لحق ضائع-أزوف-ولم يكن بالمعاهدة أي نوع يذكر من حيث المكاسب الفعلية.

وقد يكون استرجاع أزوف إلى جسد الدولة العثمانية هو أكبر ما في تلك المعاهدة، وهو في حد ذاته استرجاع وليس مكسباً.فلم يكن هناك أي فريق من العثمانيين لاستغلال

موقف القيصر وفرض شروط أكثر قساوة على الروس.وقد عبر بطرس نفسه عن تلك المعاهدة بأن أكبر خسائره فيها هو ضياع أزوف فقط بقوله:"هذه القضية، رغم الحزن على ضياع الأماكن-أزوف-التي كلفتنا كثيراً من العمل والخسائر،آمل أن تكون للناحية الأخرى-البلطيق-تعزيزاً عظيماً"[١].فكان الأجدر بالعثمانيين توظيف ما وصل إليه القيصر وجنده في حادثة بروث بشكل أفضل،وتقدير بنود المعاهدة حق قدرها.

وحقيقة ما يقال عن معاهدة بروث أنها انتصار في الجانب الروسي أكثر منه في الجانب العثماني، فالروس المهزومين والمحاصرين هم وقيصرهم والذين أشرفوا على الهلاك يتم خلاصهم بإرجاع حق مغتصب إلى أصحابه دون عقاب أو حساب.والعثمانيين والذين تكلفوا الأموال وخسروا الرجال في محاربة الروس كان نصيبهم استرجاع أزوف دون أي مكسب آخر مع قدرتهم على ذلك.

وعلى أي حال، فإنه وبعد التصديق على المعاهدة من قبل الطرفين العثمانيين والروس، فإن بطرس قد أعطى العثمانيين على سبيل الرهائن كلاً من البارون بتر شفيروف، والجنرال شارمتيف وابنه، بتروفيش ميخائيل. وبناءً على ما تم فقد بعث الصدر الأعظم إلى المعسكر الروسي بعض المواد الغذائية من السكر والأرز والخبز وغيرها والذين كانوا في أمس الحاجة إليها [٢]،كما تم بعث المعاهدة إلى إستانبول لمصادقة السلطان عليها واعتمادها؛ وبذلك فقد أصبح الإمبراطور الروسي بمن معه من الجنود في أمان الدولة العثمانية لا يعترض طرق عودتهم أحد الجنود العثمانيين أو من والاهم من التتار أو غيرهم [٣].

وكان من أهمية حرب بروث من انكسار الجانب الروسي أمام القوات العثمانية أن حمل السلطان، أحمد الثالث لقب الغازي، وتم إبلاغ الجميع بهذا اللقب [٤].

---

(١) بوغانوف : حياة بطرس الأكبر ، المرجع السابق،ص ٢٩٩.

(2) Yasar Yücel, Ali Svim: Türkiye Tarihi, III, P 259.

(٣) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، المصدر السابق ، ص ٤٩٤-٤٩٥.

(4) Yasar Yücel, Ali Svim: Türkiye Tarihi, III, P 260.

وفي الوقت الذي أخذت الجيوش الروسية في الانسحاب كان قد وصل إلى خيمة الصدر الأعظم ملك السويد شارل الثاني عشر والذي لم يكن راضياً البتة عن ما دار بين العثمانيين والروس من صلح انتهى بتوقيع معاهدة بروث .إذ رأى شارل أن هذه الفرصة لا تعوض، وأنه يجب استغلالها بأي ثمن حيث قال للصدر الأعظم:"إن هذا السلام والصلح تم دون علمي وعلم السلطان،وإذا كانت هناك صداقة بيننا وبين الباب العالي ومنافع لحكومة السويد فإنه لم يتم مراعاتها وأخذها في الاعتبار تحت أي ظرف،وبعد أن يئس الإمبراطور الروسي وجيشه، وأصبح في هذه الحالة جعل على مكاسب ومنافع أكثر مما هو فيه من ضرر،حتى أنه تم أسر أسرة الإمبراطور وحاشيته وجيشه، ولم يتم إرسالهم إلى أقدام حضرة السلطان" (١).

وفي سياق رد الصدر الأعظم على شارل فقد ذكر له أن الشريعة الإسلامية قد أعطت الأمان لمن يطلبه في الوقت الذي وافق فيه الإمبراطور الروسي على كافة المطالب والشروط التي اشترطها العثمانيون وبالتالي فقد حصل المقصود وانتفى سبب الحرب.ثم إن الدولة العثمانية غير مكلفة لخوض حرب مع روسيا في ظل نوالها مرادها وعلى حساب مصلحتها من أجل السويد.ثم أردف الصدر الأعظم كلامه الموجه إلى ملك السويد شارل،مذكراً إياه بأن الدولة العثمانية قد تلقت وعداً سويدي بمشاركة ثلاثين ألف جندي إلى جانبها في حربها ضد روسيا وهو ما لم يحصل.وأضاف الصدر الأعظم مذكراً شارل بأنه في حالة تم أسر الإمبراطور الروسي فمع من سوف تتم العاهدة؟(٢).

إلا أن شارل قام بالرد على كافة الادعاءات التي أدلى بها الصدر الأعظم، ثم قال له:"إذا تم أسر إمبراطور الروس فكيف يتم إدارة وحكم بلاده ؟وكيف تدار مملكتي منذ فترة

---

(١) للمزيد انظر :

- Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2404.
- EUGENE SCHUYLER: I bid , P202.

(2) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2404.

طويلة وأنا بعيد عنها وأُقيم في دولة أخرى؟ إن الضمانات التي أعطاها إمبراطور روسيا بشأن عودتي إلى وطني لا اطمأن لها أو أثق بها شخصياً على الإطلاق-ثم اقترح على الصدر الأعظم-بأن الفرصة لازالت قائمة ولم يهرب-يقصد إمبراطور الروس-فأعطني ألف مدفع وألف إنكشاري، وسوف ألحق بالإمبراطور الروسي وأقوم بأسره"[١].

إلا أن الصدر الأعظم لم يوافق على اقتراح شارل مبيناً له أنه قد التزم بمعاهدة سلام مع إمبراطور الروس التي لا يمكن نقضها أو الإخلال بها من قبله، بالإضافة إلى أن الجيش المسلم لا يمكن أن يترأسه أو يقوده مسيحي[٢].وبذلك انتهت محاولات ملك السويد شارل في محاولة إقناع الصدر الأعظم بما كان يرتكبه من خطأ من وجهة نظر شارل، وأن ذلك الخطأ يمكن تفاديه وتصحيحه، إلا أن الصدر الأعظم كان مقتنعاً بما قد كان؛ مبطلاً بذلك جميع محاولات شارل السالفة الذكر.

وعلى الرغم من إقرار معاهدة بروث إلا أن الجدل العثماني حول تلك المعاهدة قد علت أصواته بين مؤيد لهذه المعاهدة وما أقر في طياتها، وبين معارض لها،حيث كان الفريق العثماني المعارض لهذه المعاهدة لا يعارض نصوصها أو شكلياتها أو حول ما دار فيها بل معارضته حول المعاهدة من أساسها،وكان يرى أن مواصلة الحرب ضد روسيا، وإفناء جيشها أو أسره مع قتل الإمبراطور الروسي أو أسره هو عين الصواب وهو ما كان ينبغي فعله من قبل الصدر الأعظم،بينما رأى الفريق الأول والمقر لمعاهدة بروث أن المكاسب التي حصل عليها العثمانيين هي ما كانوا يحاربون من أجله، وعند تمامها دون إراقة للدماء فقد حصل المقصود .

ولم يقف ذلك الجدل عند العثمانيين أنفسهم بل تعداه ليطال سفراء الدول الأجنبية فقد بعث سفير السويد بخطاب إلى السلطان أحمد الثالث يخبره بتفاصيل حرب بروث وما دار فيها، وبما اقترفه الصدر الأعظم من عدم سحق الجيش الروسي، وأسر الإمبراطور الروسي،

---

(1) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2404.

(2) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2404.

وانتهاء الدولة العثمانية من هذا الخطر بالكلية؛ ليكون خطابه هذا متوافقاً تماماً مع ما بعث به خان القرم من تأنيب إلى السلطان حول ما اقترفه الصدر الأعظم [١].

وعلى الرغم من إقامة الحفلات والولائم في إستانبول فرحاً بالنصر وكذلك إقرار السلطان بتلك المعاهدة إلا أن السلطان كان في غاية الغضب وكان تعبيره عن غضبه واضحاً وبشدة من خلال الفرمان الهمايوني[٢]والذي بعث به إلى الصدر الأعظم حيث جاء فيه "لا يوجد إنسان في السلطنة يمكنه إجهاد السلطان عنك، فو الله العظيم بالله الكريم أقتلك بلا أمان.فحياتك ليس لها قيمة ولا ينفع الندم في النهاية" [٣]، وهذا ما جعل الصدر الأعظم يستشعر قمة غضب السلطان ويرسل بخطاب إلى والدة السلطان يسترحمها فيه، بعد أن بين من خلاله أن تلك المعاهدة إنما تمهما بما رآه من مكاسب سوف تعود على الدولة العثمانية دون إراقة للدماء [٤].

ومن جهة أخرى فقد أيد كلاً من سفراء النمسا وإنجلترا ما ذهب إليه الصدر الأعظم، بينما عارضت كلاً من فرنسا والسويد ما قام به الصدر الأعظم من عدم اقتناص مثل تلك الفرصة [٥].

وقد يكون الصدر الأعظم قد ارتضى الصلح من باب "وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله "،على أنه، من المعلوم أن بطرس عندما تم حصاره تماماً من قبل الجيش العثماني لم يجد بداً بمن معه من الجيش الروسي والبالغ عددهم أربعين ألفاً من عمل الحرب

---

(1) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2405.

(٢) همايون:"هما"باللغة الفارسية،و"أما"باللغة التركية.وهي تعني طائراً أسطورياً ذا حظ وقدرة.أول من استخدم هذا المصطلح هم الأتراك الغز، ومنهم انتقل إلى العثمانيين.وتطلق على كل ما ينسب إلى السلطان للتعظيم والتفخيم.حسين مجيب المصري:معجم الدولة العثمانية،المرجع السابق،ص١٥٢.سهيل صابان:المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،المرجع السابق،ص٢٢٦.

(3) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2405.

(4) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2405.

(5) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2405.

الدفاعية وأعد لذلك عدته،وكانت تلك الاستعدادات الدفاعية الروسية في غاية الإحكام حتى إن الجيش العثماني في إحدى هجماته على الجيش الروسي لم يحقق أي نصر يذكر، بل على العكس فقد انسحب بعد أن استشهد من جنوده سبعة آلاف جندي(١).بالإضافة إلى أنه وبعد هذه الحادثة فقد تم إعادة الصفوف العثمانية واتخذ القرار بعمل الهجوم العثماني ضد الروس مرة أخرى، إلا أن الإنكشارية رفضوا الهجوم وفضلوا هجوم المدافع بدلاً من الهجوم الميداني(٢).وهذه الحادثة تثبت تمرد الإنكشارية وعد استجابتهم إلا لما تمليه عليه مخيلتهم دون الانضباط العسكري في الإذعان لقادتهم.

وهذا خلل واضح ضمن العسكرية العثمانية،وفوضوية صريحة.ومما لا شك فيه أن الصدر الأعظم كان يعلم بذلك يقيناً.ويؤكد ذلك ما تضمنه تقرير سفير إنجلترا في إستانبول حول تلك المعركة: "قال شهود العيان على هذه المعركة-بروث-ممن يتحلون بالعقل السليم إنه لو كان الروس يعلمون بالرعب والحيرة اللذين انتابا العثمانيين ويستطيعون أن يستفيدوا من تفوقهم ويواصلوا القصف المدفعي ويقوموا بهجوم ،لأمكنهم بالطبع أن يدحروا العثمانيين.فالجيش العثماني الذي يعادل أربعة أمثال الجيش الروسي قد شل.لكن بطرس لم يتصور ذلك"(٣).

ومن هذا المنطلق فقد فضل الصدر الأعظم الصلح ووجد في هذه النهاية التي أقرتها معاهدة بروث نصراً مؤزراً ،وكسراً لهيبة الروس، ولعظمة الإمبراطور الروسي، بدلاً من الإقدام على هجوم واسع لا يعرف ما هي عاقبته .في الوقت الذي كثرة فيه هزائم الدولة العثمانية، وأصبحت تباعاً مع تزامن الحالة السيئة التي وصل إليها الجيش العثماني (٤)، مع

---

(1) Yasar Yücel, Ali Svim: Türkiye Tarihi, III, P 258.

(2) Ord . Prof. ismail Hakki UzunÇarşili : Osmanli TarĬhi, Iv.Cilt, P 89.

(٣) بوغانوف : حياة بطرس الأكبر ، المرجع السابق،ص ٢٩١-٢٩٢.

(٤) أكمل الدين إحسان أوغلي : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ،نقله إلى العربية/صالح سعداوى،إستانبول، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية،١٩٩٩م، ص ٦٢.

إعلان الإمبراطور بطرس في الوقت نفسه أنه يرفض الهزيمة تماماً، وأنه لن يستسلم مهما كلفه الأمر، حتى لو أدى به المطاف إلى متابعة الحرب ضد القوات العثمانية حتى النصر أو الفناء دونها[١].

ولم تكن تلك التصريحات من بطرس من قبيل التلاعب بالعثمانيين، فقد عقد مجلس حرب روسي أثناء ذلك الحصار العثماني، وقرر جميع القادة العسكريين الروس أنه في حالة رفض العثمانيين للصلح، فإنهم -الروس- يرفضون تسليم أنفسهم .وبالتالي فقد قرر الجميع اختراق صفوف الجنود الأتراك، وتنفيذاً لذلك فقد أقاموا المتاريس حول أمتعتهم ومهماتهم وتقدموا جهة معسكر العثمانيين بنحو مائة قدم[٢].

ولو اتخذ الإمبراطور الروسي تلك الخطوة، وهو ما سوف يفعله، فإن الحرب قد تأتي بالنصر، أو ترغم العثمانيين على قبول الصلح ،أو تحقق للروس الخلاص من ذلك الحصار العثماني في أقل القليل ،أو تكون الهزيمة للروس، ولكن بعد أن تسفك العديد من الدماء العثمانية دون ذلك.وبذلك أراد الصدر الأعظم عدم اللجوء إلى التخمينات أو المجازفة في المجهول، وتحقيق ما تصبو إليه الدولة العثمانية بأقل الخسائر الممكنة .

وإن كانت فرص الروس قليلة، فالاحتمالات كثيرة في ظل العسكرية العثمانية السيئة، وخيار الحرب الروسية ضد الجيش العثماني سوف تكون أصوب الحلول في رأي الروس لو فضل العثمانيين عدم قبول المعاهدة الروسية. وبالتالي فقد أراد الصدر الأعظم تجنب ذلك كله مما قد لا تحمد عقباه، وهذا مما لم يحسب حسابه الذين عتبوا على الصدر الأعظم حول مواصلة الحرب ضد الروس من العثمانيين .

ومن ناحية أخرى فقد رأى الصدر الأعظم أنه من غير الحكمة محو العسكر الروسي مع قبول الروس لكافة الشروط العثمانية، فرضي بالنصر الذي وقع له،وقنع به على قاعدة الحزم والاحتياط وشعار المروءة [٣].

---

(١) بسام العسلي : بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) مشاهير قادة العالم ، المرجع السابق،ص ٧٦-٧٧.

(٢) بوغانوف : حياة بطرس الأكبر ، المرجع السابق،ص ١٨٢.

(٣) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، المصدر السابق ، ص ١٣٥-١٣٦.

أما حجج الدول الأجنبية والقائلة بأن الصدر الأعظم قد أخطأ مثل السويد وفرنسا فإنها كانت تنظر بعين مصلحتها هي دون الاهتمام بما سوف تؤول إليه أمر الحرب .

ولو نظرنا بعين الحكمة فإن اسر الإمبراطور الروسي لن يعود بالكثير على العثمانيين. وحتى لو افترضنا أنه عاد بما نادى به الرأي المؤيد إلى اسر الإمبراطور الروسي، فإن الغالب أن روسيا سوف تقدم فدية كبيرة لافتكاك إمبراطورها العائد إلى روسيا وهو يحمل كل مشاعر الحقد والحنق على الدولة العثمانية، مبيتاً النية الكبرى في كيفية استرداد ما أخذه العثمانيين منها،مع حرصه الشديد على كيفية إذلال الدولة العثمانية . أما في حالة قتله ومحو عسكره فإن الدولة العثمانية لن تواصل الحرب ضد روسيا لاحتلالها من أدناها إلى أقصاها ولكن الجانب الروسي بدوره لن ينسى للعثمانيين هذا الموقف أبد الدهر، وسوف يكون قتل الإمبراطور الروسي فاتحة صفحة سوداء معتمة بين البلدين .بالإضافة إلى أن القضاء على الجيش الروسي، وقتل الإمبراطور بطرس سوف يحدث نوعاً من البلبلة بين رعايا الدولة العثمانية من المسيحيين.وكذا فإن الإقدام على مثل هذا العمل من قبل الدولة العثمانية قد يكون سبباً في كساد التجارة واختلال الأمن في المنطقة(١).

ولذلك فقد أراد الصدر الأعظم تلافي ذلك كله واظهر من التساهل والتسامح ما لم يكن يخطر ببال الروس أو يظن الإمبراطور بطرس؛ إذ إن الصدر الأعظم أراد إقامة علاقات حسنة مع الإمبراطور الروسي وعدم إذلاله بشروط شائنة (٢).

وبموجب معاهدة بروث فقد تخلص العثمانيون من مضايقة لاجئ ملكي، وكذلك من أسر إمبراطور روسي،(٣)بالإضافة إلى ما أقرته المعاهدة للدولة العثمانية .

---

(1) Ziya Nur Aksun : Osmanli Tarihi, Őtüken Neşriyata.ş, P318 .

(٢) بسام العسلي : بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) مشاهير قادة العالم ، المرجع السابق،ص ٧٧.

(٣) هارولد لامب : سليمان القانوني سلطان الشرق العظيم،ترجمة/شكري نديم ، بغداد ، النبراس للنشر والتوزيع،١٩٦١م ، ص٣٨٢.

وعلى أي حال فإن حرب بروث بما أقرته من معاهدة كانت وميض أمل، وبصيص نور،وروحانية نصر في تاريخ الدولة العثمانية أتت بعد خسائر كثيرة للعثمانيين في حروبهم مع الدول الأجنبية.

على أنه ومن المؤكد أن حرب بروث مع ما شملته من إفرازها لمعاهدة بروث كانت من أسوأ الحروب التي مرت في تاريخ الإمبراطور بطرس، وهي أسوأ هزيمة يتلقاها الجيش الروسي في تاريخه بالإضافة إلى أنها جمدت، وخلال زمن، أي أمل لروسيا للامتداد نحو الجنوب[١].وقد عبر عن تلك الحقيقة بطرس بنفسه قائلاً:"لقد طردني الله من هذا المكان كما طرد آدم من الجنة"[٢].

وكان في تلك النهاية التي أقرتها معاهدة بروث من الإذلال لكبرياء بطرس أقصى مما يتحمله، فبطرس الذي خرج مخلصاً للعالم المسيحي ومعلناً أنه وريث الإمبراطورية الرومانية المقدسة وناصر المسيحية قد عاد من تلك المعركة بعفو سلطاني[٣] وإذن له بالخروج مع توفير الحماية العثمانية له .

وفي خضم معاهدة بروث فقد أشيع أن الإمبراطور الروسي قد بعث إلى خيمة الصدر الأعظم زوجته كاترين وهي التي أغرت الصدر الأعظم للموافقة على هذا الصلح إضافة إلى ما بعثت إليه من الجواهر والحلي والأموال . وقد درج على إيراد هذه الحادثة العديد من مؤرخي العصر الحديث متخذيها حجة لمهاجمة الصدر الأعظم واتهامه بالغفلة والخيانة للدولة

---

(١) ماتيو أندرسون : تاريخ القرن الثامن عشر في أوروبة ، المرجع السابق ، ص٢٦٣-٢٦٤.

(٢) جون باتريك كينروس : القرون العثمانية، قيام وسقوط الإمبراطورية التركية ، المرجع السابق،ص ٤١٣.

(٣) بسام العسلي: بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) مشاهير قادة العالم ، المرجع السابق،ص ٧٧.

العثمانية وتقديم مصلحته على مصلحتها[1]، وحول هذه الرواية يحدثنا كتاب التاريخ العثماني المفصل ما نصه:"لكن لا توجد أي معلومة في المصادر المحلية حول مجيء كـاترين إلى خيمة الصدر الأعظم"[2].

ثم ينتقل الكلام بعد نفي مجيء كاترين إلى خيمة الصدر الأعظم إلى دحض تلك الرشوة التي قيل إن الصدر الأعظم قد حصل عليها في مقابل إجراء الصلح، "وبالإضافة إلى ذلك فإنه إذا كان الصدر الأعظم قد حصل على رشوة كبيرة، كما تقول رواية كاترينه، فإنه من المؤكد أن يظهر عليه علامات الرجل الثري، لكن الأمر لم يكن كـذلك، وإلا فقد تم مصادرة أمواله على الفور"[3].

ثم يردف المفصل كلامه في إشارة منه إلى أن هذه الرواية التي اتهمت الصدر بتقاضي رشوة كبيرة لإجراء الصلح إنما هي رواية غربية ليس لها في المصادر العثمانية أساس بقوله:"وقد قيل في المصادر الأجنبية والغربية. إن بلطجي محمد باشا قد حصل على مائتي ألف ذهبية ومجوهرات كثيرة جداً لكن مصادرنا المحلية لم تذكر ذلك الأمر على الإطلاق"[4].

---

(١) منهم على سبيل المثال:

- على حسون : الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية،دمشق،المكتب الإسلامي،١٤٠٠م/١٩٨٠م،ص١٠٠.
- عبدالفتاح أبوعلية،إسماعيل ياغي:تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، الرياض، دار المريخ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م،ص٢٤١-٢٤٢.
- محمود السيد:تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها،الإسكندرية،مؤسسة شباب الجامعة،١٩٩٩م،ص١٢٠.
- عمر الإسكندري ، سليم حسن : تاريخ أوروبا الحديثة وآثار حضارتها ، المرجع السابق،ص٢٤٨. محمد كمال الدسوقي:الدولة العثمانيةوتوسعها١٢٣٢-١٢١٢-١٥١٢،المرجع السابق،ص٩٩.

(2) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2403.

(3) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2403-2404.

(4) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2404.

ولكن المفصل ينظر إلى حادثة الرشوة بعين الشك والريبة إلى الكاتب عمـــر ورئـــيس الكتاب أبي بكر دون اتهامهم مباشرتاً أو تأكيد التهمة عليهم، وإنما هي نظرة شك لا ترقى إلى درجة التثبت واليقين [١].

ويعلق محقق كتاب تاريخ الدولة العلية العثمانية، للمحامي فريد بك على هذه الحادثة التي أوردها المحامي فريد بك في كتابه السابق الذكر بقول:"إن قصة المجوهرات هذه لا تقـــوم على ساق ،وما أظن أن الوزير العثماني كان يجهل أن كاترين ستكون له ســبية، وأن كـــل جواهرها وجواهر بلادها ستكون ملك دولته إذا غلب بلادها.فلو كان يطمع بجســـم المـــرأة فهي له بعد النصر،وإن كان يطمع بالجواهر فهي له أيضاً... ثم هل كان الجند يسلمون للباشا ويوافقونه على هواه بهذه السهولة إذا عرفوا أن في الأمر خيانة ،وهم الذين يعزلون ويقتلـــون السلاطين والوزراء لأتفه الأسباب"[٢].وبعد أن أورد المحقق الأدلة على تأكيده على عدم صحة تلك الرواية فإنه يقرر، بناءً على ما أورده، حكمه عليها بقوله:"ولذا فإني أرى أن هذه القصة ملفقة وأعتقد أن محمد باشا لم يمض على هذه المعاهدة إلا لأنه أدرك أن هناك أمراً قد يخســـره في فتوحاته لو استمر الحصار"[٣].

والفضل ما شهدت به الأعداء،فالمؤرخ الروسي بوغانوف يؤكد على عـــدم تقاضـــي الصدر الأعظم لأي رشوة في مقابل إتمامه معاهدة بروث [٤].

وبعد هذا كله، أفلم يكن الصدر الأعظم هو أعلى منصب عثماني آنذاك؟ وهـــو في مقام السلطان في الحل والربط، وإدارة الجيوش، والتخاطب رسمياً مع الدول الأجنبية باســـم الدولة العثمانية ،وإعلان الحروب، وإقرار السلام، وإبرام المعاهدات، وبيده خزائن الدولـــة.

---

(1) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2404.

(٢) حاشية كتاب تاريخ الدولة العلية العثمانية، لمؤلفه محمد فريك بك المحامي،المرجع السابق،ص٢١٤.

(٣) المرجع السابق،ص٢١٤.

(٤) بوغانوف : حياة بطرس الأكبر ، المرجع السابق، ص ٢٩٩.

فهل يكون نزيهاً في ذلك كله ويخون الدولة في تلك الواقعة فقط !ومن جهة أخرى فما حاجة رجل في منصب الصدر الأعظم ومكانته إلى مثل هذا العمل؟

ولكن الذي يظهر أن هناك من لا يريد الصدر الأعظم ولا يرغب في صدارته، وقد وجد في إبرامه للصلح مع الروس ما تستأنس له نفسه المريبة في محاولة إلصاق مثل تلك التهمة بالصدر الأعظم والتشهير به في محاولة منهم للاصطياد في الماء العكر، وتشويه سمعت الصدر الأعظم لدى السلطان في محاولة لعزله وهو ما كان، وحول هذا الأمر يحدثنا أحمد جودت باشا قاصداً ما بلغته تلك الفرية من الصدر الأعظم بسبب الوشاية فيه من قبل من لا يريدونه بقوله:"ولكن الافتراء في حقه-يقصد الصدر الأعظم-كان قد بلغ مبلغاً لا يمر في خاطر وخيال،فتمكنوا أخيراً من عزله ونفيه قبل أن يصل إلى الآستانة.وهو أن كان برئ الذمة من هذا الافتراء"[(١)].وهو بالضبط ما كان يسعى إليه من إلصاق هذه التهمة بالصدر الأعظم.

---

(١) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت،المصدر السابق،ص ١٣٥-١٣٦.

المبحث الثاني : معاهدة أدرنة ١١٢٥هـ/١٧١٣م:

كانت معاهدة بروث بمثابة الأمل بالنسبة للروس التي خلصت الإمبراطور الروسي وجيشه من كارثة محققة بعد أن حصرهم الجيش العثماني، وكان الفناء من الجيش الروسي أقرب منه إلى النجاة .

وفي مثل هذه الحالة فإن موافقة الصدر الأعظم على الدخول في مفاوضات مع الروس لإنهاء حرب بروث تم حسابها من قبل الروس على أنها نصر وبادرة أمل تخلصهم مما آلوا إليه.

وبالتالي فإن الأوامر التي كانت موجهة من قبل الإمبراطور الروسي إلى المفاوضين الروس لإنهاء ذلك المأزق والخروج منه واضحة بقبول كل ما يطلبه العثمانيين وعدم إبداء أي تعنت حول ما يراه العثمانيون مناسب.

وبالفعل فقد سارت المفاوضات العثمانية الروسية التي انتهت بتوقيع معاهدة بروث١١٢٣هـ/١٧١١م في يسر وسهولة، ولم تأخذ وقتاً طويلاً وقد تصرف فيها الوفد الروسي بكل لباقة واحترام، ولم يظهر أي تعنت ولم يرفضوا معظم الشروط التي صدرت من قبل العثمانيين[1] تنفيذاً لوصية إمبراطورهم بطرس والذي أراد الخروج من ذلك المأزق بأي طريقة كانت.

وكنتيجة طبيعة لما أبداه الوفد الروسي من لين الجانب فقد تم توصل الطرفين العثماني والروسي إلى معاهدة بروث١١٢٣هـ/١٧١١م التي أنهت تلك الحرب بينهما -حرب بروث ١١٢٣هـ/١٧١١م- حيث أنقذت المعاهدة الإمبراطور الروسي وجيشه من الحصار العثماني.

ولم يكن التخلص من الحصار العثماني أكثر الأمور الحاتمية من قبل العثمانيين تجاه الروس، بل لقد تم إرسال المؤن الغذائية من قبل المعسكر العثماني إلى الروس بأمر من الصدر الأعظم، كما وكل الصدر الأعظم إحدى الفرق من الجيش العثماني بحماية الجيش الروسي وضمان سلامته لحين خروجه من الحدود العثمانية خوفاً عليه من هجمات قد تكون محتملة من القازاق والتاتار[2].

---

(1) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2402.

(2) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2404.

وأمام احترام العثمانيين لأنفسهم ولما أقرته معاهدة بروث١١٢٣هـ/١٧١١م فإن تلك المعاهدة السابقة الذكر لم تكن في نظر الإمبراطور بطرس أكثر من حبر على ورق[١]أراد من خلالها التخلص فقط مما آلت إليه حرب بروث١١٢٣هـ/١٧١١م.

وقد أحزن بلطجي باشا كثيراً عدم تنفيذ معاهدة بروث من قبل الروس، إذ كان من المأمول أن يقوم الإمبراطور الروسي بطرس بتنفيذ ما تم الاتفاق عليه من قبل الطرفين العثماني والروسي؛ فقد أدى تعطيل تلك المعاهدة إلى زيادة الشائعات حول الصدر الأعظم بلطجي باشا في أخذه رشوة ضخمة مقابل الإفراج عن الإمبراطور الروسي وجيشه، كما أن عدم تنفيذ الروس لمعاهدة بروث زاد من قوة الحزب المعارض لصدارة بلطجي باشا حيث أتاح الروس بتعطيلهم لمعاهدة بروث لذلك الفريق المعارض غرس الشائعات في نحر أمانة الصدر الأعظم بلطجي باشا،وحول عدم فاعليته في إدارة حرب بروث بعد أن كان النصر قاب قوسين أو أدنى من العثمانيين. وكل ذلك انتهى بعزل بلطجي باشا، ومن ثم إعدامه من قبل السلطان العثماني أحمد الثالث. وهو ما كان بالضبط يسعى إليه مثيرو الفتنة؛ وإن كان جميع ما سبق لإرهاصات مبكرة على النية السيئة والمبيتة من قبل بطرس تجاه تعطيل معاهدة بروث وعدم الوفاء بما تم الاتفاق عليه.

تبع هذا الأمر عدم تسليم الروس لقلعة آزاق إلى العثمانيين كما كان متفقاً عليه في معاهدة بروث بين الجانبين العثماني والروسي، وذلك أن الأوامر العثمانية قد صدرت إلى قبطان باشا رئيس البحرية العثمانية بتسلم قلعة ازاق من الروس، لكن الجنرال وسيل باولو، والمكلف من قبل روسيا كرئيس للقلعة، رفض تسليم القلعة إلى قبطان باشا[٢].متذرعاً بما وصله من أوامر من قبل القيصر بطرس والذي يأمره بعدم إخلاء القلعة وتسليمها للعثمانيين[٣] كما لم يحطم الروس القلاع التي كان من المفترض تحطيمها بما ذهبت إليه معاهدة

(١) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، المرجع السابق، ج١،ص ٥٩٦.

(2) Ord . Prof. ismail Hakki UzunÇarşili : Osmanli TarĪhi, Iv.Cilt, P 91.

(٣) بوغانوف : حياة بطرس الأكبر ، المرجع السابق، ص ٣٠٣.

بروث بالإضافة إلى مواصلة روسيا التدخل في شؤون بولندا والقازاق بما يتنافى مع ما أقرتــه معاهدة بروث.

ونتيجة لتصرفات بطــرس الــتي أخــذ في انتــهاجها بمــا يتنــافى مــع معاهــدة بروث١١٢٣هــ/١٧١١م، وعدم تنفيذه لما أقرته، إلى القيام بدراسة ما آلت إليــه الأمــور ومراجعة الوضع ،كما تم دراسة التقارير والمرسلة من قبل المسئولين العثمانيين وفهم وجهــة نظرهم حول ما انتهجه الروس تجاه عدم تنفيذ بنود معاهدة بروث.

وبناءً عليه فقد تم عمل اجتماع عاجل برئاسة السلطان أحمد الثالث ودراســة كافــة الأمور حول معاهدة بروث، وقد قرر المجلس أن الطريقة المثلى للتعامل مع بطرس هي الإعداد للحرب وقد اتخذ المجلس قرار الحرب ذاك بموافقة السلطان عليه، كما تم إرســال الأوامــر اللازمة لجميع الولاة والإيالات والمسئولين لعمل اللازم واتخاذ التدابير والإعداد للحرب المقرر القيام بها ضد الروس(١).

وفي هذه المرة قرر السلطان أحمد الثالث الوقوف على حيثيات الاستعدادات الحربيــة بنفسه(٢)؛ تحاشياً من السلطان في الوقوع فيما كان من قبل الصدر الأعظم بلطجي باشــا في حرب بروث من إقرار معاهدة بروث مع الروس، وعدم مواصلة حربه ضد روسيا. حيث إن تلك المعاهدة لم تكن تروق السلطان أحمد الثالث والذي كان يرى أن مصلحة الدولة العثمانية في مواصلة حرب بروث ضد الروس.

ومما ساعد العثمانيين على اتخاذ قرار الحرب ذاك هي الحالة النفســية لــديهم الــتي ساعدتهم على اتخاذ قرار الحرب ضد روسيا في يسر وسهولة(٣)إذ إن العثمانيين كــانوا مــا يزالون يعيشون حالة من نشوة النصر ضد روسيا التي كانت لا تــزال حاضــرة في نفــوس العثمانيين من جراء حرب بروث.

---

(1) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2407.

(2) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2407.

(3) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2404.

بالإضافة إلى أن العثمانيين أدركوا أن الإمبراطور بطرس إنما كان يتلاعب بهم في إقراره لمعاهدة بروث دون تنفيذها، وكل ذلك في محاولة منه للخروج من الحصار العثماني، والذي ألم به هو وجنوده أثناء معركة بروث، ومن جهة أخرى فقد رأى العثمانيين في عدم تنفيذ روسيا لقرارات معاهدة بروث استخفافاً موجهاً من قبل روسيا وإمبراطورها إلى الدولة العثمانية، وعدم الاكتراث لما سوف تتخذه الدولة العثمانية ضد روسيا.كل تلك الأسباب جعلت الدولة العثمانية تجمع أمرها في اتخاذها لقرار الحرب ضد روسيا.

وعلى النقيض من ذلك فقد كان الإمبراطور الروسي يتحاشى في الوقت الراهن الدخول في حرب جديدة مع العثمانيين، مع حرصه الشديد، من جهة أخرى، على تغيير شروط معاهدة بروث بالطرق السلمية دون اللجوء إلى الخيار الحربي.

وقد كان كلا من سفير روسيا شفيروف والجنرال شارمتيف - اللذين كانا محتجزين كرهائن لدى الدولة العثمانية على أثر معاهدة بروث في خطوة من الدولة العثمانية لضمان تنفيذ تلك المعاهدة من قبل روسيا -يعلمان يقيناً أن روسيا ليست مستعدة في الوقت الراهن على الدخول في حرب جديدة مع الدولة العثمانية، وأن قرار الحرب من قبل العثمانيين حاسم وليس بالأمر الهزلي، مما دفعهما للتدخل في محاولة منهما لحل تلك الأزمة بين العثمانيين والروس. حيث طلبا وساطة هولندا وإنجلترا في التدخل لحل الأمور العالقة بين البلدين، كما تم نقلهما إلى أدرنة بناء على طلبهما للقاء السلطان ومحادثته وفهم وجهة نظره(١). وبالفعل فقد تم عمل محادثات بين كل من الجانب العثماني والجانب الروسي ممثلاً عنه سفير روسيا شفيروف والجنرال شارمتيف في محاولة لإصلاح ما يمكن إصلاحه، وعدم لجوء الدولتين إلى خيار الحرب(٢).

كما أنه، وفي سعي حثيث من قبل سفير روسيا شفيروف لمنع حرب جديدة بين العثمانيين والروس، فقد أعلن أن الإمبراطور الروسي ملتزم بما أقرته معاهدة بروث وأنه على

---

(1) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2408.

(2) Yasar Yücel, Ali Svim: Türkiye Tarihi, III, P 261.

أتم الاستعداد لتنفيذها والإيفاء بها، وأن المسألة مسألة وقت فحسب.وقد طلب من الدولة العثمانية التريث وعدم المبادرة بالحرب أو بأي أمر آخر من شأنه التسبب في خلاف أكبر مما هو عليه الآن لحين التأكد تماماً من الإمبراطور بطرس[١].

وفي نفس الإطار فقد بعث شفيروف برسالة إلى الإمبراطور بطرس ناصحاً إياه بالتعجيل في إتمام ما تم الاتفاق عليه بين العثمانيين والروس فيما عرف بمعاهدة بروث، وعدم المماطلة في إتمامها،ومحذراً إياه في الوقت نفسه من مغبة الدخول في حرب جديدة ضد العثمانيين، ومنبهاً في الوقت نفسه بأن الاستعدادات في الدولة العثمانية لخوض الحرب ضد روسيا تقوم على قدم وساق بإشراف السلطان نفسه[٢].

وبناء على ما سبق فقد فضل بطرس إبداء النوايا الحسنة تجاه الدولة العثمانية؛ وذلك بالدخول في مفاوضات مع الدولة العثمانية حيث توصل فيها الطرفان العثماني والروسي إلى معاهدة إستانبول(١٧إبريل ١٧١٢هـ) إذ قام بتوقيعها والمصادقة عليها الصدر الأعظم يوسف باشا[٣] التي أقرت في طياتها السلام بين الدولتين العثمانية والروسية عشرين عاماً،ولم تكن في مجملها بعيدة كل البعد عما كان في معاهدة بروث. فقد تعهد بطرس بسحب قواته من بولندا خلال ثلاثة أشهر،مع عدم تدخله في منع ملك السويد من الذهاب إلى موطنه بالإضافة إلى تسليم قلعة الازاق إلى العثمانيين ،وتحطيم القلاع التي تم الاتفاق عليها من قبل في معاهدة بروث[٤].

وعلى الرغم من إقرار معاهدة إستانبول بين البلدين إلا أن روسيا أيضا لم تحرك ساكناً في تنفيذ ما اتفق عليه في معاهدة إستانبول[٥]والذي يبدو أن روسيا إنما أرادت من تلك

---

(1) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2408.

(2) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2408.

(٣) يوسف باشا(١١٢٣-١١٢٤هـ/١٧١١-١٧١٢م):هو الصدر الأعظم في عهد السلطان أحمد الثالث.أصله من "جورجيا"،وقد نشأ في فرقة الإنكشارية،وأصبح رئيس الإنكشارية عام ١١٢٢هـ/١٧١٠م.عزل عن منصب الصدارة بعد عام من توليه.حسين مجيب المصري:معجم الدولة العثمانية،المرجع السابق،ص١٦٦.

(4) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2408.

(5) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2408.

المعاهدة امتصاص غضب الدولة العثمانية ومحاولة إحباط دافعيتها لخوض الحرب ضدها مع كسب أكبر قدر من الوقت لصالحها وإن تطلب الأمر وأصبحت الحرب هي الخيار الإستراتيجي الوحيد.

على أن نقطة الخلاف التي أثارتها روسيا وظلت حجر الزاوية في المد والجزر في جميع مفاوضاتها ومعاهداتها مع الدولة العثمانية كانت تخص وبشكل أكبر الملك شارل الثاني عشر ملك السويد حول كيفية عودته إلى موطنه عبر بولندا.

ففي الوقت الذي تسعى فيه الدولة العثمانية جاهدة على إرجاع الملك شارل الثاني عشر إلى بلده سالماً فإن شارل نفسه كان متوجساً الخيفة من الوقوع في يد الجنود الروس وغير مطمئن لنوايا بطرس.

وقد أدرك هذا الأمر، ومنذ فترة مبكرة من صدارته، الصدر الأعظم يوسف باشا والذي تولى خلفاً عن الصدر السابق بلطجي باشا حيث أوضح، ومنذ توليه منصب الصدارة العثمانية، في اجتماع له بالديوان العثماني، وفي حضرة السلطان أحمد الثالث ورجال الدولة العثمانية، أنه ومن الضروري عودة الملك شارل الثاني عشر إلى موطنه(١).

وبالفعل فقد وقع ما كان يخشى منه فروسيا تصرح تارة بأن ليس لديها مانع في عودة الملك شارل إلى موطنة، وتارة أخرى يكون هناك قوات في بولندا وهي الطريق التي سوف يعبر منها الملك شارل إلى موطنه. ومن جهة أخرى فإن الملك شارل لم يكن واثقاً كل الثقة من نوايا بطرس، وكان يتوجس منه سوء النية.

فبطرس لم يكن واضحاً كل الوضوح حول ما يخص عودة الملك شارل إلى بلاده، فهو يصرح بعدم السماح بتطبيق معاهدة بروث لاحتوائها على المادة الخاصة بعودة الملك شارل الثاني عشر إلى بلاده وهو ما لن يسمح بحدوثه(٢).وقد يكون بطرس قد رأى في تلك المادة القاضية بعودة الملك شارل الثاني عشر إلى موطنه ذريعة لاتخاذها حجة في نقض معاهدة بروث.

---

(1) Ziya Nur Aksun : Osmanli Tarihi, P319 .

(٢) أحمد حامد،مصطفى محسن : توركيه تاريخي إستانبولك فتحندن زمانمزه قادار،ص ٢٦٧.

ومن جانب آخر فإن كلاً من سفير روسيا شفيروف والجنرال شارمتيف يؤكدان بأنه ليس هناك ما يقلق من ذهاب الملك شارل إلى موطنه عبر بولندا، وأن بولندا خالية تماماً من الجنود الروس. مؤكداً ما ذهبا إليه سفير بولندا لدى الدولة العثمانية في خلو بولندا من الجنود الروس وعدم تواجدهم فيها(١).

ومن جهة أخرى فإن شارل قد نفى ما ذهب إليه الجميع وعدم صحة ذلك؛ وإنما هو مؤكد هو تواجد القوات الروسية في الأراضي البولندية. مؤكداً كلامه بأن الإمبراطور الروسي قام مؤخراً بالاستيلاء على إحدى القلاع السويدية الحدودية بين بولندا والسويد، وليس معنى ذلك من الإمبراطور بطرس إلا سد طريق العودة في وجه الملك شارل(٢)وهذا بدوره ينبئ عن نوايا غير حسنة من قبل بطرس تجاه الملك شارل، وبالتالي فإن هذا الموقف يسترعي اهتماماً اكبر من لدن الدولة العثمانية في تحري الحقائق والضغط على بطرس لإعطاء ضمانات أكثر حول سلامة عودة الملك شارل الثاني عشر إلى موطنه.

وما أن وصلت هذه الأنباء من قبل الملك شارل إلى السلطان أحمد الثالث إلا وقد استدعى الصدر الأعظم يوسف باشا للوقوف على حقيقة الأمر. وقد ذهب الصدر الأعظم في ذلك إلى ما ذهب إليه كلا من سفير روسيا وبولندا والجنرال شارمتيف في خلو بولندا من الجنود الروس، وأن هذا الأمر من قبل الملك شارل ما هو إلا محض افتراء، وادعاء، وتزوير للحقائق، ومخالفة للواقع. ومع ذلك فإن السلطان لم يكن واثقاً كل الثقة من كلام الصدر الأعظم يوسف باشا، وبالتالي فقد أمر بالتحقيق حول الأمر ومعرفة جلي الأمور ودقيقها حول هذا الموضوع(٣).

على أنه ومن المهم أن نفهم موقف الصدر الأعظم يوسف باشا من الحرب ضد روسيا، فهو وإن كان لم يعارض قيام الدولة العثمانية بحرب روسيا، إلا أنه وفي قرارت نفسه كان لا يريدها، وأخذ أمر إعلان الحرب ضد روسيا على محمل الضيق والثقل(٤).

---

(1) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2408.

(2) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2408.

(3) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2408.

(4) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2408.

ومن هنا يتبين لنا وجهة نظر السلطان أحمد الثالث عندما لم يثق في كلام يوسف باشا حول تكذيبه لما ذهب إليه الملك شارل الثاني عشر عن سوء نية بطرس تجاهه، وبالتالي أمر السلطان في التحقيق حول صحة وجود قوات روسية في بولندا من عدمها.

وعلى أي حال فإن موقف الصدر من الحرب العثمانية الروسية أو من عودة الملك شارل إلى موطنه لم يعد ذا أهمية تذكر؛ إذ عاجله قرار العزل من قبل السلطان أحمد الثالث وتعيين بديل عنه سليمان باشا صدراً أعظم للدولة العثمانية تمنياً من السلطان بإحلال كافة الأمور العالقة مع الروس على يد الصدر الأعظم الجديد، و يبدو أن سليمان باشا الخلف لم يكن أوفر حظاً من يوسف باشا السلف، فقد وقع سليمان باشا فيما وقع فيه الصدور العظام من قبله حول خلافات جمة مع الروس كان محورها عودة الملك شارل الثاني عشر ملك السويد إلى موطنه سالماً، وقد أصبح سليمان باشا على قناعة أن دائرة الحل العثماني الروسي تكمن في عزل شأن الملك شارل الثاني عشر عن المحادثات العثمانية الروسية وذلك بعودته إلى بلاده بأي طريقة كانت[1].

وكان من المؤيدين لما وصل إليه الصدر الأعظم سليمان باشا كلاً من إسماعيل باشا محافظ بندر، وابن خان القرم محمد كراى اللذين وظفا أنفسهما لإتمام رحلة الملك شارل إلى موطنه سالماً موفرين كل السبل الكفيلة بذلك من المؤن، والجنود، والخيل، وفرق الاستطلاع، وما إلى ذلك. إلا أن الأمر لم يكن ليروق الملك شارل والذي تحجج بوجود القوات الروسية في بولندا التي لن تسمح له بالوصول إلى موطنه سالماً[2].

وفي هذه الحالة فقد كتب إسماعيل باشا بما كان إلى الصدر الأعظم مخبراً إياه برفض الملك شارل الذهاب إلى موطنه مع عدم وجود موانع تمنعه من ذلك. حيث نقل الصدر الأعظم ما كان من إسماعيل باشا والملك شارل إلى السلطان أحمد الثالث. إذ تم دراسة ذلك الوضع في مجلس سلطاني وقد أجمع الحاضرون على ما يلي:

---

(1) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2408.

(2) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2409.

١ - إن إقامة الملك شارل الثاني عشر ملك السويد في الدولة العثمانية لم يعد عليها إلا بالمشقة ومكابدة المتاعب.

٢ - الطلبات المتكررة والدائمة للملك شارل الثاني عشر من الدولة العثمانية ،وجميعها مطالب تحقق مصلحته ومصلحة بلاده دون النظر إلى منافع الدولة العثمانية.

٣ - إن الملك شارل قد تجاوز فترة الضيافة التي قضاها في الدولة العثمانية، خصوصاً وأنه ذمي.

٤ - عدم انصياع شارل إلى القرارات السلطانية وتعاليه عليها؛ والسبب في ذلك أنه كان يرى نفسه ملكاً أكثر من كونه لاجئاً.

وبناءً على ما توصل إليه الحاضرون فيما سبق فقد قرروا بقيادة السلطان إلزام الملك شارل بالرحيل إلى بلده، وأن هذا الأمر أصبح إلزامياً في حق الملك شارل، وعليه تنفيذه وأيد قرار الحاضرين ذاك صدور فتوى شيخ الإسلام بصحة ما صدر عن المجلس(١).

وقد تم إخبار إسماعيل باشا محافظ بندر بما توصل إليه الحاضرون لاتخاذ اللازم الذي قام بدوره بإيصال رسالة المجلس العثماني تلك إلى الملك شارل الثاني. إلا أن الملك شارل احتج بالجنود الروس، وبعدم وضوح نوايا الإمبراطور بطرس، وطلب من إسماعيل باشا مهلة جديدة، إلا أن إسماعيل باشا افهم الملك شارل بأنه ليس من حقه إعطاؤه مهلة جديدة، وأن حق إقامة الملك شارل ليس من صلاحياته.سوبعد جدال بين الاثنين اضطر إسماعيل باشا إلى اعتقال الملك شارل لعدم انصياعه للأوامر السلطانية وحبسه(٢).

لم يوافق إسماعيل باشا في حبس الملك شارل، فعمله هذا أثار حفيظة الشعب التركي بالإضافة إلى غضب الإنكشارية الذين كانوا ينظرون إلى الملك شارل على أنه ضيف على الدولة العثمانية، وأن حبسه ذاك ما هو إلا إرضاء للروس(٣)، كما أنهم نظروا إلى شارل على أنه صديق للعثمانيين عدو للروس وبالتالي وجب إكرامه.

---

(1) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2409.

(2) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2409.

(3) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2409.

وأمام ذلك الوضع فقد أراد السلطان أحمد الثالث تجنب فتنة داخلية قد تجتاح البلاد من جراء حبس الملك شارل، فقام بعدد من الإجراءات للخروج من تلك الأزمة بأقل الخسائر، ومنها إقالة الصدر الأعظم سليمان باشا وتعيين خوجه إبراهيم باشا بدلاً منه، كما قام السلطان بعزل شيخ الإسلام وكذلك إسماعيل باشا محافظ بندر[١].

وما أن تولى إبراهيم باشا منصب الصدر الأعظم إلا وأخذ يحث السلطان أحمد الثالث على إعلانه الحرب ضد روسيا [٢] وكان إبراهيم باشا يطمح في إرغام روسيا بالقوة على الانصياع لمطالب العثمانيين، ورأى أن الداء الروسي لا دواء له إلا الحرب .إلا أن حماسة إبراهيم باشا تلك لم تكن أكثر من طفرة لم تدم إلا واحداً وعشرين يوماً وهي مدة صدارته.

إذ تولى الداماد[٣]علي باشا منصب الصدارة بعد إبراهيم باشا، والذي كان مقتنعاً بمبدأ السلام مع روسيا؛ وكان لديه نفوذ كبير على السلطان، مما خوله إقناع السلطان أحمد الثالث بالمنفعة الكبيرة للدولة العثمانية من جراء السلام مع الروس بدلاً من الحرب[٤].

وفي هذه الأثناء فقد وصلت رسالة من الجنرال شفيروف إلى الإمبراطور بطرس يخبره فيها بوصل حبل المفاوضات مع العثمانيين ويحذره فيها من خوض معركة جديدة مع العثمانيين لا يمكن التنبؤ بنتائجها[٥].

وهنا تحرك بطرس فقد أرسل رسالة إلى الدولة العثمانية يبين فيها اعتذاره الشديد لعدم تنفيذ شروط معاهدة بروث وأنه مستعد للسلام مع الدولة العثمانية ويبين فيها نواياه الحسنة تجاهها[٦].

---

(1) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2409.

(2) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2409.

(٣) Damad : هو الصهر والنسيب الذي تزوج بنت السلطان. سهيل صابان:المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،المرجع السابق،ص ١٠٩.

(4) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2410.

(5) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2410.

(6) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2410.

كل ذلك أسهم في دفع عجلة المفاوضات العثمانية الروسية وبوساطة هولندا وإنجلترا حيث سعتا لمنع قيام تلك الحرب العثمانية الروسية لإضرارها بتجارتهما. وقد تمخضت كل تلك الجهود عن ظهور ما عرف في التاريخ بمعاهدة أدرنة ١١٢٥هـ/١٧١٣م.والتي كانت شروطها على النحو التالي[١]:

- **المادة الأولى**: إخراج إمبراطور موسكو جيشه من بولندا ،وعدم إبقاء وترك أحد من جنود موسكو بداخلها.وعلى الروس التحرك فوراً لإخراج الجيش من بولندا، وعدم إرسال أي جندي إلى هذه الأراضي،وعدم التدخل في شئون بولندا بأي صورة من الصور،وعلى إمبراطور موسكو الدفع بسائر جيوشه من الأراضي البولندية فوراً ودفعة واحدة. أما ملك السويد الذي سيمر ببولندا فإنه له حق دخولها وعبورها. وإذا قام الروس بأي اضطراب ضد بولندا فإن الدولة العلية سوف تتحرك إلى جانب ملك السويد، ومهاجمة جيش موسكو داخل هذه الأراضي،ولذلك فإن الدولة العلية سوف تعتبر هذا الإجراء الروسي بمثابة نقض المعاهدة،وإذا وقعت حرب بين ملك السويد والإمبراطور الروسي لأي سبب من الأسباب وخرج جيش ملك السويد من بولندا فإن إمبراطور موسكو لا يمكنه التصدي لملك السويد وجيشه داخل الأراضي البولندية، وبهذه الصورة فإنه ينبغي عدم ترك أي جندي روسي في بولندا وسوف تساعد الدولة العلية ملك السويد في عبور بولندا إلى بلاده ولن يتم السماح للروس بدخولها.
- **المادة الثانية**: إذا أراد ملك السويد زيارة الدولة العلية أو الإرسال إليها بإمكانه المجيء عن طريق موسكو، وعند وصوله فإن الدولة العلية ترسل جيشها إليه للقيام باستكمال هذه الزيارة ولن يتم الإضرار به، وسوف تعمل الدولة العلية على حمايته، وتحدد عدد من رجال الجيش لذلك. وعلى جيش موسكو عدم الخروج للإضرار به في المملكتين (بغدان والأفلاق) وتعيين إمبراطور موسكو فرقة من الجيش للحماية حتى يصل ويعود سالماً، ولا تقوم روسيا بأي أضرار من أي نوع سراً أو علانية، وكذلك فإنه عند وصول ملك السويد فإن الدولة العلية لن تقوم بأي أضرار لسائر البلاد والمناطق التابعة لموسكو على هذه الحدود.
- **المادة الثالثة**: سوف تكون قلعة ومملكة القازاق على الجانب الأخر لنهر أوزى تحت سيادة إمبراطور موسكو كما كان الأمر في الماضي، وسيتم الإبقاء على المواقع والحدود القديمة للقلاع الأخرى على الجانب الأخر لنهر أوزى، وستظل تحت حكم الإمبراطور الروسي أيضاً. وما عدا ذلك من قلاع تحكمها موسكو مثل جزيرة سيدجه وأطراف القرم ستكون تحت سيادة الدولة العلية العثمانية. ولن يتم التحرك بما يتنافى مع شروط عقد الصلح أو الأضرار بأي شخص، ولا يمكن لموسكو التعلل بطائفة القازاق في نقض الصلح وعليها بذل الجهود للسيطرة على هجماتها ولا يمكن للقازاق مهاجمة أراضى الدولة العلية ومخالفة بنود الصلح.
- **المادة الرابعة**: لن يتم بناء أي قلعة يمكنها إثارة الإضرابات بين القلاع الحدودية بين موسكو وقلعة الأزاق وبين جركس وكرمان[٢]على حدود الدولة العلية. ومن المقرر أن تقوم موسكو بتسليم قلعة الأزاق إلى

---

(١) أرشيف رئاسة الوزراء بتصنيف : A.DAVS. NMHD.01

(٢) Kirman : إقليم قديم في إيران يقع جنوب غربي صحراء لوط بين مكران وفارس.مسعود الخوند:الموسوعة التاريخية الجغرافية،ج٤،المصدر السابق،ص٢٠٧.عبد الحكيم العفيفي:موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية،بيروت،أوراق شرقية،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م،ص٣٩٥.

الدولة العلية، ولقد تم اشتراط قيام يوسف باشا ببناء مثل هذه القلاع والحصون في المنطقة بين كرمان وجركس لوضع مهمات أثناء هدم وتسليم الأزاق. ولم يتم تنفيذ هذا الشرط في حين ينبغي القيام بتطبيقه على الفور حيث أن قلعة الأزاق لا تزال في يد موسكو وقام الإمبراطور ببناء قلعة عند الشاطئ الآخر لنهر تن وسوف يتم تسليم قلعة الأزاق للدولة العلية ولن يكون هناك فاصل سوى نهر تن بين قلعة الأزاق والقلعة التي تم هدمها. ومن حق الدولة العلية بناء قلعة مكانها.

- **المادة الخامسة**: سوف يشمل الصلح قلعة الأزاق وأماكن كثيرة تابعة لها، وعلى موسكو أن تقوم بتسليم عدد ٦٠ مدفع لديها بالقلعة المشار إليها إلى الدولة العلية، وعدم الاستيلاء على هذه المدافع، وإعادة المدافع فوراً إلى الدولة العلية، وينبغي إخطار إمبراطور موسكو بتسليمها إلى الدولة العثمانية فوراً وبلا تردد على أن تكون هي المدافع العثمانية الأصلية كما كانت في الأصل، وإذا تضررت فليكن قيمتها،وفى المقابل فإن الدولة العلية سوف تقوم بتسليم مدافع تميور إلى الجانب الروسي.
- **المادة السادسة**: سوف يتم هدم أي قلعة جديدة عند صمار وكمانجة وحدود بغدان وفيما بعد فإن مسألة بناء القلاع ستكون بشروط ولقد اتفق الجانبين على ذلك فيما بينهم وأكدوا على عدم بناء أي قلعة إلا بإخبار الجانب الآخر.
- **المادة السابعة**: سوف يتم ترسيم الحدود مع الروس من خلال الأنهار المواجهة لنهر أوزى وصمار حيث أن جانب صمار سيكون تحت السيادة العثمانية ولن تقوم الدولة العلية ببناء أي حصن أو قلعة من طرفها، وكذلك فإن الحكومة الروسية لن تقوم بتشييد أي قلعة على الجانب الذي يدخل حدودها من النهر. وبموجب الصلح بين موسكو والدولة العلية فإن قلعة الأزاق وما حولها عند النهر المشار إليه ستكون تحت سيادة الدولة العلية وعلى موسكو أن تعيد هذه الأراضي كما كانت من قبل إلى الدولة العلية. أي أن هذه المناطق قبل استيلاء موسكو عليها وعلى قلعة الأزاق من بداية نهر أرل وصمار ووصولاً إلى نهر تن سوف تكون بحوزة الدولة العلية، وسوف تعود إلى حالتها القديمة، وإذا وجدت أي قلعة أو حصن بهذه المنطقة فإنها ستكون تحت السيادة العثمانية، وكذلك فإن الأمر على هذا النحو من جوانب مويش.
- **المادة الثامنة**: لا يمكن لموسكو تجاوز الحدود الإسلامية للدولة العلية المتمثلة في القرم والأزاق وغيرها، وكذلك لا يمكن للقازاق التابعين للروس القيام بذلك ولا يمكنهم الاعتداء على رعايا هذه البلاد الإسلامية بأي صورة من الصور، ولن يسمح لهم بالقيام بأي أضرار من أي نوع، أو التسبب في إحداث إضرابات بهذه المناطق، وسوف يتم منع هذه التجاوزات بصورة محكمه ومنيعة، وإلا فإن ذلك سوف يتم اعتباره نقض للصلح. وفى المقابل فإن الدولة العلية سوف تقوم بالسيطرة والتنبيه مشدداً على خانات القرم والسلطان والقالغاى وذويهم بعدم مهاجمة الأراضي والحدود الروسية أو الرعايا الروس، وعدم وصول جيوشهم إلى هذه الممالك، وعدم الاعتداء عليهم بأي صورة من الصور وإقرار أمور العدل والاستقرار بهذه المنطقة من خلال السيطرة التامة العثمانية. وعند ورود أي جند للإضرار أو الاعتداء أو مخالفة بنود الصلح فإنه يتم محاسبته

على الفور وتحقيق العدالة وإرجاع الحق إلى صاحبه فوراً، وكذلك فإن الدولة العلية سوف تقوم بالفصل في أي نزاع ينشب لهذه الأسباب. إحقاقاً للحق وإبطالاً للباطل وسوف يتم مراعاة شروط الصلح على حدود الجانبين، وإذا ظهر أي تصرف يخالف هذا الصلح فإن الجانب العثماني والروسي سوف يتعاملون معه بصورة حاسمة دون إهمال، أو تقصير، أو تأخير بأي صورة من الصورة.

- **المادة التاسعة**: على طائفة القالموق عدم معاداة ومهاجمة النوجاى والجراكسة التابعين لخانية القرم التابعة للدولة العلية، وإذا حدث أي ضرر من ناحيتهم فإن موسكو سوف تتحمل هذا الضرر. وفى المقابل فإن الدولة العلية لن تسمع لتاتار القرم بمهاجمة أراضى وحدود موسكو بأي صورة من الصور، وعلى الطرفين أن يقوموا بصيانة هذا الأمر والتأكيد عليه.
- **المادة العاشرة**: لن يكون للدولة العلية مفاوض عنها فيما يتعلق بشئون القرم لدى موسكو وسوف يتم بحث المسائل المتعلقة بهذا الأمر من خلال رضاء الطرفين.
- **المادة الحادية عشر**: لقد تم تحديد مدة هذا الصلح من تاريخ انعقاده لخمسة وعشرين سنة تاليه وخلال هذه المدة فإن الطرفين سوف يقوما بمراعاة شروط الصلح وعدم مخالفة هذه البنود، وكذلك فإنه سوف يتم مد هذا الصلح في حالة الطلب. وسوف يؤكد الجانبان على هذا العقد من خلال تنفيذ بنوده كاملة، وسوف تقوم الدولة العلية بإرسال سفير لها ليؤكد ويراعى عقد الصلح، وفى المقابل فإن موسكو سوف يكون لها سفير يراعى عقد الصلح وتنفيذه بسرعة ومتابعة كافة إجراءاته وسوف يصل هؤلاء السفراء في ٣ جمادى الآخر ١١٢٥هـ وسوف يقيموا لمدة ٩٠ يوم من التاريخ المذكور وسوف تأتى رهائن روسية إلى الدولة العلية وتقوم لمدة ١٣ شهر بها تحقيقاً لتنفيذ بنود هذه المعاهدة الهمايونية، وسوف يدعم السفراء مواد هذا الصلح النافع المفيد، وسوف يراعى الطرفان مواد هذا الصلح وشروطه لما ينفع الدولتين عبر محادثات السفراء وسوف يتم تحويل هؤلاء السفراء لتجديد وختم بنود المعاهدة مرة أخرى عند نهايتها فيما بعد. والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وفخر المرسلين محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم صاحب المعجزات الكثيرة والبركات الوفيرة ذو الرفعة والسمو الذي قام بعمل العهود والمواثيق وصدق في عهوده ومواثيقه وجعل الناس تعتبر بعهوده ولم يخلف وعد ولا ميثاق، واليوم فإن السلطان العثماني فوض وكلاء الدولة لإبرام هذا الصلح وسائر القادة التاتار والقرم والجيوش والخانات وسائر العباد التابعين للدولة العلية مراعاة هذا الأمر، والأمر والفرمان لصاحب الأمر.

وحول مواد معاهدة أدرنة فقد تمحورت المادة الأولى إلى أحد أسس الخلل الذي أدى إلى تدهور العلاقات العثمانية الروسية مفضياً بها إلى الحرب إذا استمر الوضع قائماً على حاله، حيث عدت الدولة العثمانية أن بقاء الجيشي الروسي في بولندا أو سيطرته على تلك الناحية أحد الخلافات الكبرى بين البلدين والمؤدية إلى الحرب بين الدولتين العثمانية والروسية، وبالتالي فإنه، ومن باب حفظ السلام بين الجانبين، فعلى قيصر روسيا إخراج تلك القوات الروسية من هناك بما يتبع ذلك إخراج الروس من عدم تكرار إرسال الجنود الروس إلى بولندا

مرة أخرى أو التدخل في شؤونها قطعاً . أما فيما يخص ملك السويد فأكـدت المـادة علـى السماح لملك السويد بالمرور من الأراضي البولندية متجهاً إلى مملكته مع عدم التعرض له من قبل الروس، وإلا فأن الدولة العثمانية مجبرة بالتحرك إلى جانب ملك السويد والـدفاع عنـه باعتبار أن هذا الإجراء من قبل الروس في نظر العثمانيين نقض للمعاهدة المبرمة بينهما، ومـن الملاحظ أن العثمانيين في هذه المادة قد شددوا على قضية بولندا وقطع السبيل أمـام روسـيا لاتخاذ الذرائع ومنها ملك السويد للسيطرة على بولندا.

أما المادة الثانية فإنها تمثل مادة ضغط على روسيا والاستيفاء من كبريائها ليس فقـط بعدم التعرض لملك السويد، وإنما بالدفاع عنه وحمايته وعدم إثارة القلاقل في طريقه لزيـارة الدولة العثمانية باعتبار ملك السويد في زيارته للدولة العثمانية ضيفاً عليها، وبالتالي وجـب على موسكو، احتراماً للدولة العثمانية وتحاشياً لغضبها، حماية ملك السويد في طريق ذهابه إلى الدولة العثمانية .

وقد تقرر في المادة الثالثة ترسيم الحدود بين العثمانيين والروس كما كانت في الماضي، وعدم الاعتداء بما كان من التوسع الروسي، مع أخذ الدولة العثمانية لبعض القلاع التي يسطر عليها الروس .

وهذا انتصار في الجانب العثماني وتفوق لميزان القوى لصالح العثمانيين، كما أكـدت المادة على الالتزام ببنود المعاهدة وعدم الإخلال بها، وأن على موسكو المحافظة على بنودهـا وعدم التعلل بنقضها لأي سبب كان، وكأن الدولة العثمانية تـوجس الريبـة مـن أمانـة وأخلاقيات موسكو في الالتزام بالمعاهد، بالإضافة إلى أن موسكو مسؤولة عن استتباب الأمن وذلك بالسيطرة على هجمات القازاق التابعين لها ضد رعاية وممتلكات الدولة العثمانية .

وتذهب المادة الرابعة إلى كف يد الروس عن بناء القلاع الحدودية مع الدولة العثمانية التي تبعث على إثارة الريبة والشك في نوايا موسكو تجاه الدولة العثمانيـة، وهـذا انتقـاص لكبرياء روسيا وتفوق لميزان القوى العثمانية. كما أن هذا الأمر لا يُذكر في الجانب العثمـاني وإنما تفرد به الجانب الروسي فقط، بل إنه تقرر للجانب العثماني بناء قلاع في المنـاطق بـين

كرمان وجركس التي منعت من البناء فيها روسيا، وهذا تأكد لعلو كعب العثمانيين. ومن الملاحظ أهمية قلعة الأزاق في نظر العثمانيين، حيث أفردوها دون غيرها في هذه المادة لتسلمها من الروس، كما أكدت المادة الرابعة على حق العثمانيين في بناء قلعة على شاط نهر قن دون الروس. وبالإجمال فإن المادة الرابعة تدل دلالة قطعية على تفوق ميزان القوى لصالح العثمانيين، وموافقة الجانب الروسي على ما تمليه السلطنة العثمانية .

وحول المادة الخامسة فهي تشمل التأكيد على الجانب الروسي برد قلعة الازاق إلى العثمانيين، وتكرار مثل هذا الأمر وذكر قلعة الأزاق في بداية المادة الخامسة تكراراً لما تم في المادة الرابعة ليدل على أهمية قلعة الأزاق بالنسبة للعثمانيين، ومن جهة أخرى عدم ثقتهم بالجانب الروسي، كما تضمنت المادة رد الروس للمدافع العثمانية التي كانت موجودة في قلعة الأزاق والتقيد برد المدافع العثمانية ذاتها قبل استيلاء الروس عليها، وإلا فإن على روسيا دفع قيمتها. وهنا نلتمس الذكاء في الدبلوماسية العثمانية إذ إن شرط رد تلك المدافع العثمانية ليس الرد فحسب، بل كما كانت في الأصل وهذا من المستحيل، ولعلم العثمانين بذلك فقد أوردوا تبعاً لذلك جملة " وإذا تضررت فليكن قيمتها" ولتصعيب الأمر على الروس فقد اشترط العثمانيون تحديد عدد المدافع على أن يكون ما يسلمه الروس للعثمانيين ستين مدفعاً وبالتالي فلم يعد أمام الروس إلا دفع قيمة تلك المدافع. وهذا يحسب لصالح الدبلوماسية العثمانية . ومما يدلل على تلك الدبلوماسية المتقدمة أيضاً هو ذكر رد العثمانيين للمدافع الروسية التي تم الاستيلاء عليها مع عدم الالتزام الجانب العثماني بأن تكون تلك المدافع صالحة، أوردها كاملة، أو التعويض عما أصابها من الضرر والتلف كما حصل في الجانب العثماني.

وقد تضمنت المادة السادسة في ظاهرها هدم القلاع من كلا الجانبين، ولكن الأمر ليس كذلك، فلو وقفنا على طيات نص المادة السادسة لوجدنا أنها تركز في طياتها على القلاع الجديدة فقط دون غيرها، وبما أن الدولة العثمانية ذات عمر تليد فقد كان لها الكثير من القلاع القديمة على تلك الحدود، بينما كانت روسيا وما تزال في طور التوسع ولذلك فقد

اضطرت روسيا إلى بناء القلاع الجديدة في تلك المناطق الحدودية، وهذا بالضبط ما ذهبت إليه المادة من هدم تلك القلاع الروسية الجديدة، وبالتالي فإن مثل هذا يحسب لصالح الدبلوماسية العثمانية، كما أكدت المادة السادسة أيضاً على عدم بناء قلاع جديدة في المناطق الحدودية إلا بإخبار الطرف الآخر، وقد تكون الدولة العثمانية غير محتاجة إلى بناء قلاع جديدة نظراً لقلاعها في تلك المناطق، وبالتالي فإن باطن هذا الشرط الأخير موجه إلى روسيا.

وبخصوص المادة السابعة فهي مادة حدودية حيث تقرر في طياها تأكيد الحدود بين الجانبين مع عودة تلك الحدود إلى ما كانت عليه قبل التوسع الروسي لصالح الجانب العثماني، بما في ذلك قلعة الأزاق وجميع ما يخصها من الأراضي والممتلكات، بل وزيادة على ذلك فإن ما تم بناؤه من قبل الروس من قلاع سوف يؤول إلى أملاك الدولة العثمانية مع تعهد الجانبين العثماني والروسي بعدم بناء قلاع أو حصون في تلك المناطق.

ومن الطبيعي أن يكون عدم بناء القلاع والحصون في صالح الجانب العثماني، فإن الدولة العثمانية بما تم في هذه المادة من استرداد حصونها وقلاعها وما تبع ذلك من أراضيها، بالإضافة إلى استحواذها على ما بناه الروس لم تُعد في حاجة إلى بناء قلاع جديدة ولو في الوقت الراهن، بنيما فقد الروس قلاعهم وحصونهم التي بنوها وأنفقوا عليها الكثير، بالإضافة إلى فقد الكثير من الأراضي . ومعنى ذلك عودة الانكماش الروسي إلى ما كان عليه وإخفاق الخطط التوسعية التي سعى بطرس إلى تحقيقها من قبل، لتذهب الجهود الروسية أدراج الرياح، وتكون هذه المادة في صالح الجانب العثماني.

أما المادة الثامنة والتاسعة فهما تؤكدان التزام الجانبين على عدم التعدي على حدود الطرف الآخر، مع ضبط ما كان من أمم في جانب أي طرفاً منهما من التعدي على حدود الطرف الآخر.وقد تعهد الجانبان على مواصلة الجهود الحثيثة في حفظ الأمن واستتبابه في منطقة الحدود واتخاذ الإجراءات الكفيلة بمداومة ذلك السلام.وهذا ما تم بالإجمال، ولكن عند الوقوف على نصوص تلك المادتين فسوف نلاحظ علو كعب الدولة العثمانية، حيث كلتا المادتين تبدأ بصيغة الأمر والحزم في الجانب الروسي بينما هي ليست كذلك في الجانب

العثماني. وهذا دليل على انتقاء الكلمات واختيار الصيغ المناسبة لمقام كلٍ من الدولتين. كما أسهبت المادتان في التأكيد على البدء بالأمم التي تسيطر عليها روسيا وتصويرها على أنها هي من ينقض العهود ويعتدي على رعايا وممتلكات الدولة العثمانية، وأن رعايا الدولة العثمانية إنما يدفعون عن أنفسهم ذلك الظلم. وهذا تحميل كامل للأخطاء في الجانب الروسي. كما أن روسيا سوف تكون مسئولة عن تحمل ما ينتج من هجوم الأمم التابعة لها على رعايا الدولة العثمانية أو الإضرار بممتلكات العثمانيين، بينما لم يذكر ذلك في الجانب العثماني وهذا دليل على عبقرية الدبلوماسية العثمانية وعلو كعبها.

وفي المادة العاشرة فإن الدولة العثمانية تؤكد على تبعية القرم لحضرتها السلطانية وعدم استقلاليتها بوضع مندوب لها قد يمثل القرم أمام حكومة روسيا.

وتأتي المادة الحادية عشرة منهيتةً تلك المعاهدة بما ضمنته من عمر المعاهدة البالغ (٢٥) سنة قابلة للزيادة إذا تقرر من الجانبين، مشيرةً إلى أن الطرفين سوف يسعيان بما يكفل لبنود تلك المعاهدة بالتنفيذ من قبلهما.ومن نفس المادة فقد اشترطت الدولة العلية رهائن روس كضمان للوفاء من قبل روسيا ببنود المعاهدة.

وبالإجمال وعند قراءة مواد المعاهدة فإن المادة الأولى والثانية قد ركزت على سلامة أراضي بولندا، والتأكيد على روسيا بعدم التدخل في شؤون بولندا أو المساس بممتلكاتها، وأن عليها إخراج كافة جنودها من الأراضي البولندية،كما ذهبت المادة إلى ضرورة الاهتمام والحرص على عودة ملك السويد إلى موطنه سالماً.

وابتداءً من المادة الثالثة وحتى المادة التاسعة فهي مواد حدودية،إذ تم من خلالها توضيح حدود الدولتين،وكيفية التنسيق فيما بينهما حول بناء القلاع،أو انتقال بعضها إلى الطرف الآخر،أو هدم البعض منها.

ومن الملاحظ من خلال مواد المعاهدة تأكيد الجانب العثماني على تسليم الروس لقلعة الازاق والذي تكرر أربع مرات من خلال المادة الثالثة،والرابعة،والخامسة والسابعة.وإن دل ذاك على شيء فإنما يدل على عدم ثقة العثمانيين بأمانة قيصر روسيا بطرس حول تنفيذ بنود

المعاهدة والالتزام بها،كما حصل من قبل في معاهدة بروث،حيث إن تعطيلها من قبل الـروس قد أفضى إلى معاهدة أدرنة الحالية.

ويظهر أيضاً، ومن خلال مواد المعاهدة، علو كعب الدولة العلية وذلك من خلال المادة الأولى،والثانية،والثالثة،والخامسة،والتاسعة والحادية عشرة. فالمادة الأولى من المعاهدة هي جملة من الأوامر التي على الروس القيام بها،وأن عدم تنفيذها يفضي بالتالي إلى نقض تلك المعاهدة من قبل الجانب العثماني ومهاجمة روسيا.ولا يكون ذلك إلا خطاب تهديد يتبناه الجانب القوي تجاه من هو أدنى منه قوة.وفي المادة الثالثة تلتزم روسيا بإعطاء الدولة العلية بعض القلاع وهو التزام من طرف واحد فقط،دون مقابل أو مقايضة في أقل القليل.ومعنى هذا فقدان روسيا لبعض الأماكن التي كانت تملكها لصالح الدولة العلية.

ومن حيث المادة الخامسة فهي تفرض غرامات مالية فقط على روسيا إذ لم تستطع القيام برد المدافع العثمانية،دونما أي ذكر لمثل تلك الغرامات المالية في الجانب العثماني إذا لم يقدر العثمانيين على رد المدافع الروسية إلى الروس.كما كفلت المادة الحادية عشرة للدولة العلية الاحتفاظ برهائن روس لضمان تنفيذ روسيا لمواد المعاهدة.

وإذا ما رجعنا إلى المادة العاشرة من المعاهدة،فإن العثمانيين يؤكدون، ومن خلال هذا البند، على أن القرم حظيرة إسلامية عثمانية، وليس جزءاً مستقلاً عن جسد الدولة العثمانية،حتى يوضع له مندوب خاص بشؤونه لدى الحكومة الروسية.

وبالمجمل فإن معاهدة أدرنة ما هي إلا الوجه الآخر لمعاهدة بروث مع تغير في صيغة العبارات،وعمق أكثر حول الموضوعات العالقة بين البلدين وكذا الحدود.

المبحث الثالث : معاهدة صلح عام ١١٣٦هـ/١٧٢٤م:

تعود أحداث معاهدة صلح عام ١١٣٦هـ/١٧٢٤م إلى دخول طرف ثالث ساحة الأحداث جنب إلى جنب كل من الدولة العثمانية وروسيا، وهي الدولة الصفوية في إيران التي كانت طرفاً ثالثاً في خضم الأحداث .

ولم تكن تلك المعاهدة فريدة في تاريخ الدولة الصفوية، أو في تاريخ المواجهات العسكرية بين العثمانيين والصفويين، ففي أوائل تكوين الدولة الصفوية ألحقت الدولة العثمانية وعلى عهد السلطان سليم الأول[١]بالدولة الصفوية هزيمة نكراء في الموقعة التي عرفت تاريخياً بجالديران ٩٢٠هـ/١٥١٤م زمن الشاه إسماعيل الصفوي (١٤٩٩-١٥٢٤م) [٢] والذي يعده المؤرخون المؤسس الحقيقي للدولة الصفوية، وعلى اثر تلك الهزيمة الصفوية فقد أصبحت كلٌ من تبريز[٣]وكردستان[٤]وديار بكر[٥] ومرعش[٦]

---

(١) سليم الأول بن بايزيد الثاني بن محمد الفاتح (١٤٦٧-١٥٢٠م)، سلطان الدولة العثمانية،وخليفة المسلمين،وأول من تلقب بأمير المؤمنين من خلفاء بني عثمان، يعرف لدى الغرب والبعض ب(Selim the Grim) أي سليم العابس ويلقب كذلك ب(ياوز) أي الشجاع عند الأتراك، حكم لثمانية سنوات بدءا من عام ١٥١٢م وحتى وفاته. محمد فريك بك:تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص١٨٦-١٨٧. الموسوعة العربية الميسرة،ج١،المصدر السابق،ص ١٠٠٠-١٠٠١.

(٢) إسماعيل بن حيدر بن جنيد الصفوي، مؤسس الأسرة الصفوية في إيران، من أحفاد الشيخ صفي الدين،الذي استقرَّ بأردبيل من أعمال أذربيجان، استطاع مع أتباعه وأنصاره خوض معارك عدة ضد حكام بعض المناطق في إيران والتغلب عليهم. وتوج جهوده بالاستيلاء على تبريز عاصمة دولة آق قويونلو ودخلها دخول الفاتحين وأعلنها عاصمة للدولة الصفوية وأعلن نفسه شاها على الدولة ولقبه أتباعه بأبي المظفر شاه إسماعيل الهادي الوالي وأصدروا باسمه العملة. وفي عهده أعلنت تبريز عاصمة للدولة الصفوية ،كما فُرض المذهب الشيعي مذهباً رسمياً للبلاد. الموسوعة العربية الميسرة: المصدر السابق،ج١،ص١٦٠.

(٣) Tabriz : إحدى مدن إيران، تقع في شمال غرب إيران، شمال جبل سهند، وهي عاصمة محافظة أذربيجان الشرقية. الموسوعة العربية الميسرة ، المصدر السابق،ج١،ص٤٨٩.

(٤) Kurdistan : إحدى مدن إيران،تقع شمال غرب إيران،يتركز فيها الأكراد.المصدر السابق،ج٢،ص١٤٥٠

(٥) Diyar Bakr : إحدى مدن تركيا،تقع جنوب شرق تركيا. المصدر السابق،ج١،ص٨٢٧.

(٦) Mrash : . إحدى مدن تركيا،تقع جنوب شرق تركيا،بآسيا الصغرى. المصدر السابق،ج٢، ص١٦٧٦-١٦٨٦.

وإبلستين تحت الحكم العثماني[١].

وقد تنبه السلطان سليم الأول ومنذ وقت مبكر إلى الخطر الرافضي عندما كان حاكماً لطرابزون[٢]وقبل توليه السلطنة العثمانية حيث رأى تغلغل المذهب الرافضي وانتشاره فعزم أول ما عزم، بعد توليه منصب السلطان، على الحد من ذلك الخطر الرافضي قدر الإمكان، وخصوصاً بعد تلك الرسالة التي وصلت إليه وكان فيها:"إن المبتدعين من الصوفية والشيعة قد استفحل خطرهم، وزاد عددهم، وباتوا يمعنون في القرى سلباً ونهبًا، ولم يتورعوا عن قتل الرجال، وسبي النساء، وأتوا على الأخضر واليابس"[٣]. فأدرك السلطان سليم أن الأمر جد خطير وكان الحل في معركة جالديران.

وقد هيئت هزيمة الصفويين أمام العثمانيين في معركة جالديران إلى تحالف الدولة الصفوية مع العالم الغربي متمثلاً ذلك في البرتغاليين، وكان هذا الأمر بعد استيلاء البوكيرك لهرمز[٤]حيث وصل إليه سفير الشاه إسماعيل يعرض عليه إقامة تحالف بين الجانبين الصفوي والبرتغالي، ونتج عن ذلك معاهدة كان من ضمن بنودها"أن يكون الشعبان البرتغالي والفارسي اتحاداً ضد العثمانيين"[٥].وهذا في حد ذاته يظهر مدى ما وصلت إليه الدولة الصفوية من تقديم مصالحها الشخصية على منافع الأمة جمعاء في مد يدها للأعداء في محاربة دولة إسلامية، ألا وهي الدولة العثمانية!

---

(١) نبيل عبد الحي رضوان :جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث،مكة المكرمة،مكتبة الطالب الجامعي،١٤٠٨هـ-١٩٨٨م،ص٤٣٦.

(٢) Trabzon : إحدى مدن تركيا،عاصمة محافظة طرابزون،تقع في شمال شرق تركيا على ساحل البحر الأسود.الموسوعة العربية الميسرة،ج٢،المصدر السابق،ص١١٥٦.

(٣) محمد عبداللطيف هريدى:الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوروبا،القاهرة،دار الصحوة،١٤٠٨هـ/١٩٨٧م،ص٤٨.

(٤) Hormuz : جزيرة مقابلة لشاطئ إيران الجنوبي في مضيق هرمز بين الخليج العربي وخليج عمان.الموسوعة العربية الميسرة،ج٢،المصدر السابق،ص ١٨٩٥.

(٥) نبيل عبدالحي رضوان :جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث،المرجع السابق،ص٤٣٧.

انظر:بديع جمعة،احمد الخولى:تاريخ الصفويين وحضارتهم،ج١،دار الرائد العربي،١٩٧٦،ص٩٧.

بل إن الألفة والتلاحم الصفوي البرتغالي بدا أكثر عمقاً من خلال ما سوف نتبينه من رسالة ألفونسو البوكيرك إلى الشاه إسماعيل التي جاء فيها:"إني أقدر لك احترامك للمسيحيين في بلادك، وأعرض عليك الأسطول، والجند، والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك في الهند. وإذا أردت أن تنقض على بلاد العرب أو تهاجم مكة فستجدني بجانبك في البحر الأحمر أمام جدة، أو في عدن، أو في البحرين، أو القطيف، أو البصرة.وسيجدني الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسي وسأنفذ له كل ما يريد" (١).ولم يكن ذلك العرض من البوكيرك بمساعدة الصفويين ضد العثمانيين، إلا بما وصل إليه من الخلافات الواسعة بين الجانبين العثماني والصفوي، التي أكدت له ،في مساوماته مع الصفويين، أن المدخل إلى ذلك لن يكون إلا في مساعدتهم ضد عدوهم الأول العثمانيين، وأن الصفويين لن يتنازلوا عن أي عرض أيا كان في مقابل مساعدتهم ومن أي جهة كانت ضد العثمانيين.

وهكذا فقد ظل الشاه إسماعيل يبحث عن حليف له يقوي من عضده ضد الدولة العثمانية، وكان هذا الشرط في مقدمة أي تسوية يمكن الوصول إليها مع الشاه(٢).

بل إن البرتغاليين لم يكونوا بالقدر الكافي في نظر الشاه، فلقد بعث برسالة إلى بعض ملوك أوروبا متفاوضاً معهم حول إمكانية التعاون عسكرياً بالإضافة إلى تقديم التسهيلات للجيوش الأوروبية في حالة عزمها على غزو مصر(٣). كما بعث الشاه إسماعيل في شوال ٩٠٦هـ برسالة إلى البنادقة يعرض عليهم التحالف ضد الدولة العثمانية(٤).

ولم يكن الشاه إسماعيل فريداً من نوعه في سياسته العدائية نحو الدولة العثمانية، فقد سار خلفاؤه على اتباع نهجه ذاك، فقد أعد خليفة الشاه إسماعيل وهو الشاه طهماسب

(١) صلاح العقاد:التيارات السياسية في الخليج العربي،القاهرة،مكتبة الأنجلو المصرية،دت،ص١٢.

(٢) عبدالعزيز سليمان نوار:الشعوب الإسلامية،بيروت،دار النهضة العربية،١٩٧٣م،ص٢٢٦.

(٣) المرجع السابق،ص٧١. انظر:بديع جمعة،أحمد الخولي:تاريخ الصفويين وحضارتهم،المرجع السابق،ص٩٨-٩٩.

(٤) محمد عبداللطيف هريدى:الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوروبا،المرجع السابق،ص٤٥. انظر:بديع جمعة،أحمد الخولي:تاريخ الصفويين وحضارتهم،المرجع السابق،ص٩٩-١٠٠.

الأول[١] حملة كبيرة توجهت نحو العراق حيث عادت تلك الحملة الفارسية بعد أن تمكنت من العراق سنة ١٥٣٠م[٢].

وكان خروج العراق من يد الدولة العثمانية كافياً للفت نظر السلطان القانوني(١٤٩٤-١٥٦٦م)[٣] إلى الخطر الذي تتزعمه الدولة الصفوية ضد العثمانيين حيث تمكن القانوني من تخليص العراق من قبضة الفرس بل ودخول عاصمتهم تبريز[٤].

وقد أدت تلك الحروب المتتالية بين العثمانيين والفرس إلى وصول كل من الجانبين إلى محاولة الصلح تجنباً للحرب والتفاتاً منهما لمصالحهما حيث نتج عن ذلك صلح آماسيا (Amassia) عام ١٥٥٤م والذي نص على[٥]:

---

(١) Tahmasb I (1514-1576): أحد شاهات إيران الصفويين الأقوياء كان خلفاً لأبيه إسماعيل الأول. خلال فترة حكمه تعرضت الدولة الصفوية إلى العديد من الأخطار الخارجية وخصوصاً من قبل العثمانيين في الغرب والأوزبك في الشرق.الموسوعة العربية الميسرة،ج٢،المصدر السابق،ص١١٥٤.

(٢) عبدالعزيز سليمان نوار:الشعوب الإسلامية،المرجع السابق،ص١١٢.

(٣) سليمان الأول بن سليم الأول،عرف عند الغرب باسم سليمان العظيم، وفي الشرق باسم سليمان القانوني، لما قام به من إصلاح في النظام القضائي العثماني. أصبح سليمان حاكما بارز في أوروبا في القرن السادس عشر، يتزعم قمة سلطة الإمبراطورية العثمانية العسكرية والسياسية والاقتصادية. قاد سليمان الجيوش العثمانية لغزو المعاقل والحصون المسيحية في بلغراد ورودس وأغلب أراضي مملكة المجر قبل أن يتوقف في حصار فيينا في ١٥٢٩. ضم أغلب مناطق الشرق الأوسط في صراعه مع الصفويين ،ومناطق شاسعة من شمال أفريقيا حتى الجزائر تحت حكمه، سيطرت الأساطيل العثمانية على بحار المنطقة من البحر المتوسط إلى البحر الأحمر حتى الخليج.الموسوعة العربية الميسرة،ج١،المصدر السابق،ص١٠٠١.

(٤) عبدالعزيز سليمان نوار:الشعوب الإسلامية،المرجع السابق،ص١١٢.انظر: محمد عبداللطيف هريدى:الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوروبا،المرجع السابق،ص٦٣-٦٤.

(٥) عبدالعزيز سليمان نوار:الشعوب الإسلامية،المرجع السابق،ص٢٣٩-٢٤٠. انظر:

- محمد عبداللطيف هريدى:الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوروبا،المرجع السابق،ص٦٥.
- عباس إسماعيل صباغ:تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين،بيروت،١٤٢٠هـ/١٩٩٩م،ص١٨١-١٨٢

١ - تترك قلعة قارص وقلعتها للدولة العثمانية.

٢ - تحدد حدود ولاية سهرورد[١] منعاً لوقوع الحوادث المعكرة لصفو السلام بين الدولتين.

٣ - تأمين سلامة الحجاج الفرس الذاهبين إلى زيارة العتبات الشيعة المقدسة في العـــراق وإلى الأراضي الإسلامية المقدسة في الحجاز.

إلا أن فترة الهدوء تلك بين العثمانيين والصفويين لم تدم طويلاً، إذ ما لبثت أن بعـــث العثمـــانيين بجـــيش إلى فـــارس عـــام٩٩٨هــــ/١٥٩٠م تمكـــن مـــن تبريـــز وتفليس[٢] وداغستان[٣][٤].وعلى أثر ذلك آثر الشاه عباس الكـــبير(١٥٨٧-١٦٢٨م) [٥] مهادنة الدولة العثمانية وعقد صلحاً معها عام ١٥٩٠م[٦] وهي ما عرفت بمعاهدة إســـتانبول

(١) Sohrord: مدينة في شمال غربي إيران.سكنها الأكراد في القرن العاشر.خربها المغول بحملاتهم الحربية في القرون الوسطى.مسعود الخوند:الموسوعة التاريخية الجغرافية،ج٤، المرجع السابق،ص٢٠٣.

(٢) Tbilisi : هي عاصمة جورجيا،وأكبر مدنها،وتُعرف حالياً باسم" تبليسي- Tbilisi "،يبلغ عدد سكانها مليون نسمة معظمهم يدينون بالأرثوذكسية مع أقلية مسلمة (٨%)، يشق وسط المدينة نهر كورا، عرفت لـــدى العرب في العصور الوسطى باسم تفليس وهو الاسم ذاته الذي ظل رسمياً حتى عام ١٩٣٦.الموسوعة العربيـــة الميسرة،ج١،المصدر السابق،ص٥٣٧-٥٣٨.

(٣) Dagestan : إحدى جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق،جنوب شرق روسيا الأوروبية،وعاصـــمتها"محـــج قلعة".المصدر السابق،ج١،ص٧٧٥.

(٤) عبدالعزيز سليمان نوار:الشعوب الإسلامية،المرجع السابق،ص٢٤٤.

(٥) Shah Abbas I:كان الحاكم الأكثر سمواً من سلالة الصفويين. كان يعرف أيضاً باسم عباس الأكبر. أصـــبح شاه إيران في بداية شهر أكتوبر عام ١٥٨٧، بعدما تمرد على أبيه محمد الصفوي وسجنه.في وسط الفوضوية العامة في بلاد فارس، عين عباس الأكبر حاكماً على خراسان، في عام ١٥٨١، ووصل إلى العرش الفارسي بمساعدة مرشد غولي أوستاجلو، الذي قُتِل لاحقاً في يوليو عام ١٥٨٩. وهو مصمم على رفـــع الثـــروات الساقطة من بلاده، أفرغ جهوده أولاً ضد الأوزبكيين الذين احتلوا خراسان. بعد كفـــاح طويـــل وحـــاد، استعاد مشهد، وهزمهم في معركة عظيمة قرب هرات في ١٥٩٧، التي أبعدتهم من بلاده. نقل عاصمته من قزوين إلى أصفهان في عام ١٥٩٢. توفي في التاسع عشـــر مـــن ينـــاير عـــام ١٦٢٨.الموســـوعة العربيـــة الميسرة،ج٢،المصدر السابق،ص١١٧٥.

(٦) عبدالعزيز سليمان نوار:الشعوب الإسلامية،المرجع السابق،ص٢٤٥.

الأولى وجاءت كتالي:

١ - احتفاظ العثمانيين بمدن وأقاليم:تبريز وآذربيجان[١]وقره وباغ وكنجة وقارص وتفليس و سهرورد ونهاوند[٢]ولورستان[٣].

٢ - توقف الخطباء ودعاة الشيعة عن سب الخلفاء الراشدين والسيدة عائشة رضي الله عنهم أجمعين[٤].

وما كانت تلك المعاهدة في نظر الشاه إلا مسألة وقت أجبرته ظروف الدولة الصفوية التي كانت تمر بها آنذاك على توقيعها، إلا أنه وفي قرارت نفسه كان ينتظر مناسبة الوقت للثأر من العثمانيين.

ولم اطمأن الشاه إسماعيل الكبير إلى جاهزية جيشه وسلامة بلاده من الثورات والفتن أخذ في مهاجمة معاقل الأتراك واحداً تلو الآخر حتى استرد تبريز ١٦٠٣م ثم إيفان وشيروان وقارص، كما هاجم العراق واستولى على بغداد[٥].بالإضافة إلى أن الشاه عباس أخذ في مراسلة الدول الأوروبية لعقد محالفات معها ضد الدولة العثمانية[٦].

(١) Azerbaijan :محافظتان إيرانيتان،الشرقية مساحتها ٦٧١٢٤كلم وقاعدتها مدينة تبريز؛ والغربية،مساحتها ٣٨٨٥٠كلم وقاعدتها مدينة أرومية. مسعود الخوند:الموسوعة التاريخية الجغرافية،ج٤، المرجع السابق،ص١٩٥.

(٢) Nehavand : مدينة إيرانية في الشمال الشرقي لنهر الفرات. مسعود الخوند:الموسوعة التاريخية الجغرافية،ج٤،المرجع السابق،ص٢٠٩.عبد الحكيم العفيفي:موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية،المرجع السابق،ص ٥٠٠-٥٠١.

(٣) Lorestan : مقاطعة في غربي إيران على الحدود العراقية. مسعود الخوند:الموسوعة التاريخية الجغرافية،ج٤، المرجع السابق،ص٢٠٨.

(٤) محمد عبداللطيف هريدى:الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوروبا،المرجع السابق،ص٧٢. انظر:

- عباس إسماعيل صباغ:تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين،المرجع السابق،ص١٨٥-١٨٦-١٨٧.
- بديع جمعة،أحمد الخولى:تاريخ الصفويين وحضارتهم،المرجع السابق،ص٣٢٣.

(٥) عبدالعزيز سليمان نوار:الشعوب الإسلامية،المرجع السابق،ص٢٤٧-٢٤٨-٢٤٩.

(٦) محمد عبداللطيف هريدى:الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوروبا،المرجع السابق،ص٧٢.

كل هذه الأمور مجتمعة حدث بالدولة العثمانية، على أيام السلطان مراد الرابع (١٦٢٣-١٦٤٠م)[١]، إلى شن حملة كبيرة استطاعت استرداد بغداد سنة ١٦٣٨م[٢].وهكذا فقد ظلت العلاقات العثمانية الصفوية عسكرية في معظم حالاتها[٣].

ومن خلال ما سبق فإنه يظهر جلياً ما كان عليه كل من العثمانيين والصفويين من تبادل لشن الحملات الحربية بعضهما ضد بعض، وأن هذا الأمر لم يعد بالمستغرب بينهما.

وبالعودة إلى صلح عام ١١٣٦هـ/١٧٢٤م والذي حدث على أيام الشاه ههمسب الثاني(١١٣٥-١١٤٤هـ)فإن البداية لتلك المعاهدة سوف تكون من خلال أفغانستان[٤].

وحتى نكون ضمن أحداث تلك المعاهدة فيجب علينا أولاً أن ندرك أن سكان أفغانستان كانوا عبارة عن مجموعة من العشائر مقسمة على أفغانستان على النحو التالي:

أ- الدوراني Durrani : وكانت تقطن الأجزاء الشرقية من أفغانستان كما كانوا يعرفون أيضاً باسم العبدلي.

ب- غليزاي Ghilzai : كانت تنتشر في الأجزاء الجنوبية من أفغانستان.وكانت من أقوى عشائر قندهار[٥].

---

(١) مراد الرابع بن أحمد الأول بن محمد الثالث بن مراد الثالث بن سليم بن سليمان القانوني بن سليم الأول بن بايزيد الثاني بن محمد الفاتح هو الخليفة العثماني الثامن عشر، عاش بين عامي ١٠٢١ هـ و١٠٤٩ هـ/١٦١٢ و١٦٤٠ م. حكم ١٧ عاما منذ عام ١٠٣٢ هـ/١٦٢٣ م وكان عمره آنذاك ١١ عاماً ميلادياً.الموسوعة العربية الميسرة،ج٢،المصدر السابق،ص ١٦٧٧.

(٢) للمزيد انظر:عبدالعزيز سليمان نوار:الشعوب الإسلامية،المرجع السابق،ص٢٧٤.عباس إسماعيل صباغ: تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين،المرجع السابق،ص١٩٤.

(٣) للمزيد انظر: عباس إسماعيل صباغ: تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين،المرجع السابق.

(٤) Afghanistan : دولة آسيوية في وسط آسيا ، تحدها غرباً إيران، وشمالاً طاجكستان، أوزبكستان، تركمانستان ، وشرقاً الصين ، وباكستان جنوباً وشرقاً،وعاصمتها كابل.الموسوعة العربية الميسرة،ج١،المصدر السابق،ص ١٧٩-١٨٠.

(٥) Kandahar : إحدى مدن أفغانستان،تقع إلى الجنوب منها.الموسوعة العربية الميسرة،ج٢،المصدر السابق،ص١٤٠٢.

ت- الأوزبك: وقد سكنوا المناطق الواقعة إلى الشمال من الهند.

ث- قلب أفغانستان: وكان يتكون من مجموعة من القبائل المغولية(هازارHazara-تايماني Taimany-شهر أيماكChahar Aimack).وكان معظم قبائل أفغانستان مسلمين على المذهب السني ما عدا بعض القبائل التي كانت على مذهب الروافض مثل هازارHazara[١].

وكانت أفغانستان حتى القرن السادس عشر والسابع عشر غير مكتملة سياسياً، ولا يوجد بها حكومة موحدة قادرة على قيادة البلاد الأفغانية[٢].وبهذه الصورة وجدة أفغانستان نفسها واقعة بين الدولة البابرية التي تسيطر على الأجزاء الغربية من أفغانستان،في حين أن قسمها الشرقي كان تابعاً للدولة الصفوية،في الوقت الذي كانت فيه قندهار تارة تتبع للدولة البابرية وتارة أخرى تتبع الصفويين،وقد ظلت هكذا إلى أن ضمها الشاه عباس الأول إلى الدولة الصفوية عام ١٦٢٢م وبقيت بهذا الحال يتناوب على حكمها ولاة صفويين إلى مطلع القرن الثامن عشر ميلادي[٣].

وفي عهد الشاه سلطان حسين بن الشاه سليمان(١١٠٥-١١٣٥هـ)فقد كانت قندهار تابعة للفرس وقد أسند حكمها إلى الأمير "جوركين خان الكرجستاني"وقد كان"جوركين"والياً على كرجستان المسيحية، وقد حاول الاستقلال بتلك الإمارة فلم ينجح، ثم دان بالإسلام فعفا عنه الشاه وعينه على قندهار[٤].

وقد عامل"جوركين" أهل قندهار بأعلى درجة من الذل والاحتقار، مما جعلهم يجأرون إلى الشاه الصفوي مما يلحقه بهم "جوركين"ورجاله، إلا أن شكواهم تلك لم يتم تقديرها حق

---

(١) عبدالعزيز سليمان نوار:الشعوب الإسلامية،المرجع السابق،ص٢٧٣-٢٧٤.

(٢) المرجع السابق،ص٢٧٤.

(٣) عباس إسماعيل صباغ: تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين،المرجع السابق،ص٢٠٣.

(٤) شاهين بك مكاريوس:تاريخ إيران،مصر،مطبعة المقتطف،١٨٩٨م،ص١٦٣.

قدرها، أو التعامل معها من قبل الصفويين على القدر الذي كان أهل قندهار يأملون، بل لقد ظل حال "جوركين" ورجاله على ما هم عليه(١).

ومع ذلك فقد أزعجت تلك الشكاوى "جوركين" وقرر سحقها من جذورها وذلك بالقضاء على زعامات النضال، فألقى القبض على " ميرويس"أحد أهم زعامات قندهار وتم إرساله إلى أصفهان عاصمة الصفويين،حيث كتب"جوركين"إلى الشاه يحذره من خطر "ميرويس"وأنه أحد العصاة المارقين على سلطة الشاه وأن الخير كله في بقائه في أصفهان بعيداً عن قندهار(٢).

وقد أخطأ "جوركين"بإرسال "ميرويس"إلى أصفهان، إذ كان "ميرويس" على قدر من الحكمة والذكاء، مما جعل الشاه يعجب به حتى أصبح من خاصة الشاه وجلسائه. وقد مهد له هذا القرب من البلاط الفارسي من تحسس البيت الصفوي عن قرب ومعرفة أحواله عن كثب.وساعده في ذلك أن"ميرويس"وجد رجال الشاه منقسمين إلى قسمين قسم مؤيد ل"جوركين"،وقسم آخر يريد التخلص منه، مما جعل"ميرويس"يضع يده في يد القسم الأخير(٣).

وفي أصفهان استأذن "ميرويس" الشاه للذهاب إلى الحج فسمح له بذلك، وأثناء تأدية شعيرة الحج التقى "ميرويس" ببعض العلماء حيث شرح لهم ما تعانيه قندهار من نير الحكم الصفوي الرافضي، ومحاولاته الدائمة والمتكررة إلى طمس المذهب السني. وقد حصل "ميرويس"من علماء الدين على فتوى تبين خطر الحكم الصفوي الرافضي على سنيي قندهار وأنه من الواجب التخلص منه بل ومقاومته، وأن هذا الأمر يعتبر جهاداً(٤).

وأثناء عودة "ميرويس"إلى أصفهان دخل في مفاوضات مع عدد من التجار الروس ومبعوثي بطرس الأكبر الذين كانوا يقيمون في أصفهان، فحرضته تلك الجماعة على إثارة

---

(١) عبدالعزيز سليمان نوار:الشعوب الإسلامية،المرجع السابق،ص٢٧٥.

(٢) شاهين بك مكاريوس:تاريخ إيران،المرجع السابق،ص١٦٤.

(٣) المرجع السابق،ص١٦٣.

(٤) عبدالعزيز سليمان نوار:الشعوب الإسلامية،المرجع السابق،ص٢٧٦.

الأفغان في قندهار ضد إيران[١].

وقد واتت الفرصة "ميرويس"، وذلك عند وصول مبعوث الإمبراطور "بطرس الأكبر" إلى الشاه "سلطان حسين"، فقد كان يرأس تلك البعثة أخا "جوركين"حيث استغل "ميرويس" ذلك وأخذ يحرض الشاه ويؤلبه ضد "جوركين"والذي اتهمه بميله إلى الروس مما جعل الشاه يصدر مرسوماً جعل من "ميرويس"مراقباً على "جوركين"[٢].

وعلى أي حال فقد استطاع "ميرويس" القضاء على خصمه "جوركين" والانفراد بحكم قندهار، وكان معنى ذلك الخروج على الحكم الصفوي، في الوقت الذي كان فيه الصفويين أبعد ما يكونون عن بعث جيش لمحاربة "ميرويس"، وقد فضلوا الوصول معه إلى اتفاقية تقضي باعتراف فارس بحكم "ميرويس" في مقابل إعلانه الخضوع والطاعة لفارس[٣].

وقد كان "ميرويس" أبعد ما يكون للتسليم بالحكم الصفوي، فقد رفض التفاوض مع مندوب الصفويين، كما بعث معه برسالة تهديد إلى الشاه جاء فيها:"لتكن واثقاً من أن ساعة الانتقام قد أزفت، وأن الأفغانيين البواسل هم من اختارهم الله لمعاقبة الفرس المارقين"[٤].

وإزاء الوضع الراهن فقد أمر الشاه الصفوي حاكم خراسان بقمع التمرد، إلا أنه لم يستطع ذلك فوجه الشاه أمراً إلى حاكم جورجيا"خسروخان" بقمع ذلك التمرد الأفغاني. وكان "خسروخان" على استعداد لمثل هذا الأمر انتقاماً لابن عمه "جوركين" فحاصر "خسروخان" قندهار وعندما طال الحصار عزم الأهالي على تسليم المدينة، إلا أن حماقة

---

(١) عباس إقبال إشتياني:تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية(٢٠٥هـ/٨٢٠م-١٣٤٣هـ/١٩٢٥م)،ترجمة/محمد علاء الدين منصور،القاهرة،دار الثقافة،١٩٨٩م،ص٦٨٧.

(٢) عباس إسماعيل صباغ: تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين،المرجع السابق،ص٢٠٣-٢٠٤. انظر: عباس إقبال اشتيانى:تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية(٢٠٥هـ/٨٢٠م-١٣٤٣هـ/١٩٢٥م)، المرجع السابق،ص٦٨٧ .

(٣) عبدالعزيز سليمان نوار:الشعوب الإسلامية،المرجع السابق،ص٢٧٦-٢٧٧.

(٤) المرجع السابق،ص٢٧٧.

"خسروخان" التي رفضت إعطاء الأهالي الأمان جعلتهم يستميتون في الدفاع عن المدينة حتى تمكنوا من جيش "خسرو" فأبادوا من جيشه ٢٤ألفاً من مجموع خمسة وعشرين، كما سقط "خسروخان" صريعاً في المعركة.كل هذه الأحداث مكنت "ميرويس" من التفرد بحكم قندهار حتى موته ١٧١٥م(١).

على أن سياسة قندهار قد تغيرت بعد موت "ميرويس"وتولي أخيه عبدالله للحكم من بعده إذ كان عبدالله ميالاً إلى عقد صلح مع الفرس بالشروط التالية(٢):

١ - عدم التزام الجانب الأفغاني بأي مبالغ مالية تجاه الفرس.

٢ - عدم إرسال أي قوات ضد قندهار .

٣ - أن يكون الحكم وراثياً في أسرة "عبدالله" .

إلا أن هذه التصرفات التي صدرت من قبل "عبدالله" أخذت توغر عليه قلوب الأفغان الذين ضحوا بأنفسهم في مقابل الحرية حتى ما كادوا أن يتذوقوها إلا وقد عزم "عبدالله" ردهم إلى الحكم الفارسي مرة أخرى.وهكذا فقد ثار "محمود" ابن "ميرويس"على عمه "عبدالله"وقتله وتولى حكم قندهار متبعاً في سياسته ما كان عليه أبوه "ميرويس" من قبل في مجابهته للصفويين.

ونتيجة للاستقلال السياسي والذي حصلت عليه قندهار فقد حذت حذوها كبرى العشائر السنية "العبدلي"إذ ثارت تلك القبائل معلنة الخروج على الفرس، وقد تعاونت مع الأوزبك على غزو خراسان(٣).

هذا في الوقت الذي أخذ محمود يعد العدة لغزو فارس نفسها، وقد تأهب الجانبان الأفغاني والفارسي لخوض تلك المعركة بينهما التي عرفت ب"جلناباد"Gulnabad عام ١١٣٥هـ/١٧٢٢م حيث انتصر الجانب الأفغاني بعد أن استولى الأفغان على المدفعية

(١) عبدالعزيز سليمان نوار:الشعوب الإسلامية،المرجع السابق،ص٢٧٧-٢٧٨.

(٢) المرجع السابق،ص٢٧٨-٢٧٩.

(٣) المرجع السابق،ص٢٧٩.

الفارسية واستخدموها ضد المشاة الفرس مما عجل بفرار الجيش الفارسي وتفرقه[(١)].

وبناء على ما وصلت إليه الدولة الصفوية من ضعف فقد طمع محمـود في دخـول العاصمة الصفوية "أصفهان"خصوصاً بعد انتصار الأفغان الأخير على الفرس،وتنفيذاً لـذلك فقد واصل محمود بمن معه مسيره نحو أصفهان.وقد قام الأفغان بنهب القرى والمدن الـتي في طريقهم إلى أصفهان، بينما أعلنت بعض المقاطعات الفارسية استقلالها عن الدولـة الصـفوية مثلما حدث مع "ملك أحمد"والذي أعلن استقلاله ب"تون" عن جسد الدولة الصفوية،كمـا انتشرت المجاعة في أرجاء أصفهان بعد حصار الأفغان لها حتى بدأ النـاس يأكـل بعضـهم بعضاً.وفي ظل هذه الظروف فقد قرر الشاه سلطان "حسين" التنازل بالعرش إلى "محمود" بعد أن فقد كل أمل في المقاومة، وقد كان ذلك عام ١١٣٥هـ/١٧٢٢م[(٢)].

على أن كبار البلاط الصفوي لم تكن راضية على تنازل الشاه سلطان حسـين عـن العرش إلى الأفغاني "محمود"مما جعلهم ينصبون طهمسب الثاني بن الشاه سلطان حسين شـاهاً على البلاد في محاولة منهم لإنقاذ العرش الصفوي[(٣)].

إن دخول "محمود" العاصمة الصفوية "أصفهان"وجلوسه على عرش فارس لم يكن آخر المطاف، إذ كانت الأخطار محدقة به، وكان عليه مواجهتها. فالأفغان الذين غزو إيـران مـن الشرق قد لفتوا نظر روسيا التي عزمت على غزو إيران من الشمال، بينما أراد العثمانيين مثل ذلك من الغرب. في الوقت الذي أخذ فيه ولى عهد الشاه حسين وهو "طهمسب" في محاولـة تكوين جيش كبير ومهاجمة الأفغان وتخليص إيران منهم، هذا فضلاً علـى أن كـثيراً مـن

---

(١) عبدالعزيز سليمان نوار:الشعوب الإسلامية،المرجع السابق،ص٢٨٢.

(٢) المرجع السابق،ص٢٨٢.انظر: عباس إقبال إشتياني:تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية(٢٠٥هـ/٨٢٠م-١٣٤٣هـ/١٩٢٥م)،المرجع السابق،ص٦٩٠

(٣) عباس إسماعيل صباغ: تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين،المرجـع السابق،ص٢٠٥.

- انظر: عباس إقبال إشتياني:تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولـة الطاهريـة حـتى نهايـة الدولـة القاجارية(٢٠٥هـ/٨٢٠م-١٣٤٣هـ/١٩٢٥م)،المرجع السابق،ص٦٩٠

المقاطعات الفارسية أخذت في الاستقلال عن جسد الدولة الصفوية حتى لا تحمل نفسها مغبة التبعية لمحمود[١].

وقد أدرك "محمود" تلك الأخطار المحدقة به فأخذ يعد العدة لمجابهتها فأرسل إلى قندهار بمبلغ ٣٠٠ ألف جنيه إسترليني بغرض تجنيد عناصر جديدة وإرسالها إلى فارس للخدمة العسكرية هناك، إلا أن حاكم سستان قد استولى عليها قبل وصولها إلى هناك[٢].

وأمام هذا الوضع الراهن فقد قرر "محمود" البدء أولاً ب"طهمسب" في شمال فارس، فوجه "محمود" حملة كبيرة إليه هناك، ومع نجاحها في دخول بعض المدن مثل "قم"[٣] تحت حكم الأفغان إلا أنها لم تستطع القضاء على "طهمسب"[٤].

وتحت وطأة الظروف الراهنة فقد بعث إمبراطور روسيا "بطرس الأكبر" ببعثة إلى إيران كان الهدف من ورائها الاطلاع على ما وصلت إليه أحوال إيران الداخلية في محاولة من "بطرس" لاستغلال الأوضاع الراهنة في توسيع مملكته على حساب إيران،وتحويل بحر قزوين إلى بحيرة روسية[٥].

ولم يكن ذلك بمستغرب على بطرس فقد ذكر في وصيته-البند التاسع-:"والتعجيل بضعف بل بزوال دولة إيران لنتمكن من الوصول إلى البصرة وربما إعادة تجارة الممالك الشرقية القديمة إلى بلاد الشام والوصول منها إلى الهند التي هي بمثابة مخزن للدنيا"[٦].

---

(١) عبدالعزيز سليمان نوار:الشعوب الإسلامية،المرجع السابق،ص٢٨٦-٢٨٧.

(٢) المرجع السابق،ص٢٨٧-٢٨٨.

(٣) Qom : إحدى مدن الجمهورية الإسلامية في إيران،والحوزة العلمية في قم تعتبر ثاني أهم المراكز العلمية الدينية للشيعة،تقع على بعد ١٥٧كم جنوب العاصمة طهران.الموسوعة العربية الميسرة،ج٢،المصدر السابق،ص١٣٩٣.

(٤) عبدالعزيز سليمان نوار:الشعوب الإسلامية،المرجع السابق،ص٢٨٧.

(5) Hurwitz , I bid , P 42 .

(٦) أحمد جودت:تاريخ جودت،المصدر السابق،ص٤٩٩.انظر:محمد فريد بك :تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٣٢.

وقد ادعى الروس أن الهدف من وراء تلك البعثة هو المطالبة بتعويض عما لحق القافلة الروسية على يد خان خيوه(١) التابع لإيران(٢).

وقد قابلة تلك البعثة الروسية "محمود" التي شكت إليه اختلال الأوضاع في شمال فارس، فما كان منه إلا أن رد بعدم استطاعته السيطرة على الأوزبك أو الليجيان المتواجدين هناك.وكان هذا الجواب في حد ذاته يدل على التخلف والجهل في الدبلوماسية السياسية لدى "محمود"، فبدلاً من الرد على الروس بإمكانية السيطرة على تلك المناطق ومعاقبة الخارجين، فإنه بالجواب السالف الذكر قد مهد للروس بالتحرك ضده لما نما إليهم من ضعفه(٣).

وبالتالي فقد سال لعاب بطرس لتحقيق تلك الأمنية في ظل أوضاع الدولة الصفوية والاجتياح الأفغاني لإيران. فقد تحرك "بطرس الأكبر" في ٢٢ ألف مقاتل تجاه فارس معلناً أنه يريد أن يخلص فارس من الطاغية الأفغاني "محمود" فاستولى على "دربند"(٤)واتجه إلى "شماكا" وبينما هو في طريقه إليها إذ وصله المبعوث العثماني والذي حذر الروس بأن أي تقدم من الجانب الروسي داخل أراضي إيران ما هو إلا إعلان الحرب ضد العثمانيين، وبالتالي فقد فضل "بطرس" عدم الدخول مع العثمانيين في حرب(٥).

على أن ذلك التحرك العثماني قد سبقه مجلس حرب عقد لتداول الأمر حول اجتياح الروس للأراضي الإيرانية، وذلك بعد ورود تقارير الولاة العثمانيين التي تفيد بذلك الاجتياح الروسي. حيث ورد تقرير حسن باشا والي العراق، وحسين باشا زاده والي فان، وإبراهيم باشا والي أرضروم(٦)، وكذلك أمراء قارص، وجلدر، وسهرورد.والتي أكدت على أهمية

---

(١) Khiva : مدينة في شمال إيران.مسعود الخوند:الموسوعة التاريخية الجغرافية،ج٤،المرجع السابق،ص٢٠٢.

(٢) عبدالعزيز سليمان نوار:الشعوب الإسلامية،المرجع السابق،ص٢٨٩.

(٣) المرجع السابق،ص٢٨٩-٢٩٠.

(٤) Derbend : مدينة من مدن داغستان بجنوب روسيا على بحر قزوين.عبد الحكيم العفيفي:موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية،المرجع السابق،ص٢٢٩.

(٥) عبدالعزيز سليمان نوار:الشعوب الإسلامية ،المرجع السابق،ص٢٩٠.

(٦) Erzurum : إحدى مدن تركيا،عاصمة محافظة أرضروم.الموسوعة العربية الميسرة،ج١،المصدر السابق،ص١٢٠.

التحرك العثماني لمواجهة الخطر الروسي.على أن السلطنة العثمانية قد بعثت قبل ذلك بمبعوثها "دوري أحمد أفندي"سنة ١٧٢٠م إلى البلاط الصفوي للوقوف على أحوال إيران، وقد صدر تقرير أفندي محذراً من الخطر الأفغاني والذي بدأ يهدد إيران[١]. وبالفعل فقد تقرر من خلال المجلس الحربي ذاك أن "جار الدار أحق بدار الجار"،كما أصدر شيخ الإسلام في إستانبول فتواه بأن إيران هي دار حرب، وأن الرافضة هم في حكم المرتدين، بسبهم الصحابة، وقذفهم السيدة عائشة، واستباحتهم قتل أهل السنة والجماعة، واستحلال نسائهم[٢].وسرعان ما اجتاحت القوات العثمانية كلاً من روان وشهرارد وآباد[٣]ونخجوان وهماوند وتبريز ولار[٤] وكنجه وهمذان[٥] [٦].كما استنجد أهل شيروان، التي يقطنها غالبية سنية من سكانها، بالسلطان العثماني، فهب العثمانيون إلى نجدتها خوفاً من وقوعها في يد الروس[٧].

وإزاء الوضع الراهن فقد بعث "طهمسب الثاني"برسالة إلى إستانبول ١٧٢٣م يستفسر عن هجوم القوات العثمانية على بلاده، وكان رد العثمانيين بأن الأفغان قد استولوا على أصفهان، وبأن القوات الروسية استولت على باكو[٨] ودربند وبالتالي فإن العثمانيين

---

(١) عباس إسماعيل صباغ: تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين،المرجع السابق،ص٢٠٦. انظر : أحمد جودت : تاريخ جودت ، المصدر السابق ، ص١٤١ .

(٢) محمد عبداللطيف هريدى:الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوروبا،المرجع السابق،ص٨٠-٨١.

(٣) abad : مدينة في إيران،غربي همذان. مسعود الخوند:الموسوعة التاريخية الجغرافية،ج٤،المرجع السابق،ص١٩٥.

(٤) Lar : مدينة في إيران،من مدن الجنوب.المرجع السابق،ج٤،ص١٩٥.عبد الحكيم العفيفي:موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية،المرجع السابق،ص ٤٢٥.

(٥) Hamadan : مدينة في إيران،جنوب غربي إيران. مسعود الخوند:الموسوعة التاريخية الجغرافية،ج٤،المرجع السابق،ص٢١٠.عبد الحكيم العفيفي:موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية،المرجع السابق،ص ٥١٣.

(٦) محمد عبداللطيف هريدى:الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوروبا،ص٨١.انظر:يلماز أوزتونا:تاريخ الدولة العثمانية،ج١، المرجع السابق،ص٦٠٣.

(٧) عبدالعزيز سليمان نوار:الشعوب الإسلامية،المرجع السابق،ص٢٩٠.

(٨) Baku : مدينة كبرى وعاصمة جمهورية آذربيجان تطل على بحر قزوين. عبد الحكيم العفيفي:موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية،المصدر السابق،ص٩٠.

يريدون استرجاع إيروان وتبريز قبل سقوطهما في يد الأعداء[١]. ومن خلال تلك الإجابة العثمانية فقد فهم "طهمسب"أن العثمانيين قد بيتوا النية لإتمام ما قد بدؤوه، وأنه إنما يهدر وقته عبثاً في محاولة المناورة معهم دبلوماسياً.

ومن ناحية أخرى فإن تحركات الروس قد أقلقت الباب العالي فالروس ما فتئوا يستغلون الفرصة تلو الأخرى لاجتياح الأراضي الإيرانية، ومن ذلك أن حاكم"رشت"[٢]قد استنجد بالروس لتخليصه من الأفغان مما مهد الطريق للقوات الروسية للاستيلاء عليها تحت مظلة حمايتها من الأفغان[٣].

كل تلك التحركات الروسية قد صحبها غضب عثماني تمثل بإرسال رسالة من السلطان "أحمد الثالث" إلى الإمبراطور "بطرس الأكبر" تضمنت تهديداً عثمانياً للروس بأنه في حالة تجاوز القوات الروسية جنوب دربند فسيكون ذلك بمثابة إعلان للحرب بين الدولتين[٤].

وأمام هذا الوضع فقد أحست فرنسا بتضرر مصالحها التجارية في حال قيام حرب بين الجانبين العثماني والروسي ولذلك فقد أوعزت إلى سفيرها في إستانبول "الماركيز دي بوناك" بالتوسط لحل الأزمة بين الجانبين[٥].

ولبدء المحادثات فقد اشترطت روسيا انسحاب العثمانيين من كافة المناطق التي دخلوها في إيران، وبالطبع فقد رفض الجانب العثماني ذلك الشرط على لسان رئيس الكتاب محمد أفندي، والذي أوضح أن ما وضع العثمانيين يدهم عليه سواء من أذربيجان أو جورجستان

---

(١) عباس إسماعيل صباغ: تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين،المرجع السابق،ص٢٠٨.

(٢) Resht (Rasht): مدينة في شمال إيران على بعد حوالي ١٠كيلومترات جنوب بحر قزوين. عبد الحكيم العفيفي:موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية،المصدر السابق،ص٢٥٢.

(٣) عباس إقبال إشتياني:تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية(٢٠٥هـ/٨٢٠م-١٣٤٣هـ/١٩٢٥م)،المرجع السابق،ص٦٩٢.

(٤) عباس إسماعيل صباغ: تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين،المرجع السابق،ص٢٠٧-٢٠٨.

(٥) عباس إسماعيل صباغ: تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين،المرجع السابق،ص٢٠٨.

وكذا شيروان وداغستان هي في الأصل حق عثماني قبل استيلاء إيران عليها، وبالتالي فمن المستحيل رد ما هو للعثمانيين إلى إيران[١].

وعلى هذا الأساس فقد طلب سفير روسيا مهلة ثلاثة أشهر لإخبار دولته بما كان، منتظراً منها الرد في إكمال المفاوضات من عدمها.في الوقت الذي اقترحت فيه فرنسا على الطرفين العثماني والروسي إقامة هدنة بين الجانبين لحين الوصول إلى حل نهائي لهذه الأزمة بين البلدين وبالفعل فقد وافق الجانبين على ذلك[٢].وبهذه الهدنة تكون انتهت الصفحة الأولى من المفاوضات العثمانية الروسية.

والذي يبدو أن روسيا إنما إرادت من تلك الهدنة كسب الوقت في الوصول إلى صيغة تفاهم مع "طهمسب"إذ إن روسيا، وعلى الجانب الآخر، قد بدأت مفاوضات مع سفير الدولة الصفوية في بطرسبرج"إسماعيل بك"وقد أسفرت تلك المفاوضات التي توصل إليها الطرفان الصفوي والروسي إلى تنازل الصفويين عن الولايات الشمالية لروسيا وفي جملتها دربند وداغستان وشيروان وكيلان ومازندران[٣] وأسترباذ[٤] في مقابل مساعدة روسيا لشاه "طهمسب"في طرد أعداء إيران من الأراضي الإيرانية. ولتبدأ الصفحة التالية من المفاوضات العثمانية الروسية بحلتها الجديدة في إعلان روسيا اعترافها بالشاه"طهمسب"شاهاً على إيران، بالإضافة إلى إفصاح روسيا عن المعاهدة التي تمت بين الجانبين الصفوي والروسي[٥].وإنما أرادت روسيا من ذلك صبغ ما أخذته من الأراضي الإيرانية بالصبغة الشرعية وتسويغ ذلك

---

(1) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2448.

(2) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2448.

(٣) Mazandaran: بلاد واقعة في إيران جنوبي بحر قزوين.مسعود الخوند:الموسوعة التاريخية الجغرافية،ج٤،المرجع السابق،ص ٢٠٨.

(٤) Astervaz: مدينة في شمال إيران. المرجع السابق،ج٤،ص ١٩٥.

(٥) للمزيد انظر:

- Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2448 .
- VOLTAIRE : History of the Russian Empire Under Peter The Great, Akron, Ohio, VOL. II,1901,p 104-106.

الاجتياح الروسي لإيران بأنه ليس كما يُظن، وإنما هو حق مكتسب بما كفلته المعاهدة المبرمة مع الدولة الصفوية.ومن جانب آخر إرسال رسالة إلى العثمانيين بأن ليس هناك ما يمكن التفاوض معهم بشأنه.

وفي المقابل فقد تم رفض تلك المعاهدة من قبل العثمانيين، بالإضافة إلى عدم اعتراف الدولة العثمانية ب"طهمسب"شاهاً لإيران في ظل وجود الشاه "سلطان حسين".كما أكدت الدولة العثمانية على ضرورة خروج الروس من كافة المناطق الإيرانية التي قد استولوا عليها، في الوقت الذي أعلن العثمانيون فيه أنهم سوف يسعون إلى إخراج الروس بالقوة وبمنطق الحرب إذا اضطروا إلى ذلك(١).

وأمام تجدد الأزمة بين العثمانيين والروس التي قد تؤدي بهما إلى الحرب فقد تدخلت فرنسا مرة أخرى لنزع فتيل الحرب بين الجانبين، وبالفعل فقد تقرر في(٢شوال١١٣٦هـ-٢٤يونيه١٧٢٤م) (٢) معاهدة بين العثمانيين والروس تقضي بتقسيم أجزاء من المناطق الإيرانية بينهما كحل مرض للطرفين بديلاً عن الحرب،وقد جاءت معاهدة الصلح تلك على النحو التالي:

١ - يكون الخط الممتد من تركستان شرقاً إلى ملتقى نهري كورا(٣)وآراس إلى دربند حداً فاصلاً بين الدولتين.

٢ - تكون مقاطعات (أستر آباد،مازندران،كيلان)وقسم من شيروان للروس.

٣ - تكون مدن(قره باغ،كنجه،نخجوان، إيروان،تبريز،خيوة، كورس، أرومية، مراغه(٤)،

---

(1) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2449.

(2) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2449.

(٣) Kura : نهر ينبع من شمال شرق تركيا،ويعبر الأراضي الجورجية وعاصمتها تبليسي وصولاً إلى جمهورية آذربيجان حيث يصب في بحر قزوين.الموسوعة العربية الميسرة،ج٢،المصدر السابق،ص١٤٩٨.

(٤) Maragheh: عاصمة آذربيجان الإيرانية قديماً.مسعود الخوند:الموسوعة التاريخية الجغرافية،ج٤،المرجع السابق،ص ٢٠٨-٢٠٩.

سلماس،سنندج،همدان،كرمنشاه[١]) تابعة للعثمانيين.

٤ - يحتفظ الشاه بالبقية الباقية من ممتلكات دولته الموروثة بشريطه اعترافه بنصوص هـذه المعاهدة[٢].

٥ - تحالف العثمانيين والروس ضد أي عمل يصدر من "طهمسب" للإخلال بهذه المعاهـدة من محاولته استرداد ما تحصل عليه العثمانيون أو الروس[٣].

وبالتالي فإن تلك المعاهدة كانت إيذاناً بميلاد دولة صفوية جديدة غير ما كانت عليـه من قبل التدخل العثماني الروسي.حيث تم تقسيم أجزاء فارس على أسـاس مـن المصـلحة المشتركة التي جمعت ما بين أعداء الأمس العثمانيين والروس.

ومن ناحية أخرى فقد هزت تلك المعاهدة مصداقية الدولة العثمانية أمـام علمائهـا ورعاياها في رعايتها للعالم الإسلامي حين وضعت يدها في يد دولة مسيحية،على أساس اقتسام أملاك دولة إسلامية[٤].

على أن لسان الواقع والحال كان يقتضي على الدولة العثمانية وقف التقدم الروسي، وإن عدم تدخلها معناه أن ما وقع في يد العثمانيين كان من الممكن أن تجتاحه القوات الروسية لولا التدخل العثماني والذي كفل لتلك المناطق في أقل القليل الاحتفاظ بهويتها الإسلامية .

---

(١) Kermanshah: مدينة في شمال غربي إيران.مسعود الخوند:الموسـوعة التاريخيـة الجغرافيـة،ج٤، المرجـع السابق،ص ٢٠٨-٢٠٩.عبد الحكيم العفيفي:موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، المرجع السابق،ص٣٩٥.

(٢) عباس إسماعيل صباغ: تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين،المرجـع السابق،ص٢٠٨-٢٠٩.

(٣) عبدالعزيز سليمان نوار:الشعوب الإسلامية،المرجع السابق،ص٢٩٠-٢٩١.

(٤) عباس إسماعيل صباغ: تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية الحرب والسلام بين العثمانيين والصـفويين،المرجـع السابق،ص٢٠٩.

المبحث الرابع :معاهدة بلغراد ١١٥٢هـ/١٧٣٩م:

لقد كان مفتاح معاهدة بلغراد ومدخلها هو ما تم بين الجانبين العثماني والجانب النمساوي على وجه الخصوص. إذ إنه وفي تحرك الجيش العثماني لصد الهجمات النمساوية فإن الجيش النمساوي قد باغت القوات العثمانية بهجوم ليلي حمل معه ثلاثين ألف فارس نمساوي، ومثلهم من المشاة، حملة شرسة ضد القوات العثمانية، إلا أن القوات العثمانية كانت متيقظة لهذا الهجوم النمساوي، مما أفقد النمساويين فرصة المباغتة، حيث تصدت القوات العثمانية للهجوم النمساوي، بل وأخذت في شن حملة هجوم واسعة على الجيش النمساوي نتج عنها قتل ثلاثة من الجنرالات بالإضافة إلى قتل اثنى عشر ألف جندي نمساوي، وأسر اثني عشر ألف آخرين، وقد ساعد جنح الليل على فرار البقية الباقية من الجيش النمساوي(١).

وبناء على هذه الهزيمة التي أصابت الجيش النمساوي فإن قدرته على المقاومة بشدة قد أصيبت في مقتل، مما جعل الجيش العثماني يستغل تلك الفرصة الذهبية ويسرع بقواته لحصار بلغراد في الوقت الذي ألحقت القوات العثمانية في البوسنة بالقوات النمساوية هزائم متلاحقة، كما أن قوة من عشرين ألف جندي عثماني قد تحركت لدعم الحصار العثماني حول بلغراد(٢) مما عزز من موقف القوات العثمانية في تشديد حصارها حول بلغراد.

وأمام هذا الوضع النمساوي غير المتوقع واستحالة المقاومة النمساوية في ظل الضغط العثماني، فقد وجه قائد القوات النمساوية "ولس" بخطاب إلى إمبراطور النمسا يشرح فيه استحالة الدفاع عن بلغراد، ويؤكد فيه على ضرورة إجراء الصلح مع العثمانيين(٣).

وعند التأكد من خطورة الموقف من قبل النمسا فقد وجه قائد القوات النمساوية "ولس"بخطاب إلى الصدر الأعظم -وذلك بعد موافقة إمبراطور النمسا- يعرض عليه رغبة بلاده في الصلح ويقترح على الصدر الأعظم إجراء هدنة مؤقتة لحين الرد على الخطاب.إلا أن

---

(1) Ziya Nur Aksun : Osmanli Tarihi, P365-366 .

(2) Ziya Nur Aksun : Osmanli Tarihi, P366 .

(3) Ziya Nur Aksun : Osmanli Tarihi, P366 .

الصدر الأعظم رفض ذلك الاقتراح جملة وتفصيلاً وواصل حصاره لبلغراد(١).

فما كان من النمسا وأمام الرفض العثماني، إلا أن وجهت بوجهها صوب فرنسا، لعلو كعب فرنسا لدى الباب العالي، طالبة منها التوسط بينها وبين العثمانيين لإنهاء تلك الحرب.وقد قبلت فرنسا بتلك المهمة منتدبة سفيرها لدى الدولة العثمانية المسيو "فلنوف" لإتمام تلك المهمة(٢). ولم يكن قبول فرنسا بتلك المهمة إلا خدمة لمصالحها مدفوعة في ذلك بعدة أسباب على النحو التالي :

أ- سعي فرنسا الحثيث لإبعاد روسيا بأي شكل كان عن البحر الأسود أو التغلغل للوصول إلى البحر المتوسط، مما يشكل خطراً على مناطق التجارة الفرنسية(٣).

ب- اتباع فرنسا لسياسة الاحتواء بالنسبة للدولة العثمانية والمحافظة على بقائها.

ت- عدم رغبة فرنسا في تقوية أي من النمسا أو روسيا على حساب الدولة العثمانية.

ث- حرص فرنسا الشديد على المحافظة على نفوذها التجاري الشرقي وعلى ما نالته من امتيازات عثمانية .

وبالفعل فقد تكللت الجهود الفرنسية التي بذلها سفيرها لدى الباب العالي المسيو "فلنوف" في إقناع الدولة العثمانية بضرورة إبرام مثل هذا الصلح حيث وافقت الدولة العثمانية على ما اقترحته فرنسا في خوض غمار المباحثات.

إلا أن خط المفاوضات ذاك بين العثمانيين والنمساويين لم يستمر طويلاً إذ سرعان ما توقف، وذلك بعدما رغبة النمسا بنفسها عن تسليم بلغراد في الوقت الذي أصر فيه الصدر الأعظم على أن أي تسوية مع النمسا لن تكون إلا من خلال تسلم بلغراد(٤).

---

(1) Ziya Nur Aksun : Osmanli Tarihi, P316 .

(٢) محمد فريد بك :تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٢٢.

(3) Yasar Yücel, Ali Svim: Türkiye Tarihi, IV, P 23.

(4) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2514.

وسرعان ما تدخلت فرنسا لاستكمال مسيرة المفاوضات تلك وتقريب وجهات النظر العثمانية النمساوية، وقد نجح الفرنسيين في إقناع النمسا بضرورة تسليم بلغراد بـدلاً مـن سقوطها عنوة في يد العثمانيين[١] مما قد يؤهل العثمانيين للاستمرار في القتال وطلب المزيد من النمسا في مقابل إبرامهم للصلح، وهكذا فقد استمرت بذلك عجلة المفاوضات.

وقد تم تسليم بلغراد من قبل النمسا للدولة العثمانية ٣جمادى الثاني-٧سبتمبر، وهو اليوم الذي ارتفعت فيه الراية الشريفة العثمانية فوق القلعة العثمانية ليستكمل بذلك الجانبان العثماني والنمساوي المفاوضات التي نتج عنها معاهدة بلغـراد الأولى(١٤جمـادى الآخـرة ١١٥٢هـ-١٨سبتمبر ١٧٣٩م)[٢].

وفي خضم التصديق على المعاهدة فقد وصلت الأخبار حول الانتصارات الروسية من الاستيلاء على خوتين ودخول بغدان مما أشعر إمبراطور النمسا شارل السادس بالندم علـى الاستعجال لتصديق على تلك المعاهدة في الوقت الذي تم فيه تدمير وتحطيم جزء من تحصينات بلغراد[٣]، وبذلك فإن الوقت قد فات على شارل للتراجع أمام المفاوضات حول بنود معاهدة الصلح التي أبرمها العثمانيين بالإضافة إلى أن تراجعه قد يضع النمسا كلها في مواجهة فرنسا التي طُلب منها التدخل من قبل النمسا لإنهاء تلك الحرب، فكان أن تمت تلك المعاهدة بفكر ورعاية فرنسية[٤].

وعلى الجانب الآخر فإن ورود أخبار تلك المعاهدة، وإنهاء حالة الحرب بين النمسـا والدولة العثمانية جعل الروس يعيدون حساباتهم حول تلك الحرب التي أصبحوا فيهـا دون حليف أو نصير في مواجهة الدولة العثمانية، خصوصاً في ظل الانتصارات التي أخذت القوات العثمانية في تحقيقها على الجانب الروسي.

(1) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2514.

(2) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2514.

(3) MAARIF Vekaletinge Mualltmlerden Murekkep Bir Heyete Telif Ettirilmistir: Tarih ,p. 44.

(4) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2515.

بالإضافة إلى ذلك فإن الاضطرابات والمقاومة التي أبداها كلاً من سكان بغدان والأفلاق[1] وكذا التحركات الحربية للسويد التي أخذت في تجهيزها ضد الروس[2] جعل الروس يعيدون حساباتهم حول الانضمام لمعاهدة بلغراد والاكتفاء بما كان بدلاً من الدخول في حسابات غير مضمونة النتائج.

وبالتالي فقد وسطت روسيا فرنسا للتدخل وإنهاء تلك الحرب القائمة بين الجانبين، وبالفعل فقد تحركت فرنسا لإبرام معاهدة صلح بين الجانبين العثماني والروسي بواسطة سفيرها لدى الباب العالي المسيو "فلنوف" وقد تكللت مساعيه بالنجاح وإبرام معاهدة بلغراد الثانية التي جاءت على النحو التالي[3]:

- **المادة الأولى** : لابد من إنهاء كافة أنواع الخصومة والعداء بين الجانبين وعدم السعي للمواجهة أو إحداث أي حرب والعمل على تقوية علاقات الصداقة براً وبحراً من خلال مراعاة هذا الصلح وقد تفضلا الجانبين الدولة العلية وموسكو على عدم الإخلال بهذا الصلح براً وبحراً ومراعاة ما جاء به من شروط وكذلك سائر رعايا البلدين عليهم عدم مخالفة ذلك والسير وفق الصلح .
- **المادة الثانية**: سوف يتم العمل من قبل الدولة العلية وموسكو لصالح رعايا الطرفين والسعي للحفاظ على الود والصداقة من خلال مراعاة هذا الصلح بلا أي مخالفة وسوف يتم وضع حصن في كافة النقاط لتأمين الرعايا، وفي الوقت نفسه فإنه سيتم الإبقاء على مواد حدود الدولتين كما كانت قبل الحرب في الماضي، ولقد اتفقت كل من موسكو والدولة العلية على ذلك .
- **المادة الثالثة** : سوف يتم هدم قلعة الأزق بصفة تامة وسوف يتم الإبقاء على حدود ١٧٠٠م، ومن الممكن للدولة العلية القيام ببناء قلاع في الأماكن التي تفصل الحدود بين الدولتين، ويمكنها أيضاً تجديد بناء قلعة الأزاق ثانية عند حدود قوبان، وسوف يقوم الطرفين بتعيين حرس على المناطق الحدودية لحماية رعايا الجانبين، وكذلك عدد من القلاع للهدف ذاته. ومن ناحية أخرى فإن دولة موسكو لن تهاجم الأزاق ولن تدخل سفنها البحر الأسود وبحر الأزاق .
- **المادة الرابعة** : لابد من التنبيه مشدداً على رعايا الطرفين بمراعاة شروط الصلح ولن يتم التعقيب في الوقت نفسه على الرعايا من خلال الدخول والخروج من الحدود بأوراق شخصية، ،لن تطالب الدولتين بها، وبموجب المعاهدة فإنه ينبغي الشروع في ترسيم الحدود وبلا تأخير، ووضع العلامات الحدودية في الأماكن

---

(1) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2517.

(2) MAARIF Vekaletinge Mualltmlerden Murekkep Bir Heyete Telif Ettirilmistir " Tarih" III. Kitap , p. 44.

(٣) أرشيف رئاسة الوزراء بتصنيف: A . DVNS . NMH . D . 01.

المناسبة لترميم هذه الحدود، وسوف يتم العمل بموجب مواد معاهدة الصلح، بعد تبادل اعتمادات المعاهدة من قبل الجانبين والتصديق عليها ووضع جنود على الحدود .

- **المادة الخامسة** : ينبغي على تاتار القرم التابعين لدولة القرم التابعين للدولة العلية وسائر الأجناس الأخرى، وكذلك القازاق، والقالموق التابعين لدولة موسكو عدم القيام بأي هجوم، أو اعتداء، من أي نوع أو الإضرار بأي شيء من الممتلكات، والرعايا. وعلى الجانب الروسي حماية رعايا الدولة العلية، وكذلك على الدولة العلية حماية الروس وعدم مهاجمة سواحل نهر أوزى وسائر المدن الأخرى وعدم مهاجمة حدود الدولتين العلية وموسكو، وينبغي ألا يحدث نهب للأموال والحيوانات وكل من يسير على هذه الحدود من الجانبين، ومن الضروري عدم الإخلال بالأمن في هذه المناطق الحدودية وإذا تم الإضرار بأحد وتبين ذلك فإنه ينبغي على الدولة معاقبته على الفور وإعادة الحق إلى أهله بسرعة وتحمل كافة الأضرار والتلفيات الناتجة عن هذه الاعتداءات .
- **المادة السادسة** : ينبغي على جيوش الدولة العلية، وطائفة القارطاي وهي طائفة من تاتار القرم عدم الإخلال بالأمن وتجاوز الحدود الروسية، وكذلك فإن موسكو ينبغي عليها عدم الإخلال بالأمن أو تجاوز الحدود العثمانية، ومن الممكن لموسكو الحصول على رهائن من الدولة العلية وكذلك يمكن للدولة العلية الحصول على رهائن من موسكو لاستتباب الأمن، وتأمين قبائل القارطاي كما جرت العادة منذ زمن بعيد، وإذا صدرت أي شكوى بشأن القارطاي فإنه على موسكو والدولة العلية التحرك السريع لمنع أسباب هذه الشكوى وضمان ما تم إتلافه على الفور .
- **المادة السابعة**: ينبغي تبادل كافة الأسرى والأجانب سواء من جيوش الدولتين أو غير ذلك سواء الذين تم أسرهم في هذه الحرب أو قبل ذلك، وإعادة موسكو والدولة العلية كافة الأسرى سالمين غانمين بعد ورود وثائق اعتماد هذا الصلح والتصديق على هذه المعاهدة بصورة فعلية، والسماح لكافة الرعايا من الأسرى بالعودة بلا تأخير. وعلى الدولتين إذاعة ونشر هذا الأمر إلى كافة المدن والأقطار والتنبيه مشدداً على كافة المسئولين بإطلاق سراح هؤلاء الأسرى بموجب عقد الصلح، وينبغي التأكيد والتشديد على تنفيذ هذه الفرمانات من قبل الدولتين إلى سائر موظفيهم والمسئولين عن تنفيذ ذلك، وبموجب هذا الاتفاق فإن دولة موسكو لا يمكنها الاعتداء على أي رجل يعبر من أراضيها، ولا يمكنها أيضاً المطالبة بأي ورقة أو وثيقة، ويشمل هذا الأمر رعايا الدولة العلية العثمانيين، والتاتار بالقرم، وقوبان، وبوجاق وغيرها. وإذا قام أحد الروس بالتعدي على رجال الدولة العلية بأي ضرر فإن موسكو سوف تتحمل هذه الأضرار وتقوم برد الحقوق لأصحابها .
- **المادة الثامنة** : إذا تم اتهام رعايا الطرفين بمخالفة القانون والتسبب في أضرار أو التمرد بعد التصديق على عقد الصلح هذا وإقراره وانسحب هؤلاء الرعايا كل إلى بلده فعلى كلتا الدولتين عدم قبوله وطرده على الفور أما إذا هاجر الرعايا إلى الدول الأخرى لتغيير مذهبه فإنه له الحق في ذلك وليس للدولة الأخرى منعه بأي صورة من الصور .
- **المادة التاسعة** : إن التجارة هي أحد الركائز والنتائج لهذا الصلح ولرعايا الدولتين الحق في ممارسة التجارة والانتفاع، ولذلك فإن تجار الدولة العلية لهم الحق في تداول التجارة بدولة موسكو ولهم الحرية التامة في هذه التجارة بضرائب مقبولة متفق عليها. أما التجار التابعين لدولة موسكو فإنهم لهم نفس الحق أيضاً في مزاولة تجارتهم في أقطار الدولة العلية بحرية تامة ويجوز لكلا الطرفين التحرك بحرية في تجارتهم بالبحر الأسود .

- **المادة العاشرة** : إذا حدث أي خلاف أو نزاع بين رعايا الطرفين أثناء إقرار مدة هذا الصلح فإنه لابد من إنهاء هذا الخلاف بالعدل والفصل فيه بسرعة. وينبغي على الجانبين صيانة عقد هذا الصلح بعدم السماح بحدوث أي نزاع أو أمر عارض يناقض ويتعارض مع هذا الصلح . أما النزاعات والخلافات التي تحدث بين الرعايا على الحدود بين الجانبين فإنه ينبغي الفصل فيها بسرعة بين الطرفين، ولابد من تذليل كافة العقبات لتسوية هذه النزاعات والخلافات وإقرار عقد الصلح من خلال الحفاظ على بنوده، ولابد من قيام الجانبين بالعمل على حفظ الأمن وراحة المواطنين والرعايا من قبل الجانبين بلا إخلال أو تجاوز .
- **المادة الحادية عشرة** : لن يتم مطالبة رهبان موسكو وقساوستهم بأي رسوم، أو ضرائب، أو جزية عند زيارتهم القدس الشريف والأماكن الأخرى، وكذلك الأمر بالنسبة لكافة الزوار المسيحيين الروس، أي أن هؤلاء سوف يكونوا بمثابة مستأمنين لدى الدولة العثمانية. ولا يمكن للدولة العلية التعدي عليهم أو مخالفة الشرع بشأنهم خلال فترة إقامتهم بالدولة .
- **المادة الثانية عشر** : سوف يستخدم حاكم موسكو لقب الإمبراطور في المكاتبات الرسمية، ومن ثم فإن الدولة العلية سوف تقوم بإقرار اعتماد ذلك في مكاتباتها الإمبراطورية الروسية، وسوف يتم الحفاظ على بنود الصداقة القائمة بينهم .
- **المادة الثالثة عشر** : ينبغي على رعايا الطرفين الحفاظ على الأمن بموجب مواد عقد الصلح المبرم بين موسكو والدولة العلية وسوف يكون لرجال موسكو والدولة العلية الحرية التامة في التحرك بمناطق الدولتين .
- **المادة الرابعة عشر** : يتم إرسال سفراء الدولتين العظام للحفاظ على مواد هذا الصلح الذي تم إقراره، وعلى السفراء حماية الصداقة والود بين الدولتين، وبإمكانهم إبلاغ إمبراطورة موسكو والسلطان العثماني بكافة المستجدات .
- **المادة الخامسة عشر** : سوف يقوم سفير دولة فرنسا بالوساطة في تبادل وثائق اعتماد هذا الصلح بين الطرفين وسوف يتم التوقيع على كافة شروط الصلح خلال خمسة عشر يوماً، وسوف يتم التمسك بكافة المواد المتفق عليها دون الاهتمام بما سبق بخلاف مسألة ترسيم الحدود بلا إخلال وكما ذكر في المادة الرابعة عشر فإنه ينبغي على الدولة العلية التنبيه مشدداً على خان القرم بالحفاظ على بنود الصلح وعدم الإخلال بنظامه بأي صورة من الصور، وإذا حدث أي تجاوز فإنه لابد من إنهائه بالعدل والحكم دون تأخير وكذلك ينبغي على السفراء تجديد عقد هذا الصلح ومد فترته بصورة دورية عند انتهائه، وعلى كافة الرعايا احترام هذا الصلح وعدم الإخلال بنظامه مصداقاً لما أمرنا به خاتم النبيين فخر الأنبياء والمرسلين حبيب الحق محمد صلى الله عليه وسلم صاحب المعجزات الباهرة والشيم الكريمة الذي حافظ على العهود والمواثيق ولم يخل بها ومصداقاً لما أمرنا به الحق عز وجل، وعلى هذا المنوال تمت معاهدة بلغراد مع روسيا لتضع الحرب أوزارها.

هذا ما جاء في المصادر العثمانية،أما عن المصادر الأجنبية فيطالعنا "هورتز" بما هو آت من بنود هذه المعاهدة على النحو التالي [1]:

(1) Hurwitz , I bid , P 47-51 .

- **البند الأول**:-

منذ هذا اليوم فإن العداء والحروب بين الطرفين تصبح معلقة للأبد وأي عمل عدائي يجرم من أي طرف من الطرفين، وأي خرق لهذه المعاهدة سوف يقابل بمقاومة كبيرة، أن السلام الثابت قد حل على البر والبحر وأصبحت هناك علاقات صداقة مخلصة لا يمكن أن تتغير طالما هناك التزام بهذه الشروط الموقع عليها من كلا الطرفين الساميين من سموها الإمبراطوري ومن جلالة السلطان العثماني عنهم وعن ورثتهم وخلفائهم وعن إمبراطوريتهم وممتلكاتهم وأراضيهم وعن رعايا كلا الطرفين من سكان البلاد لذلك فإن مستقبل كلا الطرفين سوف يتجنب أي فعل عدائي أو الدعوة إليه سواء علناً أو سراً وهم سوف يحافظون بينهما على المودة الخالصة وعلى السلام الصادق ويتمنون لبعضهما البعض كل نوع من الرخاء والسعادة لذلك سوف يتوافر الأمن والنمو لكلا الإمبراطوريتين ورعاياهما.

- **البند الثاني**:-

إن كلا الطرفين المتعاهدين ينوى إقامة سلام مستقر ومستمر لذلك فإن رعايا الإمبراطورية يجب أن يتمتعوا بالحرية اللازمة للعيش وأن لا يتعرضوا لأي نوع من أنواع الاضطهاد داخل الحدود لإحدى الإمبراطوريتين وهذا ما نصت عليه هذه العهود واضحاً وصريحاً وسيتم التوقيع عليه في هذه المعاهدة.

- **البند الثالث**:-

قلعة أزوف سوف تترك مهدمة وتترك الأرض المقامة عليها داخل الحدود التي رسمتها معاهدة ١٧٠٠م، وأن تستخدم كحاجز بين الدولتين، وبنص هذه المعاهدة يحق لروسيا أن تبنى قلعة جديدة لها على الجزيرة الواقعة في نهر دون بالقرب من أزوف، وأيضاً يسمح للدولة العثمانية إقامة قلعة بالقرب من أزوف، وتمنع روسيا من بناء أي أساطيل أو إبقاء أساطيلها أو سفنها في البحر الأسود.

- **البند الرابع**:-

إن رعايا كلا الإمبراطوريتين سوف يتم تعريفهم على الحدود تحت اسم كلا الإمبراطوريتين بعد توقيع معاهدة السلام الحالية كتجار لهم كافة الحقوق ويتمتعون بنفوذ كافاً لممارسة تجارتهم بدون أي صعوبات تعيقهم وهذه المعاهدة تضمن لهم ذلك منذ هذا اليوم، بعد وضع المواقع المناسبة والعلامات والإشارات التي سوف يتم استخدامها بالنسبة لهؤلاء التجار. ويجب على التجار الالتزام بالأوامر المكتوبة وبتحديد اختصاصاتهم وإتمام صفقاتهم في مدة لا تزيد عن ستة أشهر من تاريخ التبادل وهذا ما تنص عليه المعاهدة الحالية.

- **البند الخامس**:-

إن رعايا الإمبراطورية الروسية من الكوساك والكلاموكس وأيضاً من جميع الدول التي تخضع للإمبراطورية الروسية يجب عليهم عدم محاولة القيام بأي غزو أو ارتكاب أي عمل عدائي ضد تتار كريما. أن رعايا الإمبراطورية العثمانية يجب عليهم نفس الفعل وأيضاً التتار التابعين لنفس الإمبراطورية يجب ألا يتعرضوا لأي أذى أو ضرر، أن رعايا روسيا يجب أن يمارسوا الحرية الكاملة وفقاً لهذا السلام المقدس وإذا قاموا بأي عمل عدائي سوف يتم معاقبتهم بقسوة وعلى المثل رعايا الإمبراطورية العثمانية، إن رعايا تتار كريما وغيرهم من الرعايا العثمانيين عموماً مهما اختلف اسمهم أو جنسهم يجب أن لا يحاولوا ارتكاب أي عمل عدائي ضد المدن أو القرى أو المواقع التي تسيطر عليها الإمبراطورية الروسية أو ضد أحد رعاياها في روسيا العظمى أو الصغرى أو ضد مدن الكوساك التي تخضع لجلالة الإمبراطورة أو الأماكن التي يسكنون فيها على نهر دنبير أو نهر دون أو أي

مكان آخر أو ضد الحدود الصغيرة أو القرى أو سكانها داخل الحدود للإمبراطورية الروسية، ويجب أن يوافقوا على ذلك بإحكام، والرعايا العثمانيين يجب عليهم عدم القيام بأي عمل عدائي وتجنب حدوث أي ضرر سرى أو معلن عن طريق أخذ العبيد أو سرقة الحيوانات أو مضايقة أي من الرعايا الروس بأي أسلوب من الأساليب، أو يتسبب له بأي جرح أو ضرر موجه لأي من رعايا جلالة الإمبراطورة فسوف يتم معاقبة من يقترف ذلك بأشد العقوبات وفقاً للقوانين المقدسة وحق العدل وجزاء اقتراف الجريمة وأي شيء يقترف مخالفاً من أي طرف من الأطراف سوف يتم اتخاذ الإجراءات المناسبة.

- **البند السادس**:

تعاقد الطرفان وقبل على أن كبارديس العليا (الكبرى) أو الصغرى وسكانهما أو من يعيشون فيها يصبحون أحراراً وغير خاضعين لأي من كلا الإمبراطورتين ولكنهما سوف يخدمون كناقل بين الدولتين، وعلى الباب العالي في بورت أن يتخذ الإجراءات المناسبة لتنفيذ هذه الشروط وبالمثل الإمبراطورية الروسية من جانبها يجب أن تتبع هذه الشروط، فإن الروس من جانبهم كانوا يستخدمون كبارديس لنفس الغرض وسوف تستمر هذه المعاملة التجارية والجانب العثماني في بورت له الحرية في القيام بنفس العمل لنفس الغاية وإذا أشتكى شعب كبارديس من أي من الطرفين فسوف يتم معاقبة الطرف الذي يخالف ذلك.

- **البند السابع**:

جميع السجناء والعبيد سواء العسكريين أو غيرهم قبل أو بعد الحرب أو في أية ظروف أو بسبب أي دافع عند أي من الدولتين يجب أن يسلم أو يرسل على الفور إلى بلاده وفقاً لمعاهدة السلام هذه بدون تبادل أو فدية وبدون أي استثناءات وبأي عدد متواجد سواء في الوقت الحاضر أو في المستقبل بالنسبة لكلا الإمبراطورتين، وبعيداً عن ذلك أولئك في الإمبراطورتين الروسية الذين اعتنقوا المسيحية، أو أولئك في الإمبراطورية العثمانية الذين اعتنقوا الإسلام، وهذه الأوامر سوف يتم نشرها في جميع المدن والولايات في كلا الإمبراطورتين بخصوص حرية السجناء. لذلك فإن الحرية سوف تمنح بدون أي صعوبات أو استثناءات، جميع العبيد الذين تم أخذهم ووضعوا في الأسر منذ نهاية التوقيع على هذه المعاهدة أو أثناء السلام، أو من هم في كريما، أو بوجاك، أو كوبان، أو هم وسط الأتراك، أو التتار، أو غيرهم من رعايا الباب العالي سوف يتم تحريرهم وعودتهم إلى بلادهم بدون فدية. وسوف يمنع ارتكاب أي عنف من أي نوع ضد أي شخص يحمل جواز سفر من الإمبراطورة الروسية الذين لهم الحق في تسلم الروس العبيد، والذين لهم حق محدود في تنفيذ العقوبات، كل من يخضعون لمخالفة ذلك يتعرضون للعقوبة وفق القانون المقدس بأشد العقوبات.

- **البند الثامن**:

بعد توقيع هذه المعاهدة الحالية للسلام فإن أي قوة من الموقعين عليها قام بأي عمل إجرامي سواء فرعى أو كبير يخص الإمبراطورية سوف لا يجد أي حماية ما عدا أولئك الذين اعتنقوا النصرانية داخل الإمبراطورية الروسية، وأولئك الذين اعتنقوا الإسلام داخل الإمبراطورية العثمانية، يجب على الفور أن يردوا أو على الأقل ينفوا من الأراضي الذين اقترفوا فيها هذا الفعل الإجرامي. لذلك فأولئك الرجال إما أن يتم استبعادهم أو نفيهم بين كلا الإمبراطورتين، وفى حالة أن أحد رعايا روسيا فر إلى الدولة العثمانية أو العكس أحد رعايا الدولة العثمانية فر إلى روسيا (عن طريق التزوير) يجب أن يعاد عندما تطلبه حكومته.

- **البند التاسع**:

رعايا روسيا من التجار يسمح لهم بحرية التجارة بسلام في جميع أنواع التجارة التي تهم دولهم أو شعوبهم بنفس طريقة التجار الروس في الدفع لنفس الضريبة وهؤلاء التجار الذين يخضعون للروس لهم الحرية في التجارة في المدن العثمانية، ولكن التجارة الروسية في البحر الأسود يجب أن تكون على السفن التركية فقط.

- **البند العاشر**:

إذا حدث أي نزاعات أو اختلافات بين رعايا كلا الإمبراطورتين أو الحكام أو القادة على الحدود في أثناء سريان معاهدة السلام فيجب اللجوء إلى التحقيقات بأقصى سرعة ممكنة، والقضايا التي تنشأ بين رعايا إحدى الدولتين، يجب أن يتم حلها مع رعاية علاقات السلام والمودة عندما تحدث هذه الخلافات في نطاق محدود بين الرعايا أو بأي تصرف عدائي فيجب على كلا الطرفين الحرص على التعامل مع هذه الخلافات بأسلوب الود.

- **البند الحادي عشر**:-

يسمح للنصارى الروس ورجال الدين بأن يزوروا مدينة القدس المقدسة وغيرها من الأماكن التي تخصهم بحرية كاملة ولا يفرض عليهم دفع أي رسوم التي تفرض على أولئك المسافرين أو الحجاج إلى القدس أو رعايا الدولة العثمانية، إن رعايا الروس سوف يحصلون على جوازات سفر موقعة من الباب العالي وفقاً لعلاقات الود مع الإمبراطورية العثمانية، وفقاً للقانون المقدس لا يوجد أي عدوان أو عنف يوجه للرعايا الروس بينما هم في الولايات الخاضعة للإمبراطورية العثمانية.

- **البند الثاني عشر**:-

المفاوضات الودية يجب أن تتم باسم الإمبراطورية العثمانية وأيضاً باسم الإمبراطورة إمبراطورة كل الروس وسوف يتم الوصول إلى اتفاق يرضى الطرفين حيث الرخاء والكرم والقوة التي تتطلبها جلالة الإمبراطورة.

- **البند الثالث عشر**:-

من أجل تقوية السلام بين الإمبراطوريتين وتأكيد البنود الحالية لهذه المعاهدة وتعزيزها بفعالية فإن كل شيء يخص الرعايا الحاليين وشئونهم سوف يتطلب من وزراء جلالة الإمبراطورة بأن يقيموا في بورت وأن يأخذوا فعالية مناسبة لتنفيذ سياسة جلالة الإمبراطورة وهؤلاء الوزراء المعينين سوف يتمتعون بنفس الامتيازات التي يتمتع بها سفراء فرنسا وغيرهم من السفراء من القوى المختلفة.

- **البند الرابع عشر**:-

من أجل تقوية علاقات السلام والمودة بين الجانبين وفقاً لهذه المعاهدة يجب تبادل السفراء منذ توقيع الاتفاق بين الطرفين ويكون السفراء على درجة من الكفاءة ويتم استقبالهم على الحدود وتكريمهم ومعاملتهم معاملة جيدة وعقد الاحتفالات الخاصة بتبادل السفراء بين القوى المتميزة والعثمانيين في بورت، كإشارة إلى علاقات الصداقة يتم تقديم هدايا للسفراء، كما يقوم السفراء بحمل الهدايا التي تليق بجلالة الإمبراطورية وتقديمها لجلالة الإمبراطور.

- **البند الخامس عشر**:-

سوف يتم تبادل التصديق على هذه المعاهدة في غضون ثلاثة اشهر بواسطة السفير الفرنسي الذي عمل كوسيط للسلام،وسوف تقوم بالإعلان عن قبول البند الرابع بالسماح بالتجارة المنتظمة على الحدود، وأيضاً

بالتجارة مع بورت حيث الوصول إلى خان كريما، ومع القدرة على تبادل السلام وعدم الانقسام أو التفريق بين بنود معاهدة السلام فإن كلا الطرفين سوف يسعى إلى تحقيق العدل والمساواة والالتزام بهذه البنود الخمسة عشر وتطبيقها في المستقبل من كلا الطرفين وعدم خرقها، وإعلان هذه المعاهدة منذ ذلك اليوم، وإبطال جميع المعاهدات السابقة لهذه المعاهدة مع الحفاظ على الحدود التي تم رسمها وتوضيحها.

وحول المعاهدة فإن البند الأول منها والثاني تحدث عن إنهاء كافة الخلافات المتعلقة بقيام الحرب بين الطرفين،وإحلال السلام بدلاً منها في جميع أملاكهما براً وبحراً، وأن هذا السلام سوف يشمل جميع رعايا الجانبين على ألا يتعرضوا لأي نوع من الاضطهاد داخل حدود الدولة الأخرى.ومن الطبيعي أن تبدأ معاهدات السلام بمثل هذه البنود الدالة على توجه الأطراف المبرمة للسلام نحوه.إلا أنه ومن الملاحظ أن النسخة العثمانية قد ذكرت أن حدود الدولتين سوف تعود إلى ما كانت عليه قبل الحرب، وكأن الحرب لم تكن شيئاً مذكوراً،فالانتصارات التي حققها الروس والمناطق التي استولوا عليها سوف تعود كما كانت عثمانية من قبل، بالإضافة إلى أن أفراد البند الأول والثاني للالتقاء بنفس المسار حول التشديد على وضع الحرب أوزارها، والتوجه نحو سدة السلام لهو خير دليل صادق على حرص البلدين للمضي قدماً نحو إقرار السلام واستتباب الأمن بينهما.

وحول البند الثالث فقد اتفق الجانبين على بقاء قلعة الأزاق مهدمة،مع بناء الدولة العلية بعض القلاع في الأماكن الحدودية التي تفصل بين الدولتين،وكذا قلعة الأزاق ولكن عند حدود قوبان،وكذلك روسيا،فقد سمح لها هذا البند ببناء قلعة على نهر الدون.على أن أهم ما تضمنه هذا البند هو منع سفن روسيا من دخول البحر الأسود أو بحر الأزاق،ومعنى هذا حرمان روسيا من حق الانتفاع بهذين البحرين،وهذه ضربة موجهه في خاصرة التقدم البحري العسكري الروسي،حيث حرمت أساطيل روسيا من حق الانتفاع بالبحرين في إنشاء الترسانة البحرية الروسية وتطويرها عن طريق المناورات الحربية أو غيرها؛ مما يلزم في طريق ذاك التقدم.كما أن هذه الجملة كانت عامة دون تخصيص لسفن روسية معينة دون أخرى، وبالتالي فقد أصبحت حتى السفن غير الحربية كتجارية مثلاً في حكم السفن الحربية من عدم الانتفاع بهذين البحرين.

وقد ذهب البند الرابع إلى التشديد على كلا الطرفين بالإسراع في ترسيم الحدود بينهما،ووضع العلامات الحدودية المناسبة للتعريف بحدود كل طرف على حدة،مع التنبيه على رعايا كلا الجانبين بعدم التعدي على أملاك الطرف الآخر.وقد خصصت النسخة الأجنبية طائفة التجار بوجوب مساعدتهم لتحقيق أهدافهم التجارية،بينما ذهبت النسخة العثمانية إلى إطلاق العنان لكلمة الرعايا ككل،كما أشارت بعدم التعقيب على الرعايا بالأوراق الشخصية، ومن أولئك الرعايا التجار، وهذا من التسهيل.وبالتالي فليس بين الوثيقتين أي تناقض إذا اختلف التعبير واستقر المعنى.

أما البند الخامس فقد ذهب إلى التشديد على أمم كلا الإمبراطوريتين بالمحافظة على ما تم من السلام المبرم، واحترام ذلك وعدم التعدي حدود أو ممتلكات الطرف الآخر.مع ملاحظة ميل ذاك البند لفظياً على رعايا الدولة العلية من حيث مهاجمتهم لرعايا روسيا،مع التساهل في الجانب الآخر والموجه لرعايا روسيا وكأنهم هم المظلومون،إضافة إلى أن النسخة العثمانية تحمل في طياتها كافة النفقات والأضرار التي قد يتسبب بها أي طرف على حساب الطرف الآخر.

بينما ذهب البند السادس إلى التشديد على كلا الجانبين بعدم الإخلال بالأمن في المناطق الحدودية بينهما، ولضمان ذلك فلا يمانع هذا البند من تبادل رهائن فيما بين الجانبين.كما نوه البند على السعي إلى ازدهار التجارة وتطورها واستخدام شعوب المنطقة - كما هو موضح في المعاهدة - كناقل للتجارة بين العثمانيين والروس.

والمادة السابعة تؤكد على وجوب تبادل جميع الأسرى، سواء من الجيش أو الرعايا، وإطلاق سراحهم فور تبادل صكوك التوقيع على المعاهدة،والالتزام بعدم المساس بهم أثناء عودتهم لأوطانهم بسوء. ويستثنى من ذلك من دان بالإسلام من رعايا موسكو أو دان بالمسيحية من رعايا الدولة العلية، وهذا ما ذهبت إليه النسخة الأجنبية . مع تفرد النسخة العثمانية بتحمل الجانب الروسي لكافة الأضرار في حال التعرض لرجال الدولة العلية من قبل الرعايا الروس.

وللنواحي الأمنية فقد أوضح البند الثامن بأن مرتكبي الجرائم من رعايا الدولتين،

والذين قاموا بمخالفة القانون، أو التسبب في أضرار، سوف يسلمون إلى الطرف الآخر في حالة طلبه،ولا يستثنى من ذلك إلا من دخل في الإسلام من رعايا روسيا، ومن دخل في المسيحية من رعايا الدولة العلية.

وعن التجارة فقد أكد البند التاسع على أهمية التجارة بين البلدين وما لها من دور في الازدهار والتقدم، وبالتالي، ودعماً لعجلة التجارة، فقد تقرر من خلال هذا البند حرية التجارة لتجار كلا البلدين في تلك البلدان مع نفس المعاملة لكليهما.وقد تفردت النسخة الأجنبية بأن التجارة الروسية في البحر الأسود لا تكون إلا من خلال المراكب العثمانية،وقد تكون النسخة العثمانية قد اكتفت بما ورد في البند الثالث بما تم إيضاحه من قبل.وبالتالي فلا يوجد تعارض بينهما، وعلى أي حال فإنه يُعد اعترافاً من قبل روسيا بأحقية الدولة العلية في البحر الأسود وأنه أحد ممتلكاتها.

وإقراراً لمبدأ الصلح فقد أدرج البند العاشر للتأكيد من قبل الجانبين على السعي لحل الخلافات وتسوية الأمور والسعي بالإصلاح فيما يدعم سير المعاهدة، وهذه دلالة من الجانبين نحو سعيهما للصلح والتأكيد على إنفاذه .

ولم تنس المعاهدة الشؤون الدينية،فقد اختص البند الحادي عشر بالإقرار بذهاب الدين الروس لزيارة الأماكن المقدسة بالنسبة لهم والمتواجدة في أملاك الدولة العلية مثل القدس،وقد إدرج في هذا البند إلى جانب رجال الدين الروس كافة مسيحيي روسيا الزائرين لتلك الأماكن المقدسة.حيث تقرر من خلال هذا البند عدم مطالبتهم بمبالغ مالية وكذا حمايتهم وتوفير الأمن لهم.

وفي البند الثاني عشر فإن روسيا تطالب الدولة العلية بإضافة لقب " إمبراطور " إلى حاكم روسيا في جميع المكاتبات الرسمية، ومعنى ذلك هو عدم اعتراف الدولة العلية، وحتى كتابة نصوص المعاهدة، بأحقية حاكم روسيا كإمبراطور أو الاعتراف له بهذا اللقب، مع أهمية نظرة روسيا إلى اعتراف الدولة العلية بذلك.

وقد ذهب البند الثالث عشر إلى ضرورة وجود سفراء روس على درجة عالية من الامتيازات الممنوحة لهم،والمتواجدين في أراضي الدولة العلية لمتابعة أمور رعاياهم،وهذا ما لم

يكن للعثمانيين.وقد أورد هذا الأمر النسخة الأجنبية،بينما اكتفت النسخة العثمانية بالإتيان على ذكر أنه سوف يكون لرجال موسكو والدولة العلية الحرية التامة للتحرك بمناطق الدولتين.وقد يكون هذا هو نفس المعنى والذي ذهبت إليه النسخة الأجنبية،فإن تحرك أولئك الرجال لن يكون شزراً دون التأكد والاطمئنان على رعاياهم، مع منحهم الصفة الرسمية في تنقلاتهم سواء من بلدانهم أو البلد المضيف. وبالتالي فلا يوجد هناك بين النسختين أي تداخل سوى الإسهاب في النسخة الأجنبية والإجمال في النسخة العثمانية.

ومصداقاً لما تم بين الجانبين في هذا المعاهدة،فسوف يتم إرسال السفراء-البند الرابع عشر-كدليل على إقرار الصلح والحفاظ عليه.

وينهي البند الخامس عشر هذه المعاهدة مسنداً إلى فرنسا، عن طريق سفيرها، مهمة تبادل صكوك اعتماد هذه المعاهدة بين الجانبين،باعتبار فرنسا هي من سعى لكليهما بالصلح.

وقد أرفق في طيات البند الخامس عشر-النسخة العثمانية-بوجوب محافظة خان القرم على ما يضمن سلامة حدود الدولة العلية واستمرارية هذا الصلح.وكأن الدولة العثمانية كانت غير واثقة من نوايا روسيا،وبالتالي فقد كلفت خان القرم متابعة سير خطوات تنفيذ هذا الصلح،وحماية الحدود من أي خطر محتمل من الجانب الروسي،ممثلاً عن الدولة العثمانية في ذلك.بينما ذهبت النسخة الأجنبية إلى التأكيد على جانب التجارة،وقد يكون كل جانب أراد التأكيد على ما يهمه كمرفق ضمن البند الخامس عشر من المعاهدة والذي سوف يوقع عليه الطرف الآخر،وبناء عليه فقد أورد ما يهمه.

فالعثمانيون لم يكونوا واثقين تمام الثقة من روسيا؛ ولذلك وجهوا اهتمامهم نحو الحدود،بينما كانت روسيا تعلم بعدم إقدام العثمانيين على الإخلال بشروط المعاهدة وإعلان الحرب ضدهم دون سبب مقنع،ولذلك فقد فضلوا التأكيد على التجارة.

وبالتالي وبناءً على ما سبق فإن إحدى نتائج تلك الحرب هو عودة الكثير من الأجزاء التي فقدها الدولة العثمانية من قبل إلى حوزها، بالإضافة إلى أنها أعادت إلى الدولة العثمانية الكثير من مكانتها أمام أوروبا.كما أثبتت تلك الحرب أن الدولة العثمانية هي الدولة العالمية الأولى حيث حاربت روسيا والنمسا وإيران في وقت متزامن حققت الانتصار وحازت على

التوسع[١].كما كانت تلك المعاهدة "مهينة للنمسا ومحطمة للروس ومربحة للعثمانيين"[٢].كما أن العثمانيين، ومن خلال هذه المعاهدة، قد أكدوا للعالم قدرتهم على الحفاظ على إمبراطوريتهم من أي اعتداء خارجي،مع الاحتفاظ بمكانتهم الدولية[٣]. بالإضافة إلى أن هذه المعاهدة كانت نكسة في تاريخ الأمنيات الروسية في بحر الأزاق و البحر الأسود حيث حرمت تلك المعاهدة الروس من الانتفاع بهذين البحرين.

وعقب انتهاء تلك الحرب فإن روسيا قامت بتجديد تحالفها مع النمسا، وأخبروا الباب العالي بذلك من خلال بيان رسمي[٤]. وفي المقابل فقد سعت فرنسا لدى الدولة العثمانية بضرورة الاتحاد مع السويد في مواجه الخطر الروسي النمساوي، وبالفعل فقد تم إبرام معاهدة هجوم ودفاع بين العثمانيين والسويد ١٧٤٠م[٥].

على أنه ومن المهم أن نشير إلى الدور الذي لعبه الفرنسيين في الصلح مما يوضح الدور العالمي والذي بلغته فرنسا في تلك الفترة[٦]. كما أنه وبعد انتهاء تلك الحرب فقد ارتفع كعب فرنسا لدى الدولة العثمانية مما حدا بالباب العالي إلى تجديد الامتيازات الممنوحة لفرنسا وتوسيعها وزيادة المنافع والمصالح التجارية الفرنسية، وكذلك السماح للمؤسسات الكاثوليكية والرهبان الفرنسيين ببناء الكنائس، وهذا بدوره قد أدى إلى مطالبة باقي الحكومات الأوربية فيما بعد بالحصول على قدر من الامتيازات ومعاملتها في موازاة الحكومة الفرنسية[٧]والذي فتح باب شر على الدولة العثمانية فيما بعد.

---

(١) يلماز أوزتونا:تاريخ الدولة العثمانية،ج١، المرجع السابق،ص٦١٢.

(٢) جون باتريك كينروس:القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٤١.

(3)R Grant Barnwell: Russ-Turkish War, San Francisco,California , p. 24.

(4) MAARIF Vekaletinge Mualltmlerden Murekkep Bir Heyete Telif Ettirilmistir : Tarih, III. Kitap , istanbuk , devlet matbaasi , 1929, p. 45.

(٥) محمد فريد بك :تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٢٣.

(٦) ياسر عبد العزيز قاري: دور الامتيازات الأجنبية في سقوط الدولة العثمانية، المرجع السابق، ج٢، ص ٣٤٥.

(7)Maarif Vekaletinge Mualltmlerden Murekkep Bir Heyete Telif Ettirilmistir: Tarih, III. Kitap , p. 45.

الفصل الثالث

الحروف العثمانية الروسية خلال الفترة من (١١٨٣-١٢٠٢هـ/ ١٧٦٩-١٧٨٧م) وآثارها

المبحث الأول : الحرب الروسية العثمانية عام ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م .

المبحث الثاني : الحرب الروسية العثمانية عام ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م .

المبحث الثالث : الحرب الروسية العثمانية عام ١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م.

المبحث الأول : الحرب الروسية العثمانية عام ١١٨٣هـ/١٧٦٩م:

انتهت حرب عام ١١٥٢هـ/١٧٣٩م بين الدولة العلية وروسيا بمعاهدة بلغراد التي لم تكن شيئاً مذكوراً على مستوى النتائج بالنسبة للروس، بل على العكس فقد فقدت روسيا في تلك الحرب مائة ألف جندي، كما كلفت روسيا الكثير من النفقات والمصروفات المادية الباهظة، التي انعكست على المستوى الداخلي للشعب الروسي، والذي أخذ يرزح تحت طائلة الضرائب، التي فرضت عليه. كما أدت تلك الحرب إلى ارتفاع الأسعار، وغلاء المعيشة، وكان كل ذلك مدعاة للشعب الروسي إلى الثورة ضد النظام وإلى انتشار الأمثلة الشعبية التي تدل على نفور الشعب من تلك الاقتصاديات الفاحشة. ومن تلك الأمثلة التي أخذ الشارع الروسي في ترديدها"المدن التي تحكمها النساء لا تبقى، والحيطان التي يبنينها لا تعلو" في إشارة منهم إلى الإمبراطورة "آنا إيفانوفيا"[١]،كما أخذ الروس في ترديد"إن المزروعات لا تنمو إذا كان الحاكم امرأة". كما أخذ الروس في التحسر على أيام "بطرس الأكبر"مع أمنياتهم القلبية بخروجه من قبره ومعاقبة المسئولين[٢].

ولتنهي الإمبراطورة "آنا إيفانوفيا"حكمها سنة ١٧٤٠م بتنصيب ابن أختها،"إيفان أنطونوفيش"باسم "إيفان السادس"(١٧٤٠-١٧٤١م) [٣].والذي كان طفلاً لا يتجاوز

---

(١) Anna Iefanovna : آنا إيفانوفنا (١٦٩٣-١٧٤٠) ابنة بيتر الأول نشأت وترعرعت في قرية إيزميلوف التي تقيم والدتها بها. بعد موت بيتر الثاني رشحها مجلس شورى الملك لتكون الإمبراطورة لكنه حد من صلاحياتها. رفضت آنا شروط المجلس وقامت بتتويج نفسها في الكرملين إمبراطورة واعتلت العرش الروسي سنة ١٧٣٠ م. توفيت سنة ١٧٤٠ بسبب مرض الكلية و لم تخلف نسلاً ودفنت في سانت بيترسبيرغ . الموسوعة العربية الميسرة، ج١،المصدر السابق،ص ٢٣٠.

(٢) باسيليوس كرباوي:تاريخ روسيا منذ نشأتها إلى الوقت الحاضر، المرجع السابق، ص٢٣٥.

(٣) Ivan VI (١٧٤٠-١٧٦٤) : إمبراطور روسيا خلفاً لخالته آنا إيفانوفنا. أصبح الإمبراطور في عمر الشهرين في أكتوبر ١٧٤٠ وفي نوفمبر أعلنت والدته آنا ليوبولدوفنا أنها وصية ابنها على العرش ودام حكمه تحت وصاية والدته ١٤ شهراً حتى أسقطه الحرس الإمبراطوري تحت قيادة إليزافيتا بيتروفنا ابنة بيتر الأول حيث قامت بنفي الطفل ووالدته إلى ريغا فتوفيت والدته وعمره ١٦ سنة وتم اغتياله من قبل أحد حراسه في حبسه في قلعة شليسسيلبورج.الموسوعة العربية الميسرة،ج١،المصدر السابق،ص٢٨٩.

الثلاثة أشهراً حيث أسندت وصايته إلى الدوق "بيرون" إلا أن الحرس الإمبراطوري ثار عليه ونفاه وعين بدلاً عنه وصياً على"إيفان السادس"أمه الأميرة"آنا ليوبولدوفنا"(١).

إلا أن الأمر لم يكتمل لإيفان السادس، ففي سنة ١٧٤١م خرجت إليصابات "إليزابيث"(٢)،ابنة "بطرس الأكبر"من زوجته الثانية"كاترين الأولى"من عزلتها وظهرت إلى الساحة السياسية.وقد عملت "إليصابات" جاهدة إلى الوصول إلى التاج الملكي في روسيا متخذة في ذلك كافة السبل فأخذت "إليصابات" بالتقرب إلى كافة طبقات المجتمع الروسي فكانت تزور الثكنات العسكرية، والمستشفيات، وتعود المرضى، وتنفق بسخاء على أفراد الشعب حتى ملكت أفئدهم وأصبحوا ينادون بها إمبراطورة عليهم.وبذلك نجحت "إليصابات"في كسب تأييد المجتمع الروسي لها في تولي حكم البلاد والعباد في روسيا(٣).

كما أيد "إليصابات"في وصولها للتاج الملكي في روسيا فرنسا التي كانت تسعى لتقليص نفوذ الألمان في البلاط الروسي، وقد وجدت ضالتها في تعيين "إليصابات"على حكم روسيا.حتى إنها أوعزت إلى سفيرها في روسيا"لاشتاري"بعمل كل ما في وسعه لمناصرة ومؤازرة "إليصابات"في طريقها للوصول إلى العرش وتقديم المشورة اللازمة والمعونات المادية في سبيل ذلك(٤).

وعندما حان الوقت وقفت "اليصابات"بين جنودها ومناصريها وقالت لهم:"يا أولادي هل تعرفون من أنا؟"فأجابوها بصوت واحد:"نعم، يا أمنا وسنقتلهم كلهم".فحذرهم من إراقة الدماء.وقالت لهم:"إنني أقسم بأن أموت لأجلكم.فهل تقسمون أنكم تموتون لأجلي؟"فأقسموا بأنهم يفدونها بدمائهم ويموتون لأجلها(٥).

---

(١) دائرة المعارف:ج٦،المصدر السابق،ص٩٥.

(٢) Elizabeth (١٧٠٩-١٧٦٢) : إمبراطورة روسيا ابنة بطرس الأكبر وكاترين الأولى تولت القيادة خلفا لإيفان السادس سنة ١٧٤١ م وتوفيت سنة ١٧٦٢م ، وخلفها بيتر الثالث. هي إمبراطورة روسيا في الفترة (١٧٤١-١٧٦٢).الموسوعة العربية الميسرة،ج١،المصدر السابق،ص ٢١٣.

(٣) باسيليوس كرباوي:تاريخ روسيا منذ نشأتها إلى الوقت الحاضر، المرجع السابق،ص٢٣٨.

(٤) المرجع السابق، ص٢٣٨.

(٥) المرجع السابق، ص٢٣٩.

وبالفعل فقد تم القبض على أم ووصية الملك وعلى زوجها وكذا الإمبراطـــور"إيفـــان السادس"، كما تم إلقاء القبض على كافة معاونيهم وخاصتهم، ونودي بإليصابات إمبراطورة على روسيا.

وهكذا استطاعت "إليصابات"الوصول إلى عرش روسيا بتوظيفها للأحـــوال القائمـــة آنذاك بشكل صحيح، إذ أحسنت في التقرب إلى الشعب الروسي وكسب محبتـــه وعطفـــه، والذي تضجر من ناحية أخرى من هيمنة الألمان على مقدرات البلاد، كما كـــان لهـــا اليـــد الطولى في إغداق الأموال على القادة وذوي المناصب الهامة في استجلاب تأييدهم بالإضافة إلى أن"إليصابات" قد كسبت تأييد فرنسا في مسيرتها للوصول إلى عرش روسيا، كما أن رجـــوع "إليصابات"بالنسب إلى بطرس الأكبر والذي يعتبر أباها قد أوجد لدى الشعب الروسي تعاطفاً معها باعتبارها ابنة الرمز السياسي المقدس بالنسبة للروس، وقائد الروس إلى العزة والرفعة من قبل فقد وضع الروس الأمل في ابنته"إليصابات"ووجدوا فيها ما قد يعوضهم عن أيام أبيها.كل تلك الأسباب قد ساقت"إليصابات"إلى تولي زمام روسيا.

وكانت"إليصابات"خلال فترة حكمها التي امتدت عشرين سنة(١٧٤١-١٧٦٢م)قد خاضت حرباً ضد أسوج،دامت سنتين،وانتهت بمعاهدة أبوسنة١٧٤٣م حيث حصلت روسيا فيها على بعض أنحاء فلندة[(١)]كما أنها خاضت"حرب السنوات الســـبع"(١٧٥٦-١٧٦٣م) ضد فريدريك الثاني[(٢)] ملك بروسيا،فحققت عدداً من الانتصارات كما أن الجيوش الروســـية احتلت برلين سنة ١٧٦٠م[(٣)].

---

(١) Finland : جمهورية فنلندا،هي إحدى دول أوروبا الإسكندينافية،تقع شمال القارة الأوروبية،يحـــدها غربـــاً السويد وخليج بوثنيا-جزء من بحر البلطيق-وشمالاً النرويج،وتحدها روسيا شرقاً وجنوبـــاً،وخلـــيج فنلنـــدا جنوباً،وعاصمتها هلسنكي. الموسوعة العربية الميسرة،ج٢،المصدر السابق،ص ١٣٢٤.

(٢) Frederick the Great (1712-1786) : أعظم ملوك بروسيا،خلف أباه فريدريك ولـــيم عـــام ١٧٤٠م، استطاع لم شمل الولايات الألمانية وشق الطرق وقوى الاقتصاد ونشر التعليم. حتى أصبحت بروسيا أعظم بلاد أوروبا وقائدة النهضة العلمية والأدبية والفكرية فيها

(٣) دائرة المعارف:ج٦،المصدر السابق،ص٩٥.

وعلى الرغم من تلك الحروب والمصاحبة لفترة حكم"اليصابات"إلا أنها اهتمت كثيراً بالإصلاحات الداخلية، فقد اعتنت بالمذهب الأرثوذكسي ورجالة ففرضت على الأديرة أن ترسل بعضاً من تلامذتها إلى الأكاديمية اللاهوتية في موسكو،كما فرضت عدداً من العقوبات على رجال الدين المخالفين لمظهر القس الديني من التدخين أو شرب الخمر...الخ وعلى طريق الإصلاحات إعادة "اليصابات" إحياء مجلس الشورى، والذي كان قد الغي على زمن كاترين الأولى،كما أرسلت عدداً من أولاد التجار إلى هولندا ليتعلموا هناك فن الحساب.بالإضافة إلى أنه وفي عهدها قد تم إنشاء جامعة موسكو، وكذا أكاديمية الفنون الجميلة، وكثر كذلك في عهدها البعثات العلمية الروسية إلى شتى بقاع أوروبا للاستفادة من التقدم الأوروبي هناك[١].

ارتمت كل تلك الجهود التي بذلتها"اليصابات"فيمن لا يحسن قدرها إذ تولى عرش روسيا بعدها ابن أختها"آنا بتروفنا"وحفيد بطرس الأكبر باسم"بطرس الثالث"(١٧٦٢-١٧٦٢م). والذي كان غير مبالي بملكه أو مملكته ومن ذلك ميوله الشديد وإعجابه بملك بروسيا "فريدريك الثاني"، وبنظم الحياة الاجتماعية والحربية البروسية، ومن هذا المنطلق فقد أقدم على إيقاف الحرب التي كانت خالته "اليصابات" قد شنتها من قبل على بروسيا، ولولا موت "اليصابات" لتحولت بروسيا أثرا بعد عين ولتم محوها من على الخارطة الأوروبية. بل على العكس من ذلك فقد أقدم"بطرس الثالث"على عقد معاهدة دفاعية هجومية مع بروسيا وإرجاع كل ما تمكنت منه روسيا من بروسيا على أيام خالته"اليصابات"لها مرة أخرى[٢].

ومما يبين إعجاب"بطرس الثالث"بملك بروسيا"فردريك الثاني"أنه، وبعد إبرام تلك المعاهدة الدفاعية الهجومية، أولم وليمة كبيرة دعا إليها سفراء الدول وكبار الدولة وبالغ في استقبال مندوب بروسيا"غولتر Gaultr " إلى حد تبعث على الدهشة ثم قال:"لنشرب نخب الملك سيدنا...لقد خولني شرفاً عظيماً-يقصد فريدريك الثاني-إذ جعلني أميناً على إحدى فرق جيشه، فأرجو ألا يطردني. ويجب أن تعلموا أنه إذا اصدر إليَّ أمره بمحاربة الجحيم

(١) باسيليوس كرباوي:تاريخ روسيا منذ نشأتها إلى الوقت الحاضر، المرجع السابق، ص ص٢٤٧-٢٥١.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥٥.

لسرت إلى تلك الحرب بكل إمبراطوريتي"[١].وهذا جل ما كانت تخشاه "إليصابات" من ابن أختها "بطرس" حيث كانت لا تبيح له بأسرار الدولة كما كانت تستبعده من المجالس التي تعقد للمشاورة في أمور الحرب وسياسة الدولة خشية منه في إبلاغ "فردريك الثاني" ملك بروسيا[٢] حتى إنه من شدة إعجابه ببروسيا أجبر جيشه على إرتداء الزي العسكري البروسي [٣].

ولم يقف"بطرس الثالث"عند هذا الحد بل أخذ في معاملة فرق الحرس، وكذا قيادة الجيش الوطني، بكثير من السخرية والامتهان، وكان يقول عنهم: "إنه يمقت رؤية وجوههم".أضف إلى ذلك امتهانه الشديد لرجال الدين ولديانة المملكة الروسية نفسها مما أوجد نفوراً بين بطرس الثالث وكافة رجال دولته [٤]، بل أنه كان يُفكر جدياً في إلغاء الكنيسة الأرثوذكسية وإكراه رعاياه الروس على اعتناق البروتستانتية[٥]مذهب البروسيين[٦].

أما على مستوى سياسته الخارجية فقد قرب إليه معتمد"فريدريك الثاني"والذي أصبح مستشاره الخاص، والآمر الناهي، والموجه الحقيقي لسياسة روسيا، بينما أصبحت النمسا وفرنسا مهمشة مما أزعجهما وأحدث بوناً بينهما وبين روسيا[٧].

كما كان"بطرس الثالث"سكيراً معظم وقته لا يعي ما يدور حوله في أكثر الأحيان، غير مبال بحياته العائلية أو بزوجه كاترين، بل كان ميالاً إلى محبوبته وعشيقته "فورنزوف

---

(١) باسيليوس كرباوي:تاريخ روسيا منذ نشأتها إلى الوقت الحاضر، المرجع السابق، ص ٢٥٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥٢.

(٣) مطبعة الهلال : كاترين الثانية ، القاهرة ، ١٩٢٢م ، ص ٣٢ .

(٤) باسيليوس كرباوي:تاريخ روسيا منذ نشأتها إلى الوقت الحاضر، المرجع السابق، ص ٢٥٤.

(٥) حركة دينية.نشأت عن حركة الإصلاح ومبادئها.يطلق هذا الاسم على الذين لا ينتمون إلى الكاثوليكية.وتنطوي البروتستانتية على أفكار تحررية في الأمور الدينية والدنيوية،وكذلك في إعطاء الفرد حرية التقدير،والحكم على الأمور،وفي التسامح الديني.وهذا مضاد للتقليد وللسلطة الدينية.وروح البروتستانتية هي في مسؤولية الفرد تجاه الله وحده وليس تجاه الكنيسة.الموسوعة العربية الميسرة، ج١، المصدر السابق، ص ٣٥٧.

(٦) مطبعة الهلال : كاترين الثانية ، المرجع السابق ، ص ٣٣ .

(٧) باسيليوس كرباوي:تاريخ روسيا منذ نشأتها إلى الوقت الحاضر، المرجع السابق، ص ٢٥٦.

Fornzov" أكثر منها إلى زوجه. وحول هذا الوضع يحدثنا المسيو دي براتيل سفير فرنسا في روسيا قائلاً:"إن عيشته البيتية مدعاة للخجل فهو يصرف معظم لياليه بالتدخين وارتشاف الجعة وقد يدوم على تلك الحالة حتى الساعة الخامسة أو السادسة صباحاً حتى لا يعود يعي على شيء.وقد تحبب كثيراً إلى الآنسة فورنزوف، مع أنها ليست في شيء من الصفات المحبوبة، فهي ساذجة لدرجة البلادة أما وجهها فلا يمكن للعقل أن يتصور أكثر منه شناعة وهي أشبه بأَمة منها بسيدة"(١).

أما كاترين زوج بطرس الثالث التي كانت صابرة على امتهان زوجها واحتقاره لها فقد كانت تنتظر الوقت المناسب للانتقام وكانت كما وصفها سفير فرنسا في روسيا المسيو دي براتيل:"إن تلك الاحتقارات والإهانات التي كانت تحل بها يومياً كانت تجتمع في بركان دماغها الذي كان يتوقع فرصة للانفجار"(٢).وبالفعل فعندما أحست كاترين أن الوقت قد حان وأن رجال الدين، والبلاط، والقادة، والشعب يؤازرها أعلنت تنصيبها باسم كاترين الثانية(١٧٦٢-١٧٩٦م) (٣)حاكمة على روسيا، كما تم اعتقال بطرس الثالث ومجموعة من معاونيه. وبذلك انتهت حقبة من أسوأ الحقب التي مرت بها روسيا في ظل حكم بطرس الثالث.

وما كانت الأمور تستقر لكاترين حتى وضعت لنفسها سياسة خارجية ذات أهداف أرادة كاترين الثانية تحقيقها فقد ارتكزت سياستها الخارجية على ما يلي(٤):

أ- استعادة المقاطعات البولونية التي يسكنها الأرثوذكس.

---

(١) باسيليوس كرباوي:تاريخ روسيا منذ نشأتها إلى الوقت الحاضر، المرجع السابق، ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥٧.

(٣) Catherine II (1729-1796) : إمبراطورة روسيا من ١٧٦٢ حتى وفاتها. ويقال إنها تجسد حقبة الطاغية المستنير. دافع فولتير عنها عندما قامت بانقلاب على زوجها، وقال:"مستبد عاقل خير من مستبد جاهل".مسعود الخوند:الموسوعة التاريخية والجغرافية،ج٨،المرجع السابق،ص٢٢٤.

(٤) دائرة المعارف:ج٦،المصدر السابق،ص٩٦.

ب- احتلال ساحل البحر الأسود،وإخراج الترك من أوروبا،وتأسيس عدد من الدول الجديدة في المناطق التركية مثل مولدافيا،فلاشية،الفلاخ،البلقان واليونان.

ت- احتلال القسطنطينية،وتنصيب ابنها قسطنطين من بعدها.

وقد واتت الفرصة كاترين لتنفيذ سياستها السابقة مبتدئه ببولونيا إذ إن ملكها مات فجأة مما سبب انشقاقاً في الصف الداخلي البولوني حيث انقسم البولنديون على أنفسهم إلى قسمين على النحو التالي[١]:

- أولاً:برئاسة الوزير"بريهل"وصهره"مترسك":وكان يرى تولية العرش لأمير سكسوني.وتناصره في ذلك فرنسا والنمسا.

- ثانياً:برئاسة "زارتورسكي":ويرى تولية العرش إلى أحد أشرافهم ويدعى"ستانيسلاوس بنياتفسكى"[٢]وكان من ضعف الشخصية بمكان.وهذا جل ما كانت تطلبه بروسيا وروسيا ممن يتولى حكم بولونيا، وبالتالي فقد أيدته لتولي حكم بولونيا.

وكان لهذا الانقسام البولوني والتنافس على رئاسة العرش أثره في قيام حرب أهلية أسفرت عن تدخل روسيا وتنصيب"ستانيسلاس بونباتوسكي"على عرش بولونيا وسحق أعدائه.

ولم يكن تنصيب"ستانيسلاس بونباتوسكي"نهاية المطاف؛ فأعداء الأمس-روسيا وبروسيا-قد أصبحا أحباب اليوم بفضل بولونيا.فقد توصل فردريك الثاني ملك بروسيا وكاترين الثانية إمبراطورة روسيا إلى اتفاق يقضي في طياته على هدفين هامين وهما:

أولاً: هدف سياسي:ويقضي بالوقوف صفاً في طريق أي محاولة للإصلاح في بولونيا.

ثانياً:هدف ديني:وهو الدفاع عن حقوق الأرثوذكس والبروتستانت في بولونيا.وأن هذه الأهداف لا تتم في نظر كل من روسيا وبروسيا إلا من خلال تقسيم بولونيا[٣].

---

(١) باسيليوس كرباوي:تاريخ روسيا منذ نشأتها إلى الوقت الحاضر، المرجع السابق، ص ٢٦١.

(٢) Stanislaus II (1732-1798): احد ملوك بولندا،انتخب عام ١٧٦٤م،ليخلف أوغسطس الثالث.كانت تسانده روسيا بقيادة كاترين الثانية وكذا ملك بروسيا فردريك الثاني.الموسوعة العربية الميسرة،ج١،المصدر السابق،ص ٩٦٤.

(٣) باسيليوس كرباوي:تاريخ روسيا منذ نشأتها إلى الوقت الحاضر، المرجع السابق، ص ٢٦٣-٢٦٤.

فأما الهدف السياسي فإن كلاً من روسيا وبروسيا كانتا تأملان في أن تغرق الحكومات البولونية في بحر من الفوضى، وألا تكون ذات مقدرة على إدارة البلاد، للوصول إلى أغراضهما؛ فروسيا كانت تطمع إلى توسيع أملاكها من ناحية الغرب، وأما بروسيا كان غربيها بيد بولونيا، وأرادت استرجاعه والتوسع على حساب بولونيا في تلك المناطق(١)، وبالتالي فإن روسيا وبروسيا قد اتفقتا الوقوف صفاً في محاولة أي إصلاح من أي نوع كان في بولونيا يعرقل سير ما كانت تنويه .

أما الهدف الديني فإن البابويين هناك قد غالوا كثيراً فيما يخص غيرهم من الفئات الدينية المسيحية الأخرى.فقد كان معتنقو الأرثوذكسية والبروتستانتية يعانون من وحشية واضطهاد البابويين الكثير.ولم تكن تلك الحوادث فريدة في تاريخ بولونيا، فقد كتب "بطرس الأكبر" سنة ١٧١٨م إلى"أوغسطس الثاني"ملك بولونيا لافتاً نظره إلى ما يتعرض له الأرثوذكس من سوء معاملة في بلاده.كما كتب بطرس إلى البابا سنة ١٧٢٣م يهدده فيه بأنه سوف يعامل كاثوليك بلاده بنفس المنوال المتبع مع الأرثوذكس في بولونيا إذا لم يقلع أتباعه من الكاثوليك في بولونيا عن اضطهاد الأرثوذكس(٢).

وفي عام ١٧٦٥م رفع"كونينسكي،"أسقف روسيا، عريضة اعتراض إلى ملك بولونيا عن المعاملة التي يتعرض لها الأرثوذكس في بلده من أخذ لكنائسهم، ومنعهم من بناء الكنائس، وأداء الطقوس الدينية الخاصة بهم، وفصل الآباء عن الأزواج والأبناء(٣).وطالب فيها بإحقاق العدالة للرعايا البولنديين من الأرثوذكس.وبالتالي فإن روسيا، حكومة وشعباً، كانت تتوق إلى الانتقام من البابويين في بولونيا ومناصرة أبناء عقيدتهم من الأرثوذكس، ولم يكن ذلك التعامل الوحشي من قبل البابويين في بولونيا قاصراً على الأرثوذكس، بل تعداه إلى جميع الفئات المسيحية المخالفة لهم، ومن بين تلك الفئات البروتستانت والذين كانوا على نفس ما كانت

---

(١) باسيليوس كرباوي:تاريخ روسيا منذ نشأتها إلى الوقت الحاضر، المرجع السابق، ص ٢٦١-٢٦٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٦١-٢٦٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٦٤.

عليه بروسيا من المعتقد وبالتالي فإن بروسيا كانت تتحين الفرصة لمناصرتهم والـذود عنـهم. وبالتالي فإن الهدف الديني قد وحد جهود كل من روسيا وبروسيا حول بولونيا.

وأما فيما يخص تقسيم بولونيا فإن إقرار مثل هذا المشروع يعد خطوة تحول ضمن لغة السياسة الأوروبية، وهو ظهور مبدأ تقسيم بولونيا وإقراره كبرنامج عملي يجب تنفيذه.وبالتالي فإن مثل هذا التقسيم هو بمثابة إقرار من قبل الدول التي سعت إلى تقسيم بولونيا-روسيا،النمسا،بروسيا-بأن الخارطة الأوروبية لم تعد تتسع لبولونيا، وأن بولونيا لم يعد لها ما تؤديه، وأن دورها كدولة قد انتهى.

وللوقوف على حيثيات تلك الفكرة فإنه، وحتى أواخر حرب السبعة الأعوام، فإن فرضية تقسيم بولونيا كانت تقابل بالرفض في روسيا، وكان من أكابر المعارضين لتلك الفكرة الكونت ن.آي.بانين وكانت تتمحور رؤيته في إقامة حلف يضم كلاً من روسيا وبروسيا وبريطانيا والدنمرك والسويد وبولونيا يطلق عليه حلف الشمال. وبالتالي وجب مساعدة بولونيا في النهوض والقيام بدورها المنوط بها.كما أن روسيا كانت تنظر إلى بولونيا على أنها ذلك الحاجز الأمني بينها وبين أخطر أعدائها النمسا وبروسيا(١)، وذلك عندما لم تكن روسيا قد رأت من نفسها مقارعة لتلك الدول، إلا أنه من خلال نمو العسكرية الروسية وتطورها فإن ذلك الحاجز – بولونيا – أصبح حجر عثرة في طريق توسع روسيا.وبالتالي فإن فكرة رفض التقسيم لبولونيا من قبل روسيا قد تغيرت لصالح التقسيم بعد الحرب الروسية البروسية ١٧٥٧م – ١٧٦٢م التي أثبتت تفوق الروس .

ففي عامي ١٧٥٩م و١٧٦١م اقترح بعض سياسيي روسيا إعادة النظر حول حدود بولونيا الشرقية لصالح روسيا.وفي خريف١٧٦٣م ألح الكونت زاخار تشويشيوف-مستشار الإمبراطورة للأمور العسكرية-على ضرورة ضم بولونيا الشرقية.وفي تشرين الثاني١٧٦٨م فإن مجلس الدولة، من أجل أمن روسيا"Gosudarstvenny Soviet" رأى ضرورة ضم بولونيا

(١) ماثيو أندرسون:تاريخ القرن الثامن عشر في اوروبه، المرجع السابق،ص٢٦٢-٢٦٣.

الشرقية[١].وبالتالي فإن فكرة تقسيم بولونيا قد أصبحت ذات صدى واسع وترحيب شديد في أروقة السياسة الروسية.

وقد ساعد على تمحور تلك الفكرة أنه وفي عام ١٧٦٩م قدم "الكونت لينار Count Lennart" مبعوث فريدريك الثاني ملك بروسيا إلى روسيا، مقترحاً بتقسيم بولونيا.كما أنه ومن نفس السنة فإن النمسا قد استولت على كونتيه زييس البولونية[٢].مما أعاد النظر حول تقسيم بولونيا في حالة التوسع النمساوي في ظل صمت بروسيا وروسيا واللتين أرادتا مشاركة النمسا في تلك القسمة.

كل تلك الأحداث قد عجلت بزيارة الأمير هنري، أخي فريدريك الثاني ملك بروسيا أواخر ١٧٧٠م، إلى روسيا لبحث المسألة البولونية[٣].وقد توصل الطرفان إلى ضرورة الإسراع في تقسيم بولونيا.

كما ساعد على تمحور فكرة تقسيم بولونيا أوضاع البلد، إذ كانت بولونيا ترزح تحت نير فئات من المجتمع التي كانت تسيطر على مقاليد الأمور، حتى إن الملك يخشاهم من أمثال آل بوتوكي الموالين إلى فرنسا،وآل تشاروتوريسكي الموالين لروسيا مما، أدخل البلد في منازعات داخلية جعلته في تخلف عن النهضة الأوروبية وبقائه ضمن دائرة التخلف الإقطاعي، ناهيك عن عجز واضح في اقتصاديات بولونيا إذا ما قورن بمثيلاتها من دول أوروبا. أضف إلى ذلك وضع الجيش البولندي والذي كان يفتقر إلى جاهزية الجيوش الحديثة من التدريب، والتنظيم، والانضباط، والأسلحة الحديثة مما جعل بولونيا مرتعاً للسلب والنهب من قبل جاراتها دونما تحصينات أو دفاعات تحميها.كل تلك الأمور مما دعمت فكرة التقسيم تلك[٤].

---

(١) ماثيو أندرسون:تاريخ القرن الثامن عشر في اوروبه، المرجع السابق،ص٢٦٢.

(٢) المرجع السابق،ص٢٦٧.

(٣) المرجع السابق،ص٢٦٨.

(٤) للمزيد انظر: باسيليوس كرباوي:تاريخ روسيا منذ نشأتها إلى الوقت الحاضر، المرجع السابق، ص ٢٦١-٢٦٢-٢٦٣.ماثيو أندرسون:تاريخ القرن الثامن عشر في اوروبه،المرجع السابق،ص٢٦١.

وكان من تداعيات الاضطهاد والذي يتعرض له غير البابويين في بولونيا أن استنفر سفير روسيا هناك القوى المناهضة لتلك المعاملة من الأرثوذكس والبروتستانت ومن شايعهم من الكاثوليك غير الراضين عن تلك المعاملة من قبل البابويين في بولونيا، ضد غيرهم من الطوائف الدينية.كما أخبر بذلك السفير الروسي والذي وضح لدولته ما يجري في بولونيا، حيث جهزت روسيا جيش قوامه ثمانين ألف جندي جعلته رهن إشارة السفير الروسي هناك[١].وليس من المستبعد أن يكون ذلك الاستنفار من قبل سفير روسيا إنما هو بإيعاز من قبل حكومته لاتخاذ ذلك ذريعة للتدخل في شؤون بولونيا لنصرة الطوائف المسيحية المضطهدة.

وكان ما تمنته روسيا فقد ساند موقفها ذاك الرأي العام الأوروبي، والذي أخذ في التذمر من حالة الطوائف الدينية من غير الكاثوليك في بولونيا. وتحت هذا الضغط الدولي فقد تقرر من خلال مجلس بولونيا السماح لغير الكاثوليك بالالتحاق بالوظائف الحكومية، وإطلاق الحرية الدينية في البلاد؛ بشرط أن يكون الدين الرسمي لبولونيا الكاثوليكية، وأن يكون الملك دائماً كاثوليكياً.كما عقدة معاهدة في سنة ١٧٦٨م بين روسيا وبولونيا كان من ضمن شروطها أنه لا يجوز لبولونيا تغيير، أو تحرير، أو زيادة، أو حذف أي من شرائعها إلا بمعرفة روسيا وموافقتها[٢].مما سمح لروسيا بالتدخل الصريح في شؤون بولونيا.

وقد أدى هذا الوضع إلى تذمر بعض الكاثوليك والذين كونوا ما عرف ب"اتحاد الكاثوليك"، في معارضة ما تم اتخاذه من قبل الحكومة البولونية، بل ورفض تدخل روسيا في شؤون بولونيا، مما ساق البلد إلى الثورة التي انقسمت فيها بولونيا على نفسها إلى فريقين متباينين، فريق الحكومة وما يتبعها من الطوائف غير الكاثوليكية ممن أرادوا الإبقاء على ما تم اتخاذه، وفريق الكاثوليك والذين أرادوا الرجوع بالبلاد إلى ما كانت عليه مطالبين بعودة

---

(١) باسيليوس كرباوي:تاريخ روسيا منذ نشأتها إلى الوقت الحاضر، المرجع السابق، ص ٢٦٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٦٥.

التميز للكاثوليك دون غيرهم وعدم مساواتهم بأي طائفة دينية أخرى[١].وهكذا فإن تـــدخل روسيا في شؤون بولونيا الداخلية قد أحدث نوع من الفوضـــى السياســـية والاجتماعيـــة، وظهور تكتلات طائفية دينية وعرقية، وكذا أحزاب سياسية في صراعات دائمة بعيـــداً عـــن مصالح البلد العليا، وبالتالي فقد سمح ذلك الوضع لروسيا لتدخل انفها في شـــؤون بولونيـــا، وهذا جل ما تبتغيه.

وعلى أي حال، ونتيجة للانقسامات السابقة في بولونيا، فقد أيد الفريق الأول روسيا، بينما وقفت فرنسا في صف الفريق الآخر، حيث بعث وزير فرنسا"شواسيل"مبلغاً من المال إلى اتحاد الكاثوليك، وبالقواد العسكريين لقيادتهم وإسداء النصح لهم في معاركهم ضد الـــروس. وقد كانت الحرب سجالاً بينهم وبين القوات الروسية إلى أن تمكن الجنرال "سوفاروف" قائد القوات الروسية من محق الاتحاد وتدمير قواهم وتشتيت شملهم[٢].وبذلك ثبتت الكلمة العليا لروسيا في بولونيا.

وكانت هزيمة الاتحاد الكاثوليكي وتفوق القـــوات الروســـية أمـــراً مخيبـــاً لـــوزير فرنسا"شواسيل"والذي رأى أن أفضل طريقة لنيل من الروس، والانتقام منهم هـــو تحـــريض الدولة العلية على محاربـــة الـــروس حيـــث أوعـــز إلى ســـفير فرنســـا في القســـطنطينية المسيو"فرجن"بعمل كافة الإجراءات اللازمة لجر الدولة العلية إلى حرب الروس[٣].

وحقيقة الأمر أن الدولـــة العثمانيـــة، طيلـــة المـــدة الـــتي قضـــتها مـــن معاهـــدة بلغراد١١٥٢هـــ/١٧٣٩م وحتى اشتعال نار الحرب العثمانية الروسية١١٨٣هـــ/١٧٦٩م وهي مدة تقرب من الثلاثين عاماً، قد ركنت إلى الهدوء والسكينة وانحلت خلال تلك الفترة الطويلة أبسط مبادئ الحرب لدى الجيوش العثمانية، حتى إن النفوس اشرأبت إلى كره خوض

(١) باسيليوس كرباوي:تاريخ روسيا منذ نشأتها إلى الوقت الحاضر، المرجع السابق، ص ٢٦٦.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٦٧.
(٣) المرجع السابق، ص ٢٦٧.

الحروب وحبب إليها السلام بدلاً من ذلك[١]، ولو كان على ذلة من قبل الأعداء موجه لما يدعيه الأتراك أنه سلام.

ومما يبين ذلك ما عزم عليه السلطان مصطفى الثالث[٢]من خوض غمار تلك الحرب ضد الروس، إلا أن صدره الناصح راغب محمد باشا أشار عليه بأن الأولى بالدولة العلية هو تنظيم عساكرها، ومراجعة جيوشها قبل خوض أي معركة لكيلا تقع الدولة العلية في مغبة ما لا يحمد عقباه[٣].وبالفعل فقد تراجع جناب السلطان عما أراده ضمناً لما تضمنه كلام الصدر الأعظم راغب باشا. وهو كلام صادر من شخص مطلع على حقائق الأمور حق اطلاعها، ومن جهة أخرى يبين ما وصلت إليه الدولة العلية من الجهل التام عما كان لأقرانها من الدول في تلك الفترة-القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي-من التقدم الحربي براً وبحراً.

إلا أن ذلك لم يكن نهاية المطاف إذ أخذت روسيا في محاولة إثارة مسيحيي الجبل الأسود، ومولدافيا، وولاشيا، وجورجيا، ومنطقة القرم حتى إن جورجيا امتنعت عن إرسال الضرائب السنوية إلى الدولة العلية بناء على تحريض من روسيا[٤]،كما عملت روسيا على تشييد تحصينات حربية في منطقة صربيا الجديدة لقطع الاتصالات بين الأتراك والتتار في حالة وقوع حرب، وكان آخر أعمال روسيا إثارة هي تتبعها للاجئين البولونيين داخل حدود الدولة العلية في إقليم بلطه ومحاصرته وإشعال النار فيه، مع إقامة مذبحة راح ضحيتها

---

(١) أحمد جودت باشا:تاريخ جودت،المصدر السابق، ص ١٥٨.

(٢) مصطفى الثالث بن السلطان أحمد الثالث(١٧١٧-١٧٧٤م):سلطان تركيا(١٧٥٧-١٧٧٤م). في عهده قامت الحرب بين روسيا والدولة العثمانية، وفيها انتصرت الدولة العثمانية في بداية الحرب، ثم لقيت الدولة العثمانية بعض الهزائم، واستولت روسيا على بعض المدن العثمانية،وانتهت تلك الحرب بمعاهدة كتشك كينارجه.الموسوعة العربية الميسرة،ج٢،المصدر السابق،ص ١٧٠٩.

(٣) احمد جودت باشا:تاريخ جودت،المصدر السابق، ص ١٥٧.

(4) Őmer Faruk Yilnaz : Osmanli Tãrihi , III, P 130 .

البولونيين مع الأتراك(١).أضف إلى ذلك سعي فرنسا الحثيث والمتواصل عن طرق سفيرها في الآستانة"فوجين"لإقناع السلطان بخوض الحرب ضد روسيا. بالإضافة إلى أن موت الصدر راغب باشا قد فتح باباً لأرباب التملق والمداهنة لاستحسان الحرب لذوي الوجاهة مع جهلهم التام بالحرب التي لا يفقهون منها سوى اسمها(٢).

أضف إلى ذلك أن الشعب التركي في إستانبول كان في حالة هياج شعبية مؤيدة للحرب رامية كل من يسعى لعرقلتها بالخيانة،وما كانت هذه الثورة الشعبية إلا لما نما إليهم من تعدي روسيا على حدود الدولة العلية، والمساس بكرامة السكان الأتراك في تلك المناطق، وبهذا نجح مؤججو تلك الثورة من الأتراك أصحاب النفوذ ومن لهم مصلحة من أمثال فرنسا في كسب صوت العامة إلى صالحهم، واستغلال جهل الشارع حول تحقيق مآربهم، من خلال دفع الدولة العثمانية إلى اتخاذ قرار الحرب ذاك(٣) .

ونتيجة لما سبق فقد رأت السلطة العثمانية أن روسيا قد تجاوزت حدودها وزايدت على امتهان الدولة العلية، وبالتالي فإن من واجبها وضع حد لتلك التجاوزات الروسية.وبناء عليه فقد عقد مجلس حرب برئاسة السلطان مصطفى الثالث والذي صرح بأنه"لا بد من البحث عن الوسائل الكفيلة بالإطاحة بهؤلاء الكفرة"(٤).حيث تقرر في هذا المجلس إعلان الحرب على روسيا، ولكن الصدر الأعظم محسن زاده محمد باشا قد مانع تلك الحرب بسبب ضعف العساكر العثمانية، وخلو الحدود العثمانية من التحصينات اللازمة للدفاع عن أراضي الدولة العثمانية، مع ما للعدو من قدرات عسكرية تفوق ما كانت عليه العسكرية العثمانية.وكانت وجهة نظره ليس منع الحرب، وإنما تأجيلها لبعض الوقت الذي تتدارك فيه

---

(١) للمزيد انظر:

- جون باتريك كينروس:القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٤٨-٤٤٩.

- Yasar Yücel, Ali Svim: Türkiye Tarihi, Iv, P 41

(٢) أحمد جودت باشا:تاريخ جودت،المصدر السابق، ص ١٥٩.

(3) Ord . Prof. ismail Hakki Uzunçarşili : Osmanli Tarīhi, Iv.Cilt, P 372.

(٤) جون باتريك كينروس:القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٤٨.

الدولة العلية بعض الإصلاحات الحربية المنوطة بإصلاح الجيش العثماني من الترتيب، والتنظيم،والتدريب، وتحصين الحدود العثمانية، ومن ثم الانصراف لشؤون الحرب بعد اكتمال الجاهزية الحربية العثمانية.إلا أن بعض رجال الدولة وقادتها رموه بالجبن والإهمال وكانوا سبباً في عزله، كما زينوا للسلطان تلك الحرب فكان أن غُرر بالسلطان والذي اقتنع برأيهم[(١)].

وقد تم استدعاء السفير الروسي أوبر شكوف Obreskov من قبل الصدر الأعظم حمزة ماهر باشا، والذي تم تعيينه بدلاً من سلفه محسن زاده محمد باشا، حيث تم إخبار السفير الروسي بضرورة عدم تدخل روسيا في الشؤون الداخلية لبولندا، وأن عليها سحب قواها من الأراضي البولندية، وأن عدم تنفيذ ذلك من قبل الروس معناه الحرب. فما كان من السفير الروسي إلا أن طلب مهلة شهرين لتلقي الأوامر من بلاده ممهداً بذلك للتسويف والمماطلة. وقد أدركت الدولة العلية ذلك ومعنى ذلك الحرب، وبالتالي فقد كلف العثمانيون بعضاً من رجالهم لتأمين عودة التجار والرعايا العثمانيين المتواجدين في روسيا. ثم ما لبثت الدولة العلية أن ألقت القبض على السفير الروسي وسجنته[(٢)]كإجراء وقائي لضمان سلامة الرعايا العثمانيين في الممالك الروسية حتى عودتهم[(٣)].وكانت هذه في مجملها خطوات تأكيدية من قبل الدولة العلية إلى المضي نحو الحرب.

وإن كان هذا الطلب من الدولة العثمانية قد جاء متأخراً فإن الواجب على العثمانيين آنذاك الوقوف في وجه أي محاولة روسية للتقدم نحو تنفيذ وصية بطرس الأكبر[(٤)]القاضية بإزالة العوائق الثلاث التي تقف حاجراً بين روسيا وأوروبا وهي السويد وبولونيا والدولة

---

(١) احمد جودت باشا:تاريخ جودت،المصدر السابق، ص ١٥٩.

(٢) للمزيد انظر:

- جون باتريك كينروس:القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٤٩.

- Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2564

(3) Őmer Faruk Yilnaz : Osmanli Tãrihi , III, P 134 .

(٤) للمزيد انظر:أحمد جودت باشا:تاريخ جودت،المصدر السابق،ص ص٤٩٨-٥٠١. محمد فريد بك:تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص ص٣٣٠-٣٣٤.

العلية وهو ما حصل، حيث تمت إزالة الحاجز الأول وهو السويد من قبل روسيا فلم يعد لها أملاك خارج أرضها،ثم سعت روسيا إلى الاستيلاء على بولونيا الهدف الثاني، ولم يبق أمامها إلا الدولة العثمانية[١].ومن ناحية أخرى فقد أرادت روسيا الإشراف على بحر البلطيق، وهو ما حدث بالاستيلاء على الولايات السويدية، ولم يبقى أمامها إلا الاستحواذ على البحر الأسود التابع للدولة العثمانية كما جاء في وصية بطرس الأكبر[٢].

وعلى أي حال فقد أوعزت الدولة العلية إلى خان القرم"كريم كراي"بإيقاد نار الحرب والإيحاء بأن روسيا هي من ابتدأها. وبالفعل فقد استطاع "كريم كراي"استدراج القوزاق والتابعين لروسيا لتعدي على حدود الدولة العثمانية بالسلب والقتل لرعايا الدولة العثمانية[٣].وكان هذا سبباً كافياً في نظر الدولة العثمانية لإعلان الحرب على روسيا .

وهنا تدخلت إنكلترا لمنع فتيل الحرب حيث بعثت برسالة إلى السلطان مصطفى الثالث تقترح عليه عدم خوض تلك الحرب، وأنها مستعدة للوساطة بينه وبين روسيا. كما تعهدت إنكلترا بتحمل كافة الأضرار التي لحقت بالأراضي العثمانية من جراء تدخل رعايا روسيا إلى أراضيها، إلا أن السلطان مصطفى الذي عقد العزم على حرب روسيا قام بالرد على إنكلترا وشكرها[٤].

وكانت تلك الحرب قد ابتدأها خان القرم"كريم كراي"(١٧٦٩/١/٣١م)بحملة على أوكرانيا بجيش بلغ قوامه المائة ألف فارس حيث أثخن فيها وعاد منها منتصراً مع مئات الألوف من الأسرى[٥].إلا أن موت"كريم كراي"خان القرم عجل بانحسار مد الانتصارات العثمانية.

---

(١) محمد فريد بك:تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٣٠.

(٢) للمزيد انظر:أحمد جودت باشا:تاريخ جودت،المصدر السابق،ص ص٤٩٨-٥٠١. محمد فريد بك:تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص ص٣٣٠-٣٣٤.

(٣) محمد فريد بك:تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٣٤.

(4) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2567.

(٥) يلماز أوزتزنا:تاريخ الدولة العثمانية،ج١، المرجع السابق،ص٦٢٣.

أما على الطرف العثماني فإنه وفي ٢٠ مارس من يوم الثلاثـاء ١٧٦٩م تم اجتمـاع الصدر الأعظم محمد أمين باشا -والذي عين خلفاً لسلفه حمزة ماهر باشا-وقضاة العسـكر وشيخ الإسلام، وسائر الوزراء، ورجال الدولة في حضرة بلاط السلطان، حيـث تم إلبـاس الصدر الأعظم الخلع وكذا الراية الشريفة، اتبعها خروج السـلطان مصـطفى الثالـث إلى صـحراء داود باشـا للاطمئنـان علـى الجـيش العثمـاني[١]. وفي ١٩ذي القعـدة ١١٨٢هـ/٢٧مارس ١٧٦٩م أقيمت مراسم توديع الجيش العثماني على شرف السلطان في معسكر داود باشا[٢].

وفي الحال فقد تحركت القوات العثمانية بقيادة الصدر الأعظم محمد أمين باشا للدفاع عن مدينة"شوكزيم"من أن تقع في قبضة الـروس والـذين كـانوا محاصـرين لهـا بقيـادة البرنس"جالتسين"الروسي[٣].إلا أن القوات العثمانية أخفقت في ذلك.

ويعود سبب ذلك، بشكل رئيسي، إلى سوء تقدير السلطان في اختيـار الصـدر الأعظم محمد أمين باشا، الذي كان من أرباب القلم، وليس له دراية بالأمور العسكـرية من قبل، حيث فاجأ القادة العسكريين بسؤاله عن كيفية تنظيم الحملة؟ ومع ذلك لم يلقـي بـالاً لمقترحاتهم، بل عبر بقواته الدانوب إلى موالدافيا بدون خطة للعمليات العسكرية ممـا جعـل الجيش عرضة لنقص الإمدادات، وتفشي وباء الملاريا لكثرة الناموس في مناطق المستنقعات[٤]. بالإضافة إلى تهاونه التام في قيادة تلك الحملة،حيث كان ميالاً إلى السلم وإبرام الصلح مـع الروس، ومنتظراً من جهة أخرى وعود السفير الروسي له التي اقتنع بها بإبرام الصـلح مـع العثمانيين متى قامت الحرب[٥].

ومما يؤيد هذا الأمر قول الصدر الأعظم في أحد اجتماعاته بقادة الجند وقبـل بـدء

---

(1) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2567.

(2) Ziya Nur Aksun : Osmanli Tarihi, P396 .

(٣) محمد فريد بك:تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٣٥.

(٤) جون باتريك كينروس:القرون العثمانية، قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٥١.

(5) Ziya Nur Aksun : Osmanli Tarihi, P396 .

القتال قوله:"إنني لا يروق لي الحرب...".مما أدهش الجميع بقوله ذاك وجعلهم في حيرة تامة[١].فبدلاً من مناقشة الصدر الأعظم للاستعدادات الحربية، وبث روح العزيمة والإصرار في نفوس الجند، والقيام بما يلزم للحرب، والوعيد بالعقوبة للمخالفين للأوامر والخونة، ومراجعة الخطط الحربية، والاطمئنان على جاهزية الجيش، فبدلاً من ذلك كله فإننا نرى الصدر الأعظم يفاجئ الجميع بعدم رغبته للحرب تلك واستمالة نفسه للدعة والراحة.

كما كانت العساكر العثمانية من جهة أخرى تفتقد إلى التدريب، والتنظيم، والطاعة فكانت بحق اسماً بلا جسم مما عجل بظهور الضعف والتلاشي فور اشتداد المحن[٢].وكانت هذه من أولى النكبات التي لحقت بالجيش العثماني.

كما ساعد على تلك الهزيمة العثمانية بطء التحرك الإداري والعسكري العثماني والذي تأخر ستة أشهر من إعلان الحرب حتى خوضها مما أعطى الروس فرصة كبيرة لترتيب قواهم وتنظيمها[٣].وكذا استجلاب المعونات المالية من قبل بروسيا ضمن الخطاب والذي وجهته كاترين إلى فردريك ملك بروسيا والذي أوضحت له فيه ثقتها التامة بكسب تلك الحرب مع الأتراك[٤].

وعلى الجانب العثماني فقد تم تنفيذ قرار السلطان بإعدام الصدر الأعظم ياغلقجى محمد أمين باشا وتعيين مولداوانجي علي باشا بدلاً عنه، وهو الذي كان على دراية بالأمور العسكرية، إلا أن الأقدار حالت بينه وبين تحقيق النصر، وذلك أنه، وأثناء عبوره مع جيشه نهر"دينستر"ليهاجم الجيش الروسي والذي كان في الجهة المقابلة من النهر، فاض النهر في صورة مرعبة ومفاجئة قبل حينه، مما جعل الجنود العثمانية في حالة من الارتباك، فكان أن رجع من لم يصل إلى الشاطئ الآخر إلى معسكراهم مع غرق كثير من المراكب العثمانية مع من فيها التي راح ضحيتها ستة آلاف جندي، أما من وصل إلى الضفة الأخرى فقد استقبلتهم المدافع

---

(1) Ord . Prof. ismail Hakki UzunÇarşili : Osmanli TarÏhi, Iv.Cilt, P 375.

(٢) أحمد جودت باشا:تاريخ جودت،المصدر السابق، ص ١٥٩.

(3) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2567.

(4) Ziya Nur Aksun : Osmanli Tarihi, P396 .

الروسية بوابل مـن الـنيران حـتى قتلـوا عـن آخـرهم في ١٧ جمـادى الأولى سـنة ١١٨٣/١٨سبتمبر ١٧٦٩م[١].وكان هذا مدعاة لتقدم الجيش الروسي واسـتيلائه علـى الفلاخ والبغدان.

وكانـت تلك الحادثة مـدوية في أوروبا بأسرها، حتى إن مؤرخي أوروبا شـبهوا تلك الحادثة ومساعدة النهر لروسيا بفيضـانه قبل حينه بحادثـة نجـاة بطـرس الأكـبر في موقعـة بروث[٢].

وكان ذلك مدعاة للإمبراطورة كاترين الثانية إعلانها عزمها على غزو اليونان وتحرير الشعوب المسيحية من نير احتلال الكفرة الأتراك. هدفت من ذلك كاترين إلى كسب قلوب مسيحيي الدولة العثمانية ومساعدتهم لها في تحقيق مآربها، بالإضافة إلى فتح عدة جبهات قتالية متعددة على الدولة العثمانية.

ولم تكن تلك الدعاية من قبل كاترين الثانية إلا مقدمة لجهود الكنيسة الأرثوذكسـية الروسية التي عملت جاهدة، عن طريق عملائها في اليونان، للقيام بدعاية واسعة هناك لإعلان الثورة والتمرد على الكفرة الأتراك والوعد بمساعدتهم من قبل الإمبراطورة كاترين وتحريرهم ونصرتهم على عدوهم المشترك[٣].

وبالفعل فقد تحرك الأسطول الروسي من بحر البلطيق متجهاً إلى المحيط الأطلسي ومنه إلى البحر المتوسط وبناءً عليه فقد أخبر السفير الفرنسي في إستانبول الكونـت **Saint Priest** الباب العالي بتلك التحركات الروسية، إلا أن أحد الأتراك لم يعطي الموضوع أهميتـه الـتي تستحق[٤] لعدم تصديقهم بإمكانية تواجد الأسطول الروسي في البحر المتوسط.

---

(١) محمد فريد بك:تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٣٥.

(٢) احمد جودت باشا:تاريخ جودت،المصدر السابق، ص ١٦٠.

(٣) جون باتريك كينروس:القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٥١.

(٤) للمزيد انظر:

- جون باتريك كينروس:القرون العثمانية، قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٥١.
- يلماز أوزتونا:تاريخ الدولة العثمانية،ج١، المرجع السابق،ص٦٢٤.

وإن كان هذا الأمر من وجهة نظر العثمانيين في محله؛ لأن البحرية الروسية وحتى تلك الفترة كانت قاصرة عما يؤهلها لمثل ذاك الالتفاف، وكانت قاصرة عما كان في غرب أوربا، سواء على مستوى البحارة، أو السفن، أو الملاحة البحرية، أو حتى الأسلحة.ومن ذلـــك أن" جون ألفنستون"-قائد القوات الروسية الفعلي في تلك الحملة-كان يعلق على ذلك القصور موجهاً كلامه إلى الإمبراطورة كاترين الثانية التي كانت ترد بقولها:"إن جهل الروس يرجع إلى الحداثة،ولكن جهل الأتراك يرجع إلى الكهولة"(١).

ومما يدلل على وجهة النظر العثمانية المساعدات البريطانية غير المحدودة التي قدمت إلى الأسطول الروسي للوصول إلى البحر المتوسط إذ كان معظم قادة الأسطول الروســي مـــن الأميرالات والضباط الإنكليز. كما أن تلك الحملة قد أسندت في الظاهر إلى الكونت الروسي أورلوف (Kont Aleksiy Orlov)أما في الحقيقية فإن القيادة الفعلية كانـــت بيـــد الأمـــيرال اللأسكتلندي جـــون الفنســـتون (John Elphiston)ومعاونيـــه الضـــابطين الإنكليـــزيين Greggو Dugdale (٢).

وما كان ذلك الدعم من قبل بريطاني إلى روسيا إلا ضمن سياسة بريطانيا التي كانت ترمي إلى تشجيع التوسع الروسي في مقاومة فرنسا، مع الحفاظ على الجانـــب الآخـــر مـــن سياستها وهو الإبقاء على الدولة العثمانية للحفاظ على التوازن الدولي في القارة الأوروبيـــة. وبالتالي فقد قدمت الحكومة البريطانية كل الدعم الفني والتقني للبحرية الروسية في مســـيرتها إلى البحر المتوسط، كما اعتبرت أن أي عرقلة لمسيرة الروس من قبل فرنسا أو إسبانيا بمثابـــة عمل عدواني(٣).وفي المقابل فإن ساحة الأتراك لا تخلو من اللوم فالأجدر بهم، وفي أقل التقدير، التأكد مما أخبرهم به السفير الفرنسي من تحركات الأسطول الروسي.

---

(١) جون باتريك كينروس:القرون العثمانية، قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٥١-٤٥٢.

(٢) يلماز أوزتزنا:تاريخ الدولة العثمانية،ج١، المرجع السابق،ص٦٢٤-٦٢٥.

(٣) جون باتريك كينروس:القرون العثمانية، قيام وسقوط الإمبراطورية التركية، المرجع السابق،ص٤٥٢.

وعلى أي حال فقد استطاع الروس النزول بقواتهم في شبه جزيرة المورة، التي اشتعلت بها الثورة من قبل السكان هناك ضد الحكم التركي، كما لقي الثوار هناك كل الدعم من البنادقة(١).إلا أن تلك الأماني الصليبية المشتركة قد اصطدمت بإصرار وعزيمة حاكم المورة محسن زاده محمد باشا، والذي استعان بعصابات قطاع الطرق الألبان في دحض الثورة، ودحر الروس وأجلاهم عن الجزيرة.وكان ما فعله محسن باشا كافياً لتتويجه بلقب"فاتح المورة"في الاحتفال السنوي لفتح القسطنطينية(٢).

وإن ما كان من صد لهجوم الروس الآنف الذكر من قبل العثمانيين، إلا أن الأسطول الروسي ما زال يشكل خطراً بتواجده في مياه البحر المتوسط. ومن ذلك أن البحرية الروسية أرادة التعويض عما لحقها في المورة فاتجهت قاصدة جزيرة "ساقز"،وكانت قد التقت في طريقها بالأسطول العثماني بقيادة القبطان "دريا "شمال "ساقز" والتحم الجانبين العثماني والروسي في معركة استمرت أربع ساعات انسحب الروس على أثرها، بينما اكتفى الأتراك بذلك الانسحاب الروسي وتوجهوا إلى ميناء جشمه.وكانت السفن العثمانية ترسو في الميناء بصورة متقاربة وتبعتها ليلاً حراقتان من مراكب الروس بقيادة "Dugdale"، فقرر العثمانيون إغراقها إلا أنها طلبت الأمان، وإن قدومها ما هو إلا بحجة الانضمام إلى الأتراك، حيث سمح لها بدخول الميناء وعند اقترابها من المراكب التركية ما كان منها إلا أن أطلقت ألسنة اللهب مما أدى إلى اشتعال القطع البحرية العثمانية مع ما فيها من العتاد الحربي وبذات البارود والذي زاد الطين بلة محدثاً انفجارات مدوية.وكان ذلك في ١١ربيع الأول سنة١١٨٤هـ/٥ تموز- يوليو١٧٧٠م(٣).

---

(١) جون باتريك كينروس:القرون العثمانية، قيام وسقوط الإمبراطورية التركية، المرجع السابق،ص٤٥٢.

(٢) المرجع السابق،ص٤٥٢.

(٣) للمزيد انظر:

- محمد فريد بك:تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٣٥-٣٣٦.

- يلماز اوزتونا:تاريخ الدولة العثمانية،ج١، المرجع السابق،ص٦٢٥.

وكان نتيجة تلك الحادثة احتراق الأسطول التركي والمتواجد هناك برمته عدا سفينتين تبعه دخول الكونت "ألفينستون" بقواته حيث أخذ في قصف ميناء جشمه.وقد ذاع خبر تلك الحادثة في أوروبا مما زاد من اعتبار روسيا(١).حتى إن كاترين احتفلت بذلك النصر بإقامة قوس النصر في منطقة " تسارسكو-سلو"Tsarsko-Selo "(٢)واضعةً نيشاناً لكل مقاتل كتب عليه"كنت هناك"وحق لها فقد كانت تلك الهزيمة أسوء هزيمة يتلقاها الأسطول العثماني منذ موقعة ليبانتو(٣).

وقد قرر"ألفنستون"بناء على الأحداث السابقة مهاجمة إسطنبول بالمرور عبر الدردنيل والذي كان في حالة عجز دفاعي واضح؛ إلا أن القائد أورلوف (Kont Aleksiy Orlov)فضل احتلال جزيرة "لمنوس" لتكون قاعدة لانطلاق العمليات الحربية فيما بعد.أما الأتراك على الجانب الآخر فقد باشروا على الفور، وبقيادة الكونت"دي توت"، بمحاولة حماية القسطنطينية باتخاذ عدة إجراءات ومنها: القيام بتحصين مضيق الدردنيل، وبناء القلاع على ضفتيه، وتسليحها بوضع المدافع الضخمة، كما تم تحويل المراكب التجارية إلى سفن حربية بوضع المدافع عليها(٤).

وعلى الفور فقد تم استدعاء القائد البحري حسن الجزائري من قبل السلطان والذي كلفه بالدفاع عن جزيرة "لمنوس"المحاصرة، وقد زود بأربعة آلاف مقاتل بناء على طلبه، إذ استطاع إنزالهم بطريقة سرية للساحل الشرقي من الجزيرة، مما جعلهم يباغتون المحاصرين ويجبرون القوات البحرية الروسية على رفع الحصار والجلاء عن الجزيرة.وقد كافأه السلطان على عمله البطولي ذاك بأن عينه قائد عام البحرية العثمانية(٥).

---

(١) يلماز أوزتونا:تاريخ الدولة العثمانية،ج١، المرجع السابق،ص٦٢٥.

(٢) منطقة في روسيا،تقع بالقرب من لينجراد،وهي الآن تحمل اسم بوشكين،وكانت المقر الصيفي للقياصرة الروس. جون باتريك كينروس:القرون العثمانية، قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٥٣.

(٣) المرجع السابق،ص٤٥٣.

(٤) محمد فريد بك:تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٣٦.

(٥) جون باتريك كينروس:القرون العثمانية، قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٥٤.

وإن كان هذا حال البحر فلم يكن البر أحسن حالاً بالنسبة للعثمانيين، فقد تمكن الروس من احتلال قسم كبير من بغدان بقيادة الكونت"Romanzov"بينما تمكن الكونت"Panin"من احتلال بندر حيث أعمل الروس السيف في سكانها الرجال والنساء والأطفال[١]، وذلك لإكمال ما بدءوه باحتلال القرم، ومن ذلك أنه، ونتيجة لإهمال العثمانيين لذلك الجزء المهم من كيان الدولة العلية، فقد تمكن الروس من بث عملائهم هناك، والذين نجحوا في ملء قلوب القرميين غيظاً ضد العثمانيين، ومنوهم بالاستقلال والحرية في ظل روسيا.وكانت نتيجة تلك السياسة الروسية أن كثير من قادة القرم مالوا إلى الاستقلال بعيداً عن العثمانيين في ظل وعود كاترين الثانية لهم بتحقيق تلك الأمنية. وبالتالي فقد كف القرميون يد المساعدة عن العثمانيين وساروا ينظرون إلى السلحدار إبراهيم باشا مندوب الدولة العثمانية هناك على أنه مغتصب يجب التخلص منه[٢].

وفي طيات ميل القرميين إلى روسيا فإن حاكم القرم قبلان كراى خان الثاني قد جمع أعيان القرم وأقنعهم بضرورة الانضمام إلى روسيا حفاظاً على أنفسهم وأموالهم؛ تبعاً لما رآه من تفوق روسيا وغفلة الدولة العثمانية، فوافقوه على هذا[٣].

أما الخان الخلف سليم كراي خان الثالث فقد وجد أن القرم أصبح في حالة من الفوضى والانقسام، بينما تواصل روسيا احتلالها لكافة أجزائه مما عجل بتركه للسلطة وذهابه إلى إستانبول وقد أتاح هذا الأمر للروس تولية صاحب كراى خان الثاني حاكماً للقرم تابعاً للروس حيث اتحد مع الروس في منازلة السلحدار إبراهيم باشا والذي هزم وأخذ أسيراً إلى بطرسبرج .وفي عام ١٧٧١/٧/٣م كان الأمير"Dolgoruki" قد استولى

---

(١) يلماز أوزتونا:تاريخ الدولة العثمانية،ج١، المرجع السابق،ص٦٢٥-٦٢٦.

(٢) أحمد جودت باشا:تاريخ جودت،المصدر السابق،ص١٦١.

(٣) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، المصدر السابق،ص١٦١.

على كامل القرم[١].ولتذهب القرم إلى يد الروس بعـد أن ظلـت ٢٩٦عـــاماً يحكمهـا العثمانيين، وكان استيلاء الروس على القرم بمثابة الصاعقة على الدولة العلية، إذ أن مليونان ونصف المليون مسلم ذهبوا أدراج الحكم الروسي،كما أن روسيا قد أصبحت تشرف علـى البحر الأسود[٢].

وبهذه النتيجة فقد وصلت الحرب بين الجانبين العثماني والروسي إلى قمة الاستتراف، سواء على مستوى الأنفس، أو المستوى المادي، والذي أجبرهما على الركـون إلى مهادنـة بعضهما بعضاً.

---

(١) للمزيد انظر :

- احمد جودت باشا:تاريخ جودت،المصدر السابق،ص١٦٤.
- يلماز اوزتونا:تاريخ الدولة العثمانية،ج١، المرجع السابق،ص٦٢٦-٦٢٧.

(٢) يلماز اوزتونا:تاريخ الدولة العثمانية،ج١، المرجع السابق،ص٦٢٧.

المبحث الثاني : الحرب الروسية العثمانية عام ١١٨٨هـ/١٧٧٤م:

في خريف عام ١٧٧٠م، خرجت روسيا وحتى ذلك التاريخ منتصرة، وهذه في حد ذاتها نقطة تحول في التاريخ.فحتى ذلك التاريخ لم تكن دولة أوروبية وحدها لتحقق نصراً على العثمانيين،وبالتالي فقد سقطت الدولة العثمانية من حيث القدرة إلى المركز الرابع بعد إنكلترا وفرنسا وروسيا بعد أن كانت تحتل المرتبة الأولى[١].

ومع ذلك فقد كانت الدول الأوروبية تنتظر ما سوف تؤول إليه الأمور بين العثمانيين والروس مع تأييد فرنسا والنمسا للعثمانيين، بينما كانت إنكلترا وبروسيا تواليان روسيا[٢].إلا أن ذلك لا يخفي مشاعر التنافس فيما بين تلك الدول الأوروبية، وتحقيق مصالحها من خلال العثمانيين والروس، فمنظر الأسطول الروسي، وهو يقوم برحلة حول القارة الأوروبية، قد ولد ردة فعل معادية لدى بعض الدول الأوروبية، ومنها فرنسا التي أثارها ذلك الأمر وأقلقها[٣].

حيث أخذ نفوذ روسيا يقوى في هذه المناطق وأغلقت الموانئ في وجه مرور السفن الأوروبية في هذه المياه، وأصبح عدد محدوداً من السفن التي تسمح لها روسيا بالمرور[٤] .

وإذا كان هذا حال الدول الأوروبية فإن العثمانيين كانوا أكثر المتضررين من تواجد الأسطول الروسي ضمن مياه البحر المتوسط، ومن ذلك مضايقة ذلك الأسطول الروسي لخطوط الملاحة العثمانية، كما أنه وقف عقبة في طرق خطوط الاتصال بين العاصمة العثمانية وممتلكاتها الآسيوية، بل لقد تعدى ذلك للتدخل في شؤون الولايات العثمانية السورية والمصرية منها[٥].

---

(١) يلماز أوزتزنا:تاريخ الدولة العثمانية،ج١، المرجع السابق،ص٦٢٦.

(٢) المرجع السابق،ص٦٢٧.

(٣) ماثيو أندرسون:تاريخ القرن الثامن عشر في أوربة، المرجع السابق،ص٢٦٦-٢٦٧.

(٤) خط همايوني ، أرشيف رئاسة الوزراء ، رقم الوثيقة (١٦٦) Hat Humayan .

(٥) جون باتريك كينروس:القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٥٤.

وذلك على أيام علي بك[١] الذي كان قاب قوسين أو أدنى من انفصاله عن جسم الدولة العثمانية، وقد استغل في ذلك انشغال العثمانيين بحربهم هذه مع الروس، وقد أكد على هذا الاتجاه قنصل فرنسا المسيو دي جونفيل M. De Jonville " إن غرضه- يقصد علي بك- جعل مصر دولة مستقلة قوامها قوة المماليك المطلقة"[٢]. وبعد أن تم لهُ أمر مصر سعى إلى تحقيق حلمه بضم سوريا تحت ولايته وكان خير معاون له في مسعاه ذاك الأسطول الروسي، والذي كان مستعداً لمساعدة أية قوة خارجه عن السلطان العثماني، فكان أن اتصل علي بك بالكونت ألكسيس أورلوف Count Alexis Orlov قائد الأسطول الروسي في البحر المتوسط لمساعدته مع وعد من قبل علي بك للروس بإقطاعهم بعض المدن العربية في نظير ذلك[٣].

فظهر الأسطول الروسي أول الأمر بالقرب من حيفا[٤]لمساعدة علي بك وظاهر العمر[٥] ثم ما لبثت السفن الحربية الروسية أن قصفت

(١) علي بك الكبير (١١٤٠ - ١١٨٧ هـ/ ١٧٢٨ - ١٧٧٣ م):أو علي القازدغلي.واحد من كبار المماليك في مصر،ومن أعظمهم شخصية.كان من مماليك إبراهيم كتخدا القازدغلي،فلما مات هذا تولى الإمارة بعده ١٧٥٤م،ثم أميراً للحج،وشيخاً للبلد ١٧٦٣م،واختار الأنصار،وصادر أموال خصومه،واخذ ينفيهم،ثم يقتلهم ويستولي على إقطاعاتهم ويهبها لمماليكه وخاصته.أصبح حاكماً مطلقا على مصر،وعزم على الاستقلال عن تركيا،فخلع الوالي محمد الأورفلي وأخرجه من البلاد.أعلن استقلال مصر عام ١٧٦٩م،وضرب النقود باسمه.انقلب عليه قائده محمد أبو الذهب فنشبت بين الاثنين عدة معارك جرح على أثرها علي بك، ثم ما لبث أن توفي في القاهرة.الموسوعة العربية الميسرة،ج٢،المصدر السابق،ص ١٢٣٠.

(٢) عمر عبدالعزيز عمر:دراسات في تاريخ العرب الحديث،بيروت،دار النهضة العربية،١٥٢-١٥٣.

(٣) المرجع السابق،١٥٤.

(٤) Haifa : مدينة فلسطينية عربية عريقة يعني معناها البلدة،تقع بجوار تلال الكرمل أي "الحديقة" على خليج عكا.عرفت منذ زمن الكنعانيين المنحدرين من أصل عربي منذ ثلاثة آلاف عام ق.م.عدت ميناء هام للاتصال بمدن التجارة في شمال إفريقية وجنوب أوروبا.عبد الحكيم العفيفي:موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، المرجع السابق،ص ٢٠٩.

(٥) ظاهر العمر(١٦٩٥-١٧٨٢م):حاكم عربي،ولد بصفد،وخلف أباه على حكمها.قاتله "سليمان باشا"والي دمشق ١٧٣٧م،فلما مات سليمان فجأة استفحل أمر ظاهر،واستقر في عكا وحصنها وتمكن من التغلب على والي دمشق الجديد.تم له امتلاك ولايات صيدا وعكا وحيفا ويافا والرملة وغيرها،فاضطرت حكومة الآستانة إلى الاعتراف به.قتل غدراً،وبموته زالت دولته.الموسوعة العربية الميسرة،ج٢،المصدر السابق،ص١١٧٠-١١٧١.

بيروت[١]بالمدافع فأخربت منها نحو ثلاثمائة بيت وكان هذا من جملة انحطاط النشاط الاقتصادي في بلاد الشام الجنوبية[٢].

ويُعد هذا العمل الروسي أو تدخل أجنبي مباشر في الولايات العثمانية لمساندة استقلالها السياسي عن الدولة العثمانية [٣].

ومع أن الدول الأوروبية قد التزمت الحياد إلا من تقديم الاستشارات اللازمة وبعض القادة، وكذا التقنيات حول الأسلحة، أما كترجيح كفة على أخرى من خلال التدخل العسكري فإن ذلك لم يكن وارداً في حسابات أي من الدول الأوروبية.ولكن هذا الموقف قد تغير نتيجة الانتصارات التي حققها الروس في ظل تراجع العثمانيين والذي تبعه ذلك التوسع الروسي.

فقد أخذت فرنسا تنظر بارتياب إلى تحركات الأسطول الروسي في البحر المتوسط، وكذا إنكلترا التي انتابها الخوف على تجارتها، بينما خشيت كلٌّ من النمسا وبروسيا من التوسع الجغرافي البري والبحري لروسيا. وبالتالي فقد سعت بالوساطة بين روسيا والدولة العثمانية من أجل السلام، إلا أن حاكمة روسيا كاترين الثانية رفضت تلك الوساطة، وأصرت أنها لن تتفاوض إلا مع السلطان نفسه ودون أي تدخلات خارجية[٤].

وبالتالي فقد عقدت فرنسا مع العثمانيين معاهدة مشتركة للوقوف ضد روسيا[٥] ،كما

---

(١) Beirut: أهم مدن لبنان،وهي العاصمة العريقة التي تبعد عن دمشق عاصمة سورية بحوالي ١٠٠كم، تقع وسط الخط الساحلي اللبناني شرقي البحر الأبيض المتوسط. عبد الحكيم العفيفي:موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، المرجع السابق،ص١٤٩.

(٢) للمزيد انظر:
- محمد فريد بك:تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٣٩.
- عبدالكريم رافق:العرب والعثمانيون١٥١٦-١٩١٦،دمشق،ط٢، ١٩٩٣م،ص٣٠٧-٣٠٨-٣١٤.

(٣) نادية مصطفى وآخرون : العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية ، المرجع السابق ، ص١٢٢ .

(٤) جون باتريك كينروس: القرون العثمانية، قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٥٥.

(٥) المرجع السابق،ص٤٥٥.

،كما أبرمت النمسا معاهدة أخرى مع العثمانيين تعهدت فيها النمسا بالوقوف مع العثمانيين ضد روسيا، في مقابل قسم من الأفلاق يعطى للنمسا في نظير مساعدها تلك. ولاح في الأفق أن حرباً نمساوية روسية أوشكت على الوقوع، وكان هذا الأمر مما يقلق فريــدريك حــاكم بروسيا والذي تعهد في معاهدة ١٧٦٩م بدعم روسيا مالياً(١).وكأن هذه الحرب سوف تقود أوروبا بأسرها إلى حرب لا تعرف نمايتها.

أضف إلى ذلك أن روسيا قد أنفقت كامل خزينتها المالية على تلك الحــرب، كمــا فعلت الدولة العثمانية(٢).بالإضافة إلى ما تكلفه الجانبان من خسائر في العتاد والعدة وإزهــاق للأنفس.وقد أثر هذا على تحركاقم العسكرية وكذا الانتصارات التي توقف صــداها لعــام ١٧٧٢م(٣).وبالتالي فإن خيار السلام كان الحل الأنسب لكلا الطرفين.

وتمهيداً للصلح فقد تمادن العثمانيين والروس في مدينة"جورجيو"من مدن بلغاريا وذلك في ٩ربيع الأول سنة ١١٨٦هــ/١٠يونيو سنة ١٧٧٢م تبعها إرسال كــل مــن الطــرفين لمندوبيه إلى مدينة"فوكشان"بولاية البغدان للوصول إلى صيغة حول بنــود الســلام، وكــان اجتماعهم في٩ جمادى الأولى سنة ١١٨٦هــ/٨ أغسطس سنة ١٧٧٢م(٤).

وقد اتفق الجميع على مد أجل المهادنة إلى ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١١٨٦هـــ/٢١ سبتمبر سنة ١٧٧٢م. أما ما لم يتم الاتفاق عليه فهو طلبات مندوبي روسيا، حيــث طــالبوا باستقلال القرم، وحرية الملاحة للسفن الروسية التجارية منها في جميع بحار الدولة العليــــة. حيث رفض مندوبو الدولة العلية تلك الشروط الروسية، وانتــهى الاجتمــاع الأول بــين الخصمين دون نتيجة تذكر (٥).

---

(١) ماثيو اندرسون:تاريخ القرن الثامن عشر في أوربة،المرجع السابق،ص٢٦٦-٢٦٧.

(٢) يلماز اوزتزنا:تاريخ الدولة العثمانية،ج١، المرجع السابق،ص٦٢٧.

(٣) المرجع السابق،ص٦٢٧.

(٤) محمد فريد بك:تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٣٧.

(٥) المرجع السابق،ص٣٣٧.

وكان رفض العثمانيين لما قدمه الروس نابعاً من إحساسهم بجور شروط السلام الروسية تلك، ويدلل على ذلك قول المفاوض العثماني عثمان أفندي عن تلك الشروط:"إننا رأينا أن موسكو تريد الصلح، واتفقنا على هذا الأمر،لكن هذا الصلح لم يكن أمراً أساسياً، ولم يكن يرغب السلطان العثماني نفسه في البداية،لكن بعد إبداء الروس هذه الرغبة تم مناقشة البنود،لكن هذه البنود لا يمكن أن يقوم على أساسها الصلح،إن موسكو تريد من الدولة العثمانية التنازل عن الكثير من الحقوق"(١).

وتبعاً لالتقاط الأنفاس من كلا الجانبين العثماني والروسي، فقد مد أجل المهادنة بينهما أيضا سبعة أشهر حتى عقد الاجتماع الثاني بين العثمانيين والروس في مدينة بوخارست(٢)في ١٣ شعبان سنة ١١٨٦هـ/٩ نوفمبر سنة ١٧٧٣م وقد طرحت روسيا بنودها ملحقة إياها ببلاغ نهائي حول التحذير من مغبة عدم تنفيذها كحد أقصى في ٢٣ ذي القعدة سنة ١١٨٦هـ/١٥ نوفمبر سنة ١٧٧٣م. وهذه البنود هي:

١ - أن تتنازل الدولة العثمانية لروسيا عن حصن "كريش" و"يكي قلعة" حفظاً لاستقلال القرم.
٢ - أن تمنح المراكب الروسية، تجارية كانت أو حربية، حرية الملاحة في البحر الأسود وبحر جزائر اليونان.
٣ - تسليم ما بقي من حصون القرم مع الدولة العلية إلى التتار.
٤ - إعطاء "جرجوار غيكا"،والي الفلاخ هذه الولاية له ولورثته الشرعيين بشرط دفع جزية معينة كل ثلاث سنوات مرة.
٥ - التنازل عن مدينة "قلبورن" لروسيا وهدم حصون مدينة أوكزاكوف"أوزي".
٦ - أن يعطى لقب باديشاه إلى قيصر أو قيصرة روسيا في المعاهدات والمخاطبات السياسية.

---

(1) Ord . Prof. ismail Hakki UzunÇarşili : Osmanli TarĪhi, Iv.Cilt, P 418.

(٢) Bucharest : عاصمة رومانيا وأكبر مدنها،تقع في بولاخيا على نهر دامبوفينا رافد نهر الدانوب،وتعتبر المركز الرئيسي التجاري الصناعي لرومانيا.الموسوعة العربية الميسرة،ج١،المصدر السابق،ص ٤٢٥.

٧ - أن يكون لروسيا حق حماية جميع المسيحيين الأرثوذكسيين في بلاد الدولة[١].

وقد كانت تلك الشروط الروسية مما مال إليه التيار السياسي العثماني، الذي ضمنه السلطان، وكذا الصدر الأعظم ومعاونوه وكذلك القادة. ولكن رفضهم رسمياً لتلك الشروط الروسية كان صادراً من خوفهم من التيار الديني، والذي تزعمه المفتي وهيئة العلماء إذ رفضوا أن تسلم القرم المسلمة لمصيرها. وبالتالي فإن التيار السياسي، وتحاشياً من فتنة سوف يقع فيها مع علماء الدين، رفض تلك الشروط وأعلن ذلك رسمياً في ٢٨ ذي الحجة ١١٨٦هـ/٢٢ مارس ١٧٧٣م[٢]وكان معنى هذا هو إخفاق ذلك المؤتمر أيضاً حيث أخذ كل من العثمانيين والروس بالاستعداد للقتال.

وكان لتولي محسن زاده محمد باشا الصدارة للمرة الثانية أثره في ترقية الجيش العثماني نوعاً ما، إذ دأب محسن زاده على محاولة تسليح الجيش، وتنظيمه ما استطاع إلى ذلك سبيلا[٣].

وقد اتضحت محاولات محسن باشا الإصلاحية في انهزام الروس أمام الأتراك في مدينة"روستجوق" كما حاصر العثمانيين الروس في مدينة"سلسترا"[٤]ونشب القتال في الطرقات وتمكن العثمانيين من المدينة بعد أن قتل من الروس ثمانية آلاف جندي.وكان لهذا الانتصار أن منح السلطان لقب "غازي" للقائد العثماني "عثمان باشا" نظيراً لحمايته المدينة[٥].

---

(١) محمد فريد بك:تاريخ الدولة العلية العثمانية المرجع السابق،ص٣٣٧.

(٢) للمزيد انظر:

- محمد فريد بك:تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٣٨.
- جون باتريك كينروس: القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٥٥.

(٣) جون باتريك كينروس: القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٥٥.

(٤) Slstra : تقع شمال شرق بلغاريا،في دوبروجه الجنوبية.ميناء على الضفة الجنوبية لنهر الدانوب،في مواجهة مدينة كلاراسي الرومانية.كانت مدينة رومانية.الموسوعة العربية الميسرة،ج١،المصدر السابق،ص٩٩٦.

(٥) محمد فريد بك:تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٣٨.

وأثناء انسحاب الروس من المعركة الأخيرة كانوا أن مروا بمدينة"بازارجق"والتي كانت خالية تماماً من أي حامية مما ساعد الروس على إظهار غضبهم مما لحق بهم مؤخراً، وكان نتيجة ذلك قتل كل من في المدينة من الشيوخ والنساء والأطفال العزل(١).

إلا أن ذلك لم يدم طويلاً للروس، إذ سرعان ما لحق بهم الأتراك، وكان من شدة الفزع الروسي أن ولوا الأدبار مخلفين قدور الطعام التي امتلأت باللحوم التي لم يكتمل نضجها(٢).اتبعها العثمانيين بصد هجوم روسي على مدينة"فارنا"وهزيمتهم للروس بمساعدة إحدى فرق الأسطول العثماني(٣).

وقد انتهت تلك الانتصارات العثمانية بوفاة السلطان مصطفى الثالث في ٨ ذي القعدة ١١٨٧هـ/٢١ يناير ١٧٧٤م، الذي كان أحد دعاة الإصلاح والقائمين عليه. حيث كان كثيراً ما يدعو سفراء الدول الأوروبية إلى الحفلات متحدثاً معهم حول أهم ملامح الإصلاح في بلدانهم،وكان يصرح دائماً بأن فرنسا حليفة الدولة العثمانية، وأنها قد تعهدت بالنهوض بالبحرية العثمانية.وفي بادرة من السلطان مصطفى الثالث لرفع معنويات الإنكشارية فقد شرب في ثكناتهم في بدء حكمة شراباً مرطباً قائلاً لهم:"سنشرب هذا الكأس معاً،في الربيع المقبل،تحت أسوار بندر شاه"(٤)مدللاً بذلك على عزمه على النهوض بالدولة العثمانية وفي نظرته الإصلاحية لهذه الفئة المهمة من جسم الكيان الحربي العثماني.

كما أخذ السلطان مصطفى الثالث في تشجيع جهود البارون"دى توت"في تأسيس مدرسة الرياضيات،وتعليم ضباط البحرية والجيش وغيرهم أسرار علم حساب المثلثات بل وجعلها تحت إدارته.كما كان يتطلع دوماً للرجوع بالعثمانيين إلى ما كانوا عليه من الفتوحات

---

(١) للمزيد انظر:
- محمد فريد بك:تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٣٩.
- جون باتريك كينروس: القرون العثمانية، قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٥٥.

(٢) جون باتريك كينروس: القرون العثمانية، قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٥٥.

(٣) المرجع السابق،ص٤٥٥.

(٤) أماني جعفر الغازي:دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية،القاهرة،دار القاهرة،٢٠٠٧م،ص٣٢٩.

والنصر، وكانت تحدوه في ذلك آمال عريضة تظهر من خلال أشعاره وكذا إطلاقه على نفسه لقب"فاتح العالم"،حتى إنه وقبل وفاته صمم على قيادة حملة عسكرية بنفسه إلى الدانوب، رغم رفض العلماء والقادة لسوء ظروفه الصحية، إلا أن المنية قد وافته قبل أن يتم له ذلك(١).

في حين تسلم مقاليد السلطة من بعد السلطان مصطفى الثالث شقيقه عبد الحميد الأول(٢)والذي قدم على دولة منهوكة الجانب مما لحقها من حربها الأخيرة مع روسيا،حتى إنه لم يستطع توزيع الإنعامات على الجنود كما هو متبع لنضوب خزينة الدولة(٣)بل إنه ألغى تلك الأعطيات، وهو ما يدل على شدة ما وصلت إليه الدولة العثمانية من أزمة مالية بسبب تلك الحرب الروسية(٤).

ومع ذلك فقد كان من أولى أعمال واهتمامات السلطان عبد الحميد الأول عند جلوسه على عرش السلطنة توجيه خطاب إلى قادة الجيش العثماني وأفراده أكد لهم فيه على ضرورة العمل المشترك والمثابرة والجد في مقاومة العدو الروسي(٥).

في الوقت الذي أخذت فيه كاترين تستعد لحشد الجنود المزودين بالعتاد والعدة التي لا قبل للدولة العثمانية بها،فقد كانت كاترين مصممة على إنفاذ مشروعها والقاضي بطرد الأتراك من أوروبا والاستيلاء على القسطنطينية وإحياء بيزنطة مرة أخرى،حتى إنها أطلقت تسمية "قسطنطين"على حفيدها والذي هيأته لهذا الأمر. ومن ذلك أنها وفرت له مربيات يونانيات، كما درج على تعلم اليونانية، بالإضافة إلى تأدية وفد من قبل اليونان يمين الولاء والطاعة لذلك الصبي(٦).وبالتالي فإن كاترين أرادة تنفيذ مشروعها ذاك بأي وسيلة كانت

---

(١) جون باتريك كينروس: القرون العثمانية، قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٥٧-٤٥٨.

(٢) عبد الحميد الأول(١٧٢٥-١٧٨٩م): سلطان تركيا(١٧٧٤-١٧٨٩م).أخو السلطان مصطفى الثالث،وخلفه.اطردت الدولة في عهده ضعفاً وركوداً بسبب حربها مع روسيا. الموسوعة العربية الميسرة،ج٢،المصدر السابق،ص ١١٨٠.

(٣) محمد فريد بك:تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٤١.

(٤) أماني جعفر الغازي:دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية،المرجع السابق،ص١٥٦-١٥٧.

(5) Ziya Nur Aksun : Osmanli Tarihi, P419 .

(٦) جون باتريك كينروس: القرون العثمانية، قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٥٩.

ومهما كلفها الأمر .وتنفيذاً لإرادة كاترين ورغباتها فقد اجتمعت الجيوش الروسية بقيادة الفلد مارشال"رومانزوف" والذي نجح باجتياز نهر الطونه قاصداً مدينة"وارنه"ليلتقي مع الجيش العثماني والذي بعثه الصدر الأعظم من معسكره بمدينة "شوملا" بقيادة أفندي عبدالرزاق ليتلقى الجيش العثماني هزيمة كبيرة بالقرب من مدينة"قوزليجق"في ١٤يوليو١٧٧٤م(١).

ونتيجة لذلك فقد أصبح العثمانيين في وضع حرج من جراء تحطم الجزء الأكبر من قواهم، ولم يبق معهم ما يؤهلهم للدفاع عن مدينة"شوميلا"،كما أن خطوط الاتصالات فيما بينهم وبين العاصمة أصبحت مهددة من قبل الروس(٢).بالإضافة إلى عصيان الإنكشارية عن القتال ورفضهم الأوامر وتركهم ساحة المعركة والعودة إلى إستانبول(٣)، بينما واصل الجيش الروسي تقدمه نحو مدينة"شوميلا"،وأثناء هذا التقدم فقد استولى الروس على"حاجي أوغلي بازار"،كما أن طلائع الجيش الروسي قد أخذت في مهاجمة مدينة"شوميلا"من الجهة الشمالية،ومما زاد الطين بلة مرض الصدر الأعظم الشديد، والذي أقعده عن مواصلة القيادة، فيما تولى ذلك بدلاً عنه أغا الإنكشارية، الذي وجه فرقة بقيادة أحد الضباط الأتراك ويدعى عبد الله باشا لصد القوات الروسية. وقد انخدع عبد الله باشا بمظهر طليعة الجيش الروسي حيث ظن أنهم فئة قليلة، وبالتالي فقد تقدم مسرعاً دون روية، أو إرسال عيون لكشف حقيقة الوضع، مما أدى به وبمن كان معه إلى الوقوع في الفخ الروسي حيث تمت محاصرتهم من جميع الجوانب، وإطلاق وابل من الرصاص تجاههم حيث استشهد معظم أفراد تلك الفرقة العثمانية(٤).

---

(١) محمد فريد بك:تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق،ص٣٤١.

(٢) جون باتريك كينروس: القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٥٦.

(٣) للمزيد انظر:

- يوسف آصاف:تاريخ سلاطين آل عثمان، المصدر السابق،ص ١٣٥.
- أماني جعفر الغازي:دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية،المرجع السابق،ص٣٠٣-٣٠٤.

(٤) للمزيد انظر:

- Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2606
- Ziya Nur Aksun : Osmanli Tarihi, P421

وقد كان لهذه الحادثة أثر رجعي سيئ في انهيار الروح المعنوية في نفوس البقية الباقية من الجيش العثماني. وقد اتضح ذلك عندما حاول الصدر الأعظم إصلاح ما يمكن بدفع البقية الباقية من الجيش العثماني لوقف التقدم الروسي بقيادة علي باشا؛ ولأن تلك القوات كانت غير نظامية ولم تألف أصوات المدافع، فإنها لاذت بالفرار عند بدء المواجهة مع الروس[١].

وعلى أثر هذه النتائج فقد ظلت القوات الروسية دون منازع في ميدان الحرب وصاحبة الكعب الأعلى،وبالرغم من دفاع الصدر الأعظم بمن بقي معه عن مدينة"شوميلا" والذي استمر عشرة أيام،إلا أن مثل تلك الدفاعات، وإن صمدت بعض الوقت، فإنها لن تصمد طويلاً.أضف إلى ذلك توارد الأخبار بهزيمة العثمانيين أمام الروس في منطقة"هزار جراد"واستيلاء الروس عليها،كما أجبر الروس إبراهيم باشا والذي كان يدافع عن"سلسترا" على التراجع،ويوضح ذلك خطابه الموجه من قبله إلى الصدر الأعظم قائلاً فيه:"إنه يستحيل بقاؤنا هنا بعد الآن"[٢].

وإزاء نقص الإمدادات والمؤن وقلة الرجال فقد رأى الصدر الأعظم أن أفضل وسيلة لصد ذلك الخطر الروسي، هو محاولة الوصول معهم إلى حل سلمي، وبالتالي فقد قام بإرسال أحد الضباط الأتراك إلى المعسكر الروسي لطلب الهدنة؛ إلا أن الروس طلبوا إرسال مندوبين من قبل الأتراك للتفاوض حول شروط السلام بدلاً من الهدنة[٣].وقد قُبل الطلب الروسي بموافقة الأتراك، وتم بينهما ما عرف في التاريخ بمعاهدة "قينارجة".

---

(1) Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, P2567.

(2) Ziya Nur Aksun : Osmanli Tarihi, P421 .

(٣) جون باتريك كينروس: القرون العثمانية، قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٥٦.

المبحث الثالث : الحرب الروسية العثمانية عام (١٢٠٢هـ/١٧٨٧م) :

جاءت معاهدة قينارجة عام ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م معلنة انتهاء الحرب الروسية العثمانية ١١٨٣-١١٨٨هـ/ ١٧٦٩-١٧٧٤م، التي كان من أهم بنودها منح الاستقلال السياسي للقرم واعتراف كلٍّ من الجانبين العثماني والروسي بذلك الاستقلال. إلا أن ذلك الاستقلال لم يكن في نظر روسيا إلا مقدمة لضم القرم والاستحواذ عليها وسلخها تماماً من جسد الدولة العثمانية لصالح روسيا . ومما يؤكد هذا الاتجاه الروسي هو عدم إخلاء الجيش الروسي لقرم[1]حتى بعد توقيع معاهدة قينارجة .

وإذا كانت هذه هي النظرة الروسية لحيثيات الأمور، فإنه وعلى مستوى الجانب العثماني، فإن الرأي العام العثماني كان ينظر بكامل الأسى والحزن لضياع القرم المسلمة ووقوعها تحت رحمة روسيا، بينما كان الجانب السياسي العثماني يستشعر الخوف من قبل روسيا في حالة الاستيلاء على القرم، وكان معنى ذلك أن الطريق إلى إستانبول أصبحت ممهدة[2] وعلى هذا المنوال فإن الدولة العثمانية كانت عازمة على استرداد القرم إلى حوزتها. وبالتالي فإن ما نصت عليه معاهدة قينارجة من منح الاستقلال السياسي للقرم لم يكن في نظر العثمانيين والروس على حدٍ سواء سوى استراحة محارب لالتقاط الأنفاس ليس غير .

وتماشياً مع سياسة روسيا في احتلال القرم فقد بعثت جواسيسها لإثارة المشكلات الداخلية هناك، واتخاذ ذلك ذريعة لتدخل في شؤون قرم الداخلية [3].

وقد آتت تلك السياسة الروسية في القرم ثمارها، فأوجدت التناحر والانقسام في صفوف الشعب التتري حتى أصبح على قسمين: قسم مناصر للعثمانيين وقسم مؤيد للروس[4]،وكان حصيلة ذلك كله هو إسقاط خانية دولة كراي وتمكين جاهين كراي الموالي للروس من خانية القرم .

---

(١) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ ، المرجع السابق ، ص ٦٣٥ .

(٢) أكمل الدين إحسان أوغلى : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، المرجع السابق ، ص٧٤.

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، المرجع السابق ، ص ٣٥٩ .

(٤) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ ، المرجع السابق ، ص٦٣٦ .

إلا أن الأمور لم تسر وفق مُبتغى الروس إذا ما لبث سكان القرم من اسقاط جـاهين كراي وتمكين سليم كراي الثالث خاناً بدلاً عنه، وهنا تدخلت روسيا في تمكين جاهين كراي من خانية القرم مرة أخرى(١)، وإن دل ذلك فإنما يدل على تمكن الروس الواضح من التدخل والتلاعب بالشؤون الداخلية للقرم في ظل غياب العثمانيين عما يجري هناك .

وقد اكتفى العثمانيون بمتابعة سير الأمور في القرم بكثير من القلق في ظل خانية شاهين كراي الموالي للروس والذي ما فتئ في توطيد النفوذ الروسي في القرم منذ توليه خانيتـها (٢)، حيث أقام شاهين كراي مدة في بطرسبورغ تعلم من خلال إقامته تلـك الآداب والعـادات الروسية في المأكل والمشرب والملبس وأخذ بها حتى بلغ به الحال في شرب الخمور (٣).

وبالتالي فقد كان جاهين كراي من أشد المعجبين بالحضارة الروسية، فأراد مسخ القرم وتحويلها كماً وكيفاً لتوافق روسيا. وقد ظهر على جاهين كراي ذلك الإعجـاب بروسـيا والذي تمثل من خلال ملابسه حيث أخذ يحاكي بها جنرالات الروس، مع وضع الأوسمة الـتي منحته إياه الإمبراطورة كاترين الثانية متبختراً بين شعبه من خـلال عربتـه والمصـنوعة في بطرسبرغ، مجبراً المسلمين هناك على رفع أقداحهم لشرب نخب الشرف، واضعاً يـده علـى أملاك الأوقاف متهماً العثمانيين بالرجعيين (٤).

وكانت تلك الأعمال التي درج جاهين كراي على الإتيان بها متمثلاً في ذلك أسـياده الروس ومخالفاً لما كان عليه أباؤه وأجداده مما حفز قلوب القرميين عليه، وكان عاقبة أمره أن خلعه القرميون عام ١٧٨٢م، وعينوا مكانه بهادر كيراي الثاني، ونتيجة لذلك فقد فر جاهين كراي إلى روسيا طالباً العون، وكانت اللحظة التي انتظرتها كاترين الثانية إمبراطورة روسـيا،

---

(١) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ ، المرجع السابق ، ص ٦٣٦ .

(٢) أكمل الدين إحسان أوغلى : الدولة العثمانية، تاريخ وحضارة ، المرجع السابق ، ص٧٤ .

(٣) إسماعيل سرهنك: تاريخ الدولة العثمانية ، بيروت،دار الفكر الحديث،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص٢٢٧ .

(٤) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ ، المرجع السابق ، ص ٦٣٧ .

حيث جهزت جيش قوامه سبعون ألف جندي بقيادة بوتمكن(١)والذي تمكن من دخول القرم والاستيلاء عليها (٢).

وكانت الدولة العثمانية من الضعف بحيث وقفت عاجزة عن منع روسيا من دخـــول القرم (٣) ونتيجة لذلك الضعف فقد تجرأت روسيا لتعلن أن القرم قد أصبح إيالة روسية مخاطباً بوتمكن القرميين بقوله : " أنكم أصبحتم رعايا روس "(٤)، مطالباً إياهم بأداء قسم الـــولاء للإمبراطورة أو المغادرة لمن لا يرغبون في ذلك، كما تم نقل مركز قرم من باتجة سراي إلى آق مسجد (٥) كإجراء روتيني على التغيير الحاصل .

ويعلق يلماز على ما ادعته روسيا وما تذرعت به من ضمها للقرم ذاك بقوله: "توصل إلى ذروة قلة الحياء بالتصريح القائل بأن السبب الموجب لضم قطر مثل قرم لا يسكنه فـــرد روسي أو مسيحي، هو التخلص من مشكلة بسيطة تثير حرباً جديدة مع العثمانيين "(٦) .

ونتيجة هذا الاستيلاء الروسي على القرم فقد زالت من التاريخ خانية القرم المســـلمة التي مثلت دوراً هاماً في أوروبا الشرقية، ولم يكتف الروس بالاستيلاء على القرم، بل إنهـــم أشهروا السيف على سكان القرم المسلمين، حيث ارتكب الروس أبشع المجازر البشرية هناك، ونتج عن ذلك أكثر من ثلاثين ألف قتيل مسلم في أقل من شهرين من الاســـتيلاء الروســـي عليها، بينما هاجر الباقون ممن نجا صوب الدولة العثمانية على أن أكثرهم لقي حتفه نتيجـــة

(١) Jarjory Aleksandherfch Botmcn (1739 - 1791): مارشـــال روســـي،صـــفي كـــاترين الثانيـــة ومستشارها،لعب دوراً هاماً في ضم شبه جزيرة القرم،عين حاكماً للقرم.الموسوعة العربية الميسرة،ج١،المصدر السابق،ص٤٢٣.

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، المرجع السابق ، ص٣٥٩ .

(٣) عبد الرؤوف سنو : العلاقات الروسية العثمانية (١٦٨٧- ١٨٧٨م) ، المرجع السابق ، ص٥٢ .

(4) Yasar Yücel, Ali Svim: Türkiye Tarihi, IV, P 8.

(٥) يلماز أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ ، المرجع السابق ، ص٦٣٧ .

(٦) المرجع السابق ، ص٦٣٧ – ٦٣٨ .

المرض والجوع والبرد [١]. وتعد هذه من الهجرات الأولى في تاريخ الدولة العثمانية [٢].

وكان لتلك الأعمال الإرهابية من قبل الروس ضد مسلمي القرم، أن انخفض تعداد سكان القرم إلى ما دون الثلث، بينما أخذ سيل من الروس بالتدفق على القرم والاستيلاء على الأراضي والممتلكات [٣].

وأمام الاستيلاء الروسي على القرم ونتيجة لارتكاب المجازر، وحملة التهجير، والطرد التي اتبعها الروس مع مسلمي القرم، بالإضافة إلى الغضب العارم في إستانبول نتيجة ما يتعرض له مسلمو القرم من قتل، وتعذيب، وتهجير على يد الروس، فإن الدولة العثمانية لم تجد مناصاً من إعلان الحرب ضد روسيا .

إلا أن تدخل فرنسا قد حال بين الدولة العثمانية وبين قيام تلك الحرب مع الروس، وكان تدخل فرنسا لعلمها اليقين بعدم إمكانية تغلب الدولة العثمانية على روسيا في ظل استعداد روسيا التام لتلك الحرب، بالإضافة إلى ما قد نما إلى فرنسا من اتحاد روسيا مع النمسا حول ما عرف باسم " المشروع الإغريقي "[٤] وهو المشروع القاضي بطرد العثمانيين من أوروبا وتقاسم أملاكهم حيث يقضي الاتفاق الروسي – النمساوي بمحاربة الدولة العثمانية لإنشاء حكومة مستقلة تكون حاجزاً بينهما وبين العثمانيين وتتكون من الفلاخ والبغدان، وإقليم بساربيا يطلق عليها مملكة "داسي " على أن يعين عليها ملك أرثوذكسي يضاف إلى ذلك ميناء أوزى "أو تشاكوف "، والذي سوف يؤول إلى روسيا مع بعض جزائر الروم. أما فيما يخص النمسا فهي بلاد الصرب والبوسنة والهرسك من أملاك الدولة العثمانية، وبلاد دلماسيا من أملاك البندقية، على أن تعوض عن ذلك ببلاد مورة وجزيرتي كريت وقبرص، أما بقية الدول الأوروبية فتعطى أجزاء يتم الاتفاق عليها لاحقاً، وفي حالة الاستيلاء على الآستانة

(١) يلماز أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ ، المرجع السابق ، ص ٦٣٨ .

(٢) أكمل الدين إحسان أوغلى :الدولة العثمانية، تاريخ وحضارة ، المرجع السابق ، ص٧٥.

(٣) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ ، المرجع السابق ، ص ٦٣٨ .

(٤) أكمل الدين إحسان أوغلى :الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، المرجع السابق ، ص٧٥ .

فإنه سوف يتم إحياء مملكة بيزنطة كما كانت قبل الفتح العثماني[١].

وهكذا فقد فضلت الدولة العثمانية السكوت على ضم القرم، واعتبار ذلك حلاً مؤقتاً فرضته عليها الظروف الراهنة، مع استكمال استعداداتها الحربية لوقت يكون العثمانيون فيه أكثر جاهزية [٢].

ولم يمض وقت طويل على احتلال القرم من قبل الروس حتى أخذ الروس في تحويل القرم إلى قاعدة عسكرية لمواصلة توسعهم على حساب العثمانيين، فأصبحت سباستبول[٣] في القرم وخرسون[٤] عند مصب الدنيبر قاعدتين للأسطول الروسي الجديد في البحر الأسود[٥].

وفي عام ١٧٨٧م زارت كاترين الثانية مع صديقها جوزيف الثاني إمبراطور النمسا القرم، يرافقها ستون ألف جندي، حيث استقبلهما القائد بوتمكن في حفل عظيم مارين من تحت أقواس النصر التي كتب عليها " طريق بيزنطة " [٦]، وقد أرادت كاترين من ذلك كله استفزاز الدولة العثمانية وجرها إلى الحرب، في الوقت الذي ما فتئت فيه روسيا تبني القواعد الحربية في البحر الأسود، وتواصل تكثيف العتاد والعدة هناك، بالإضافة إلى إثارة الأفلاق، والبغدان، والبلقان، واليونان ضد الدولة العثمانية وتحريضهم لثورة عليها، كما شجعت

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، المرجع السابق ، ص٣٥٩-٣٦٠.

(٢) أكمل الدين إحسان أوغلي :الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، المرجع السابق ، ص٧٥ .

(٣) Sebastbol : مدينة بالاتحاد السوفييتي سابقا،جنوب القرم.قاعدة بحرية وحربية كبرى على خليج بالبحر الأسود.الموسوعة العربية الميسرة،ج١،المصدر السابق،ص٩٥٧.

(٤) Kherson : مدينة جنوب غربي أوكرانيا على نهر الدنيبر على بعد ٢٤كم من مصبه في البحر الأسود.أنشئت عام ١٧٧٨ كميناء وحوض لبناء السفن.المصدر السابق،ج١،ص٧٥٣.

(٥) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

(٦) للمزيد انظر :

- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، المرجع السابق ، ص٣٦١ .
- يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ ، المرجع السابق ، ص٣٦٩ .

القراصنة اليونانيين على مهاجمة السفن العثمانية [١].

ونتيجة لتلك الأعمال الروسية والاستفزازية، وتدخل روسيا في شؤون الدولة العثمانية وتعريض أمنها للخطر، فقد قررت الدولة العثمانية إعلان الحرب ضد روسيا بتاريخ ١٧٨٧/٨/١٣م، حيث مضى على معاهدة قينارجة وحتى ذلك التاريخ ١٣ عاماً كانت خلالها العلاقات العثمانية الروسية تنتقل من سيئ إلى أسوأ، ولم يكن هناك بصيص أمل لانفراج تلك العلاقات بينهما [٢].

ومن ناحية أخرى فقد أدرك العثمانيين أن الحرب مع روسيا قادمة لا محالة مع وصولهم إلى مرحلة اليأس من الطرق الدبلوماسية مع روسيا، وبالتالي فإنما أراد العثمانيين من إعلانهم ذاك للحرب كسب عامل الوقت لصالحهم ومباغتة الروس قبل استكمال استعداداتهم.

ونتيجة لإعلان حالة الحرب من قبل العثمانيين ضد الروس فقد أرسلت الدولة العثمانية بلاغاً إلى سفير روسيا بالآستانة المسيو (جولفاكوف) تضمن ما يلي :

١ - تسليم (موروكوداتوا) حاكم الفلاخ العاصي للدولة والملتجئ إلى روسيا .
٢ - فك الارتباط الروسي بحماية بلاد الكرج، حيث إنها من أملاك الدولة العثمانية .
٣ - عزل بعض قناصل روسيا المحرضين للأهالي ضد الدولة العثمانية .
٤ - قبول قناصل للعثمانيين في موانئ البحر الأسود .
٥ - إعطاء كامل الحق للدولة العلية بتفتيش مراكب روسيا التجارية والمارة من بوغاز الآستانة للتحقق من خلوها من الأسلحة والذخائر [٣].

وبناءً على ما تقدم فقد تم تكليف الصدر الأعظم يوسف باشا من قبل السلطان عبد الحميد الأول، إبلاغ سفير روسيا مطالب العثمانيين الآنفة الذكر. إلا أن السفير الروسي

---

(١) للمزيد انظر :
- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، المرجع السابق ، ص ٣٦٠-٣٦١ .
- أحمد عبد الرحمن مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، المرجع السابق ، ص ١٦٧-١٦٨ .

(٢) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ ، المرجع السابق ، ص٦٣٩ .

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، المرجع السابق ، ص٣٦١ .

طلب من الصدر الأعظم مخاطبة بلاده مؤكداً أن البت في مثل تلك المطالب العثمانية تتخطى نطاق حدوده[١].

ودونما انتظار عثماني للرد الروسي لمعرفة العثمانيين المسبق برفض روسيا لمثـل تلـك المطالب. ولاستغلال عامل الوقت فقد عملت الدولة العثمانية مجلس طارئ تقرر من خلاله أن روسيا قد خالفت بنود المعاهدات المبرمة باحتلالها القرم، والتعدي على مسلميه، وأن الحرب أصبحت الخلاص الذي لا مفر منه، وتم دعم قرار المجلس ذاك بفـتوى شيخ الإسلام مفـتي زادة أحمد أفندي، والذي أصدر فتواه بإعلان الحرب على روسيا [٢]. بينما كانـت تقـام المواعظ والخطب في أرجاء الدولة العثمانية لحث الناس على الجهاد واستخلاص القرم المسلمة من يد الروس[٣].

وفي ظل استعدادات الصدر الأعظم للحرب فقد وصـله فرمـان همـايوني مـن السلطان عبدالحميد الأول مذكراً إياه بأن وقوع تلك الحرب كان لابد منه في ظـل تعـالي روسيا وعتوها، ويأمره من جهة أخرى بإعداد جيش قوي ومطيع للأوامـر، وتزويـده بمـا يحتاج إلى خوض تلك الحرب مشدداً السلطان على ضرورة العمل الجماعي والإخـلاص في تلك الحرب [٤].

واستعداداً للحرب فقد أخذت الدولة العثمانية ترفع من مستوى جاهزيتـها علـى الحدود بزيادة مدافعها وجيوشها بشكل مكثف. كما قامت بعمـل التحصـينات اللازمـة بالقلاع[٥]، كما صدرت الأوامر العلية إلى كافة الأرجاء العثمانية بمصـادرة جميـع السـفن الروسية الموجودة في موانئ الدولة العثمانية [٦].

---

(1) Őmer Faruk Yilmaz : Osmanli Tãrihi , III, P172-173

(2) Őmer Faruk Yilmaz : Osmanli Tãrihi , III, P172-173

(3) Ziya Nur Aksun : Osmanli Tarihi, Őtüken Neşriyata.ş, P448 .

(4) Ziya Nur Aksun : Osmanli Tarihi, Őtüken Neşriyata.ş, P447 .

(5) Őmer Faruk Yilmaz : Osmanli Tãrihi , IIII P172-173

(6) Őmer Faruk Yilmaz : Osmanli Tãrihi , IIII P446.

وعلى المستوى البحري فقد تحرك الأسطول العثماني بعد أن أكمل استعداداته الحربية بقيادة الغازي حسن باشا الجزائري والذي أخذ يحث جيشه على الجهاد محفزاً هممهم قائلاً :

" أيها الرفاق .. تعلمون ما أجريته مع قصوري من الإصلاحات والخدم في المدة الطويلة للدين والدولة، وبعناية الله تعالى وحسن توفيقه قد نجحت في معظمها. وفي هذا اليوم قد أحيل على عهدتي إعلاء شأن وشهرة الدولة العلية لبقاء سلامتها. فقياماً بحق النعمة التي نحن متمتعون بها في ظل هذه الدولة، يلزمنا جميعاً أن نضع نصب أعيننا فداءها بأرواحنا فيما عهد به إلينا، ولأجل أن نفي بهذه الخدمة المقدسة نحتاط للطوارئ التي تصادفنا رغبة في الوصول إلى المرام بأحسن طريقة. وقد أعتقت جميع جواري، وكافأت كل واحدة منهن حسب خدمتها إليَّ قياماً بواجب يلزمني في هذه الدار، وإني أستودع الله أولادي وأحبائي لأتمكن من القيام بهذه الوظيفة المهمة بالإخلاص والصدق، فإن عدت سالماً كان ذلك من مواهبه سبحانه وتعالى على. إنكم أنتم أمراء البحرية الذين ترتكن عليهم الدولة فيلزمكم أن تضعوا أهمية هذه الخدمة التي عهدت إليكم نصب أعينكم، وتقطعوا عنكم العلائق الدنيوية، حتى بذلك تؤدون الخدمة بما يليق لها، وإن كان لديكم من الأعذار ما يمنعكم من أداء هذا الواجب يلزمكم إيرادها لسماعها اليوم منكم، وأن الإهمال الذي يقع منكم أمام العدو من حركات مخالفة للنظام يوجب المسؤولية على فاعليه أمام جميع الأمة، ولا يخفاكم ما يترتب على فاعليه من الجزاءات الشديدة. فمن عزم منكم على الخدمة في الوقائع المنتظرة بالصداقة والجسارة التامة فليقسم حتى يطمئن رفاقه الباقون "(١). وكان من حُسن طالع العثمانيين أن هبت عاصفة في البحر الأسود أدت إلى تدمير الكثير من السفن الروسية هناك(٢).

وعلى المستوى البري فقد تحرك والي أوزى "إسماعيل باشا " نحو قلعة "قلبرون " مهاجماً إياها بستة آلاف جندي، إلا أن استماتة الروس في الدفاع عنها، في ظل

(١) إسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية ، المصدر السابق ، ص٢٢٩-٢٣٠ .

(2) Ziya Nur Aksun : Osmanli Tarihi, Őtüken Neşriyata.ş, P447 .

الإمـــدادات المتواصلة لهم، مع نقص انعدام مثل تلك الإمدادات في جانب العثمانيين، حـــال دون تمكن العثمانيين منها[١] وعلى الرغم من عدم تمكين العثمانيين من القلعة، إلا أن الجانب الروسي خسر الكثير من الجنود للدفاع عنها. كما أصيب في ذلك الدفاع الجنرال الروســـي قائد قلعة قلبرون [٢].

وكان لاستبسال الجنود العثمانيين أمام قلعة "قلبرون" في ظل فقد الكثير من الجنـــود الروس، بالإضافة إلى تدمير العاصفة للكثير من السفن الروسية، مع عدم اكتمال استعدادات الروس الحربية أن وصل القائد بوتمكن إلى مرحلة من التشاؤم مفادها أن إخلاء القرم خير من البقاء فيها في ظل تلك الظروف، وقد كتب بذلك خطاباً إلى الإمبراطورة كـــاترين الثانيـــة يوضح لها خطورة مثل هذه الخطوة قائلاً : " إننا إذا فقدنا القرم من أيدينا فإنه بذلك يكـــون الطريق إلى موسكو مفتوحاً للأتراك بسهولة على مصراعيه " إلا أن الإمبراطورة أخـــذت في تهدئته قائلةً له " لا تقلق فإنا قمنا بما يلزم " [٣].

وتأكيداً لهمة الإمبراطورة كاترين نحو تحقيق النصر، فقد أمرت "بوتمكن " بعدم انتظار العثمانيين والتحرك صوب مدينتي بندر وأوزى، فما كان منه إلا أن صدع بما أمرت، فسار نحو أوزى محاصراً إياها التي ما لبثت أن سقطت في يده [٤].

وكان سقوط أوزى ذا أثر سيئ على العثمانيين، إذ ما لبث الروس وبمجرد سقوطها أن أقاموا بمذبحة بشرية راح ضحيتها أكثر من خمسة وعشرين ألف غالبيتهم من النســـاء والأطفـــال العزل كما لحق أوزي سقوط قلعة خوجا باشا و(أوديسا) وكذا قلعة خوتين [٥].

---

(١) للمزيد انظر :

- Ziya Nur Aksun : Osmanli Tarihi, Őtüken Neşriyata.ş, P448.
- Yasar Yücel, Ali Svim: Türkiye Tarihi, IV, P 99.

(2) Ziya Nur Aksun : Osmanli Tarihi, Őtüken Neşriyata.ş, P448 .

(3) Őmer Faruk Yilmaz : Osmanli Tãrihi , III P174

(٤) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، المرجع السابق ، ص٣٦١ .

(٥) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ ، المرجع السابق ، ص٦٤٠ .

وعلى الجانب العثماني، وبينما كان الصدر الأعظم يستعد للتحرك، إذ وصله إعـــلان النمسا انضمامها للحرب بجانب الروس ضد العثمانيين [١]، وكان دخولهم مربكاً للترتيبـــات الحربية العثمانية، إلا أنه وفي المقابل فقد وصل مندوب ملك السويد "جوستاف الثالث" معلناً وقوفه إلى جانب العثمانيين في حربهم تلك، طالباً مساعدات مادية نظراً لما تمر به بـــلاده مـــن أزمة مالية، وعلى الفور فقد أمر السلطان عبـــد الحميـــد الأول بتلبيـــة كافـــة رغبـــات السويد[٢]مانحاً إياها مليار آقجه[٣] [٤] .

وعلى مستوى تحرك العثمانيين وانطلاقهم نحو الحرب فقد ودع السلطان عبد الحميد الأول الصدر الأعظم وكبار القادة وبقية الجند بالكلمات التوجيهية التالية: "إنني أدعو الحق، سبحانه وتعالى، كي يوفقكم في هذه الحرب، ولا يمكن لأحد أن يتدخل في شـــؤون الجـــيش سواك – الصدر الأعظم – وعلى كافة أركان الجيش طاعة الصدر الأعظم"[٥] .

وكان أولى تحركات الصدر الأعظم نحو النمسا قاصداً تنحيتها أولاً، وقـــد هاجمـــت القوات العثمانية جيش النمسا، والذي كان متجمعاً في "شيش" فألحق به هزيمة ساحقة فر على أثرها إمبراطور النمسا " جوزيف الثاني " من أرض المعركة مولياً الأدبار بعد أن غنم العثمانيين ثمانين مدفع ووقع الكثير من جيش النمسا أسرى بيد العثمانيين[٦] .

وعلى الرغم من هذا النصر فإن الأمور لن تستمر للعثمانيين بهذا الشكل كما سوف نلاحظ، نظراً لقلة خبرة الجيش. وابتعاده عن كافة أنواع النظـــام، وعـــدم كفايـــة قـــواده،

---

(1) Őmer Faruk Yilmaz : Osmanli Tãrihi , III P174.

(2) Őmer Faruk Yilmaz : Osmanli Tãrihi , III P174.

(٣) نقد أبيض،ضرب لأول مرة في عهد السلطان أورخان العثماني،وزنه خمسة قراريط وثلاث حبات أي ٤،٦١٨ جم ولكن طرأت على وزن هذه العملة وعيارها وحجمها تغيرات كبيرة إبان العصر العثماني.الموسوعة العربية الميسرة،ج١،المصدر السابق،ص١٨٤.

(٤) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ ، المرجع السابق ، ص٦٤١ .

(5) Őmer Faruk Yilmaz : Osmanli Tãrihi , III P175.

(٦) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ ، المرجع السابق ، ص٦٤٠ .

واستمرار فعاليات العدو حتى شهور الشتاء [١]. ثم حدث أن توفي السلطان عبدالحميد الأول، ليتسلم زمام السلطنة، وهي على هذا الحال، السلطان سليم الثالث[٢] .

وما أن تولى السلطان سليم الثالث إلا وأخذ في محاولة بث روح العزيمة بين جنوده وقواده، بإلقائه خطبة حماسية في مراسيم توليته للعرش مذكراً إياهم بما كان من تاريخ انتصارات الجيوش العثمانية وبطولاتها، كما حضهم على التمسك بالدين، ثم تحدث عن سبب الهزائم ووجوب طاعة أولي الأمر والقادة، والصبر والجهاد للدفاع عن الدين ومحاربة الكفرة [٣].

وفي خطوة تحفيزية قام السلطان سليم الثالث بزيادة مرتبات الجند وصرف مكافآت إضافية تزيد عما كانت عليه في عهد سلفه [٤]، كما قام السلطان بتعيين محمد مالقا ابن حاكم حاكم القرم قائداً في منطقة الكوبان بهدف إثارة تتار القوقاز ضد روسيا ووقوفهم بجانب العثمانيين لاستعادة القرم [٥].

ولم يكتف السلطان سليم بذلك، بل وفي خطوة تحفيزية منه أيضاً، أراد الذهاب بنفسه إلى الحرب وقيادة الجند لولا ممانعة وزرائه وخاصته لهذه الخطوة التي قد لا يحمد عقباها في ظل عدم ثبات الجنود في ميادين القتال[٦] .

ومع تلك الإصلاحات التي حاول السلطان سليم الثالث إجراها لتحقيق النصر، إلا أن الحقيقة القائمة هي أن السلطان سليم الثالث قد تسلم زمام الأمور والدولة العثمانية في

---

(١) أكمل الدين إحسان أوغلي : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، المرجع السابق ، ص٧٦.

(٢) سليم الثالث ابن مصطفى الثالث(١٧٦١-١٨٠٨م):سلطان تركيا(١٧٨٩-١٨٠٧م).ابن أخي عبد الحميد الأول وخلفه.كان مصلحاً شديد الغيرة،أخذ يدخل النظم الغربية في الجيش والأسطول،ويضعف من شوكة الإنكشارية.الموسوعة العربية الميسرة،ج١،المصدر السابق،ص١٠٠١.

(٣) علي محمد الصلابي : الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط ، المرجع السابق ، ص٣٤٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص٣٥ .

(٥) يوسف الثقفي : موقف أوروبا من الدولة العثمانية ، الطائف،دار الطائف،١٤١٧هـ ، ص٦٩ .

(٦) إبراهيم بك حليم : تاريخ الدولة العثمانية العلية ، المرجع السابق ، ص٢٦٧ .

حالة فوضى عارمة، والخلل أصاب معظم أجهزتها، والجيش في حالة من السوء[١].

ومما زاد الطين بله قيام اتحاد بين جيش روسيا والنمسا وتنسيق عسكري فيما بينهما لمواجهة العثمانيين، وقد نجح ذلك الاتحاد في هزيمة العثمانيين هزيمة كبرى في معركة buzau التي راح ضحيتها ٢٣ ألف تركي وعلى أثرها احتلت النمسا بوخارست عاصمة الأفلاق، بينما استولى الروس على ياش عاصمة بغدان[٢]، تبعها سقوط بلغراد بيد النمسا[٣].

ولم يكن العثمانيين هم من تعرض للهزيمة وحدهم، فقد تعرض الروس أيضاً للهزيمة في معركة إسماعيل الميدانية في أقصى جنوب بسبارابيا على يد العثمانيين بقيادة جزائري غازي حسن باشا، مما جعل "بوتمكن " يقوم بهجوم مضاد كبير استولى من خلاله على أهم أربع قلاع دفاعية عثمانية في دلتا الطونة بين بيسارابيا ودوبروجه وهي: كيلي Kili، وإسماعيل[٤]، Tulce، أيساكجي وقد انتقم الروس بهزيمتهم في إسماعيل السابقة بقتل أكثر من ٣٠ ألف مسلم في إسماعيل معظمهم من النساء والأطفال [٥].

وعلى الجانب النمساوي فإن جيشه تلقى هزيمة موجعة في معركة "يركوى" بالأفلاق على يد القوات العثمانية،نتج عنها قتل ٥٠٠٠ من الجيش وأسر ١٠٠٠ جندي [٦]، إلا أن أن تلك الهزيمة النمساوية صاحَبَها تفوق حليفتها روسيا ومواصلة سيل الانتصارات ضد العثمانيين. فقد تمكن الروس من السيطرة على مناطق شمال وشرق البحر الأسود، أضف إلى ذلك أن الحربية الروسية تمكنت من القضاء على بعض قطع الأسطول العثماني، وأجبرته على

---

(١) أماني جعفر الغازي : دور الانكشارية في إضعاف الدولة العثمانية ، المرجع السابق ، ص٣٣٣ .

(٢) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ ، المرجع السابق ، ص٦٤١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٤١ .

(٤) من أهم القلاع العثمانية،وهي الآن مدينة في رومانيا.حملت هذا الاسم نسبة إلى القائد العثماني الذي فتحها في القرن الخامس عشر في عهد بايزيد الثاني،وكانت تمتاز بموقعها الحربي الحصين.جون باتريك كينروس :القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص ٤٦٤.

(٥) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ ، المرجع السابق ، ص ٦٤١-٦٤٢ .

(٦) المرجع السابق ، ص٦٤١ .

الانسحاب من سيفاستبول إلى البسفور معلنة سيطرتها على البحر الأسود بكامله، وفي الدانوب تمكن الروس من السيطرة على منافذه مما جعله مفتوحاً لتحركات القائد الروسي "بوتمكن " (١).

وإكمالاً لخط سير المعارك بين الأطراف المتحاربة فإن القوات الروسية في أوائل عام ١٧٩١م واصلت بقيادة الأمير ريبنين Repnin هجوماً عند قرية ماشين Machin محققة السيطرة على مفتاح الممرات الجبلية الموازية للدانوب (٢).

وأمام هذا الوضع العثماني المتدهور والتفوق الروسي الكبير فقد خشيت بروسيا من ذلك التفوق الروسي والامتداد الجغرافي الكبير، ومن ثم اتجاه روسيا بنظرها نحوها بعد تخلصها من العثمانيين، ولذلك فقد تم الاتفاق بين بروسيا والدولة العثمانية على معاهدة تلتزم فيها بروسيا بمساعدة الدولة العثمانية ضد روسيا والنمسا حتى يتم تحرير القرم والقوقاز (٣). وبالفعل فقد دعت بروسيا كلاً من روسيا والنمسا لإجراء الصلح مع الدولة العثمانية؛ وتنفيذاً لجدية الأمر ساقت بروسيا جيشاً كبيراً على الحدود لإجبارهما على الصلح(٤).

وعلى المستوى السياسي فقد شمرت بروسيا عن جهد كبير لإقناع الدول الأوروبية بمشاطرتها فكرتها تلك المنادية بإيقاف الحرب والدعوة إلى الصلح بين الدول المتحاربة(٥) . ونظراً لما قامت به بروسيا من جهد واضح لإيقاف الحرب فقد اقتضى الحال بعث رسالة شكر وتقدير من قبل الدول العثمانية إليها على ما بذلته من محاولة إصلاح بين الأطراف المتحاربة(٦). وهذا دليل واضح على رغبة الدولة العثمانية في الصلح وتأييدها الواضح لجهود بروسيا من أجل السلام.

---

(١) يوسف الثقفي : موقف أوروبا من الدولة العثمانية ، المرجع السابق ، ص٨١ .

(٢) المرجع السابق ، ص٨١ .

(٣) المرجع السابق ، ص٧٦ .

(٤) خط همايوني ، أرشيف رئاسة الوزارة رقم الوثيقة ١٤٨/٦٢٣١ Hay Humayan .

(٥) خط همايوني ، أرشيف رئاسة الوزارة رقم الوثيقة ١٤٨/٦٢٢٠ Hay Humayan .

(٦) خط همايوني ، أرشيف رئاسة الوزارة رقم الوثيقة ١٧٦/٧٨٩٩ Hay Humayan .

بالإضافة إلى ظهور نشاط دبلوماسي وحركات دينية وسياسية في الأوساط الأوروبية تنذر بالخطر مما جعل الدول الأوروبية تبحث عن السلام وتنادي بإيقاف الحرب بين الدولة العثمانية وعدوتيها روسيا والنمسا، أضف إلى ما سبق ظهور الثورة الفرنسية التي أخذت نذرها تلوح في سماء أوروبا داقةً ناقوس الخطر[١] وقد أوجدت جميع تلك الظروف وحدة الدول ذات الشأن حول محاولة توحيد جهودها لمواجهة تلك الأخطار ونتيجة لما سبق فقد سعت كلاً من بريطانيا وبروسيا وهولندا لعمل معاهدة صلح بين الدولة العثمانية والنمسا عرفت باسم "زشتوي Sistow " في ٢٢ من ذي الحجة عام ١٢٠٥هـ الموافق ٤ أغسطس ١٧٩١م [٢].

وكان مما سهل مهمة الوصول إلى تلك المعاهدة بالنسبة للنمسا هو موت حاكمها "جوزيف الثاني " حيث خلفه على الحكم أخوه "ليوبولد الثاني " والذي وجه كل همه لمواجهة خطر الثورة الفرنسية. كما أنه ورث إمبراطورية تسودها المنازعات الداخلية وتحتاج إلى فترة ليست بالقصيرة لمعالجتها، بالإضافة إلى أنه أخذ ينظر بعين القلق والريبة إلى ذلك التحالف العثماني البروسي[٣]، وبالتالي فقد ساعدت تلك الظروف المعنية بسرعة التوقيع على تلك المعاهدة متضمنة أربعة عشر بنداً عالجت العديد من القضايا بين الجانبين.

ومنذ إبراهم معاهدة الصلح تلك بين الدولة العثمانية والنماسا فإن بروسيا قد يممت بوجهها نحو روسيا، حيث طلبت منها عقد معاهدة سلام مع الدولة العثمانية على غرار النمسا، إلا أن الرفض الروسي لذلك المقترح البروسي، جعل بروسيا تستعد عسكرياً للوقوف إلى جانب العثمانيين ضد الروس، كما تضامنت بريطانيا مع بروسيا للوقوف ضد المد الروسي وطالبات روسيا بوقف الحرب والإصغاء للمقترح البروسي[٤] .

---

(١) يوسف الثقفي : موقف أوروبا من الدولة العثمانية ، المرجع السابق ص ٧٣-٧٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٨٢ .
(٣) المرجع السابق ، ص٧٧ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٨٣-٨٤ .

وبانسحاب النمسا من الحرب وضغط الدول الأوروبية على روسيا وجدت روسيا أنها أصحبت وحيدة في ميدان المعركة، خصوصاً في ظل ازدياد ضغط السويد عليها التي أجبرتها أن تحارب على جبهتين[١] .

وبناءً على ما سبق فقد نجحت المساعي التي بذلتها بريطانيا وبروسيا في إبرامهم معاهدة الصلح "ياش " Yassy بين الدولة العثمانية وروسياً في ١٥ جمادى الأولى ١٢٠٦هـ، الموافق ٩ يناير ١٧٩٢م . على أنه وقبل إقرار المعاهدة بشكلها النهائي تم الاجتماع بمدينة بطرسبرج في سنة ١٢٠٦هـ السادس عشر من يناير سنة ١٧٩١م بين سفراء بروسيا وبريطانيا والنمسا مع وكيل روسيا " الكونت أوسترمان" لوضع الخطوط العريضة لمعاهدة الصلح[٢]. وإن اختيار مدينة بطرسبرج لهو دليل على ضعف الدولة العثمانية من جهة، وإرضاء لروسيا من جهة أخرى بوضع شروطها التي ترغبها لإنهاء الحرب، كما أن عدم مشاركة الدولة العثمانية في ذلك الاجتماع وهي أحد أطراف الحرب، والرضا بما يمليه عليها الأوروبيون لدليل ما وصلت إليه من ضعف واضح وانهيار لمكانتها الدولية .

---

(١) أكمل الدين إحسان أوغلي : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، المرجع السابق ، ص٧٦.

(٢) خط همايوني ، أرشيف رئاسة الوزراء رقم الوثيقة ١٤٨/٦٢٢١ Hay Humayan .

الفصل الرابع

المعاهدات العثمانية الروسية خلال الفترة من (١١٨٣-١٢٠٢هـ/ ١٧٦٩-١٧٨٧م) ونتائجها

المبحث الأول : معاهدة كتشك كينارجي (قينارجة) عام ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م .

المبحث الثاني : معاهدة ياش ١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م.

المبحث الثالث : معاهدة تحالف دفاعي عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م .

المبحث الثالث : معاهدة تجديد التحالف الدفاعي عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م.

المبحث الأول : معاهدة كتشك كينارجي (قينارجة) عام ١١٨٨هـ/١٧٧٤م

يومان من المفاوضات كانت كفيلة بمندوبي الدولة العثمانية رسمي أحمد أفندي ومنيب أفندي للوصول إلى اتفاق معاهدة قينارجة مع مندوبي روسيا الأمير / Renin والمارشال Romanzov [(١)].

حيث من الطبيعي أن تكون يومان كافيين لإبرام هذه المعاهدة في ظل تحقيق المطالب الروسية وقبول الجانب العثماني بها. إذا كان العثمانيون في موقف لا يؤهلهم للتعنت أو إبداء الرأي أو رفض الشروط الروسية، وبالتالي فقد ساعدت تلك الظروف على سرعة التوصل إلى بنود هذه المعاهدة، بالإضافة إلى أن أكثر مطالب الروس هو ما تضمنه مؤتمر بخارست من قبل ورفضه العثمانيون . ومع أن المعاهدة قد تم التوقيع عليها من قبل العثمانيين في ٢١ تموز، إلا أن الروس قد أخروا توقيعهم عليها أربعة أيام ليوافق ذلك ذكرى ٦٣ لمعاهد بروث المخزية[(٢)] فكأنما أراد الروس من خلال ذلك التأخير التخلص من شائبة بروث من خلال معاهدة قينارجة، وقد اتفق الجميع في معاهدة قينارجة على البنود التالية[(٣)] :

المادة الأولى :

كل ما سبق وقوعه بين الدولة العلية ودولة روسيا من عداوة ومخاصمة قد مُحي وأُزيل من الآن إلى الأبد . وكل الأضرار والتعديات التي صار الشروع في استعمالها وإجرائها من الطرفين بالآلات الحربية وبغيرها صارت نسياً منسياً إلى الأبد ولا يجري بعد الآن ولا في وقت ما انتقام بل صار الصلح براً وبحراً عوضاً عن العدوان بوجه لا يعتريه التغير بل يُراعى ويُصان من طرفي الهمايوني ومن طرف خلفائي الأماجد وكذلك يُحفظ ويُصان ما جرى تمهيده مع ملكة روسيا المشار إليها وخلفائها من الاتفاق والموالاة الصافية المؤبدة والسالمة من التغيير وتستمر هذه المواد جارية ومعتبرة بكمال الدقة والاهتمام وتكون قضية الموالاة مرعية بهذه الصورة بين الدولتين وفي أملاكهما وبين رعايا الطرفين بحيث لا تقع فيما بعد ضدية بين الفريقين لا سراً ولا جهراً ولا نوع من أفعال البغضاء

---

(١) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ المرجع السابق ، ص ٦٢٧-٦٢٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص٦٢٨ .

(٣) نقلاً عن أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، المصدر السابق ، ص ص ٥٠٢-٥١٧ . وقد أوردها ثلة من المؤرخين منهم : محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية ، المرجع السابق، ص ص ٣٤٢-٣٥٨.

- Hurewitz, op, cit , pp 54 - 61

والأضرار . وبحسب الموالاة المتجددتين تكون جرائم جميع الرعايا المتهمين لدى الدولتين وكيفما تهمتهم بلا استثناء نسياً منسياً ويعرض عنها بالكلية من الجهتين والذين أخذوا منهم ووضعوا في السجون يُطلق سبيلهم وتعطى الرخصة برجوع الأشخاص الذين نفوا إلى الجهات وبعد إمضاء المصالحة يرد إليهم ما كانوا أحرزوه من الرتب والأموال أو الذين استحقوا منهم عقاباً من أي نوع كان لا يتعرض لهم بسبب ما أو بوسيلة ما أصلاً ولا بضرر وتأديب وإذا تصدى أحد لضررهم والتعرض لهم يصير تأديبه وكل من المذكورين يكون تحت حماية ومحافظة القوانين ومن الواجب معاشرتهم بحسب عادات الولايات قياساً على الولايات المتاخمة .

المادة الثانية :

بعد تنقيح هذه العهدة المباركة ومبادلة صكوك التصديق إذا ظهر من بعض رعايا الدولتين عدم الطاعة أو خيانة أو اتهموا بتهمة أخرى ووجدوا في بلاد إحدى الدولتين لقصد الاختفاء أو الالتجاء فهؤلاء ما عدا الذين دخلوا منهم في الدين الإسلامي في دولتي العلية والذين تنصروا في دولة روسيا لا يقبلون أصلاً ولا تجرى لهم الحماية بل بالحال يردون إلى بلادهم أو يطردون من بلاد الدولة التي التجأوا إليها وذلك حتى لا يحصل بين الدولتين بسبب هكذا أشخاص لا نفع فيهم أمر يفضي إلى البرودة بين الطرفين أو يكون باعثاً لبحث لا طائل تحته، وكذلك إذا حصل من أحد رعايا الطرفين سواءً كان من الإسلام أو من زمرة المسيحيين ذنب أو تقصير وعلى أي ملاحظة كانت التجأ لإحدى الدولتين فإنه ينبغي رده عند طلبه بلا تأخير .

المادة الثالثة :

جميع قبائل القريم وطوائف بوجاق وقوبان ويديسان وجانبويلق ويديجكول التاتارية يصير قبولها والاعتراف بحريتها بلا استثناء من طرف الدولتين بشرط أن لا تكون تلك القبائل تابعة لدولة أجنبية بوجه ما والخانات المنتخبون من نسل آل جنكيز المستقلون في حكوماتهم باتفاق جميع طوائف التاتار يبقون على ما هم عليه يحكمون في الطوائف المرقومة بحسب قانونهم وعاداتهم القديمة بشرط أن لا يؤدوا ضريبة عن مادة ما لدولة من الدول الأخرى . ودولتنا العلية ودولة الروسيا لا يتداخلان في أمر انتخاب الخانات الموماً إليهم ونصبهم ولا فيما يحدث من أمورهم المخصوصة ولا في أمور حكومتهم بوجه ما، بل يكون حكمهم نافذاً في حكومتهم وفي الأمور الخارجية كدولة مستقلة مثل سائر الدول المستقلة . وطائفة التاتار المرقومة تكون مقبولة ومعترفاً بكونها غير تابعة لأحد سوى للحق سبحانه وتعالى . وحيث أن الطائفة المذكورة هي من أهل الإسلام وكون ذاتي السلطانية الموسومة بالعدالة هي إمام المسلمين وخليفة الموحدين فإنها توجب على الطائفة المرقومة أن لا تلقى خللاً في الحرية الممنوحة لدولتهم وبلادهم بل يجب أن تنظم أمورها المذهبية من طرفي الهمايوني بمقتضى الشريعة الإسلامية . وأراضي كرش وأراضي القلعة المسماة بالقلعة الجديدة التي خصصت لدولة الروسيا والقصبة الواقعة بجانب قريم وقوبان ما عدا ثغورها والقلاع والأماكن والأراضي التي وقع الاستيلاء عليها وجميع الأراضي الواقعة بين مياه نهري برادونسكي ودي دادزي ومياه نهري آق صو وطورله حتى حدود مملكة (له) فهذه جميعها ترد للطوائف المرقومة وقلعة أوزي مع قطعتها القديمة تبقى تحت تصرف دولتي العلية كالسابق . وبعد تكميل عهدة المصالحة تتعهد دولة روسيا بإخراج جميع عساكرها من الممالك التاتارية وتتعهد دولتي العلية أيضاً بكف يدها عن ما هو لها كلياً كان أو جزئياً من جميع أنواع القلاع والقصبات والمساكن وسائر الأشياء الواقعة في جزيرة القريم وجزيرة قوبان وطمان وأن لا ترسل فيما يأتي محافظاً عسكرياً للمحل المرقوم أو عساكر بل ترد الممالك المذكورة لطوائف التاتار المرقومة بالوجه المحرر وكما أن دولة روسيا جعلت الطوائف المرقومة غير تابعة لأحد ومستقلة حقيقية في

حكومتها على وجه أن تكون الحرية المطلقة معمولاً بها فيها كذلك دولتنا العلية تتعهد بأن لا ترسل فيما يأتي للقصبات والقلاع والأراضي والمساكن المذكورة محافظاً عسكرياً ولا غيره من زمرة عساكر السكبان أو غيرها كيفما كان اسمهم ونوعهم والحرية الممنوحة للطوائف المرقومة من طرف دولة الروسيا تمنحها لها أيضاً دولتنا العلية مع الاستقلال بحيث لا تكون الطوائف المذكورة تابعة لأحد .

المادة الرابعة :

لما كان بمقتضى القواعد الأصلية المخصوصة بجميع الدول يجوز لكل دولة أن تجري في ممالكها ما تراه مناسباً من النظام فللدولتين المتعاقدتين الرخصة الكاملة المطلقة بدون تقييد أن تبنيا ما تستنسبه من القلاع والمدن والقصبات والأبنية وأن يُصلح كل منهما ويجدد ما يكون قديماً من قلاعهما وسائر أملاكهما .

المادة الخامسة :

حيث أنه قد تيسر تجديد ما للجوار من حقوق الموالاة والمصافاة بانعقاد هذه المصالحة المباركة فلدولة روسيا أن تعين من طرفها في الأستانة (أنوبياتو) يعني سفيراً متوسطاً أو مرخصاً من الدرجة الثانية فيقيم دائماً لدى دولتنا العلية وعلى الدولة العلية أن تجري للسفير الموما إليه بالنظر لرتبته مراسم الاعتبار والرعاية الجارية منها لسفراء الدول الأوفر اعتباراً . وإذا وقع احتفال رسمي عمومي وكان سفير إمبراطور الألمان في رتبة رفيعة أو صغيره فإنه يكون بعد سفير ندرلانك (أي هولاندا أو الفلمنك) الكبير وإذا لم يكن لدولة ندرلانك سفير كبير فإنه يكون بعد سفير ونديك الكبير (أي البندقية) .

المادة السادسة :

إذا وقعت سرقة أو تهمة عظيمة أو أمر غير لائق يستوجب التعزيز من الذين هم بالفعل في خدمة سفير دولة روسيا فبعد التقرير يجب استرداد تلك الأشياء المسروقة بالتمام على الوجه الذي يبينه السفير . والذين يتصورون قبول الدين المحمدي وهم في حالة السكر فلا يُقبلون في الدين المحمدي بل بعد زوال السكر ورجوعهم إلى حالتهم الأصلية بعود عقولهم لرؤوسهم يطلب منهم بيان إقرارهم واعترافهم في مواجهة من يرسله السفير أيضاً وأمام بعض المسلمين ممن ليس لهم غرض ثم يصير قبولهم على هذا الوجه .

المادة السابعة :

تتعهد دولتنا العليا أن تصون حق الديانة المسيحية وكنائس المسيحيين صيانة قوية وتمنح سفراء دولة روسيا الرخصة بإبراز التفهيمات المتنوعة عند كل احتياج سواءً كان متعلقاً في الكنيسة المذكورة في المادة الرابعة عشرة الكائنة في المحروسة القسطنطينية أو في صيانة خادميها وإذا عرض السفير الموماً إليه شيئاً ما بواسطة معتمد له يتعلق بدولة مصافية ومجاورة لدولتي العلية فتتعهد دولتنا العلية قبول المعروض والمعتمد .

المادة الثامنة :

تعطي الرخصة التامة لرهبان دولة الروسيا ولسائر رعاياها بزيارة القدس الشريف وسائر الأماكن التي تستحق الزيارة ولا يتكلف المسافرون ولا السائحين لدفع نوع من أنواع الجزية والخراج والويركو أصلاً ولا يطلب ذلك منهم بأثناء الطريق لا في القدس الشريف ولا في سائر الأماكن وتعطى لهم الفرمانات بالوجه اللائق مع أوامر الطريق التي تعطى إلى رعايا سائر الدول والذين يقيمون منهم في أراضي دولتي العلية لا يُمكن أن يحصل لهم تعرض ومداخلة بوجه من الوجوه بل تصير حمايتهم وصيانتهم تماماً بمقتضى قوة أحكام الشريعة .

المادة التاسعة :

المترجمون الموجودون في خدمة سفراء روسيا المقيمين في محروسة القسطنطينية من أي ملة كانوا حيث خدموا أمور الدولة وخدمتهم هذه راجعة للدولتين فإنهم يعاملون بكمال المروءة والاعتبار ولا تجوز مواخذتهم في الأمور المكلفين بها من طرف من هم بخدمته .

المادة العاشرة :

لحين إمضاء هذه المصالحة المباركة وإيصال التنبيهات اللازمة من طرف سرادرية عساكر الطرفين للمحلات المقتضية إذا حدثت خلال ذلك مخاصمة في أي محل كان لا يعد ذلك تعرضاً وما يحصل بسبب ذلك من الفتوحات والاستيلاء لا يعتبر ويكون كأنه لم يكن ولا أحد من الدولتين يستفيد من مثل هذا شيئاً .

المادة الحادية عشرة :

قد تقرر لأجل منفعة الدولتين سير سفنهما وسفن تجارهما بلا مانع في جميع بحارهما وتعطي الرخصة من جانب دولتي العلية إلى سفن روسيا وسفن تجارها بأن تتمتع بالتجارة في كل الأساكل [أي المواني] وكل محل بالوجه الذي أجازته دولتي العلية في السائر الدول وأن يمكثوا في المعابر والثغور المتصلة بالبحار المذكورة وفي عموم المرافئ والشطوط الساحلية من البحر الأبيض إلى البحر الأسود ومن البحر الأسود إلى البحر الأبيض . وكما صار البيان أعلاه بحق هذه المادة قد أعطيت الرخصة من جانب دولتي العلية إلى رعايا دولة الروسيا بأن يتحدوا براً مع أهالي ممالك دولتنا العلية ويكون لهم ما حصلت به المساعدة والمسالمة والمعافيات في التجارة الحرية إلى أحب أصدقائنا فرنسا وانكلترا ويسيرون على هذا المنوال في نهر الطونة وعند ظهور أي نوع كان من الاحتياج سواءً كان في أمر التجارة أو فيما يتعلق بنفس التجار أو بالجميع تراعى شروط الملتين المذكورتين وتعتبر على الوجه المحرر لفظاً بلفظ في هذه المادة ولتجار الروسية أن ينقلوا ويخرجوا كل نوع من الأمتعة بعد أن يؤدوا الرسومات التي يعطيها غيرهم من الملل المذكورة ويجوز لهم أن يصلوا إلى سواحل ومرافي البحر الأسود وسائر البحار وإلى محروسة القسطنطينية وقد رخص لرعايا الطرفين بالتجارة وتسيير السفن في عموم مياه المواضع المذكورة بلا استثناء وأعطيت لهم الرخصة من جانب الدولتين بالإقامة في بلادهما المدة اللازمة لإدارة مصالحهم وتجارهم وحصل التعهد بذلك من الطرفين بهذا الباب بأن يكون لتجار روسيا أيضاً ما لرعايا سائر الدول المتحابة من الحرية والمسالمة ولكون المحافظة على النظام في كل المواد هي من ألزم الأمور أعطيت الرخصة من جانب دولتنا العلية بتعيين قناصل ووكلاء قناصل من طرف دولة روسيا في عموم المواقع التي ترى أنها لازمة لذلك ويعتبرون في سائر الأمور مثل قناصل سائر الدول المتحابة وقد رُخص لهؤلاء القناصل ووكلاء القناصل بأن يستخدموا في معيتهم تراجمين من المسلمين الحائزين براً آتي الشاهانية المعبر عنهم ببرأتلي ويكون لهؤلاء التراجمين ما لأمثالهم الموجودين في خدمة أنكلترا وفرنسا وسائر الملل من المعاقبات وأعطيت الرخصة من جانب دولة الروسيا إلى رعايا دولتي العلية بأن يتاجروا براً وبحراً في ممالك روسيا ويكون لهم ما لسائر الملل المتحابة مع روسيا من الامتيازات والمعافيات وذلك بعد أداء الرسوم المعتادة وتجرى المساعدة بكل وجه لسفن الدولتين التي تطرأ عليها الطوارئ في أثناء سيرها في البحر يعني عند وقوع حوادث تلزم لها الإعانة بما يلزم لجانب سائر الدول الأوفر صداقة ويؤخذ لهذه السفن ما يلزمها من الأشياء بالأسعار الجارية .

المادة الثانية عشرة :

إذا رغبت دولة الروسيا أن تعقد معاهدة تجارية مع الأفريقيين أي حكومات طرابلس الغرب وتونس والجزائر فدولتنا العلية تتعهد ببذل اعتبارها وجهدها لحصول دولة روسيا على مرغوبها وتكفل حكومات الإيالات المذكورة بأنها تحافظ على العهود المرسومة .

المادة الثالثة عشرة :

يلزم استعمال هذه العبارة في اللسان التركي (تماماً روسية لولرك بادشاهي) يعني من طرف دولتنا العلية في جميع السندات وعامة المكاتيب وفي كل خصوص اقتضى وضع هذا اللقب المعتبر أعني (تماماً روسية لولرك إمبراطوريجه سي) .

المادة الرابعة عشرة :

يجوز لدولة روسيا أن تبني كنسية على الطريق العام في محلة بك أوغلي في جهة الغلطة غير الكنيسة المخصوصة قياساً على سائر الدول وهذه الكنيسة هي كنيسة العوام وتسمى باسم كنيسة دوسوغرنة وتكون تحت صيانة سفير دولة روسية إلى الأبد وتكون أمينة من كل تعرض ومداخلة وتصير حراستها .

المادة الخامسة عشرة :

إنه بمقتضى النظام الذي به تعينت وتحددت حدود الدولتين يبعد عن الملاحظة وجود أمر يستوجب نزاع جسيم يوجب المباحثة لرعايا الطرفين . لكن لأجل دفع أسباب المضار والخسائر المحتمل ظهورها من عوارض غير مأمولة قد وقع القرار بالاتفاق بين الدولتين أنه عند حدوث أمر كهذا يجب على الحاكم الموجود على طرف الحدود أن يفتش على المادة التي حدثت أو أنه يجري فحصها بمعرفة مأمورين يتعينون لذلك وبعد تفتيش المادة كما ينبغي يجرون إحقاق الحق لصاحبه بلا تأخير . وحصل التعهد الصافي بأن مادة حسن النظام والموالاة التي تمهدت حديثاً وانعقدت بهذه العقيدة المباركة لا تتغير أصلاً بحدوث قضايا كهذه .

المادة السادسة عشرة :

ترد دولة روسيا لدولتي العلية مملكة البوجاق مع قلاع أقكرمان وكلي وإسماعيل وسائر القصبات والقرى بما فيها من جميع الأشياء وترد لدولتي العلية قلعة بندر أيضاً وكذلك ترد لدولتي العلية إيالتي الأفلاق والبغدان مع كافة قلاعها مدنها أو قصباتها وقراياها وما هو داخلها من جميع الأشياء وقد قبلت دولتي العلية الممالك المرقومة على الشروط الآتي بيانها وتعهدت بحفظ الشروط المذكورة تماماً ووعدت بذلك وعداً معمولاً به .

أولاً :يجري العفو عن أهالي هاته الحكومات الجديدة جميعاً من أي قسم كانوا من المراتب والكيفيات والحال والاسم والوجاهة بلا استثناء وأن تغضي عما ظن فيهم من الأعمال المغايرة وكل تهمة تتعلق بهم من الحركات التي كانت مخالفة لأمور دولتي العلية وتكون نسياً منسياً إلى الأبد وعلى موجب مضمون المادة الأولى يصير إعادتهم إلى مناصبهم ورتبهم وترد أملاكهم السابقة ويعودون إلى ما كانوا يملكونه من الأملاك قبل الحرب وتتجدد أمورهم .

ثانياً : الديانة المسيحية تكون من كل الوجه حرة كالأول ولا يحصل ممانعة لإجرائها قط ولا يمنع إحداث كنائس جديدة ولا ترميم الكنائس القديمة .

ثالثاً : الأراضي والأملاك الموجودة ضمن دائرة إبرائل وخوتين وفي سائر المواضع المأخوذة بغير حق المتعلقة من القديم بالأديرة وبسائر الأشخاص فهذه جميعها ترد للمرسومين المعبر عنهم الآن بالرعايا .

رابعاً : يكون لجماعة الرهبان الاعتبار بما يناسبهم من الامتياز .

خامساً : يرخص للأعيان الذين يرغبون التوجه إلى محل آخر بترك الوطن أن ينقلوا أشياءهم بالحرية وأن يمهلوا مدة سنة للانتقال من وطنهم وذلك ليكون لهم وقت كافي لتنظيم مصالحهم وتعتبر هذه المهلة من تاريخ التصديق على الصك .

سادساً : لا يصير تحصيل شيء لا نقود ولا خلاف ذلك من المحاسبات القديمة مهما كانت.

سابعاً : لا يصير تكليفهم ولا مطالبتهم بشيء عن مدة الحرب بتمامها بل نظراً لما صادفوه بأثناء امتداد الحرب من المضرات والتخريب قد أعطى بعد ذلك للمذكورين أيضاً مهلة سنتين تعتبر من تاريخ مبادلة صك التصديق الهمايوني .

ثامناً : بعد انقضاء هذه المهلة تتعهد دولتنا العلية بمعاملتهم بالمروءة الكلية في أمر تعيين الجزية ونحافظ على سخائها الجليل على قدر الإمكان ويصير تأدية جزيتهم بواسطة مبعوثيهم مرة في كل سنتين وبعد أداء هذه الجزية بتمامها فلا يتعرض لهم أحد أصلاً كائناً من كان من باشا أو حاكم ولا يطالبون بشيء ما من اقتراح الضرائب بأي اسم كانت بل يكونون متمتعين بالامتيازات التي تمتعوا بها في الزمن السعيد أيام سلطنة جدي الأمجد السلطان محمد خان الرابع .

تاسعاً : يرخص لأمراء هذه الحكومات أن يقيم كل منهم من طرفه وكيلاً لدى دولتي العلية باسم مصلحتكدار ويكون هؤلاء الوكلاء نصارى من ملة الروم بدلاً من القبو كتخدايات الذين كانوا يتعاطون رؤية أمور الملك وتجري بحقهم من جانب دولتي العلية المعاملة بكمال المروءة وينالون ما يستحقونه بحسب قواعد الملل أي أنهم يكونون معتبرين ومن كل تعرض آمنين ومصانين .

عاشراً : تعطى الرخصة وتحصل الموافقة من جانب الدولة العلية إلى سفراء إمبراطورية الروسيا بأن يتذاكروا عند الاقتضاء فيما يتعلق بصيانة ومساعدة الحكومتين المذكورتين وتتعهد الدولة العلية برعاية ما يعرضه سفراء الروسية من المواد بحسب اعتبار الصداقة اللائقة بالدولتين .

المادة السابعة عشرة :

أولاً : يلزم دولة الروسيا أن ترد إلى دولتي العلية جزائر البحر الأبيض التي هي الآن تحت حكمها وتتعهد دولتي العلية بأن تجري في حق أهل الجزائر المذكورة كمال الرعاية والعدل وتعاملهم بالعفو عن جميع أنواع القباحات [أي الجرائم] المصرح بها في المادة السالفة وعموم الأفعال التي جرت بمظنة المخالفة لأمور دولتي العلية فهذه جميعها تكون نسياً منسياً ومعفى عنها بالكلية .

ثانياً : لا يصير أدنى تعرض وتضييق على ديانة المسيحيين ولا يحصل ممانعة بوجه ما في أمر تعمير وتجديد الكنائس ولا يصير التعرض والمداخلة أصلاً في حق الأشخاص الذين يخدمون الكنائس المذكورة .

ثالثاً : بسبب التكديرات والتخريبات التي أورثتها لهم هذه المحاربة من تاريخ وجودهم تحت حكومة دولة الروسية وبعد مرور سنتين من تاريخ استرداد الجزائر المذكورة لدولتي العلية لا يُستحصل من أهالي الجزائر المذكورين رسم "سنوي " من أي نوع كان أصلاً.

رابعاً : الذين يرغبون في ترك الوطن ويريدون التوجه إلى بلاد أخرى تعطى لهم الرخصة من جانب دولتي العلية بنقل أموالهم وأشيائهم ولكي يكون لهم وقت كافي لتنظيم مصالحهم يمهلون مدة سنة كاملة اعتباراً من تاريخ مبادلة التصديق على صك المعاهدة .

خامساً : يلزم رجوع أسطول روسيا من مياه الدولة العلية في مدة ثلاثة أشهر من بعد مبادلة التصديق على هذا الصك وإذا احتاج الأسطول لشيء فعلى دولتي العلية أن تعينه على قدر الإمكان .

المادة الثامنة عشرة :

قلعة قلبرون الواقعة في بوغاز أوزي صوي مع مقدار كافي من الأراضي الكائنة في ساحل الطرف الشمالي من النهر المذكور مع الصحراء الخالية الواقعة بين آق صور وأوزي صو تبقى مستقلة على الدوام تحت تصرف روسيا بلا معارضة .

المادة التاسعة عشرة :

يكي قلعة الواقعة في جزيرة القريم وجميع ما هو موجود داخل كرش وثغورها مع أراضيها من البحر الأسود حتى حدود كرش القديمة طولاً لحد المحل المسمى بوخاجة وسن بوخاجة على خط مستقيم من الأعلى إلى بحر أزاق يبقى تحت تصرف روسيا على الدوام بلا معارضة .

المادة العشرون :

يسحب مفهوم السندات التي عُقدت بين الحاكم وتولستوي وبين حسن باشا محافظة آجو بتاريخ ١٧٠٠ ميلادية و ١٣٠٠ هـجرية خُصصت قلعة أزاق بحدودها الأولى إلى دولة الروسيا للأبد .

المادة الحادية والعشرون :

وحيث إن القبارطين أي القبارطة الكبيرة والقبارطة الصغيرة لهما تعلق مع خانات القريم بسبب وقوعهما في جوار طائفة التاتار قد أحيلت مادة تخصيصهما لدولة الروسيا إلى خانات القريم ومشورتهم وإلى رأي رؤساء التاتار .

المادة الثانية والعشرون :

قد تقرر بالاتفاق بين الدولتين محو وإزالة جميع الشروط والعهود السابق والعهدة الواقعة في قلعة بلغراد المنعقدة بينهما وما حدث بعدها من كافة الشروط محواً أبدياً وهو أن كلاً من الدولتين المعاقدتين لا يقوم بداعية ما من حيث العهود المذكورة ويستثنى من تلك الشروط الواقعة في سنة ١٧٠٠هـ ميلادية بين الحاكم تولستو وبين حسن باشا محافظة قلعة آجو فيما يتعلق بتعيين وتحديد حدود القلعة المذكورة وحدود قوبان فإن الشروط المذكورة تبقى كالأول بلا تغيير .

المادة الثالثة والعشرون :

إن قلاع بغداد جق وكوتانسي وشهربان الكائنة في حوالي كورجي ومكريل المستولية عليها عساكر الروسيا تقبلها دولة الروسية على أن تكون هذه القلاع لأصحابها الأصليين وذلك أن بعد التحقيق إذا تبين أن دولتي العلية كانت مالكة لها منذ القديم أو منذ مدة مديدة حينئذ تكون عائدة لدولتي العلية وبعد مبادلة التصديق على هذا الصك المبارك تخلي عساكر الروسيا القلاع المذكورة في الوقت المعين ودولتي العلية تتعهد أيضاً بحسب مضمون المادة السابقة بأن تشمل بالعفو جميع الذين صدرت منهم حركات ضد دولتي العلية في أثناء امتداد المحاربة وأن تكف يدها إلى الأبد عن أخذ الوبركو عن الصبيان والبنات وعن طلب أي نوع كان من الجزية وأنه ما عدا الذين لهم تعلق بها من القديم لا تدعي على فرد واحد من الطوائف المذكورة بكونه من رعاياها وأنها تترك مرة أخرى جميع الأراضي وسائر الاستحكامات التي ضبطها الكرجيون والمكريون لحكومتهم ولمحافظتهم المطلقة وأنها لا تتعرض ولا تجري تضييقاً على أديرة وكنائس الديانة بوجه ما ولا تمنع ترميم القديم ولا بناء الجديد منها وبأن تمنع باشة جلدر وجميع رؤساء الجيوش والضباط من التعرض بأي داع كان لأموال الأديرة والكنائس

المذكورة وإضاعتها ولا تتعرض دولة الروسيا للطوائف المذكورة ولا تتداخل في أمورهم لأنهم من رعايا دولتي العلية .

المادة الرابعة والعشرون :

بعد إمضاء المواد والتصديق عليها تتهيأ بالحال جميع عساكر الروسيا الموجودة في الجهة اليمنى من نهر الطونة للعودة والرجوع بحيث في ظرف شهر واحد تقطع الضفة اليسرى من هر الطونة المذكور وبعد مرور العساكر المذكورة تماماً إلى الضفة اليسرى المرقومة يصير إخلاء قلعة حرسوه وتسلم لعساكر الإسلام وبعده تحصل المبادرة دفعة وفي آن واحد لتخلية مملكتي الأفلاق والبوجاق وقد تعين لهذا الإخلاء مهلة شهرين وبعد انسحاب كافة عسكر روسيا من المملكتين المذكورتين تترك عساكر روسيا من الجهة الواحدة قلعة يركوك وبعده قلعة إبرائل ومن الجهة الأخرى قصبة إسماعيل وقلاع كلي أفكرمان وتسير متوجهة لتلتحق بسائر عساكرها تاركة القلاع المذكورة للعساكر الإسلامية وقد خصص لتخلية المملكتين المذكورتين مهلة ثلاثة أشهر وبعد ذلك تترك عساكرها تاركة القلاع المذكورة للعساكر الإسلامية وقد خصص لتخلية المملكتين المذكورتين مهلة ثلاثة أشهر وبعد ذلك تترك عساكر روسيا مملكة بغدان وتمر في الجهة اليسرى من نهر طورله وعلى هذا الصورة تحصل تخلية المواضع والممالك السابق ذكرها يعني في مدة خمسة أشهر بعد إمضاء المعاهدة والمصالحة المؤبدة بين الدولتين وعند مرور كافة عساكر روسيا من المملكتين المذكورتين تترك عساكر روسيا للضفة اليسرى من نهر طورله حينئذ يصير تسليم قلاع خوتين وبندر للعساكر الإسلامية وأما أر اضي قلبرون التي سبق التصريح عنها وزاوية الصحراء الواقعة بين آق صور وأوزي صو يصير تسليمها على الوجه الموضح في المادة الثامنة عشرة بهذه الشروط وفي الوقت المذكور لدولة الروسيا وتكون إلى الأبد مصانة من التعرض . وعلى عساكر روسيا الموجودة في جهات جزائر البحر الأبيض أن تجري بالسرعة الممكنة ما يتعلق بأسطول الجزاير المذكورة من المصالح والتنظيمات الداخلية وترد الجزائر المذكورة كالأول لتضبطها دولتي العلية مصانة من التعرض لأنه نظراً لبعد المسافة لا يمكن تعيين وقت لذلك . ونظراً لاستعجال عزيمة أسطول روسيا ولكونها دولة مصافية فدولتي العلية تتعهد بإعانة الأسطول المذكور في إيفاء لوازمه وبإعطائه كل شيء من الوسع والإمكان وما دامت عساكر روسيا موجودة في الممالك المستردة لدولتي العلية على الصورة المذكورة فحكومتها وما يتعلق بها من النظامات تستمر جارية فيها كما كانت في الوقت الذي كانت فيه بيدها . وإلى حين خروج جميع عساكر روسيا من الممالك المذكورة لا تقع مداخلة من جانب دولتي العلية في أمورها ويبقى العمل في كيفية تناول ما يلزم من المأكولات ومداركة سائر لوازم عساكر روسيا في الممالك الموجودة فيها على ما هو الآن إلى حين خروجها منها تماماً ولا تضع دولتي العلية قدماً في القلاع المستردة المذكورة ما لم يرسل سر عسكر روسيا الأول الخبر إلى مأموري دولتي العلية الذين عُينوا لهذا الأمر بتخليه وفراغ كل محل من الممالك المذكورة وبعدم إجراء حكومتها فيها . والذخائر والمهمات التي للروسيا في هذه القلاع والقصبات يصير إخراجها من طرف عساكر روسيا بالوجه الذي تريده وتترك مدافع دولتي العلية التي وجدت في القلاع المستردة لدولتي العلية . والذين استعملوا في خدمة روسيا من أهالي الولايات المستردة لدولتي العلية من أي جنس وفي أي حال وكيفية كانوا إذا رغبوا في الانسحاب والانتقال بأهلهم وعيالهم وأموالهم

مع عساكر روسيا في المدة السنوية المنعقدة لا يمنعون وتتعهد دولتي العلية بعدم ممانعتهم بأي وجه كان بموجب الشروط المذكورة سواء خرجوا من ذلك الزمن أو في مدة سنة كاملة .

المادة الخامسة والعشرون :

جميع أسرى الحرب من ذكور وإناث من أي درجة ورتبة كانوا يسرحون ويردون إلى أوطانهم ما عدا المسيحيين الذين دخلوا في الدين المحمدي بإرادتهم في دولتي العلية والمسلمين الذين تنصروا بإرادتهم في أثناء وجودهم في أراضي روسيا وهذا كله بعد مبادلة التصديق على صكوك هذه العهدة المباركة حالاً بلا عذر أصلاً وبلا عوض وبغير فدية وكذلك جميع المسيحيين الذين وقعوا في الاسترقاق من لهيين وبغدانيين وأفلاقيين ومن أهالي المورة والجزائر والكرجين كافة بلا استثناء يعتقون بلا ثمن وبغير عوض وكذلك الذين استرقوا من رعايا روسيا ووجدوا في ممالكي المحروسة يصير تسليحهم وردهم إلى موطنهم وذلك بعد انعقاد هذه المصالحة المباركة وكذلك تجري هذه الأمور أيضاً بهذه الصورة عينها في حق رعايا دولتي العلية.

المادة السادسة والعشرون :

لأول وصول الخبر عن إمضاء هذه المواد إلى القرم وأزى يخابر سر عسكر روسيا الموجودة في القرم بالواقع محافظ أوزي وفي مدة شهرين يرسلان مأمورين معتمدين لأجل تسليم وتسلم قلعة قلبرون مع الصحاري المصرحة في المادة الثامنة عشرة التي مر ذكرها المعتمدون المذكورون يجرون تمام المادة المذكورة في مدة شهرين من تاريخ مقابلتهم واجتماعهم يعني أن المادة المذكورة تجري بتمامها في مدة أربعة أشهر من تاريخ يوم إمضاء هذه المعاهدة وإن أمكن ففي أقل من ذلك بدون تأخير يخبرون الصدر الأعظم والفلد مارشال عن إكمال مأموريتهم .

المادة السابعة والعشرون :

لأجل زيادة تأكيد وتمهيد وتقوية لهذه المصالحة المباركة والموالاة والمصافات بين الدولتين يصير بعث وتيسيير سفيرين كبيرين فوق العادة حاملين صكوك التصديق لهذه المصالحة الخيرية ويكون ذلك في الوقت الذي يتعين برضاء الطرفين فيتقابل السفيران في رأس الحد بمعاملة متماثلة ويراعى بحق السفيرين الموما إليهما الرسم المعتاد المرعي بحق سفراء دول أوروبا الأوفر اعتباراً لدى دولتي العلية وترسل هدايا بواسطة السفيرين الموما إليهما لائقة بشأن دولتيهما ليكون ذلك دليلاً على صفاء الجهتين .

المادة الثامنة والعشرون :

بعد إمضاء مواد هذه المصالحة المؤبدة من معتمدي دولتي العلية وهما الموقع الرسمي أحمد ورئيس الكتاب إبراهيم منيب دام مجدهما ومن مرخص دولة الروسيا البرنس رينين جنرال لفونتا ختمت عواقبه بالخير تصدر التنبيهات من جانب الصدر الأعظم والجنرال فلدمارشال إلى جميع عساكر الدولتين الموجودة براً وبحراً في كل جهة لمنع كل نوع من معاملة خصامية بينهم ويرسل أيضاً في الحال من جانب الصدر الأعظم والجنيرال فلدمارشال معاونين إلى أساطيلهم الموجودة في البحر الأبيض والبحر الأسود وتجاه بلاد القرم وإلى جميع المواقع الحربية لمنع العدوان وأسباب القتال في كل محل بعد انعقاد المصالحة . والمعينان المرسلان من طرف الصدر الأعظم والجنرال فلدمارشال لابد أن يكونا بحسب التنبيهات مصانين ومأمونين من كل وجه . وإذا سبق وصول معاون روسيا إلى سر عسكرها فالمؤما إليه يبعث إلى سر عسكر دولتي العلية أمر الصدر الأعظم الحاوي على التنبيه وإن سبق وصول معاون الصدر الأعظم يبعث سر عسكر الدولة العلية إلى سر عسكر الروسيا أمر الفلدمارشال الحاوي كذلك على التنبيه وبما أن الصدر الأعظم وفلدمارشال دولة روسيا بترو قونت رومانجوف قد فوض إليهما من

طرفي الهمايوني ومن طرف إمبراطورية روسيا المشار إليها أمر تمهيد عقود وعهود عهدة الصلح المباركة المنعقدة فجميع مواد الصلح المؤبد المسطورة في العهدة المذكورة يصير إمضاؤها من طرف الصدر الأعظم والفلدمارشال وختمها بأختامهما للتصديق كما لو كانت جرت بحضورهما . والمواد المنعقدة التي تمهدت وصار الوعد بها تراعي مراعاة قوية بدون تغيير ولا تبديل وتجري بالدقة بحسب منطوقها ولا يفعل شيء مخالف لها قطعاً . ويحرر في المواد المذكورة التي تقررت وجرى التصديق عليها من طرف الصدر الأعظم والفلدمارشال الموماً إليهما سندان ممضيان بإمضائهما ومختومان بختميهما : أحدهما وهو سند الصدر الأعظم يتحرر بالتركية والإيطاليانية وسند الفلدمارشال يكتب بالروسية والإيطاليانية أيضاً وبمقتضى الرخصة المعطاة إلى المرخصين من طرف الدولتين ينبغي أن يوصلوا إلى الفلدمارشال السند الواحد باعتبار كونه صادراً من جانب دولتي العلية وبعد إمضاء المواد بخمسة أيام وأن أمكن في مدة أقل من ذلك تجري مبادلة السندات وحالما يسلم المرخصون سندات الصدر الأعظم يأخذون سندات الفلد مارشال القونت رومانجوف .

إن ما جرى تجديده وتمهيده بحسب المواد المذكورة من الصلح والصلاح المبطل للحرب والكفاح يكون مقرراً ومعتبراً من بعد الآن وبحسب ما اعتادت عليه سلطتي من شيم الصداقة الكريمة ومن الوفاء بالعهود فإننا نجري العهد والميثاق والتصديق تماماً ونراعي حق الرعاية جميع ما وقع من قيود وشروط في الثماني والعشرين مادة المذكورة ونجري جميع عهود مواثيق الصلح والصلاح وكذلك شرط المادتين المحررتين في نيشاني الهمايونيين اللذين صار إعطاؤهما ويكون ذلك مدة دوام واستمرار المواد التي صار تأييدها والتصديق عليها من مرخص دولة روسيا ومرخصنا بحيث أنه لا يحصل خلل ولا مخالفة من طرفها ولا من طرفنا السلطاني الهمايوني ولا من طرف أخلافنا ووكلائنا ذوي المقام المتصفين بالإنصاف والميرميرانيين أصحاب الاحتشام والأمراء ذوي الاحترام وعموم عساكرنا المنصورة وكافة المتشرفين بشرف العبودية من صنوف الخدمة .

كما تضمنت المعاهدة مادتين إضافيتين تعهدت من خلالها الدولة العلية بتأدية خمسة عشرة ألف كيس لروسيا في مدة ثلاث سنين يدفع منها في كل سنة قسط، وهو خمسة آلاف كيس، والمادة الثانية سرعة تخلية جزائر البحر الأبيض تأييداً لما هو مذكور في المادة السابعة عشرة من المعاهدة المذكورة . وأسطول روسيا الموجود في البحر الأبيض، وإن كان مشترطاً في المادة المذكورة إنه يخرج في مدة ثلاثة أشهر، فدولة روسيا قد تعهدت بإخراجه قبل المدة المذكورة إن أمكن .

وهكذا ومن خلال ما سبق فقد وضعت معاهدة قينارجة أوزار الحرب بين العثمانيين والروس. وقد تناولت هذه المعاهدة العديد من الجوانب على النحو التالي :

فعلى المستوى السياسي أقرت المعاهدة التأكيد على إزالة كافة العداوات القائمة بين الدولة العثمانية والدولة الروسية واعتبارها من الماضي غير القابل للإحياء من جديد.وبناءً عليه فإن الصفاء المطلوب بين العثمانيين والروس سوف ينعكس إيجابياً في صورة عفو شامل

عن كافة رعايا البلدين الذين اشتركوا في الحرب،كما سوف يتم الإفراج عـن المعـتقلين في السجون، مع إعطاء الجميع حرية السفر إلى أوطانهم في كرامة تامة ودون المساس بإنسانيتهم.

كما لامس الجانب السياسي التأكيد على مبدأ التعاون الأمني بين الجـانبين، ومعاقبـة مرتكبي الأعمال الإجرامية، وكل عمل عدائي من شأنه إثارة النعرات العرقيـة، أو الدينيـة والمفضية إلى التوتر بين الجانبين. ومن طيات ذلك التعاون الأمني عدم توفير الحماية أو حـق الالتجاء لأولئك المغرضين وتسليمهم فوراً عند تسلم طلب رسمي بذلك.

ومن الجوانب المهمة في معاهدة قينارجة اعتراف كلا الحكومتين العثمانية والروسـية، باستقلال شبه جزيرة القرم. ومن شروط هذا الاعتراف التزام الجانبين العثماني والروسي بعدم التدخل في شؤون القرم الداخلية أو الخارجية من أي نوع كان ومن ذلك ترك الحرية لقبائـل التاتار بانتخاب حاكمها دونما أي ضغوط خارجية، مع التعهد بسلامة أمنها ومعاملتها علـى قدم المساواة بالدول المستقلة.

وبناءً على ما تم الاعتراف به من استقلال القرم فقد توجب على العثمانيين والروس رد ما أخذاه من القرم على المستوى الجغرافي، وسحب جيوشهما، وكف يد كل منـهما عـن المطالبة بشيء يخصهما في القرم.وتستثنت المعاهدة السلطة الروحية للسلطان العثماني علـى سكان القرم باعتبارهم مسلمين، وجعلت السلطان العثماني هو سـلطان المسـلمين وإمـام الموحدين. وبناءً عليه، وبعد الملاسلات بين قاضي عسكر الدولة العلية والقضاة مـع علمـاء القرم، فقد تقرر أن يكون ولاة الأمور بها من علماء القرن ويكون المبدأ العلمي هو الأسـاس في اختيارهم، كما تم تأسيس قوانين القرن طبقاً لمبادئ الشـرع القـويم وتعـاليم الإسـلام السمحة[١] .

كما تتيح المعاهدة لكلا الدولتين الحرية المطلقة لإصلاح ما تهدم من المـدن والقـلاع والأبنية من جراء الحرب أو لقصد الإصلاح، واعتبار ذلك إجراء روتيناً، لا يدخل في قائمـة الاستعدادات الحربية.

---

(١) الأرشيف العثماني : A.DVNS. NMH.D.00009.

ومن جهة أخرى فإن قينارجة لفتت نظر الجانبين بأن ما تم الاستيلاء عليه من قبل جيوش أي من الجانبين، خلال فترة إمضاء المعاهدة ووصولها إلى قادة الجند، فهو باطل ولا يخول أياً من الجانبين الاستفادة منه.

وقد قررت قينارجة في طياتها جواز مرور السفن الروسية في كافة البحار التي تسيطر عليها الدولة العثمانية، ومعاملتها في ذلك على قدم المساواة مع كل من فرنسا وإنجلترا.كما فرضت المعاهدة على الدولة العثمانية مخاطبة قيصر روسيا بإمبراطور جميع الروس.

ومن الأمور التي أوردتها معاهدة قينارجة إلزام الجانب الروسي برد ولاية البوجاق، وقلاع افكرمان، وكلي إسماعيل، وقلعة بندر، وكذلك الأفلاق والبغدان، بالإضافة إلى ما استولت عليه روسيا من جزر البحر المتوسط إلى ملكية الدولة العثمانية،وفي المقابل فقد أضفت قينارجة الشرعية لروسيا بالاحتفاظ بقلعة قلبرون الواقعة على لسان الدنيبر مع الشريط على الضفة اليسرى له، وكذا الركن الذي يشكل الصحراء بين بوغ والدنيبر. بالإضافة إلى قلاع يكي وكرش في شبه جزيرة القرم مع كافة موانئهما وثغورهما وأراضيهما على امتداد البحر الأسود ومنطقة بوخاجة إلى بحر آزاق.أضف إلى ذلك أن قلعة آزاق والمتفق على حدودها بين الجانبين العثماني والروسي لعام ١١٠٠هـ/١٧٠٠م سوف تكون للروس .

أما على الجانب الديني فإن معاهدة قينارجة قد أعطت روسيا الحق في تمثيل الأرثوذكس في الدولة العثمانية، والمنافحة عنهم، والتحدث باسمهم.كما ألزمت الدولة العثمانية بالسماح لروسيا ببناء كنيسة في القسطنطينية للأرثوذكس على النمط اليوناني مع توفير كامل الحماية والأمن من قبل العثمانيين لها،كذلك أتاحت المعاهدة حرية الحركة التامة والمطلقة لرجال الدين الروس، وكذا لعامة رعايا روسيا من غير رجال الدين لزيارة الأماكن المقدسة دونما دفع أي ماديات متعلقة بذلك، مع ضمان الدولة العثمانية لأمنهم،كما احتفظت المعاهدة لروسيا بحق تمثيل رجال الدين في المناسبات والمحافل العثمانية الرسمية.

وعلى الجانب الاقتصادي فقد تم إلزام العثمانيين بمعاملة التجار الروس على قدم المساواة بنظرائهم من تجار الدول الصديقة مثل فرنسا وإنجلترا؛ من حيث الامتيازات الممنوحة

لهم، ومن حيث الملاحة البحرية، فقد سمحت المعاهدة لروسيا بحرية الملاحة البحرية في كافة بحار ومضايق الدولة العثمانية، بما في ذلك حق الاستيراد والتصدير واستخدام الموانئ والإقامة حيث شاءوا لإنهاء كافة معاملاتهم التجارية. كما لم تشر المعاهدة إلى بولونيا بشيء ولو أنها كانت الباعث على تلك الحرب، وذلك ما سوف نذكره في حينه.

وعلى أي حال فإن نظرة متأنية إلى تلك المعاهدة لكفيلة برجحان كفة روسيا في أغلب بنود تلك المعاهدة وعلو سهمها،فبغض النظر عن البنود الشكلية التي كانت الدولة العثمانية قد أعطتها من قبل إلى كثير من الدول في مجمل معاهداتها معها، سواء في السلم أو الحرب، إلا أن معاهدة قينارجة كانت من السوء بمكان.

وقد يكون الحامل للدولة العلية على تلك التنازلات لروسيا هو ما وصلت إليه الدولة العثمانية من الضعف السياسي، والخلل العسكري، والعجز الاقتصادي الكبير،في ظل نمو روسيا وازدياد قوتها[١].

إلا أنه وفي المقابل فإن الدولة العثمانية تحمل وزرها لما آلت إليه الأمور وحتى معاهدة قينارجة.فالمدة التي أعقبت معاهدة بلغراد وحتى نشوب القتال مع روسيا التي مرت فيها على الدولة العلية أكثر من ٣٥سنة. فإنها لم تحرك ساكناً للتطوير من نفسها ضمن الشأن الداخلي بل ركنت إلى العزلة عما يحدث من تغيير أوربي ورقي علمي .وكان لتلك الفترة الطويلة انعكاساتها السيئة على الجيش العثماني الذي لم يشترك في حروب، أو يخضع لحركة تطوير شاملة لمماثلة الجيوش الأوروبية، حتى أدى ذلك الجمود العسكري العثماني إلى جهل الجنود العثمانون بأبسط الأبجديات الحربية. في الوقت الذي أخذ فيه الجيش الروسي في مقارعة الجيوش الأوروبية المتطورة بما شمله من الرعاية، والتطوير، وجلب كبار القادة الأوروبيين، واستيراد الأسلحة المتطورة وزيادة جاهزيته بكافة الوسائل الكفيلة بذلك.

وعند العودة مرة أخرى إلى بنود معاهدة قينارجة فإننا سوف نلاحظ وجهين لتلك البنود، أولهما هو ما يمكن أن نطلق عليه بنوداً شكلية، وهو ما أعطته الدولة العثمانية لروسيا

---

(١) ياسر عبد العزيز قاري:دور الامتيازات الأجنبية في سقوط الدولة العثمانية،ج٢،المرجع السابق،ص ٣٦٩.

ولم يكن بدعاً من قبل على إعطاء الدولة العلية لمثل تلك البنود لكثير من الدول غير روسيا من أمثال إنكلترا وفرنسا،أو يمكن القول أن مثل تلك البنود لم تكون ذات أثر بالغ السوء على الدولة العلية ومن تلك البنود الشكلية :

أ- إجراء العفو الشامل عن كافة السكان، والذين قدموا يد المساعدة للروس ضد العثمانيين.

ب- العفو عن جميع السجناء وإطلاق حريتهم، والسماح لهم بالذهاب إلى أوطانهم.

ت- التعاون الأمني بين العثمانيين والروس حول مرتكبي الجرائم، مع تسليم أولئك المجرمين عند طلبهم رسمياً من أي طرفاً منهم إلى الآخر.

ث- ترك الحرية لكلا الطرفين في بناء واستصلاح وترميم ما يرياه من المدن والحصون والأبنية في الحدود الجغرافية المملوكة لكل جانب.

ج- يتعين على العثمانيين استخدام لقب "إمبراطور جميع الروس" في كافة المخاطبات العثمانية التي يأتي فيها ذكر الحاكم الروسي.

أما الوجه الآخر للمعاهدة فهو ما يمكن أن نطلق عليه صلب المعاهدة والذي يميل في أغلب بنوده نحو الإجحاف في حق الدولة العلية، وهذا أمر طبيعي فرضته ظروف الحرب على العثمانيين. وقبل الحديث عن ذلك الجانب يجب التنويه حول أمر مهم فيما يتعلق بما سوف نأتي على ذكره من صلب المعاهدة، وقد يكون الأخطر في ذلك الجانب ذوبان المعاني الحقيقية في بعض بنود المعاهدة، وعدم وضوح تلك البنود، والخفاء أكثر من الجلاء والموجود في طياتها مما يمكن تفسيره على أكثر من وجه-كما سوف نرى- مما أوجد مشكلات فيما بعد حول تفسير تلك البنود من قبل الدولتين بما يوافق هوى كل دولة، وحول كيفية التوصل إلى حل جذري لتلك المعضلة مما كان له انعكاساته الخطيرة على مستوى العلاقة بين الدولتين.

وبالرجوع مرة أخرى إلى ما تم تسميته بصلب المعاهدة ولإلقاء الضوء حول تلك البنود أن من أولى الضربات التي وجهت إلى نحر الدولة العثمانية في تلك المعاهدة هو ما أتت عليه المعاهدة من منح الاستقلال للقرم – باستثناء الاستقلال الديني- وتعد هذه بادرة خطيرة

في تاريخ الدولة العثمانية، فمعنى ذلك هو فصل بلد مسلم عن ولاية العثمانيين، واستقطاعه من جسد الدولة العثمانية. وبالتالي فإن استقلال القرم كان يحمل في طياته الشيء الكثير، فمعناه تقطيع أواصل الدولة العثمانية من جهة، ومن جهة أخرى فإن الروس كان بإمكانهم تحقيق أفضل مما كان، ولكنهم فضلوا عدم استعداء الدول الأوروبية والإخلال بنظرية التوازن الدولية خصوصاً وفي ظل نظرة حيلولة الكثير من الدول الأوروبية وحتى تلك اللحظة القضاء على العثمانيين.ففضل الروس تقطيع أواصر الدولة العثمانية رويداً رويداً، وتأجيل تنفيذ خططهم لإزاحة العثمانيين والاستيلاء على إستانبول إلى مناسبات أكثر ملاءمة لتحقيق مصالحهم.ومما يدلل على عزم الروس على الاستيلاء على القرم، وأن ذلك كان بمثابة الخطوة التالية بعد كف يد العثمانيين عنها، هو احتفاظ الروس بيكي قلعة وقلعة كرش، بالإضافة إلى قلعة آزاق كما ورد في المادة الثامنة عشرة من المعاهدة.

وبالتالي فإن مثل هذا التعامل مع الدولة العثمانية أصبح النموذج المحتذى معهم منذ تلك المعاهدة وحتى قيام الحرب العالمية الأولى ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م(١).

وبالنظر إلى ما أعادته روسيا إلى الدولة العلية-البند السادس عشر-فقد كان إعادة لحفظ مصالحها وليس خوفاً من العثمانيين اقتضته الظروف الدولية آنذاك.فإن التوسع الروسي في بعض الأماكن، مثل الأفلاق والبغدان، كان معناه اصطدام الروس بالنمسا في ظل خروجها من تلك الحرب منهكة القوى، خصوصاً بما حققته من الانتصار الأخير على العثمانيين وعلو شأنها في أوروبا والذي أراد الروس الحفاظ عليه.ومن ناحية أخرى فإن مثل هذا الصدام بين روسيا والنمسا قد تشترك فيه فرنسا التي كانت تطمح إلى إيقاف المد الروسي البري داخل القارة الأوروبية، وربما تم إشراك العثمانيين أيضاً. وتبعاً لذلك فقد فضل الروس إعادة تلك المناطق على ما كانت عليه قبل الحرب، وترك خططها التوسعية إلى فرصة أخرى .

أما البند السابع عشر من المعاهدة وما تضمنه من رد ما استولى عليه الروس من جزر البحر المتوسط إلى العثمانيين وانسحابهم من هناك؛ فإن هذا الأمر ليس من قبيل الفضل

(١) عبدالعزيز الشناوي:الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها،ج١،المرجع السابق،ص١٩٨.

الروسي على العثمانيين،فذلك الانسحاب الروسي سوف يكون آجلاً أو عـاجلاً لأن بقـاء الأسطول الروسي في البحر المتوسط معناه الإضرار بمصالح الإنكليز هناك، وهذا ما سـوف يدفع الإنكليز إلى إجبار الروس على سحب الأسطول الروسي، وقد يتطور الأمر إلى إبـرام معاهدة هجومية دفاعية بين إنكلترا والعثمانيين، وهذا ما لا تحبذه روسـيا،بالإضـافة إلى أن الروس كانوا يريدون الإبقاء على الود والصفاء مع الإنكليز، خصوصاً بعد مساعدة الإنكليز للروس في وصولهم إلى البحر التوسط.بالإضافة إلى أن الروس قد حققوا بوصولهم إلى البحـر المتوسط أحد أهدافهم، وذلك باحتكاكهم بالأرثوذكس هناك ولفـت نظـرهم إلى روسـيا. وبالتالي كسب ولائهم الذي سوف يحتاجون إليه في جولة أخرى مقبلة.

كما كفلت المعاهدة حرية الملاحة الروسية في جميع المياه التي تشـرف عليهـا الدولـة العثمانية –البند الحادي عشر-من البحر الأسود وحتى البحر المتوسط،ممـا سمـح للـروس بالتدخل في الشؤون الداخلية للعثمانيين(١).

بالإضافة إلى أن مثل هذا الوضع يمكن استغلاله من قبل الـروس وخاصـة في البحـر الأسود، لإنشاء معامل للسفن الحربية، وزيادة طاقاتها الحربية البحرية، التي سوف يستفاد منها في وقت لاحق في ضرب العثمانيين.كما أن مثل هذا الانفتاح قد جعل القسطنطينية العثمانية في خطر روسي دائم،فبعد أن كان البحر الأسود من المحرمات"من حيث اختفاؤه حـتى عـن عيون الأجانب"(٢)أصبح وبما أقرته المعاهدة ذا ازدواجية من حيـث المحـارم التركيـة الـتي يشاركهم فيها الروس.

ومن خطر المعاهدة أيضاً السماح لروسيا بتعيين قناصل في كافة الأراضي العثمانية بمـا يراه الروس مناسباً لتحقيق مصالحهم.وهذا مما سمح للروس بزيـادة تدخلـهم في الشـؤون

---

(١) محمد سهيل طقوش:العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة،المرجع السابق،ص٢٩٨-٢٩٩.

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي:حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثـاني ١٨٠٨-١٨٣٩م،دار التراث،١٣٩٨هـ/١٩٧٨م،ص٦٤.

الداخلية للدولة العثمانية[١]. وقد أضحت تلك القنصليات مراكـز للتجسـس، وتبـادل المعلومات، وتجنيد المتعاونين لصالح روسيا داخل الأراضي العثمانية، وإثارة القلاقل، بالإضافة إلى دعم الأرثوذكس في الدولة العلية، ومحاولة تقوية نفوذهم، وكسـب ولائهـم، وزيـادة ارتباطهم بروسيا. وكان هذا كفيلاً بعزلتهم عن العثمانيين، ونمو الشعور القـومي بضـرورة وحدتهم والانفصال عن جسد الدولة العثمانية مما كان له أثره في نمو روح الثورة لديهم ضـد العثمانيين.وكل تلك الأساليب قد آتت أُكلها في التعجيل الروسي بدك بنيان الإمبراطوريـة العثمانية من الداخل.

ومن الأمور المستغربة عدم تطرق المعاهدة إلى مسألة بولونيا التي كانت الأساس لما آلت إليه الأمور حتى معاهدة قينارجة، وقد يكون السبب في ذلك هو أن العثمانيين كانوا في موقف لا يؤهلهم إلى المنافحة عما أخذ منهم من حقوق سياسية واقتصادية ودينيـة؛ فكيـف بهـم للمنافحة عن بولونيا؟ بالإضافة إلى عدم رغبة الروس على الإتيان عن بولونيا بأي شكل مـن الأشكال وتحييد العثمانيين عن تلك القضية كلياً.

وتمثلت الأمور الدينية في المعاهدة ابتداءً بما ورد في البند الثالث منها من حيث استقلال القرم السياسي باستثناء الجانب الديني والذي ظل بيد السلطان على اعتباره إمام المسـلمين وخليفة الموحدين، ولكن ذلك الاعتراف بالسلطان ومكانته الدينية لا يغني ولا يسـمن ممـا عقدت العزم عليه روسيا في الاستيلاء على القرم،وإنما أرادة روسيا من ذلك الاعتراف لمكانة السلطان الدينية هو تمرير استقلال القرم والموافقة عليه من قبل المفتي العام وهيئـة العلمـاء وحتى لا يتم المعارضة من قبل علماء الدين على السلطان على استقلال القرم . ومن جانـب آخر فقد كان ذلك الاعتراف أول اعتراف دولي بحقوق السلطان على مسلمين خارج حدود دولته[٢].

---

(١) محمد سهيل طقوش:العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة،المرجع السابق،ص٢٩٩.

(٢) جون باتريك كينروس: القرون العثمانية، قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٥٦.

ومن الملاحـــظ أن العثمانيين بعد ذلك أخذوا في التمسك بلقب خليفة المســـــلمين، الذي لم يولوه ذاك الاهتمام زمن قوتهم، حيث جعل منـــه العثمانيين سلاحاً معنويـــاً ضـــــد أوروبا في ظل تصور الأوروبيين بأن الخليفة على هذا المنوال إنما هو صورة معاكسة للبابــا في العالم الغربي[١].

أما فيما يخص الكنيسة الروسية التي تم الاتفاق على إنشائها-البند الرابع عشر-لممارسة الطقوس اليونانية.فإن تخصيص القسطنطينية لتلك الكنيسة فله عدة مدلولات فالقســـطنطينية عاصمة الأرثوذكس ومهبط أفئدتهم، وحلمهم بالعودة إلى آيا صـــوفيا ممـــا يـــدعون لـــه في صلواتهم. وبالتالي فإن اختيار القسطنطينية للكنيسة الأرثوذكسية إنما هدفت روسيا من خلاله إلى لفت نظر الأرثوذكس، والتفافهم حولها، وكسب ولائهم في الاستفادة من قواهم في تحقيق مآربها الاستعمارية كما حدث من مساعدتهم إياها في الحرب الأخيرة.ومن ناحية أخرى فـــإن هناك مدلولاً آخر وهو وضع حجر الأساس من قبل روسيا لإنفاذ مشروعها في إحياء المملكة الأرثوذكسية وطرد العثمانيين من أوروبا.

وعلى طريق التقارب السلافي فقد أخذت روسيا في إرسال بعثات إلى الكنيسة الروسية اليونانية[٢] مما دعم أواصر التقارب فيما بينهما .

أما فيما يخص التمثيل الروسي غير الواضح في المعاهدة لمسيحيي الدولة العثمانية فقـــد كان يمثل نقطة انطلاق لروسيا بمطالب دينية عدة تحت ظل ذلك المفهوم غـــير الواضـــح[٣]، بالإضافة إلى ظهـــور ما عُرف فيما بعد ب"المسألة الشرقية"[٤]بشكل رسمي، وبالتـــالي فـــإن معاهدة قينارجة كانت المسئولة عن تلك القضية.وكل تلك الذرائع الروسية إنما كانت مـــن أجل التدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية[٥]، بل أن ما ادعته روســـيا مـــن حمايـــة

---

(١) نادية مصطفى وآخرون:العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية،المرجع السابق،٨٥-٨٦.

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ، ١٨٠٨-١٨٣٩م ، المرجع السابق ، ص٢٩.

(٣) ماتيو أندرسون:تاريخ القرن الثامن عشر في أوروبة،المرجع السابق،ص٢٦٩-٢٧٠.

(٤) دائرة المعارف: ج٦،المصدر السابق،ص٩٦.

(٥) المصدر السابق،ص٩٦.

الأرثوذكس من رعايا السلطنة لم يتوقف عند هذا الحد بل لقد توسع ليشمل جميع الرعايا المسيحيين في الدولة العثمانية(١).وهذا بحد ذاته دليل واضح على ذوبان معاني تلك المعاهدة وسهولة التلاعب بها من قبل الروس بما يخدم مصالحهم.

وبالتالي فإن معاهدة قينارجة، بما اشتملت عليه من الجوانب الدينية، قد عززت من الانهيار الداخلي للدولة العثمانية الذي كان الروس هم المسئولين عنه(٢).

وفيما يخص الجانب الاقتصادي فإن معاهدة قينارجة قد فتحت باب الامتيازات على مصراعيه.فالامتيازات التي تضمنتها المعاهدة تجعل من روسيا منافساً وعلى قدم الندية مع فرنسا وإنجلترا في الحقوق التجارية والمسماة **Capitulation** في الإمبراطورية العثمانية(٣)، مع ملاحظة أن ما كفلته المعاهدة من امتيازات لروسيا تختلف عن تلك الامتيازات الممنوحة لبقية الدول الأوروبية من حيث الطريقة، فتلك الامتيازات كانت تمنحها السلطنة العثمانية عن طيب خاطر لمن تريد وكيفما تشاء بما يتوافق مع الشريعة الإسلامية، ويخدم مصالح العثمانيين في الوقت نفسه.

أما ما منح لروسيا في تلك المعاهدة فهو ما فرض على العثمانيين من قبول الأضعف بشروط الأقوى.وبالتالي فقد أصبحت تلك الامتيازات حقاً مكتسباً من وجهة نظر الدول الأوروبية تفرضه عن طرق القوة على الدولة العثمانية(٤).

كما أن انفتاح البحر الأسود وجميع بحار الدولة العثمانية في وجه التجارة الروسية، قد أفاد الروس في الخروج من عزلتهم، والتوسع التجاري الاستعماري، والانفتاح على الشرق لمنافسة الدول الأوروبية،كما أرادة روسيا من ذلك الانفتاح تصدير الحبوب من الموانيء الجنوبية(٥).

---

(١) للمزيد انظر:
- جون باتريك كينروس: القرون العثمانية، قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٥٧.
- روبير مانتران:تاريخ الدولة العثمانية،ج١،المرجع السابق،ص٤١٠.

(٢) جون باتريك كينروس: القرون العثمانية، قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٥٧.

(٣) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ ، المرجع السابق ، ص٦٢٨-٦٢٩ .

(٤) نادية مصطفى وآخرون:العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية،المرجع السابق، ٨٦.

(٥) محمد سهيل طقوش:العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة،المرجع السابق،ص٢٩٤-٢٩٥.

ومما يدلل على تلك النظرة الروسية التوسعية هو ما ورد في المعاهدة فيما يخص البند الثاني عشر منها حول تعهد السلطان باستخدام نفوذه الاسمي على ولايات شمال إفريقية لخدمة المصالح التجارية الروسية هناك.

ومن ناحية أخرى فقد أرهقت تلك المعاهدة خزانة الدولة العثمانية بما تضمنته من دفع غرامات حربية مقدارها ٧٥٠ مليون آقجه على مدة ثلاث سنوات(١)، وكان ذلك متزامناً ضعف الاقتصاد العثماني ونضوب الخزينة العثمانية.على أنه ومن الملاحظ أن هذه المرة الأولى في التاريخ التي تدفع فيها الدولة العثمانية غرامات حربية(٢).

كما كفت تلك المعاهدة يد الدولة العثمانية عن أخذ الجزية من سكان بعض المناطق التي يقطنها المسيحيين-البند السادس عشر/الفقرة(٧)،البند السابع عشر/الفقرة(٣)-لمدة سنتين، وكانت هذه إحدى الضربات الموجهة إلى خزينة الدولة العثمانية، وحتى مع انتهاء المدة التي فرضتها المعاهدة واخذ الجزية فإن تلك الجزية تسقط غيرها مما تفرضه الدولة العثمانية على بقية سكان الإمبراطورية العثمانية من ضرائب أو غيرها؛ وبالتالي فقد فقدت الخزينة السلطانية مورداً هاماً من مواردها.

وقد أبانت معاهدة قينارجة ما آلت إليه الحربية العثمانية من الضعف الواضح، وكانت بمثابة دلالة واضحة على أن شمس القوة العثمانية قد أخذت بالمغيب، وأن على العثمانيين التحرك سريعاً للقيام بإصلاح شامل لمنظومتهم الحربية(٣).

وللوقوف على تلك العسكرية الهرمة نورد ما وقف عليه البارون دى توت – مبعوث فرنسا كمستشار عسكري إلى الدولة العثمانية للإصلاح من حربيتها في الحرب الأخيرة - وقد كانت الصدمة كبيرة بالنسبة للبارون بما رآه من الضعف الشديد والذي ألَّم بالعسكرية العثمانية. فقد وجد البارون"أن تقاليد الحرب وفنونها قد غابت عن الجيش العثماني. والتحصينات ووسائل الإمداد والتدريب والتنظيم في حالة يرثى لها،كما وجد الجهل قد خيم

(١) يلماز اوزتونا:تاريخ الدولة العثمانية،ج١، المرجع السابق،ص٦٢٩.

(٢) المرجع السابق،ص٦٢٩.

(٣) المرجع السابق،ص٦٣٠.

على الضباط حتى بأبسط المبادئ الجغرافية،وعدم الانضباط واضح في ميادين القتال،ووحدات كثيرة من الجنود ترفض الخروج للقتال،والسرقات متفشية في دار الإمداد والتموين مما أدى إلى نقص حاد فيها.أما الفروسية الإقطاعية فقد توقفت عن القيام بواجبها العسكري،والإنكشارية يعتدون على رؤسائهم،وفرق المشاة ترفض الخروج للقتال إلا بصحبة الضباط،أي أن الجيش العثماني كان في حالة فوضى شاملة"- أما فيما يخص البحرية العثمانية فقد ذكر البارون في تقريره- "أن السفن التي كانت تضع المدافع على الأسطح كانت مدافعها ضعيفة وارتفاعاتها مصممة لتناسب عمائم البحارة،وأن عملية التجهيزات العسكرية للسفن كانت في أيدي رجال جاهلين لا يدركون شيئاً،وأنه من حق القائد الأعلى للبحرية تعيين الأشخاص في المناصب القيادية في السفن لمن يدفع أكثر،وهؤلاء منحوا حق إجراء المزادات على الوظائف التابعة لهم"(١).وبالتالي فإن ما ذكر يدل على فساد عسكري كامل للمنظومة الحربية العثمانية في ظل التفوق الحربي لأوروبا.

وحول نفس الموضوع يطالعنا جودت بأمور العساكر العثمانية قائلاً:"وفي ذلك الزمن قل الذين يعرفون حال الدولة وما تحتاج إليه من الرجال وأركان السلطة، فلما أعلنت الحرب في سنة ١١٨٢هـ/١٧٧١م على حين فجأة،كان نظام العساكر الإسلامية وقوانينها في اختلال، وكانت المرتبات العسكرية نهبة للذين لا يصلحون للجندية فأصبحت الدولة مضطرة إلى جلب رجال من الفلاحين وأرباب الحرف الذين ما اشتموا رائحة البارود ولا ألفت آذانهم استماع صدى القنابل والمدافع"(٢)

فتلك الحرب الأخيرة التي خاضها العثمانيين ضد الروس ،كما وصفها فردريك الثاني ملك بروسيا، على أنها"حرب العميان مع العور"لم تكون راجعة بالدرجة الأولى إلى تفوق الأسلحة الروسية وبالتالي فرض كلمتها على الساحة بفضل ما هو راجع إلى انحطاط الدولة العثمانية نفسها عسكرياً(٣).

---

(١) جون باتريك كينروس: القرون العثمانية، قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٤٩-٤٥٠.

(٢) احمد جودت باشا:تاريخ جودت،المصدر السابق،ص١٩٦.

(٣) أكمل الدين إحسان أوغلي :الدولة العثمانية، تاريخ وحضارة، المرجع السابق،ص٧١.

وعلى هذا المنوال فإن معاهدة قينارجة قد أزاحه الستار عن ضعف الحربية العثمانية مما حفز الدول الأوروبية على التعدي على أملاك العثمانيين، ومن جهة أخرى فقد أبان الضعف العثماني ذاك بأن مسألة طرد العثمانيين من أوروبا أصبح أمر وقت فحسب.

وعلى صعيد الشأن الدولي فإن معاهدة قينارجة ترفع روسيا إلى الدرجة الثالثة بين الدول بعد إنجلترا وفرنسا بينما تسقط الدولة العثمانية إلى الدرجة الرابعة(١).وتبعاً لذلك فإن معاهدة قينارجة قد كرست مكانة روسيا في الشؤون الدولية(٢).

ومما يدلل على أن الدولة العثمانية في تراجع مستمر بين دول العالم هو فقد العثمانيين لنظرة الاستعلاء تلك من خلال معاهدة قينارجة، واعترافهم بقيصر روسيا كإمبراطور تلك التي كانوا يرفضونها من قبل(٣). كما أفقدت معاهدة قنيارجة هيبة العثمانيين كدولة عظمى(٤).

ونظراً إلى تلك التغيرات التي أحدثتها تلك المعاهدة على مسار التاريخ العثماني فقد تناولتها المئات من الكتب بالوصف معبرة عن وجهة نظر أصحابها حول جسامة تلك المعاهدة على النحو التالي:

-"وقد فاقت معاهدة كتشك كينارجى جميع المعاهدات السابقة التي عقدت بين الدولتين...كما أن الشروط المهينة التي فرضت على الدولة العثمانية في تلك المعاهدة قد أثارت مزيداً من الأطماع القيصرية"(٥).

---

(١) يلماز أوزتونا:تاريخ الدولة العثمانية،ج١، المرجع السابق،ص٦٢٩.

(٢) روبير مانتران:تاريخ الدولة العثمانية،ج١،المرجع السابق،ص٤١٠.

(٣) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ١٨٠٨م – ١٨٣٩م ، المرجع السابق ، ص٤٠ .

(٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(٥) عبدالعزيز الشناوي:الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها،ج١،المرجع السابق،ص١٩٧-١٩٨.

-"والحال أن هذه المعاهدة، هي المعاهدة غير المؤاتية بشكل يتجاوز جميع المعاهدات التي وقعها العثمانيون حتى ذلك الحين"[١].

-"لقد كانت هذه المعاهدة الجديدة مهينة للدولة العثمانية وشروطها أكثر قسوة من جميع المعاهدات السابقة"[٢].

-"إن هذه المعاهدة وبنودها تمثل مرحلة سيادة الاحتضار في جسد الدولة العثمانية"[٣].

-" إن معاهدة قينارجة مقياس حقيقي لمدى الضعف الذي وصلت الدولة إليه"[٤] .

- "كانت المعاهدة التي وقعت مع روسيا في كوجوك قينارجة ٢١ يولية ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م من أقسى وثائق التاريخ العثماني " [٥].

وحتى مع افتراض أن الدولة العثمانية قد تجاوزت بتلك المعاهدة ما هو أسوء إلا أن ذلك لا يقلل من أهمية معاهدة قينارجة وما حوته بين جنباهّا من شروط قاسية ضد العثمانيين، كما أنه ومن وجه آخر يبين ما وصلت إليه الإمبراطورية العثمانية من انحدار مطرد[٦].

---

(١) روبير مانتران:تاريخ الدولة العثمانية،ج١،المرجع السابق،ص٤١٠.

(٢) جون باتريك كينروس: القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،المرجع السابق،ص٤٥٦.

(٣) وديع أبو زيدون:تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط،عمان،الأهلية للنشر والتوزيع،٢٠٠٣،ص١٩٦.

(٤) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ١٨٠٨م – ١٨٣٩م ، المرجع السابق ، ص٩٨.

(٥) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، المرجع السابق ، ص ١٦٥.

(٦) روبير مانتران:تاريخ الدولة العثمانية،ج١،المرجع السابق،ص٤١٠.

المبحث الثاني : معاهدة ياش عام ١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م

استطاعت روسيا حصاد ثمار تحالفها مع النمسا في الحرب ضد الدولة العثمانية من تحقيق الانتصارات المتتالية عليها في ظل العسكرية العثمانية المتدهورة، وقد أدت تلك الانتصارات الروسية النمساوية إلى قلق بروسيا من تعاظم نفوذ روسيا والاتجاه بنظرها تجاهها بعد القضاء على الدولة العثمانية، وقد دفع هذا الوضع بروسيا إلى التحالف مع الدولة العثمانية في مواجهة الخطر الروسي النمساوي في معاهدة أبرمتها مع الدولة العثمانية.

وكان نشاط بروسيا الدبلوماسي قد آتى أكله في إقناع النمسا يكف يدها عن الحرب في ظل ما ساعد النمسا على اتخاذ قرارها ذاك بما ألم بها من موت حاكمها " جوزيف الثاني" وتولي أخيه "ليوبولد الثاني" والذي كان ميالاً إلى السلام .

على أثر ذلك فقد تم التوصل بين النمسا والدولة العثمانية إلى معاهدة " زشتوي sistow" في ٢٢ من ذي الحجة عام ١٢٠٥هـ الموافق ١٤ أغسطس ١٧٩١م، وكان أهم ما جاء فيها [(١)]:

- إقرار الصلح بين الدولة العلية وإمبراطورية النمسا على أن يكون ذلك الصلح مشمولاً بالعفو عن جميع من اشترك من رعايا الطرفين ضد الطرف الآخر، مع تذكير كل من الأطراف المتنازعة بما كان بينهما من المعاهدات السابقة ووجوب التقيد بها وتنفيذها.
- التطرق إلى مسألة التجارة وأهميتها بين البلدين، والسبل الكفيلة بسريان شريانها، كما تطرقت المعاهدة إلى الشؤون الدينية، وحق رجال الدين المسيحي، وكذلك رعايا النمسا في زيارة الأماكن المقدسة بالنسبة إليهم في أراضي الإمبراطورية العثمانية .
- تعهد النمسا برد كل ما استولت عليه أثناء الحرب من أملاك الدولة العثمانية إلى حوزتها؛ وقد يكون هذا من أهم ما ورد في بنود المعاهدة.

على أنه ومن أهم نتائج تلك المعاهدة هو استفادة الإمبراطورية العثمانية في تحييد دولة معتبرة مثل النمسا عن الحرب والتفرغ لجبهة واحدة تتكفل بها روسيا .

---

(١) للمزيد انظر : محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، المرجع السابق ، ص ص ٣٦٤-٣٧٠.

ونتيجة لخروج النمسا من ميدان الحرب فقد ظلت روسيا وحدها في تلك الحرب، بينما شخصت بروسيا بنظرها تجاه روسيا في الضغط عليها لوقف هذه الحرب في الوقت الذي ازداد فيه ضغط السويد على روسيا التي أجبرتها في دخول الحرب على جهتين، ومما صعد الموقف الدولي تجاه روسيا ظهور خطر الثورة الفرنسية مما جعل بريطانيا تتضامن مع بروسيا في الضغط على روسيا لوقف تلك الحرب والتوحد ضد خطر الثورة الفرنسية .

وكل هذه الأسباب ساقت روسيا، بناءً على ما بذلته بروسيا وبريطانيا، إلى إبرام معاهدة "ياشYASSY" في ١٥ جمادى الأولى ١٢٠٦هـ، والموافق ٩ يناير ١٧٩٢م، وكان من أهم بنودها [١]:

المادة الأول : يتم إزالة المشاحنات والخلافات وأي معاداة من الآن بين الدولتين، وأن يترك رعايا العثمانيين ورعايا روسيا أي أوضاع للخصومة أو الخلاف قد سبقت بينهما ولتظل منسية إلى الأبد، ولذا فإنه جاري تنفيذ صلح أبيدي براً وبحراً، وينبغي الإيفاء بالروابط والعلاقات المتينة القوية والإقدام والسعي على الاهتمام بتحري الدقة في تنفيذ شروط معاهدة الصلح المنعقدة بهذه الصورة، والتمسك والاهتمام بها، والمبادة بعدم إعلان أي خصومة بأي شكل أو أسباب للعداء بين رعايا الدولتين وذلك في السر والعلانية، وإذا كان هناك أي اتهامات موجهة بين رعايا الدولتين بالجرم والقبح فإنه ينبغي سياقها على الإطلاق والتجاوز والعفو عنها بموجب المودة والصفاء المتجدد دائماً، والسماح للسجناء في سجونهم بالخروج وإطلاق سراحهم وكذلك السماح بعودة المنفيين إلى أوطانهم، وضرورة إرجاع أموالهم وأمتعتهم التي سلبت منهم ثانية بعد إجراء الصلح، وعدم السماح بحدوث أي أضرار أو خسائر بين الطرفين، والمضي قدماً في حماية الرعايا طبقاً للقواعد والقوانين الجارية بين الدولتين .

المادة الثانية : لابد من الإيفاء بشروط معاهد الصلح التي عقدت في الرابع عشر من جمادى الأولى عام ١١٨٨هـ ويوم ١٠يوليو عام ١٧٧٤م، وكذلك المعاهدة التي عقدت ثانيةً في اليوم العشرين من جماد الآخرة ١١٩٣هـ والعاشر من مارس ١٧٧٩م، وكذلك المعاهدة التجارية المنعقدة في ٢٠ من رجب ١١٩٧هـ العاشر من شهر يونيو ١٧٨٣م . وكذلك السند الذي يبين حدود نهر قوبان ويلحق ويضم القرم وطمان بدولة روسيا وقد انعقد في الثامن والعشرين من كانون الأول عام ١٧٨٣م الخامس عشر من صفر ١١٩٨هـ. ولقد تم

---

(١) احمد جودت باشا:تاريخ جودت،ج٥،ص ص٢٧٤-٢٨٠.نقلاً عن تركية الجار الله: العلاقات الخارجية للدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الثالث ١٢٠٣-١٢٢٢هـ/١٧٨٩-١٨٠٧م وأثرها على الأوضاع الداخلية ،المرجع السابق،ص ص ١٣٥- ١٤٧.

التأكيد والتصديق على جميع السندات والمعاهدات السابقة باستثناء بعض المواد التي تم تركها في هذه المعاهدات، وينبغي رعاية هذه المعاهدات والسندات المذكورة بلا أدنى أي خلل، ولقد تعهدت الدولتين بالإيفاء بشروط هذه المعاهدات وعدم إحداث أي خلل بأي شرط من شروطها .

المادة الثالثة: بعد ترسيم الحدود بين الدولتين في الشرط الثاني عند منطقة نهر طورله إلى الأبد فإنه بناءً على إمكانية امتداد حدود دولة روسيا وبالتمام إلى حدود النهر المشار إليه فقد تقرر هذه المادة بين الطرفين وتعهدوا بها، وأن تصبح حدود نهر طورله على الدوام بين ممالك روسيا والدولة العلية على النحو التالي : تبقى جميع الأراضي الموجودة عند الجانب الأيسر لنهر طورلة تحت حكم دولة روسيا بشكل كافي إلى الأبد وبلا ممانعة، كما أنه يتم استرداد جميع الأراضي الموجودة في الجانب الأيمن للنهر المذكور من قبل روسيا وتبقى تحت السيطرة وحكم الدولة العلية بلا ممانعة وإلى الأبد بشكل كامل .

المادة الرابعة : بناءً على النظم والتنظيم الدائر حول حدود الدولتين وبموجب الشرط الرابع الأساسي فإن جميع وسائر حدود الدولتين سوف تعود كما هي حتى وقت الحرب، وسوف تقوم دولة روسيا برد جميع القلاع والأماكن والبقاع التي استولت عليها الجيوش الروسية في الحرب إلى الدولة العلية، وبناءً عليه فإنه إذا كانت هناك أي مدينة أو قرية أو ضاحية وكذلك مملكة بوجاق وقلعة بندر وقلعة إسماعيل وقلعة كلل كل هذه البلدان التي استولت عليها روسيا سوف تقوم بردها إلى الدولة العلية، ويندرج ذلك أيضاً على تسليم بغدان وما حولها وداخلها من مدن وضواحي وقرى يتم تسليمها للدولة العلية. كما أن الدولة العلية أيضاً قد قبلت بالممالك المشار إليها في المواد الآتي ذكرها وتعهد علانية بأنها ستراعيها بشكل كامل .

أولاً : سوف تقوم الدولة العلية بمراعاة المعاهدات التالية : المعاهدة المنعقدة في الرابع عشر من جمادى الأولى عام ١١٨٨هـ العاشر من يونيه ١٧٧٤م، والخاصة بتجديد المادة الثانية المذكورة، وكذلك التنقيح الذي جرى في اليوم العشرين من جماد الآخر عام ١١٩٣هـ العاشر من مارس عام ١٧٧٩م، وكذلك المعاهدة المنعقدة في الخامس عشر من صفر ١١٩٨هـ /١٧٨٣م، وقد تعهد الصدر الأعظم بالإيفاء بجميع الشروط ومراعاة بلا إخلال حول أراضي بغدان والأفلاق .

ثانياً : إذا كانت هناك أي حسابات قديمة فإنه لا يمكن مطالبة مملكة بغدان بأي شيء سواءً من الأموال أو غيرها .

ثالثاً : لا يجوز المطالبة بأي موال أخرى من أي نوع بالنسبة للتعويض عن الأضرار خلال مدة هذه الحرب وحظراً للأضرار والتخريبات العديدة التي امتدت على امتداد الحرب فإن مملكة بغدان أصبحت معفاة من أي تعويض مادي من أي نوع لمدة عامين وتحتسب مدة ومهلة المعافاة هذه من تبادل وثائق التصديق وتبادل الاعتمادات بشأن معاهدة الصلح .

رابعاً : إعطاء الحرية التامة للنبلاء ومنهم من طبقة الارستقراطية والأسرة الحاكمة ممن لديهم الرغبة في ترك أوطانهم والذهاب إلى أماكن أخرى، وسوف يكون لهم الحق في حمل ونقل جميع أمتعتهم وأموالهم معهم لكن أملاك هؤلاء النبلاء سوف تخضع لرسوم طبقاً للقواعد التي تسري على رعايا الدولة العلية أو أقرباء هؤلاء الرعايا، وسوف يتم إمهالهم لمدة أربعة عشر شهراً ليكون ذلك وقت كافي لانتقالهم من أوطانهم

بحرية وذلك طبقاً لمعاهدة الصلح، ومن الممكن احتساب هذه المهلة والمدة من اليوم الذي يتم فيه تبـــادل هذه الوثائق.

المادة الخامسة : عدم الاقتناع فقط بتجديد الاتفاق والصلح والصلاح بين الدولتين المتعاهدتين كدليل على إظهار المودة والحب والصفاء ومناقشة جميع الأسباب التي تؤدي إلى توطيد هذا الصلح وزيـــادة الـــروابط والسعي من الرفع بهذا الأمر . وقد تعهد الدولة العلية باتخاذ كل أسباب توطيد العلاقات والصلح وذلك بالمـــال والكلام حيث صدر فرمان عالي بالإقامة في المملكة التي تقع تحت تصرف حاكم تفليس هذه المرة، وعدم تعـــدي والي أفسس أو ضباطه على الحدود سراً وعلانية بعد ذلك وعدم الإحلال بحسن الجوار والاتفـــاق، وصـــدرت فرمانات واجبة التنفيذ ومشددة التنبيه إلى والي أفسس وضباط الحدود جميعاً بشأن عدم الإحلال بما سبق .

المادة السادسة : بالنسبة للسند المنعقد والذي يحدد حدود نهر قوبان بين الدولتين المتعاهدتين في هذه المنطقة والخاصة بإلحاق وضم القرم وطمان إلى روسيا وذلك في عام ١١٩٧هـــ في اليوم الثامن والعشرين مـــن شهر كانون الأول ١٧٨٣م فإنه بعد التأكيد على سائر عهوده والتمهيد له في المادة الثانية فإن الجانبين قد تعهد علناً .أولاً: الدولة العلية لا يمكنها أن تتجاوز حدود دولة روسيا، كما أن الطوائف الموجودة على الحدود وعند الجانب الأيسر لنهر قوبان لا يمكن تخطيها حدود روسيا، ولا يمكن اغتصاب أو سلب أو نهب رعايا الإمبراطورية الروسية، وأماكنهم وأراضيهم وبذل جميع المساعي من أجل عدم أسر أي من الروس تحت أي سبب علني أو سري وذلك من أجل إظهار أن الدولة العلية لا تستخدم أي وسائل للتبعيد والطرد ولا يمكنها الإحلال بأمر الصـــلح والصلاح والرفاهية المنعقد بين الطرفين.كما ينبغي على الدولة العلية أن تصدر فرمانات مشددة للأشخاص الذين يتحركون خلافاً لرأيها ورغبتها في هذه المنطقة الحدودية، ويمكن بعد ذلك انعقاد الصلح وتبـــادل الاعتمـــادات وإعلان ذلك بشكل صريح، ولا تكتفي الدولة العلية بهذه الأوامر المشددة والتحذيرات بل أنه إذا حـــدثت أي أضرار أو خسائر وسرقات وسلب ونهب لتجاوز حدود روسيا أو سلب حيوانات الجانب الروسي أو أسر بعض رجال الروس فإنه ينبغي على الدولة العلية أن تقوم برد هذه الأشياء على الفور وبذل ما في وسعها بـــلا تـــأخير لتحقيق ذلك وإطلاق سراح الأسرى الروس على الفور بلا تأخير، وكذلك سوف تضمن جميع الخســـائر الـــتي تعرض لها جميع الرعايا الروس، وأن تقوم بتأديب المسئولين عن تأمين الحدود على الجانب الروســـي للتقصـــير في عملهم وتعهدت الدولة العلية بضمان جميع الخسائر التي يتعرض لها الروس على الحدود، وكذلك تـــأمين هـــذه الحدود من أجل استتباب الأمن وحسن الجوار بين الجانبين، وثانياً الجانب الروسي تعهد بتمسكه بتأمين الحدود في هذه المنطقة والمحافظة على النظام والأمن.

المادة السـابعة : تجديد الموالاة والمودة والمصافاة بين روسيا والدولة العلية والمرهونة بحبل متين مـــن العلاقات والروابط وتقوية مادة التجارة بين الطرفين، وبناءً على الطلبات المتزايدة من رعايا الجانبين من أجل زيادة التجارة وإجراء المنافع في أمن وسلام لإظهار المزيد من المودة وتقوية للروابط فقد تم عقد معاهدة تجارية مع روسيا والمادة الأولى منها ما يتعلق بتونس والجزائر وطرابلس الغرب وهي ٦١ مادة وتعتبر دستور عمل، ومن بنودها أنه إذا صادف رعايا الروس قراصنة الجزائر وتونس وطرابلس الغرب وتم أخذهم سبايا ورقيق وأخذ القراصنة أموال

السفن التجارية الروسية، فإنه ينبغي على الدولة العلية فوراً تخليص هؤلاء الرعايا الروس والسعي لتأديب القراصنة ورد جميع الأموال والأمتعة الخاصة بالسفن المسلوبة لأصحابها بلا تأخير، وكذلك عليها أن تتحمل الخسائر من أموالها، وإذا تم التحقق من الأمر بالنسبة لعدم تنفيذ فرمانات الدولة العلية بشأن قراصنة الجزائر وتونس وطرابلس الغرب فإن للسفير الروسي الحق في مطالبة الدولة العلية بالتعويضات الكاملة من الخزانة الهمايونية وذلك خلال شهرين وقد تعهدت الدولة العلية بذلك الأمر .

المادة الثامنة : يتم رد جميع الأسرى ذكوراً وإناثاً مهما كانت درجاتهم ومناصبهم بين الدولتين بالتراضي فيما بينهم وذلك على المسلمين الموجودين في أراضي روسيا ويريدون التنصر والمسيحيين الموجودة في أراضي الدولة العلية ويريدون اعتناق الإسلام، ويتم ذلك فوراً بعد تبادل اعتمادات معاهدة الصلح هذه المباركة، وتم التسليم بلا أي تعويضات، ويتم إطلاق سراح جميع المسيحيين الذين أصبحوا عبيداً وتم أسرهم، وكذلك سائر أفراد الكرج والمورة والأفلاق والبولند وأهالي الجزائر بلا استثناء وبلا ثمن وبلا عوض، وكذلك بعد الصلح سوف تقوم الدولة بتسليم الرعايا الروس الموجودين في أراضيها وتم أسرهم أو جعلهم عبيد، وكذلك رعايا الدولة العلية الموجودين في روسيا سوف يتم مقايضتهم بالمثل وسوف تقوم روسيا بتسليمهم للدولة العلية وقد تعهدت روسيا بالتحرك المماثل .

المادة التاسعة : تأخير إعادة جميع الآلات الحربية حتى وقت الصلح لضمان عدم أي إجراء غير عادي من العدو، وبعد توقيع المعاهدة فإن رئيس وكلاء دولة روسيا سوف يقوم بإخبار القائد الأعلى للأسطول وجيش دولة روسيا حول هذه المادة، وعند إقرار الصلح سوف تقوم الدولة العلية بإخبار أسطولها وجيشها بشأن هذه المادة .

المادة العاشرة : من جملة الإجراءات المتخذة لتقوية المودة والصفاء، والصلح المبارك بين الدولتين، فإن السفراء العظام للدولتين سوف يتم استقبالهم بصورة حسنة عند الحدود، كما أن روسيا سوف تقوم بالمراسم المعتادة لاستقبال سفراء الدولة العلية وهي نفسها المراسم المتبعة عند استقبال سفراء دول أوروبا، ومن الممكن إرسال الهدايا المناسبة بقدر كل دولة بواسطة السفراء .

المادة الحادية عشر : بعد تبادل الاعتمادات ووثائق التصديق (التصديق ناما لر) من قبل الطرفين وتنظيم شروط هذه المعاهدة بين الجانبين فإن جيوش وأساطيل إمبراطورية روسيا تستطيع الخروج من بلاد الدولة العلية، وبناءً عليه فإنه ينبغي تطبيق بنود المعاهدة عند خروج هذه الجيوش مباشرة، وبموجب القرار الذي تم اتخاذه في نهاية المناقشات والمفاوضات التي جرت في عام ١٢٠٧هـ الموافق لليوم الخامس عشر من شهر مايو ١٧٩٢م والذي تعهدت الدولتان بتنفيذه فإن الجيوش الروسية يمكنها الخروج من مضايق نهر طورلة تماماً، وعبور الجيوش الروسية وأسطولها إلى الجانب الأيسر من نهر طورلة في هذا الوقت المحدد وبموجب معاهدة الصلح هذه فإن دولة روسيا ستقوم برد جميع القلاع والممالك التي استولت عليها الدولة العلية ولا يمكن للدولة العلية التدخل في حكم هذه البقاع والممالك حتى خروج الجيوش الروسية بشكل كامل وينبغي على جنود وجيوش الروس العمل من الآن بالتأهب بالزاد والزواد للخروج تماماً من هذه الأماكن .

المادة الثانية عشر : بعد توقيع الجانبين ووكلاء الطرفين على المعاهدة فإنه يمكن للصـــدر الأعظـــم ورئيس ووكلاء إمبراطورية روسيا تبادل السندات التي تمهد لهذا الصلح المبارك في أسبوعين أو أقل بقصة ياش.

المادة الثالثة عشر: إن شروط هذه الصلح المبارك يتم التصديق عليه من قبل الطرفين بشكل أبـــدي وسوف يتم تأييدها ومن اللازم تبادل الاعتمادات المذكورة حول هذا الصلح المبارك عن طريق وكلاء الطـــرفين خلال خمسة أسابيع من تاريخ انعقاد هذا الصلح، كما ينبغي ختم معاهدة الصلح هذه وتبادلها بين الجانبين .

خاتمة : بخصوص تسليم وتبادل وثائق الاعتماد والتصديق الخاص بالمعاهدة التي تشمل ثلاثة عشر مادة في الوقت المذكور فإنه إن شاء الله تعالى سوف يتم التوقيع عليها وختمها بموجب التفويض الذي بأيدينا من أجل أن تكون النهاية مقبولة بكل ود وصدق واحترام بين الطرفين ولقد تم إعطاء هذه الوثائق إلى وكلاء روسيا وينبغي على إمبراطورة موسكو أن تراعي بشروط هذا الصلح وتحمي روابطه من أي خلل وعدم الإخلال بأي شرط من شروط الصلح، كما أن الدولة العلية قد تعهدت بمراعاة بنود هذه المعاهدة بشكل تام، ومن ثم فإن الجميع بدءاً من الصدر الأعظم ووكلائه والقواد والأمراء والضباط وكامل أعداد الجيوش وجميع الفرق والطوائف ملتزمة بكل بند في هذه المعاهدة ولا يمكن لأي فرد أن يخالفها تحريراً في الخامس والعشرين من جمادى الأولى لسنة ١٢٠٦هـــــ/ ١٧٩٢م .

وبناءً على ما سبق فقد تم إرسال بنود تلك المعاهدة من قبل الدولة العلية إلى إمبراطور روسيا للتصديق عليها وبالفعل فقد تمت الموافقة من كلا الطرفين، وتم تبادل وثائق التصـــديق والاعتماد من قبل الجانبين (١).

وبالنظر إلى مواد المعاهدة فإن المادة الأولى نصت علـــى إزالـــة كافـــة المشـــاحنات والخلافات بين الدولتين التي كانت أحد الأسباب المفضية إلى الحرب بينهما،وبناءً على المضي نحو تحقيق ذلك فإن الجانبين قد عقدا معاهدة الصلح هذه التي يجب الالتزام بها وتنفيذها.كما تضمنت المادة الأولى من المعاهدة، تحقيقاً لإزالة الخلافات بينهما، القيام بـــالعفو عـــن جميـــع السجناء وإطلاق سراحهم، مع السماح للمنفيين بالعودة إلى أوطانهم، وإرجاع كافة أمـــوالهم وأمتعتهم التي سلبت منهم جراء الحرب.ومثل هذه المادة فإنها من المواد المتكررة دائماً عنـــد الحديث عن المعاهدات بين الجانبين،بل إنها تعتبر فاتحة المعاهدات بينهما.

(١) الأرشيف العثماني : A.DVNS . NMH.D.00009 .

وحول المادة الثانية فهي تلزم الجانبين بتنفيذ كافة المعاهدات السابقة بينهما والإيفاء بالشروط والمواد التي احتوتها.ومما لا شك فيه أن روسيا كانت المستفيد الأكبر من التزام الدولة العثمانية بهذه المادة.وكأن المادة الثانية ما هي إلا معاهدات داخل مادة،مؤكدة على ذلك معاهدة "ياش" التي كانت مكملة في عقدٍ من خرز منظوم المعاهدات الروسية مع الجانب العثماني، التي سعت روسيا من خلال معاهداتها تلك إلى هدم الدولة العثمانية والاستيلاء على كافة أملاكها وإحياء العاصمة الأرثوذكسية والحاضرة البيزنطية من جديد.

أما المادة الثالثة فهي تقرر في طياتها حدود روسيا التوسعية الجديدة على حساب الدولة العثمانية.وإنما أرادة روسيا من مثل هذه المادة اعتراف الدولة العلية بهذه الحدود الروسية الجديدة، وإقرار الدولة العلية لروسيا بذلك،مشيراً هذه المادة إلى تلك الحدود الروسية الجديدة بنهر طورله مع امتلاك روسيا أيضاً لجميع تلك الأراضي في الجانب الأيسر للنهر،أما الجانب الأيمن فيظل في يد العثمانيين.وبهذا التحديد فقد خسرت الدولة العثمانية المناطق التي كانت تحت نفوذها ليصبح البحر الأسود بكامله تحت رحمة روسيا،كما أصبحت موانئه مثل أزوف وأوديسا وسيفاستبول قواعد للأسطول الروسي، يضاف إلى ذلك أن مصبات الأنهار العظيمة مثل الدانوب وبج والدنيستر وبروس وحركتها الملاحية أصبحت تحت تصرف روسيا[١].وما كان ذلك إلا ثمرة جنتها روسيا في طريق توسعها البحري وازدياد قدرتها العسكرية البحرية.

وقد تضمنت المادة الرابعة رد ما استولت عليه الجيوش الروسية إلى الدولة العلية من القلاع والأماكن والبقاع،مع ملاحظة أن ذلك الرد مشروط من قبل روسيا.ومعنى هذا هو فرض كلمة روسيا على الدولة العلية،وانصياع الأخيرة للشروط الروسية.وهو ما يبين تفوق روسيا في إقرار شروط المعاهدة،وقبول الجانب العثماني الأقل بهذه الاشتراطات الروسية.فقد اشترط الروس على العثمانيين مراعاة ما تم بينهما من قبل بخصوص المعاهدات التي جمعت بينهما حول تنفيذ العثمانيين لشروطها،كما اشترط الروس غض طرف العثمانيين عن بغدان

(١) يوسف الثقفي : موقف أوروبا من الدولة العثمانية ، المرجع السابق ، ص٨٦ .

وإعفائها من أي التزامات مالية تجاه العثمانيين بسبب الحرب لمدة عامين.وهذا من باب التدخل الروسي في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية والذي يدلل على علو كعب روسيا في هذه المعاهدة.وبالعودة مرة أخرى إلى استكمال ما اشترطه الروس على العثمانيين، فقد اشترطوا أيضاً ترك الحرية من قبل العثمانيين لجميع النبلاء والطبقة الأرستقراطية والأسر الحاكمة للانتقال الذهاب إلى الأماكن التي يفضلونها دون قيد أو شرط وحمل كافة أمتعتهم وأموالهم،مع بقاء أحقيتهم في أملاكهم المكانية من الأراضي والسكن،دون مصادرتها أو المساس بها دون رغبة ملاكها.وبالتالي فإن تلك الشروط في جملتها نوع من الأوامر التي توجب على العثمانيين تنفيذها،وهو إن دل على شيء فإنما يدل على الوضع السيئ والذي وصلت إليه الدولة العلية.

واقتصرت المادة الخامسة على تحمل الدولة العثمانية كافة الطرق الواجب اتباعها لتحقيق السلام والأمن على حدود الدولتين،وكأن الدولة العثمانية هي فقط المعنية بذلك!وكأنها هي من يتسبب بالحروب ويشعل فتيلها!

وفي المادة السادسة تتكرر منظومة فرض القوي لشروطه على الجانب الأقل منه،حيث ذهبت هذه المادة إلى تحميل العثمانيين ضرورة المحافظة على الحدود وتأمين الرعايا الروس وتحمل كافة الأضرار التي قد تلحق بهم،بينما لم تشر هذه المادة إلى الروس بشيء سوى حفظ الحدود فقط.

وتقرر المادة السابعة في طياتها مواد المعاهدة التجارية التي تمت بين الجانبين،مع تركيزها كالعادة في تحمل الجانب العثماني على حماية التجار الروس، وتحملهم كافة ما قد يتعرض له أولئك التجار من أي أضرار قد تلحق بهم من قراصنة البحر المتوسط.وقد تناسى الروس أن حركة القرصنة التي يتحدثون عنها إنما نشأت في أحضان العالم المسيحي أي من أبناء جلدتهم في مواجهة النور الإسلامي،وأن العثمانيين إنما كانوا احد الدول الإسلامية التي سعت إلى تطهير تلك القرصنة المسيحية(١).

---

(١) تركية الجار الله: العلاقات الخارجية للدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الثالث ١٢٠٣-١٢٢٢هـ/١٧٨٩-١٨٠٧م وأثرها على الأوضاع الداخلية ،المرجع السابق،ص ١٥٠.

واقتضت المادة الثامنة رد جميع الأسرى من قبل الجانبين على حد سواء.وإن كانت هذه المادة منصفة في ظاهرها للروس،وإنما هي مخيمة بظلالها في الجانب العثماني. وكأن لسان التاريخ يتحدث عن الكثير من التسامح النصراني تجاه المسلمين، والذي يبقي على أسرى! فمشاهد الحروب السابقة تدلل على ما اقترفته يد الروس من القتل ضد العزل،من كبار السن والنساء والأطفال!وبالتالي فإن السؤال الحائر والذي يبحث عن إجابة هو:هل من يكون في تعامله مع العزل على هذا النحو!فهل يمتلك قلباً رحيماً للإبقاء على الأسرى من الجنود العثمانيين؟

بينما ذهبت المادة التاسعة إلى تحرك قوات الجانبين بما تم الاتفاق عليه، ولكن ذاك التحرك لا يكون إلا بعد إقرار مواد الصلح وتبادل وثائق التصديق عليها.

وفي المواد العاشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة فهي تتحدث بالإجمال عن كيفية إنهاء إجراءات تبادل صكوك التوقيع على المعاهدة وإقرارها من كلا الجانبين،وآلية خروج القوات الروسية من الأراضي العثمانية.

وبالإجمال فقد أثبتت هذه المعاهدة علو كعب روسيا وتفوقها عسكرياً على الدولة العلية التي أخذت في الانحدار وفقد مكانتها الدولية.

المبحث الثالث : معاهدة تحالف دفاعي عام ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م .

إن القاسم المشترك والذي يجمع الدول ويفرقها هو ما يمكن أن يجمع بينهما من المصالح القائمة، وهذا أقل ما يمكن أن يقال عن معاهدة الدفاع هذه التي جمعت بين أعداء الأمس العثمانيين والروس لاستيفاء مصلحة مشتركة بينهما من جراء اتحادهما، وهو ما دفع بهما لإبرام معاهدة الدفاع تلك .

ففرنسا الحليف الأقرب والصديق الأوروبي المخلص من وجهة نظر الدولة العثمانية، قد قامت باحتلال ذلك الجزء العزيز على الدولة العثمانية ألا وهو مصر عام ١٧٩٨م، وكان من شأن ذلك تقريب البعيد، وتبعيد القريب، ولم تكن الدولة العثمانية لتتوقع إقدام فرنسا على مثل هذا العمل؛ فعلاقة البلدين بعضهما ببعض لها جذورها التاريخية من الود والصلات الطيبة، ومن ذلك أن ملك فرنسا " فرانسوا الأول "(١) والذي دخل في حرب مع الإمبراطور "شارل كوينت Charles – Quint "(٢) التي هزم على أثرها وسيق أسيراً إلى مدريد (٣) قد طلب العون والمساعدة من السلطان "سليمان القانوني" لإنقاذه من الأسر ومساعدته في حرب "شارل كوينت" .

---

(١) فرنسيس الأول (١٤٩٤- ١٥٤٧م) : صهر لويس الثاني عشر ، حكم (١٥١٥- ١٥٤٧م) . استأنف الحروب الإيطالية ، وخسر في الانتخابات الإمبراطورية (١٥١٩م) لصالح شارل الخامس ، وعلى الرغم من إخفاقه في الحصول على محالفة إنجلترا هاجم شارل (١٥٢١م) واندحر وأسر في بيافيا (١٥٢٥م) ، ولكنه حصل على حريته بتوقيعه معاهدة مدريد (١٥٢٦م) ، ونزل فيها عن مطالبه الإقليمية . وفي (١٥٤٢م) تحالف مع سليمان الأول سلطان تركيا ، وهاجم شارل . وكان فرانسوا مثلاً لحكام عصر النهضة . الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص١٢٩٤.

(٢) شارل الخامس (١٥٠٠-١٥٥٨م) : إمبراطور من (١٥١٩م – ١٥٥٨م) ، وملك أسبانيا باسم شارل الأول من (١٥١٦-١٥٥٦م) . ابن فليب الأول وجوانا أميرة قشتالة ، وحفيد فرديناند الخامس ملك أراجون وإيزبلا ملكة قشتالة ، والإمبراطور مكسيمليان العاشر وماري البرجندية. ورث إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس ، تغلب في الانتخابات الإمبراطورية على كبار منافسيه ، فرنسيس الأول ملك فرنسا ، وهنري الثامن ملك إنجلترا . المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٠٦٤ – ١٠٦٥ .

(٣) للمزيد انظر : محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .
- يلماز أزوتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ ، المرجع السابق ، ص٢٦٧ .

وسعياً من فرنسا إلى التحالف مع الدولة العثمانية ضد الإمبراطور شارل فقد بعثت سفيراً لها إلى الباب العالي لكنه قتل هو وأتباعه قبل أن يصل، ولم تكتف فرنسا بذلك، بل جددت المحاولة لعام ١٥٢٥م بإرسالها مبعوث آخر إلى جناب السلطان العثماني "سليمان القانوني" طالباً منه وبكل تواضع أن يهاجم ملك المجر أحد حلفاء " شارل " حتى يمنعه من مساعدته، ويمكن فرنسا من مهاجمة شارل [١]، وقد رأى السلطان " سليمان " في ذلك حجة لمهاجمة أملاك " شارل " باسم فرنسا التي طلبت منه ذلك رسمياً، مع كسب الدولة العلية لحليف لها في الغرب مثل فرنسا [٢].

وهذا ما دفع السلطان سليمان إلى الموافقة، وكتابة خطاب إلى ملك فرنسا واعداً إياه بالمساعدة . ومما جاء في ذلك الخطاب قوله : " أنا السلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد[٣] خان إلى فرنسيس ملك ولاية فرنسا . وصل إلى أعتاب ملجأ السلاطين المكتوب الذي أرسلتموه مع تابعكم "فرانقبان " النشيط، مع بعض الأخبار التي أوصيتموه بها شفاهياً، وأعلمنا أن عدوكم استولى على بلادكم وأنكم الآن محبوسون وتستدعون من هذا الجانب مدد العثمانية بخصوص خلاصكم، وكل ما قلتموه عرض على أعتاب سرير سدتنا المملوكانية وأحاط به علمي الشريف على وجه التفصيل فصار بتمامه معلوماً، فلا عجب من حبس الملوك وضيقهم فكن منشرح الصدر ولا تكن مشغول الخاطر"[٤] وكان ما سبق شبه تعاون عسكري مبكر اقتضاه الحال في التقاء المصالح بين الدولة العلية وفرنسا ضد عدوٍ مشترك .

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، المرجع السابق ، ص٢٠٩ .

(٢) يلماز أوزوتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ ، المرجع السابق ، ص٢٦٨ .

(٣) بايزيد الثاني (١٤٤٧-١٥١٢م) : سلطان تركيا (١٤٨١- ١٥١٢م) ابن محمد الثاني وخلفه . أعاد بناء القسطنطينية بعد أن دمرها زلزال (١٥٠٩م) . خلعه ابنه سليم الأول عن العرش (١٥١٢م) . الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص٣٢٢-٣٢٣ .

(٤) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، المرجع السابق ، ص٢٧٠ .

وعلى طريق الود، وفي سبيل تقريب وجهات النظر بين البلدين وتقوية عرا الصداقة، فقد عينت فرنسا ومنذ العام ١٥٢٥م سفيراً دائماً لها بإستانبول [١].

وليستمر ذلك التواصل الحميم بين العثمانيين والفرنسيين في صعيد الامتيازات التي منحت من قبل العثمانيين لرعايا ملك فرنسا النازلين بأراضي الممالك العثمانية، وكان هذا بتاريخ ٩٤٣هـ/١٥٣٦م وقد اشتملت هذه الامتيازات بين الجانبين على ستة عشر بنداً [٢].

وقد كانت هذه المعاهدة عبارة عن جملة من الامتيازات، التي ميزت فرنسا عن غيرها من الدول الأوروبية، بالإضافة إلى أنها أصبحت إحدى الوسائل التي حصلت من خلالها فرنسا على ما لم تحصل عليه معظم الدول الأوروبية [٣]، بالإضافة إلى أن هذه الامتيازات في مجملها كانت عبارة عن جملة من المساعدات من الدولة العثمانية إلى فرنسا هدفها تنميتها عسكرياً واقتصادياً للحيلولة دون وقوعها في قبضة الإمبراطور شارل [٤]، وبالتالي فقد حاول التجار الفرنسيون استغلال تلك الامتيازات العثمانية في محاولة لفتح باب التجارة مع الشرق الأقصى عن طريق مصر، بدلاً من خط التجارة الجديد عن طريق رأس الرجاء الصالح [٥].

وهذا توقع مبكر من قبل الفرنسيين بأهمية موقع مصر، بل لم تكتف الدولة العثمانية بما سبق من امتيازات ممنوحة لفرنسا، فقد أعقب تلك الامتيازات تقديم مبالغ مالية كبيرة من الدولة العثمانية إلى فرنسا على شكل مساعدات [٦].

---

(١) ليلى الصباغ : الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين (١٠-١١هـ / ١٦-١٧م) بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ج٢ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ص ٥٥٢ .

(٢) للمزيد حول بنود تلك المعاهدة انظر : محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، المرجع السابق ، ص ص٢٢٤-٢٢٩ .

(٣) يوسف علي الثقفي : دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب على مر العصور ، مكة المكرمة، دار الثقافة، ط٢، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ، ص١٠١ .

(٤) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ ، المرجع السابق ، ص٣٠٠ .

(٥) يوسف الثقفي: دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب على مر العصور،المرجع السابق، ص١٠١.

(٦) يلماز أوزوتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ ، المرجع السابق ، ص٣٠٠ .

وفي فبراير من سنة ١٥٥٣م اتفقت الدولتان العثمانية والفرنسية على اتحاد أسطولهما البحري لفتح جزيرة كورسيكا[١] لتكون مركزاً لأعمال الأسطولان في غزوهما لسواحل إسبانيا وإيطاليا وقد أبرمت بين الدولتين معاهدة بذلك [٢].

وحول معاهدة الامتيازات السابقة الذكر بين الجانبين فقد جددت عام ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩هـ مع بعض الإضافات التي تمت لصالح فرنسا. ولم تتوقف الهبات السلطانية لصالح فرنسا فجددت تلك الامتيازات في عهد السلطان مراد الثالث[٣] [٤]، وهو يدل على ما بلغته بلغته فرنسا لدى الباب العالي من شأن وتفضيل الأخير لفرنسا على بقية الدول الأوروبية، كما أنه وفي عام ٩٨٨هـ/١٥٨٠م طلب ملك فرنسا " هنري الثالث "[٥] من السلطان العثماني "مراد الثالث" أن يؤكد على ضرورة تقديم السفير الفرنسي على جميع السفراء في الأماكن الرسمية وكذا المراسم والمناسبات وغيرها [٦].

---

(١) كورسيكا" قورشقة": بالفرنسية: كورس. جزيرة فرنسية في البحر المتوسط. جنوب شرق فرنسا إلى الشمال من سردينيا . عاصمتها وأهم موانيها أجاكسيو . الموسوعة العربية الميسرة، ج٢، المصدر السابق ، ص١٥٠٠.

(٢) للمزيد حول بنود المعاهدة انظر : محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، المرجع السابق ، ص ص ٢٤٢-٢٤٥ .

(٣) مراد الثالث (١٥٤٦-١٥٩٥م) : سلطان تركيا (١٥٧٤ – ١٥٩٥م) ، ابن سليم الثاني وخلفه . يُعد حكمه بداية انحلال السلطنة العثماني . خلفه ابنه محمود الثالث . الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص ١٦٧٧.

(٤) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق ، ص٢٧٤ .

(٥) هنري الثالث (١٥٥١-١٥٨٩م) : ملكاً على بولندا (١٥٧٣م) . عاد إلى فرنسا عام (١٥٧٤م) ليخلف أخاه شارل التاسع . جعلته وفاة أخيه فرنسيس (١٥٨٤م) آخر الذكور من بيت فالوا . اغتيل في حصار جاك كلمنت الراهب المتعصب . الموسوعة العربية ميسرة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص١٩٠٨.

(٦) ليلى الصباغ : الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين (١٠-١١هـ/ ١٦-١٧م) ، المرجع السابق ، ص٥٥٦-٥٥٧ .

ونظراً لما كان بين الدولتين من صلات طيبة فقد أجيب الملك "هنري " لطلبــه ذاك . وسيراً على درب المودة والصفاء بين الدولتين فقد جددت معاهدة الامتيــازات تلــك عــام ١١٥٣هـــ/١٧٤٠م [١].

وعلى الرغم من تلك العلاقات الممتازة بين الدولة العثمانية وفرنســا إلا أن القاســم المشترك – وكما أشرنا في بداية هذا المبحث- هو العلاقات القائمة على أســاس المصــلحة، وبالتالي فإن التقارير ما فتئت تنهال على فرنســا من قبل المســئولين الفرنســيين، والــذين يصدرون في تقاريرهم تلك ضعف الدولة العثمــانية وبالتالي سقوطها، ومن الواجب علــى فرنسا التحرك بناءً على أساس هذا، والمبادرة بالاستئثار ببعض الولايات العثمانية ويأتي علــى رأسها مصر .

ومن أولئك المسئولين الفرنسيين البارون " دي توت " De Tott والذي قدم لحكومتــه تقريراً عام ١٧٧٦م عن حالة تركيا وما بلغته من الضعف مرفقاً ذلك بإمكانية الاستيلاء على مصر، وكذا الرحالة " سافارن Savary " والذي مكث في مصر ثلاث سنوات نتج عنــها كتابه "رسائله عن مصر" والذي نشر بين عــامي ١٢٠٠هـــــ/ ١٧٨٥م و١٢٠١هـــــ/ ١٧٨٦م مصوراً من خلاله وسائل الإغراء التي تمتلكها مصر من خصوبة أرضها ووفرة مائها، بالإضافة إلى سهولة غزوها وإمكانية الاستيلاء عليها [٢].

كما تحدث الرحالة " فولني" [٣] في كتابه " الرحلة" عن إمكانية غزو مصر والاســتيلاء

(١) محمد فريد بك الدولة العلية العثمانية ، المرجع السابق ، ص٣٢٣ .

(٢) السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحــتلال البريطــاني ١٥١٧-١٨٨٢م ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠م ، ص٩٩-١٠٠ .

(٣) Volney (1757-1820) : رحالة ومؤرخ فرنسي ، قام في سنة (١٧٨٧م) برحلته إلى مصر وقضى فيها وفي الشام (٤)سنوات ، ثم عاد إلى بلاده ، حيث نشر رحلته تلك . انتخب عضواً في الجمعية العموميــة ، ثم في الجمعية التشريعية ، ثم عُين أستاذاً في مدرسة المعلمين . حسين مؤنس : الشرق الإسلامي في العصــر الحديث ، القاهرة ، مطبعة حجازي ، ط٢ ، ١٩٣٨م ، ص٧٥-٧٦ .

عليها من قبل فرنسا [١]، وقد صور "فولني " هذا في كتاباته أهمية موقع مصر الإستراتيجي وإمكانية الاستفادة منه في الوصول إلى الهند وضرب طريق رأس الرجاء الصالح التجاري، فقال: "من مصر نستطيع الوصول إلى الهند ونعبر طريق السويس، ونستطيع أن نترك طريق رأس الرجاء الصالح "[٢]، وفي طريق تحفيز "فولني " لفرنسا للاستيلاء على مصر فإنه كان يصف لها مدى ضعف عسكرها وسهولة الاستيلاء عليها، بقوله: " إنه ليس في المدينة – الإسكندرية[٣] – سوى أربع مدافع في حالة صالحة، وليس بين الحامية التي يبلغ عددها خمسمائة من يمكنه أن يصيب المرمى، بل جميعهم من العمال العاديين الذين لا يحسنون سوى التدخين " [٤].

إلا أن تلك الأفكار وإن تمت الاستفادة منها في الحملة على مصر عام ١٧٩٨م إلا أنها قبل ذلك، وإن تبلورت كفكرة، لم تكن لتظهر كبرنامج عملي يمكن لفرنسا الإقدام على تنفيذه، وقد يكون مرد ذلك إلى الأزمة الاقتصادية التي عصفت بفرنسا واجتاحت البلاد إلى درجة إفلاس خزينة الحكومة الفرنسية من جراء حروب القرنين ١٧م و ١٨م، وقصور النظام الضريبي، وعدم عدالته، والتدخل في حرب السنوات السبع (١٧٥٦م – ١٧٦٣م) وكذا الثورة الأمريكية (١٧٧٥م – ١٧٨٣م) [٥].

---

(١) السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال البريطاني ١٥١٧-١٨٨٢م ، المرجع السابق ، ص٩٩-١٠٠ .

(٢) حسين مؤنس : الشرق الإسلامي في العصر الحديث ، المرجع السابق، ص٧٦ .

(٣) مدينة بمصر على ساحل البحر المتوسط، غربي فرع رشيد. الموسوعة العربية الميسرة، ج١، المصدر السابق، ص١٥٢.

(٤) حسين مؤنس : الشرق الإسلامي في العصر الحديث ، المرجع السابق ، ص٧٤ .

(٥) للمزيد أنظر :

- الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص٥٨٦ .
- الموسوعة العربية العالمية ، ج٨ ، المصدر السابق ، ص٨٠ .

وأمام هذا الوضع فقد دعا ملك فرنسا " لويس السادس عشر "[(١)] مجلس طبقات الأمة إلى الاجتماع لجمع الضرائب كحل لإخراج فرنسا من تلك الضائقة المالية. ومنذ افتتاح الاجتماع في الخامس من مايو ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م، في فرساي بالقرب من باريس، طالب نواب الطبقة العامة بإصلاحات سياسية واجتماعية واقتصادية باعتباره الحل وليس جمع الضرائب، إلا أن الملك، ومن ورائه طبقة رجال الدولة والنبلاء، قد رفضوا تلك المطالب، فما كان من العامة إلا أن تحدوا الجميع وأقسموا ألا يتفرقوا إلا بعد أن يضعوا لفرنسا دستوراً [(٢)].

وتنفيذاً لإرادة الشعب فقد تحركت الجماهير الفرنسية لدعم نواب طبقة العامة مكونين حكومات ثورية ضد الملكية، وأمام هذا الوضع فقد أعلن الملك قبوله للدستور، وفي ٢١ أيلول ١٧٩٢م ألغي النظام الملكي وأعلن قيام الجمهورية الفرنسية تحت شعار "الحرية، المساواة، الإخاء"، كما اتهم الملك بالخيانة، وكان نتيجة خيانته تلك إعدامه في ٢١ يناير ١٧٩٣م[(٣)].

وقد كان لتلك الأفكار التحريرية التي أخذت فرنسا تصدرها إلى خارج فرنسا، وما صاحبها من محاكمة الملك " لويس السادس عشر " وإعدامه، أثرها في هز العروش الملكية في

---

(١) لويس السادس عشر (١٧٥٤-١٧٩٣م) : آخر ملوك فرنسا ، حيث قامت الثورة الفرنسية في عهده ، إذ كان غير مؤهل لعلاج المشكلات التي ورثها ، كما أضاعت عليه زوجته ماري أنطوانيت ، المحبة للمسرات والحفلات الراقصة ، حب شعبه له ، قدم للمحاكمة بتهمة الخيانة ، وكانت نتيجة ذلك تقديم رأسه إلى المقصلة (١٧٩٣م) . الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص١٥٨٤.

(٢) للمزيد أنظر :

- الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص٥٨٦ .
- الموسوعة العربية العالمية ، ج٨ ، المصدر السابق ، ص٨٠ .

(٣) للمزيد أنظر :

- الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص٥٨٦ .
- الموسوعة العربية العالمية، ج٨ ، المصدر السابق ، ص٨١ — ٨٢ .
- مسعود الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ج١٣ ، المرجع السابق ، ص٣٠٤ .

أوروبا بأسرها، خوفاً من امتداد تلك الأفكار الثورية إلى ممالكهم، مما أوجد حالة من التوتر والنفور بين معظم الدول الأوروبية والجمهورية الفرنسية التي أدت بدورها إلى قيام الحرب بينهما، وكان نهاية تلك الحروب تلك المعاهدات التي أنهت ما بين فرنسا وتلك الدول من أمثال روسيا وهولندا من الحرب ولم يبق على موقفه المعادي من فرنسا إلا إنجلترا (١).

وإذا كان هذا موقف أوروبا من الثورة الفرنسية، فإنه وعلى المستوى السياسي العثماني متمثلاً في السلطان سليم الثالث، فقد كانت تلك الثورة نوعاً من التغيير والذي كان يسعى إليه في دولته، أما ما دار بين الدول الأوروبية وفرنسا، فلم تشترك فيه الدولة العثمانية، فكان السلطان سليم ينأى عن مثل هذا النزاع والذي ليس له فيه ناقة ولا جمل. كما أنه سوف يرهق الدولة العثمانية ويستنزفها وهي الخارجة من نير الحروب الأخيرة مع روسيا، بالإضافة إلى أنه قد يلحق الضرر بسياسة السلطان الإصلاحية التي تبناها لإصلاح مؤسسات دولته(٢).

ومن ناحية الأوساط العثمانية فإن الغالبية العظمى قد رأت في تلك الثورة الفرنسية شأناً أوروبياً ليس للعثمانيين دخل فيه، إلا ما قد يستفاد من الحروب الدائرة فيما بين الأوروبيين وشغل بعضهم لبعض عن الدولة العثمانية . ويظهر ذلك مما نشره السكرتير الخاص للسلطان سليم الثالث وهو " أحمد أفندي " في الجريدة عام ١٣١٠هـ/١٧٩٢م، والذي قال فيه: "يجعل الله الثورة الفرنسية سبباً في انتشار الزهري في أعداء الإمبراطورية، وليقذف الله بهم في رحى التناحر مع بعضهم البعض لتستفيد منه إمبراطوريتنا . آمين " (٣).

وبالرجوع مرة أخرى إلى حال الدول الأوروبية مع الثورة الفرنسية، ونظراً إلى تحييد الدول الأوروبية عن نطاق الصراع الدائر بين إنجلترا وفرنسا – بسبب ما تم بين فرنسا وتلك

(١) السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال البريطاني ١٥١٧م – ١٨٢٢م ، المرجع السابق ، ص ١٠٤-١٠٥ .

(٢) جون باتريك كينروس : القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية ، المرجع السابق ، ص ٤٧٧.

(٣) المرجع السابق ، ص٤٧٨ .

الدول من معاهدات - وبقاء إنجلترا في ساحة الوغى وحدها، فقد ارتـأت فرنسـا ضـرب الإمبراطورية البريطانية في مقتل، ومهاجمة بريطانيا مباشرةً والقضاء على إمبراطوريتها، وبالفعل فقد كونت فرنسا جيشاً خاصاً أطلقت عليه " جيش إنكلترا "، جعلت قاعدته شواطئ فرنسا الشمالية، كما بنت العديد من سفن النقل صغيرة الحجم لنقل الجيوش الفرنسية إضـافة إلى دعوة الحكومة الفرنسية للجنرال "نابليون بونابرت "(١) لقيادة تلك الحملة (٢).

إلا أن رياح القوة الإنكليزية قد عصفت بفكرة اجتياح فرنسا لإنجلترا، إذ أدرك القادة العسكريين، وعلى رأسهم "بونابرت"، أن غزو إنجلترا ليس بالأمر الهـين، نظـراً لأسـطولها البحري الكبير، ولعدم استعداد فرنسا لخوض مثل تلك المغامرة حتى اللحظة، وقد رأى هؤلاء أن الأفضل من ذلك هو تقليم أظافر بريطانيا من مستعمراتها، ولم يجدوا خيراً من مصر لذلك؛ نظراً لموقع مصر الإستراتيجي والذي سوف يخدم الفرنسيين في الاتصال بـالقوى المناهضـة لبريطانيا في الهند (٣). بالإضافة إلى إمكانية فتح قناة السويس، والاستفادة منها في تحويل تجارة رأس الرجاء الصالح من خلالها وما سوف يعود على فرنسا من جراء ذلك، إضافة إلى ما نُمى للفرنسيين من ضعف الدفاعات العسكرية في مصر، وإمكانية الاسـتيلاء عليهـا في يسـر وسهولة. وقد كان التجار الفرنسيون أداة ضغط على الحكومة الفرنسية لشكواهم الدائمة لما يتعرضون له من سوء معاملة على يد المماليك .

---

(١) نابليون الأول (١٧٦٩-١٨٢١م) : إمبراطور فرنسا ، ولد في ١٥ أغسطس في أجاكسيو بجزيرة كورسيكا . أرسل صبياً إلى المدرسة الحربية في بريين (١٧٧٩م) ، ثم إلى مدرسة سان سير العسكرية بباريس ، حيث تخرج ضابطاً في المدفعية (١٧٨٥م) ، وعند نشوب الثورة الفرنسية اشترك الضابط الشاب في فتنة الجزيرة ضد باولي، كما استرعى نابليون إليه الأنظار للدور الممتاز الذي لعبه في طرد الإنجليز مـن طولـون (١٧٩٣م) ، فعين جنرالاً". توج إمبراطوراً للفرنسيين في (١٨٠٤م). نفي في آخر حياته إلى "سانت هيلانه"، ومات بـداء السرطان في ٥ مايو ١٨٢١م. الموسوعة العربية الميسرة، ج٢، المصدر السابق ، ص ١٨١٢-١٨١٣ .

(٢) عبد العزيز سليمان نوار ، عبد المجيد نعنعي : التاريخ المعاصر (أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالميـة الثانية) ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ص٧٨

(٣) للمزيد انظر : عبد العزيز سليمان نوار ، عبد المجيد نعنعي : التاريخ المعاصر (أوروبا من الثورة الفرنسـية إلى الحرب العالمية الثانية)، المرجع السابق ، ص٧٨ .

- عبد الفتاح أبو علية ، إسماعيل ياغي : تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ،المرجع السابق ، ص٢٩١ .

وقد أيد ما سبق التقارير الدائمة والمتكررة من قبل المسئولين الفرنسيين التي كانت ترفع لفرنسا مصورة أهمية مصر بالنسبة لفرنسا، ومن هؤلاء "تاليران "[١]والذي وجـــه عنايـــة نابليون لأهمية مصر في خطابه المرفوع إلى نابليون بتاريخ ١٣ سبتمبر سنة ١٧٩٧م، والـــذي جاء فيه: "إن مصر كطريق تجاري ستعطينا تجارة الهند، لأن المعول في التجارة هـــو الوقـــت، وبالاستيلاء على مصر نستطيع أن نقوم بخمس رحلات مقابل ثلاث بالطريق المعتاد حول رأس الرجاء الصالح"[٢] .

وكذا تقرير "شارل مجا لون " – القنصل الفرنسي السابق في مصـــر – إلى الحكومـــة الفرنسية بتاريخ ٩ فبراير ١٧٩٨م، موضحاً ما يعانيه التجار الفرنسيون من ســـوء المعاملـــة هناك على أيدي المماليك، وأن هذا يستوجب تدخل الحكومة الفرنسية لإيقاف ذلك الظلـــم، كما نوه إلى فوائد تلك الحملة على مصر والاستئثار بتجارتها في ضـــرب خطـــوط التجـــارة الإنجليزية من تغيير وجهة التجارة من رأس الطريق الصالح إلى قناة السويس [٣].

وبعد أن اقتنع نابليون بكل تلك الأسباب الوجيهة لغزو مصر، فقد رفـــع تقريـــره إلى الحكومة الفرنسية بتاريخ ٢٣ فبراير ١٧٩٨م،باستحالة غزو إنجلترا قبـــل إعـــداد البحريـــة الفرنسية بشكل جيد، وإنشاء العديد من السفن وتجهيز الموانئ الشمالية، واقترح بدلاً مـــن ذلك إلحاق الضرر بإنجلترا بضرب اقتصادياتها عن طريق مستعمراتها بالهند، وأن أفضل طريق لذلك هو الاستيلاء على مصر [٤].

---

(١) Talleyrand : هو شارل موريس تاليران،وزير خارجية فرنسا مـــن ١٧٩٧م إلى ١٨٠٧م،وكـــان رئيســـاً لإحدى الأسقفيات ثم دخل في نزاع مع البابوية وترك العمل الديني وصار من أكثر المقربين لنابليون بونابرت. جون باتريك كينروس : القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية ، المرجع السابق ، ص ٤٧٩.

(٢) حسين مؤنس : الشرق الإسلامي في العصر الحديث ، المرجع السابق ، ص٧٨ .

(٣) السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال البريطـــاني (١٥١٧-١٨٨٢م) ، المرجع السابق ، ص١٨٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص١٠٧-١٠٨ .

ونظراً لما سبق فقد استقر رأي الحكومة الفرنسية على أهمية الاستيلاء على مصـــر وفي ١٩ آيار (مايو) ١٧٩٨م غادرت القوات الفرنسية ميناء طولون[١] الفرنسي بقيادة الجنـــرال "نابليون بونابرت" متجهةً إلى مصر، وفي الطريق استولت على مالطة[٢] وعنـــدما وصـــلت القوات الفرنسية إلى مصر نزلت الجيوش الفرنسية في أبي قير شرقي الإسكندرية مستولية على هذا المرفأ، ومن ثم اتجهت نحو العاصمة منتصرةً في طريقها على المماليك في معركة الأهرام [٣] ولتسقط مصر بيد فرنسا .

وقد كان لمهاجمة فرنسا واستيلائها على أحد أقطار الدولة العثمانية أثره الســـيئ علـــى السلطان سليم الثالث، والذي لم يتوقع ذلك نظراً لعلاقات البلدين التاريخية الطيبة، حـــتى في الوقت الذي اتحدت أوروبا فيه لمجابهة الجمهورية الفرنسية فإن الدولة العثمانية كانـــت علـــى علاقات ودية مع فرنسا، ومن ذلك فإنه وفي عـــام ١٧٩٦م وصـــل إلى إســـتانبول ســـفير الجمهورية الفرنسية " أرميزة دوبابية " Aubert Dubeyet والذي قوبل بحفاوة كبيرة من قبل الحكومة العثمانية، كما جدد العثمانيون للفرنسيين مكانتهم وحقوقهم الامتيازية، وقد جلـــب "دوبابيه" هذا في زيارته تلك العديد من المهندسين الفرنسيين، ورجال المدفعية، وفرق الفرسان للمساعدة في الرقي بالعسكرية العثمانية[٤].وما كان ذلك إلا لما كان بين العثمانيين والحكومة الفرنسية من صلات طيبة.

---

(١) مدينة فرنسية إلى الجنوب الشرقي منها ، وتعد ميناء على البحر المتوسط ، وقاعـــدة كـــبرى للأســـطول الفرنسي. الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص١١٦٧ .

(٢) دولة أوروبية وعاصمتها فاليتا . نالت استقلالها في ٢١ سبتمبر ١٩٦٤م، وهي عبارة عن مجموعة من الجزر في البحر المتوسط . جنوب إيطاليا ، وشرق تونس ، وإلى الشمال من ليبيا . المصـــدر الســـابق ، ج٢ ، ص١٦٣٠.

(٣) عبد العزيز نوار ، عبد المجيد نعنعي : التاريخ المعاصر (أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية) ، المرجع السابق ، ص٧٨ .

(٤) جون باتريك كينروس : القرون العثمانية، قيام وسقوط الإمبراطورية التركية ، المرجع السابق ، ص ٤٧٧- ٤٧٨.

هذا فيما يخص الدولة العثمانية. أما لو نظرنا إلى روسيا فإن الروس قد أخذوا في متابعة الثورة الفرنسية بعين القلق والريبة وأخذ الحيطة والحذر من تحركات فرنسا العسكرية، التي أخذت تتوسع جهة البلقان والبحر المتوسط، بالإضافة إلى تحريضات فرنسا الدائمة والمستمرة في تلك المناطق الآنفة الذكر. وهذا مما يتنافى والسياسة الروسية التوسعية في تلك المناطق، ومما حدا بتوتر العلاقات الفرنسية الروسية أيضاً استيلاء الفرنسيين على مالطة في طريقهم إلى مصر التي كانت تحت الحماية الروسية وكذلك طرد السفير الروسي منها[١].

وبناءً على ما سبق فإن بوادر التعاون العثماني الروسي قد أصبحت ظاهرة للجانبين في إلقاء خلافاتهما السابقة جانباً في مواجهة عدو مشترك ألا وهو فرنسا،فالدولة العثمانية كانت تسعى إلى استعادة مصر وكانت في الوقت نفسه تدرك أن مثل هذا الأمر لن تستطيع القيام به وحدها، وروسيا أرادت الاستئثار لكرامتها مما لحقها من فرنسا وكذا وقف التمدد العسكري الفرنسي.

وعلى هذا الأساس فقد حاولت روسيا عن طريق سفرائها في إستانبول إقامة تحالف مع الدولة العثمانية لمواجهة الخطر الفرنسي، إلا أن العثمانيين ترددوا بادئ الأمر مما جعل الإنكليز يقومون بعملهم في تقريب وجهات النظر بين العثمانيين والروس في إقامة التحالف الدولي الثاني[٢]والذي جمع بين كل من الدولة العثمانية وروسيا وإنكلترا والنمسا، وكان حصيلة ذلك التقارب العثماني الروسي في إقامة معاهدة تحالف دفاعي بين الجانبين عام ١٢١٣هـ/١٧٩٨م التي جاءت على النحو التالي[٣]:

---

(١) للمزيد انظر:

- عبد العزيز سليمان نوار ، عبد المجيد نعنعي: التاريخ المعاصر (أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية)،المرجع السابق،ص ٨٠.
- Yasar Yücel, Ali Svim: Türkiye Tarihi, IV, P 136

(2) Yasar Yücel, Ali Svim: Türkiye Tarihi, IV, P 136-137 .

(٣) أرشيف رئاسة الوزراء بتصنيف: A.DVNS.NMH.D.00009.

هذه الصورة تفوض قاضي إسطنبول الأسبق السيد إبراهيم عصمت أدام الله تعالى فضائله بمباشرة المباحثات الجاريات، وهذا المسئول قد تولى قاضى عسكر الأناضول، وهو من أعلم العلماء المتبحرين، وأفضل الفضلاء المتورعين، ينبوع الفضل واليقين، كشاف المشكلات الدينية، حلال العضلات اليقينية، مفتاح كنوز الحقائق ومفتاح رموز الدقائق المحفوف بصنوف عواطف الملك الأعلى قاضى عسكر الأناضول.

هذه صورة من تفويض الدولة العثمانية وتفويض دولة روسيا بشأن البدء في المفاوضات.

فيما يتعلق بالعلاقات الحميمة وحسن الوفاق والسلم والصلاح الذي تقرر إتمامه بين دولة روسيا وبين الدولة العلية العثمانية أبد الدوام. فقد اجتمع مفاوضو الدولتين في عهد صاحب الشوكة والقدرة والمهابة والعظمة ولى نعمتنا سلطان آل عثمان، وحاكم العالم السلطان سليم خان الثالث صاحب الحشمة والمكانة والقوة، وكذلك بحضور حاكم الروس وذلك من أجل تأمين رعايا الطرفين وحفظ الأمن في سائر ممالك الجانبين وتحقيق السلام ومن هذا المنطلق فإنه بناء على هذه النوايا الخيرية لدفع السلام والاتفاق بين الجانبين فقد تم التأكيد على الروابط الكائنة بين الطرفين من خلال هذه المعاهدة التي سيتم عقدها وبالنسبة لنا فإن الدولة العلية السنية، خلدها الله أبد الدوام، سوف تقوم بوضع توقيعها على هذه المعاهدة الجليلة من خلال مفوضها ذلك ووكيلها، وكذلك فإن المستشار الخاص لإمبراطور روسيا المشار إليه، والسفير الغير عادى صاحب الأصالة والحشمة صديقنا سوف يقوم بالتفاوض بشأن المباحثات التي نقوم بعقدها فيما بيننا ولقد تم مناقشة كافة البنود وأخذ كافة الآراء وتم عقد اتفاق بين الدولتين بناء على هذه الشروط التالية(البنود المعلنة):

المادة الأولى:

لقد تقرر إجراء الصلح والسلام بين السلطان العثماني وإمبراطور الروس،وتقرر أن يعم هذا الصلح كافة الرعايا والممالك الخاصة بالطرفين في البحر والبر إلى الأبد،وكذلك تقرر توطيد العلاقات بين الجانبين، إحكام السيطرة التامة على الحدود من أجل حماية هذه الصداقة. ولقد تم الاتفاق أيضاً في هذه المادة الأولى على معاداة الأعداء ومصاحبة الأصحاب بين كلا الطرفين. ولقد تعهد كل من السلطان العثماني والإمبراطور الروسي على تحقيق الأمن والسلام بين الجانبين ومناقشة كافة المواد التي تدعو للسلم والصلح بصفة مستمرة، وأن تكون هناك

مراسلات بهذا الشأن ومن ثم فإنه لن تكون هناك أي ثغرة لحدوث أي اضطرابات بصورة يومية حيث أن الجانبين سوف يجتمعان بصفة مشتركة لحماية هذا السلام والأمن.

المادة الثانية:-

إن هذه المعاهدة والصلح يؤكد تأكيد تام على كافة البنود التي وردت في المعاهدة السابقة بتاريخ (١٥ جمادى الأول عام ١٢٠٦هـ) (٢٩ كانون أول عام ١٧٩١م) حيث أن بنود هذه المعاهدة سوف تكون هي ذاتها بنود المعاهدة التي نحن بصددها أي أن هذه المعاهدة تقوم بالتصديق التام على سابقتها بالتاريخ الذي ذكرناه.

المادة الثالثة:-

بعد التصديق على هذه المعاهدة بين الدولتين واعتماد كافة بنودها فإنه سوف يتم التكفل من كلا الطرفين بضمان حماية كافة الممالك والرعايا بين الطرفين ومن ثم فإن إمبراطور روسيا سوف يتكفل بأي أضرار يقوم بها الروس إزاء الدولة العلية وفى ممالكها بلا استثناء وفى نفس الوقت فإن السلطان العثماني سوف يكون ضامن وكفيل لكافة الممالك بلا استثناء الموجودة تحت تصرف دولة روسيا أي أنه متحمل لكافة الأضرار التي تتعرض لها هذه الدولة من قبل العثمانيين.

المادة الرابعة:-

إن وكلاء تلك الدولتين قد تعهدوا بشكل جازم على مراعاة كافة المصالح بين الدولتين ودفع أي ضرر يحدث بأي وجه من الوجوه بينهما من خلال الاجتماع الدوري لهما وكذلك قد تعهدوا على عمل الإتمام الأمني لكافة الرعايا والبرايا والممالك بين الطرفين حتى لا يكون هناك ضرر لأحدهما على الآخر والعكس وسوف يقوم هؤلاء المسئولين بهذا الأمر قدر المستطاع.

المادة الخامسة:-

إذا حدث أي تصرف ذات يوم يضر بهذا الاتفاق بين الجانبين فإن وكلاء الدولتين سوف يقوموا ببذل كافة جهودهم قدر المستطاع من أجل تحقيق الأمن والسلام والمنفعة بين الدولتين بل أنه أيضاً سوف يكون هناك دعم مادي ومعنوي بين الجانبين وسوف يتم العمل من أجل رفاهية الرعايا والممالك بجهود مشتركة وبجهود مخلصة.

المادة السادسة:-

إذا حدث أي هجوم لأي من الدولتين فإنه سوف تكون هناك إمدادات نقدية ومادية عبر البر والبحر وسوف يكون هناك أيضاً إمداد بالأسطول نفسه في حالة تعرض أي منهما لهجوم خارجي وسوف يتم حماية كافة بنود هذا الصلح من خلال العمل على عدم مهاجمة الجانبين من قبل أحدهما الآخر.

المادة السابعة:-

سوف يكون لدى كلتا الدولتين عمل إمدادات بقوات وغيرها من خلال إجراء حرب مشتركة ضد المعتدى عليها وسوف يتم ذلك في إطار عدم تعريض الصلح والسلام لأي مخاطر أخرى وعند حدوث أي هجوم فإنه يتم مساعدة المتضرر على الفور.

المادة الثامنة:-

لقد تعهد الجانبين بالاتفاق العام على اتخاذ كافة التدابير الحربية وتسهيل كافة إجراءاتها وإمداد الطرف المتحارب بكل ما يريد من دعم في حالة تعرضه لخطر ومن ثم فإن هذا الأمر يؤكد على السلم والصلح القائم بين الجانبين.

المادة التاسعة:-

لابد من إعانة الجانبين بالجنود والقوات والمدافع والذخيرة وكافة لوازم الحرب والتعيينات اللازمة في حالة طلبها وسوف يقوم الجانبين بدراسة هذا الأمر فيما بينهما بالنسبة لإخراج عدد معين من الجيوش أو دخول عدد معين منهم على المناطق الحدودية أي أن أمر تحركات الجيوش على الحدود بين الطرفين سيكون بالتخابر فيما بينهما ومن الممكن الاستعانة بأحدهما الآخر في تجهيز هذه الجيوش والإمدادات بالنسبة للجانب المتعرض للحرب.والعمل على راحة الرعايا وتأمينهم.

المادة العاشرة:-

من الممكن استعانة أحدهما الآخر بالأسطول لمساعدة بعضها البعض في حالة الضرورة لدفع العدو وكذلك من الممكن الدعم بالمؤن والتعيينات من خلال مناقشة الأمر بين الجانبين حيث أن سفن الأسطول تقوم بنقل هذه المؤن والتعيينات إلى الجانب المتضرر ولن يسمح بتأخير هذه المؤن في حالة طلبها ولا يمكن أيضاً تصعيب الأمر في حالة حدوث أي ضرر للدولة الأخرى هذا ما اتفق عليه الجانبين من حيث تبادل المنافع المشتركة والحصول على دعم من إمدادات وغيرها وفى تلك الحالة فإنه لن تكون هناك محاذير تمنع من دخول سفن الجانبين موانيهما.

المادة الحادية عشر:-

في حالة حدوث حرب فإنه لابد من تسهيل مسألة الحصول على قوات وأدوات حربية وكافة الأمتعة والسلع الخاصة بأساليب الحرب للجيش الذي يحارب العدو.

المادة الثانية عشر:-

لقد اتفق السلطان العثماني والإمبراطور الروسي على عدم مهاجمة حدود الطرفين والعمل من أجل تحصيل الأمن والسلام إزاء كافة الممالك بين الجانبين وألا يتم التوسع على حساب حدودهما وسوف تكون هناك حراسات من قبل الجانبين ولجان معينة تقوم بتأمين هذه الحدود وفى حالة التعرض لهجوم من قبل إمبراطور النمسا أو انجلترا أو بروسيا فإن الجانبين سوف يتعاونا لدفع هؤلاء الأعداء وحفظ الأمن من خلال هذه المعاهدة إلى الأبد بين الطرفين كما شرطت أيضاً هذه المادة أنه يمكن اللجوء إلى تغيير بعض المواد في حالة النزول إلى ذلك وتبادل التصديق على هذا الاتفاق مرة أخرى كما تقرر أيضاً تحديد فترة هذه المعاهدة لثمانية سنوات وقرب انتهاء هذه المدة المذكورة فإنه يتم تجديد الاتفاق والوثائق الخاصة به ويتم مناقشة هذه الأمور بين الجانبين بالحسنة واللين.

المادة الثالثة عشر:-

لقد تعهد الجانبين على حفظ الأمن والسلام وتبادل التصديق على الاتفاق حين انتهاءه وسوف يتم إقرار مدة هذا الاتفاق منذ اليوم الذي حدث فيه تبادل وثائق الاعتماد.

المادة الرابعة عشر:-

هذا الاتفاق تم اعتماده من قبل إمبراطور روسيا ومن قبل السلطان العثماني وفى حالة انتهائه فإنه سوف يتم نفس التبادل بالنسبة لاعتماد المعاهدة في أقرب وقت لانتهائها وسوف يتم تبادل الاتفاق حول البنود الأربعة عشر الأنفة الذكر مرة أخرى مجدداً. تم هذا الاتفاق بتفويض من قبل الدولة العلية العثمانية وكذلك بتفويض من دولة روسيا والإمبراطور الروسي وبناء عليه فقد تم ختم هذه المعاهدة بالختم الهيمايونى الخاص بنا وبمقتضى تفويض السفير المشار إليه فقد تم ختم وتوقيع هذه المعاهدة من قبل الروس وتم تبادل وثائق الاعتماد فيما بيننا وبين هـذا السفير تحريراً في اليوم السادس والعشرين من شهر رجب عام١٢١٣هـ في بلدة القسطنطينية المحروسة.

البنود السرية:

المادة الأولى:-

إنه تم الاتفاق بين السلطان العثماني وإمبراطور روسيا بضرورة مواصلة السلام بين الطرفين والعمل على راحة الرعايا وكافة الممالك والبلدان الخاصة بالجانبين واطلاع السلطان العثماني والإمبراطور الروسي على كافة الأحوال من أجل تحقيق الرفاهية للرعايا وكذلك العمل على راحة المسلمين لدى الروس والمسيحيين لدى الدولة العثمانية وعدم تعرض الدولة العلية العثمانية لأي هجوم وإتمام كافة مراسم الوفاق والصفاء والعلاقات الجيدة بين الطرفين وسوف يقوم الإمبراطور الروسي بنفس الإجراء وإعادة السلام للإمبراطورية الروسية و التصـدي لأي هجوم من قبل فرنسا إزاء الطرفين .وفى الوقت نفسه فقد اتفق السلطان العثماني على بذل قدر كبير من التعاون إزاء هذا الأمر وأنه في حالة مطالبة السلطان العثماني بأي مؤن أو دعم للجانب الروسي فإنه سوف يـتم دعـم هؤلاء من خلال الأسطول الهيمايونى في البحر الأسود ومن هذا المنطلق فإنه سوف تكون هناك حريـة بالنسـبة لتحركات السفن بين الجانبين وسوف يتم تبادل حوالي اثني عشر قطعة من السفن لهذا الغرض تحديداً.

وسوف تقوم الدولة العثمانية بإتمام هذا السلام والصلح بصفة مستمرة وحماية الأسطول كما أنها أيضـاً سوف تسمح للأسطول الروسي بالعبور من مضيقها إلى البحر المتوسط وعند وصول أساطيل دولة روسيا والدولة العلية إلى البحر المتوسط فإنهم سوف يقوموا بالتعاون معاً من أجل مواجهة العدو الفرنسي وإزالة كافة أهدافـه للإفساد بين الجانبين وسوف يتم عمل تحركات مشتركة ضد العدو وفى حالة التحرك المشترك لكل مـن ملـك انجلترا وفرنسا فإن الجانب الروسي والعثماني سوف يتحرك بقوة ضد هؤلاء الأعداء ولن يتم السـماح لسـفن انجلترا وفرنسا للإبحار في هذه المياه.

المادة الثانية:-

تعهد إمبراطور روسيا بحماية الأراضي والممالك العثمانية في وقت الحرب وأن روسيا سوف تقوم بإرسال أسطولها إلى الدولة العلية العثمانية الكائن في البحر الأسود من أجل مواجهة العدو بصورة مشتركة وبعد انعقـاد الصلح فإن هذا الأسطول سوف تصدر إليه الأوامر بالعودة إلى مواني روسيا الواقعة بالبحر الأسود ومن المتوقـع الحفاظ على الأمن والسلام حتى لا تعود أسباب الحرب مرة أخرى وفى حالة تعرض روسيا إلى الحرب فإن الدولة العلية سوف تقوم بإمدادها بالأسطول العثماني الكائن في البحر المتوسط والأسود وإذا كانت سفن روسيا تحتـاج

إلى أي مهمات وذخيرة وإلى سائر السفن الحربية فإن الدولة العلية لا تمانع في دخول وخروج مثل هذه السفن مياه البحر المتوسط ومياه البحر الأسود وسوف تكون هناك تيسيرات عثمانية كاملة وسوف تتم هذه الأمور من خلال السفير المفوض من روسيا والمقيم في الأستانة بصفة دائمة وسوف يتم مناقشة كل هذه الأمور في حينها بين مفاوض الدولة العلية وبين السفير الروسي وأثناء فترة هذه الحرب فإنه سوف يسمح للسفن الروسية بشحنها للتحرك ضد السفن الفرنسية ومن ثم فإن الدولة العلية وروسيا سوف يكون بينها تعاون ضد العدو المشترك.

المادة الثالثة:-

تعهد إمبراطور الروس بإعانة الدولة العلية إعانة تامة بدفع أي هجوم يتم بإزائها وهذا ما اشترطته المادة الثانية حيث أن مرور الأسطول من مضيق الأستانة وتحرك السفن الحربية بالبحر الأسود لن يتم إعاقته بأي صورة من الصور وسوف يكون هناك سماح تام وحرية تامة لهذه السفن للتحرك في المياه من أجل مهاجمة سفن الأعداء وهذا يعنى أن الدولة العثمانية وروسيا قد منحت سفنهم الحربية حرية تامة للتحرك في هذه المياه سواء بالبحر الأسود أو المتوسط دون أي عائق وكذلك فإن الجانبين العثماني والروسي سوف يمد بعضهم البعض بالمؤن الحربية لمحاربة العدو وهذه المعاهدة بين الدولة العلية وروسيا تعطى أساطيل الجانبين الحرية التامة للتحرك في مياههم.

المادة الرابعة:-

لقد اتفق الجانبين على حرية تحرك السفن في مياه البحر الأسود والسماح لهذه السفن الحربية بحمل الإمدادات والمؤن واتفقت الدولتين العظيمتين على هذا الأمر وتعهدت بشأنه ومن ثم فإنه لن يكون هناك أي مانع لتحرك القوات الحربية مهما كان عددها من الجانب الروسي والعكس.

المادة الخامسة :-

من الواضح أن الاتفاق القائم يعطى الأسطول البحري مزيد من الاستقلالية والحرية وذلك بموجب المادة رقم عشرة الواردة في المعاهدة السابقة التي تقضى بحرية تحرك الأسطول الروسي مهما كانت سفنه وقواته ولقد تم تسليم دفتر إلى الدولة العلية بشأن كافة السلع التي تحملها هذه السفن الروسية وفى الوقت نفسه فإن أسطول الأستانة سوف يتحرك بحرية أيضاً من حيث الدخول والخروج من هذه المضايق بعد إقرار أمر هذا الصلح وسوف يكون هناك دعم بشكل دوري في التعيينات والمؤن كما نصت عليه المادة وسوف تكون هذه المؤن في سلطة قائد الأسطول وبالنسبة لما تضمنه الدفتر السالف الذكر فإن هناك بدل قدره ألف ومائتي كيس أي ستمائة ألف قرش وهذا البدل النقدي يطلق عليه بدل التعيينات تحصل عليه الدولة العلية لضمان كافة الأضرار التي يمكن أن تتعرض لها وفى حالة احتياج السفن إلى بعض الترميمات أو إزالة الأضرار فإنه يتم تسليم هذا البدل النقدي إلى سفير دولة روسيا المقيم في الدولة السنية العثمانية.

المادة السادسة:-

لقد اتفق كل من السلطان العثماني ودولة روسيا على عقد نية الخير وإتمام عقد الصداقة بكافة السبل والوسائل وإمداد الإمبراطور الروسي بما يريده وكذلك إمداد الدولة العلية بما تريده من أجل حماية الطرفين من الأهداف الفرنسية ومن أجل منع فرنسا من التحرك ضد أي دولة من الدولتين وسوف يتم التصدي لهذا الخصم

العنيد وسوف تكون هناك إعانة من قبل الإمبراطور الروسي كما عزم الإمبراطور الروسي على إرسال عدد ثمانين ألف جندي دعماً للإمبراطورية العثمانية ضد فرنسا وبإمكان الدولة العلية استخدام هذه القوات في أي وقت لحماية بلادها من العدو الفرنسي كما أنه سوف يتم إرسال المؤن والذخيرة وكل الأدوات الحربية بموجب هذه المعاهدة.

المادة السابعة:-

إن الهدف الأساسي من هذه الحرب تمثل في حماية ممالك الدولة العلية العثمانية وحفظها ومن ثم فإنه سوف يتم دعم القوات العسكرية بكل المواد الناقصة والإمدادات اللازمة للنجاح في هذا الأمر ولقد تكرر الصلح بين الجانب الروسي والعثماني بناء على هذا الهدف وتعهدت الدولتين العظيمتين على الحصول على دعم بري وعسكري وبحري.ولن يتم إيقاف القوات البرية أو البحرية تحت أي ظرف من الظروف وفى أي يوم من الأيام هذا ما تعهدت عليه دولة روسيا في الأساس وإذا قامت مجموعة من رعايا دولة روسيا بالفرار وهم من المسلمين فإنه يتم رفضهم أما إذا اعتنقوا الدين الإسلامي وهم من أصل روس فإنه يتم استخدامهم في الأسطول الروسي حتى نهاية هذا الصلح وهذا بموجب المادة الثامنة من معاهدة ياش.

المادة الثامنة:-

لقد تعاهد الجانبين على التحرك المشترك ضد أي عدو والاتفاق من أجل الحماية وهذا ما تم شرطه في المادة السابعة من الاتفاق وسوف يتم الاهتمام بمفهوم هذه المادة المذكورة بشأن الحرب دون تغيير وبصورة كاملة

المادة التاسعة:-

لقد تعهد الإمبراطور الروسي صراحة وعلانية بإثبات علاقاته الحميمة والودودة بالدولة العلية العثمانية مثلما تعهد السلطان العثماني بالأمر ذاته وسوف يتحرك الإمبراطور الروسي بموجب إنهاء الحرب وإعادة الصلح مرة أخرى ولن يتم السماح بالأضرار بممالك الدولة العلية وسوف يتم ضمان أي ضرر تتعرض إليه هذه الممالك ولقد أعلن السلطان العثماني صداقاته لروسيا ولإمبراطور دولة روسيا علانية وبصراحة.

المادة العاشرة:-

لقد تقرر توطيد أوامر العلاقات بين الدولتين وإذا صادفت السفن الحربية لأساطيل الجانبين بعضها البعض فإنها تقوم بالتسليم على بعضها البعض وذلك من خلال إطلاق المدافع وسوف يتم عمل مراسلات بين الجانبين حتى لا تكون هناك صدفة في تحركات السفن وحتى يتم تنظيم تحركات السفن العثمانية والروسية على حد سواء.

المادة الحادية عشر:-

أثناء هذه المعاهدة وهذا الاتفاق فإنه إذا تعرضت أي دولة من الدولتين إلى أي حرب فإنه على الجانب الآخر مساعدة الجانب الذي يخوض الحرب براً أو بحراً بكافة أدوات الحرب وتسهيل كافة الإمدادات وسداد مائة وخمسين قرش عن كل فارس ومشاه وبناء على ذلك فإنه سوف يتم تعيين ألفي من الفرسان واثني عشر ألفاً من المشاة على سبيل الإمدادات وقيمة الأموال التي يتم سدادها بشأنهم ثلاثة آلاف كيس على سبيل المساعدات الحربية فإذا تم ذلك فإنه لا يجوز عدم مساعدة الدولة المتضررة أو التي تخوض الحرب.

المادة الثانية عشر:-

يشترط بذل الجهود بصورة مشتركة بين الجانبين العثماني والروسي ضد حرب العدو المشترك فرنسا.

المادة الثالثة عشر:-

عند حدوث تعدى على أي حقوق فإن السلطان العثماني وإمبراطور روسيا سوف يقومان بالتحرك من أجل إقرار السلام وحماية الاستقرار بين رعايا الجانبين على أساس المعاهدة المذكورة وسوف يتم التحرك بموجب البنود الواردة في هذا الاتفاق بند بند ولفظ لفظ وكلمة كلمة وفى النهاية فإنه بعد تصديق الطرفين على هذه المعاهدة وختمها واعتمادها فإنه سوف يتم العمل بموجب الثلاثة عشر بند المذكورين في هذه المعاهدة ولقد عزم السلطان العثماني النية وأخلصها لله سبحانه وتعالى للتمسك بهذه المعاهدة إلى الأبد وفوض وكلائه للتوقيع على هذه المعاهدة وختمها بختمه وتبادل هذه المعاهدة مع السفير المفوض من قبل دولة روسيا وسوف يتم العمل من أجل العناية لكافة الرعايا ولذلك فقد تم إقرار هذه المعاهدة بين الجانبين تحريراً في اليوم ٢٦ من شهر رجب عام ١٢١٣هـ صاحب العز والشرف في بلدة القسطنطينية المحروسة.

كما أضيف شرط في ذيل المعاهدة خاص بعساكر وجيوش روسيا البرية والذي جاء على النحو التالي:

طبقاً للمواد السابقة الذكر في الاتفاق المبرم بين الجانب الروسي والعثماني فإن السلطان العثماني سوف يحصل على تعيينات من قبل جيوش روسيا البرية وسوف تقوم هذه القوات الروسية بعبور هذا النهر من الناحية اليمنى وبعد حدوث مناقشات بين وكلاء الدولة العلية وبين سفير دولة روسيا المقيم في باب السعادة فقد تم تنظيم المادة رقم (٥) وبناء عليه فإنه بعد المناقشات والمفاوضات التي جرت بين وكلاء الدولة العلية وبين سفير الإمبراطور الروسي فقد تقرر إعانة الدولة العثمانية من قبل روسيا بالقوات التي تريدها وحماية العلاقات القوية الوطيدة بين الدولتين وبذل الجهود الخاصة من أجل تقوية أواصر المودة التي مازالت موجودة بين الجانب الروسي والعثماني والعمل على تبادل اعتماد هذا الاتفاق شريطة توخي الدقة في تنفيذ كافة بنوده بند بند حررت في اليوم ٢٦ من شهر رجب الموافق عام ١٢١٣ هـ من هجرة صاحب العزة في بلدة القسطنطينية المحروسة .

وبالنظر إلى بنود معاهدة الدفاع المشترك بين العثمانيين والروس فإنها تتكون من شقين الشق الأول علني ويحتوي على أربع عشرة مادة، والشق الثاني هو ما كان سراً واحتوى على ثلاث عشر مادة.وبالوقوف على مواد الشق الأول العلني من المعاهدة فقد احتوت على ما يلي:

أكدت المادة الأولى على أهمية إقرار الصلح والسلام بين الجانبين في جميع الممالك الخاصة بكل طرف في البر والبحر. وأن يعم السلام كافة رعايا الجانبين،وتحقيقاً لذلك فقد تعهد السلطان العثماني والإمبراطور الروسي على اتخاذ كافة الوسائل الكفيلة بإرساء دعائم السلام والمودة بين البلدين بصورة مستمرة ودائمة.كما أكدت المادة نفسها على معاداة

الأعداء وأن أي عدو لأحد الجانبين يعتبر عدواً للطرف الآخر، وكذا مصاحبة الأصحاب، وهذه من الخطورة بمكان، فقد أطلق لفظ (معاداة الأعداء ومصاحبة الأصحاب) ولم تقيد بصيغة معينة حول آلية تنفيذها، ومن جهة أخرى، وعلى المستوى الدولي، فقد أصبح لروسيا كلمتها، وكنتيجة طبيعية لذلك فسوف تكون الدولة العثمانية تدور في فلك السياسة الروسية التي قد يسبب لها الكثير من المشاكلات التي كانت في غنى عنها .

بينما ذهبت المادة الثانية على التأكيد على مواد معاهدة ياش بين الجانبين، وهذه المادة تصب في مصلحة روسيا، فكما تم تبيانه من قبل، فإن معاهدة ياش بالإجمال كانت لمصلحة روسيا، وبالتالي فقد أرادت روسيا التأكيد على تنفيذها، ومن جهة أخرى فإن إيراد هذه المادة يبين فرض روسيا لكلمتها في هذه المعاهدة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تمكُّن الأقوى ممن هو دونه. وفي سبيل دفع عملية السلام وإرساء الصلح بين البلدين فقد تناولت المادة الثالثة والرابعة والخامسة كل ما من شأنه دفع عملية السلام، فقد ضمنت تلك المواد في طياها حماية كافة رعايا الجانبين،حيث تعهد كل من السلطان العثماني وإمبراطور روسيا بتحمل كافة الأضرار التي قد يتسبب بها رعايا أحدهما ضد الآخر،وكل ذلك منهما للحيلولة دون إخفاق عملية السلام المبرمة بينهما.ولاستمرارية عملية السلام بين الجانبين فقد ألقت تلك بمسئولية ذلك على وكلاء الدولتين للقيام بما فيه صالح البلدين من الصفاء والود المنشود من خلال هذه المعاهدة وبذل كافة الجهود المفضية للسلام،كما أشارت تلك المواد إلى أنه سوف يكون بين الطرفين دعم مادي ومعنوي متبادل من أجل العمل المشترك بينهما لدفع عملية السلام، وإن كان مما سبق من المواد أمنية لإقرار السلام بين البلدين، ذكرت في ثلاث مواد، مع أن الأولى أن تذكر في مادة واحدة، ولكن الملاحظ أن ذكرها بهذا الإسهاب إنما للأهمية حول استمرار السلام المبرم بين البلدين الذي كانت روسيا هي المستفيدة منه في تنفيذ الدولة العثمانية للمعاهدات المهيئة التي تمت معها.

وبالنسبة للمادة السادسة فقد تضمنت ثلاثة أمور على النحو التالي:

أ- إذا نعرض أحد أطراف هذه المعاهدة لهجوم فإنه سوف يلقى من الطرف الآخر إمدادات نقدية ومادية عبر البر والبحر.وقد يكون هذا النص من الخطورة بمكان؛ فإن

الدولة العثمانية في كانت في العمر الأخير من حياتها وكانت ملتزمة جانب الحياد في السياسة الدولة ومتخذة وضعية الدفاع أكثر منه في الهجوم، بينما كانت روسيا في عنفوان شبابها ولديها من الخطط التوسعية الشيء الكثير وكانت تريد فرض سيطرتها على القارة الأوروبية وعلو كلمتها في السياسة الدولية، ولا يتسنى ذلك إلا من خلال العديد من الحروب التي سوف تخوضها روسيا، وقد تتعرض للهجوم إزاء سياستها تلك، وبالتالي فقد يكون هذا البند لصالح روسيا أكثر منه في الدولة العثمانية.

ب- إمداد أي من الطرفين للأخر بالأسطول البحري في حالة تعرض أحدهما لهجوم خارجي، وهذا أيضاً لم يكن في صالح الدولة العثمانية فإن التعاون بين الأسطولين البحريين للدولتين معناه فتح جميع المجاري والمضائق العثمانية في وجه البحرية الروسية أو حتى إنشاء قواعد عسكرية روسية في الأراضي العثمانية .

ت- إيقاف المواجهات بين الجانبين كبادرة منهما لإتمام عملية السلام؛ لأن إتمام السلام بين الدولتين يصب في مصلحة روسيا وحدها وما على الدولة العثمانية إلا تنفيذه من نصوص المعاهدات المهيئة بينها وبين روسيا .

أما المادة السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة والحادية عشرة فقد تحدثت جميعها على ضرورة التعاون العسكري المشترك بين الدولتين، واتخاذ كافة التدابير الحربية التي من شأنها اتحاد الطرفين جنباً إلى جنب في مواجهة الأعداء،كما أشارت تلك المواد إلى ضرورة إعانة الطرفين بعضهما لبعض بكافة الجنود والقواد والمدافع والذخيرة وكافة لوازم الحرب لمساعدة الطرف المعتدى عليه.ولم يكن ما سبق قاصراً على الجوانب البرية فقط، بل لقد امتد ذلك التعاون العسكري ليشمل أساطيل الجانبين البحرية في نقل المؤن وكافة ما يحتاج إليه الطرف المعتدى عليه دون تأخير،كما أشارت تلك المواد إلى السماح للجانبين باستخدام بعضهما موانئ بعض دون محاذير في حالة الحرب.كما نوهت تلك المواد على ضرورة اتخاذ كافة التسهيلات وعدم عرقلة وصول القوات والأدوات الحربية وكافة الأمتعة والسلع الخاصة بأساليب الحرب للجيش الذي يحارب العدو . ومعنى ذلك هو فتح الدولة العثمانية للمعابر الحدودية البرية، وكذلك البحري منها من موانئها ومضايقها في وجه القوات الروسية والذي قد يكلف الدولة العثمانية أمام الدول المتحاربة مع روسيا.

وحول المواد الثانية عشرة والثالثة عشرة والرابعة عشرة فقد أقر من خلالها السلطان العثماني والإمبراطور الروسي على دعم كل ما من شأنه إقرار السلام والأمن بين البلدين، وعدم تعدي أحدهما على الآخر، وتعيين لجان مشتركة لرسم الحدود بين البلدين. كما أشارت تلك المواد إلى تعاون البلدين في صد أي عدوان قد ينجم من قبل النمسا أو إنجلترا أو بروسيا، بالإضافة إلى أنه قد تم تحديد فترة تلك المعاهدة بثماني سنوات قابلة للتجديد، على أنه ومما يحسب حسابه هو إعلان الدولة العثمانية رسمياً وقوفها إلى جانب روسيا ضد النمسا وإنجلترا وبروسيا، وبذلك تكون الدولة العثمانية قد أدخلت نفسها في مواجهات أوروبية قد تجرها إليها روسيا لا ناقة لها فيها ولا جمل .

هذا ما يخص المواد المعلنة من المعاهدة، وإذا ما انتقلنا إلى المواد السرية للوقوع على حيثياتها فقد جاءت على النحو التالي:

جاءت المادة الأولى مؤكدةً على مبدأ الصلح والسلام المبرم بين البلدين في تعهد الطرفين، السلطان العثماني والإمبراطور الروسي، على بذل الجهود المفضية إلى السلام بينهما. كما تعهد الإمبراطور الروسي على التصدي لأي هجوم قد تقوم به فرنسا تجاه الدولة العثمانية والدفاع عنها، وفي مقابل ذلك فإن على العثمانيين دعم الروس بالأسطول العثماني، وكذلك إطلاق يد روسيا في حرية الحركة في البحار والمضايق الحدودية بين البلدين، وسوف تكون الحرية هذه أيضاً للعثمانيين من قبل إلى الروس. وهذا تفوق واضح لصالح القوة الروسية في التجاء الدولة العثمانية إلى الروس في الدفاع عنهم وهو يدل من جهة أخرى ما وصلت إليه الدولة العثمانية من ضعف واضح .

بينما ذهبت المادة الثانية والثالثة والرابعة إلى تعهد الإمبراطور الروسي بحماية كافة أراضي وممالك الدولة العثمانية ودفع كافة الأضرار عنها. وإنما كان ذلك بمثابة وصاية روسية على الدولة العثمانية، وهو يدل دلالة واضحة على ما وصلت إليه الأخيرة من ضعف وتدهور. كما تعرضت تلك المواد إلى التعاون المشترك بين أسطولي الدولتين وإمداد العثمانيين للأسطول الروسي بكل ما يحتاج إليه. بالإضافة إلى انفتاح جميع المضايق العثمانية في وجه البحرية الروسية مع تعاون العثمانيين وتيسيرهم لحركة البحرية الروسية. وفي

مقابـــل تلك التسهيلات العثمانية للروس من فتح المضـــايق والمـــوانئ، وتقـــديم العـــــون والمساعدة، وإصلاح وترميم السفن الروسية فإن روســـيا سوف تقوم بدفع ما قدره ســـتمائة ألف قرش إلى العثمانيين.

وفي المادة السادسة تعهدت كلاً من الدولة العثمانية وروسيا بالعمل سوياً في صد الخطر الفرنسي بكافة الوسائل والسبل المفضية إلى ذلك،كما تعهدت روسيا بدعم الدولة العثمانيـــة بقدر ثمانين ألف جندي روسي للمشاركة في حماية الدولة العثمانية من الخطر الفرنسي.وهذا في حد ذاته يظهر مدى قوة روسيا ومدى ما بلغته الدولة العثمانية من ضعف واضح.

وحول المادة السابعة فقد أوضحت المقصود من عقد هذه المعاهدة، وهو الدفاع عـــن الدولة العثمانية والذود عنها من قبل روسيا ضد الخطر الفرنسي في ضوء إمداد روسيا لها بما تحتاج إليه من العسكرية الروسية في سبيل حمايتها.وإقرار مثل هذه المادة دليل واضح على ما بلغته الدولة العثمانية من الضعف والانهزامية، كما يؤكد ضعفهم ذاك قبولهم لما يفرضه الروس من شروط، ومن ذلك ما تضمنته هذه المادة من رد العثمانيين لرعايا روسيا من المســـلمين إلى الروس في حالة فرارهم والتجائهم إلى ممالك الدولة العثمانية.وبذلك أسقطت الدولة العثمانية حقها كوريث للخلافة الإسلامية في الذود عن المسلمين وحمايتهم.كما تضمنت المادة أن مـــن دان بالإسلام وهو من أصل روسي سيتم استخدامه في البحرية الروسية لحين انتهاء الحرب.

وتدل المادة التاسعة على ما بلغه العثمانيين من الضعف والهوان حيث تعهد الإمبراطـــور الروسي من خلالها بحماية كافة الممالك العثمانية وعدم السماح للإضرار بها. بينمـــا اكتفـــت هذه المادة بإعلان السلطان العثماني صداقته للإمبراطور الروسي كعربون شكر وتقدير لتفضل الأخير بحمايته للدولة العثمانية.

بينما تنص المادة العاشرة على لوائح تنظيمية من قبل الأسطولين العثمـــاني والروســـي لتنظيم العمل المشترك بينهما وتنسيق تحركاتهما بعضهما مع بعض.

وحول المادة الحادية عشرة فإنها تقرر في طياتها سرعة التحرك لمساعدة الدولتين بعضهما لبعض في حالة تعرضت إحداهما للحرب لحين الانتهاء من اعتماد التصديق على هذه الوثيقة. ومعنى هذا أن ما تحمله هذه المعاهدة من مواد أصبح في حيز التنفيذ قبل إتمام التصديق عليها

من الجانبين العثماني والروسي.كما أقرت هذا المادة مبلغ(١٥٠) قرش لكل جندي على الدولة المحتاجة إلى الجنود.ومعنى ذلك أن الدولة العثمانية هي التي سوف تقوم بسداد روسيا لأنها محتاجة إلى مساعدة الجنود الروس، وبالتالي فإن هذه المادة سوف ترهق الخزينة السلطانية وسوف تجز بها في مصيدة الديون لصالح روسيا.

وتدور المادة الثانية عشرة على التركيز على فرنسا واعتبارها العدو المشترك لكلا الجانبين، وضرورة بذل الجهود المشتركة لمواجهة ذلك الخطر الفرنسي.

وتبين المادة الثالثة عشرة اهتمام حكام الدولتين لإتمام هذه المعاهدة وتنفيذ بنودها حرفياً والسعي لإقرار السلام بينهما.

وقد ذيلت المعاهدة بضرورة تحرك روسيا لإمداد الدولة العثمانية بما تحتاج إليه من العتاد والعدة لحمايتها، ومواجهة الخطر الفرنسي، ولدعم استقرار الممالك العثمانية من أي خطر قد تتعرض له.

وبالإجمال فإن هذه المعاهدة، بما اشتملت عليه من بنود معلنة وسرية، لتبين علو كعب روسيا، ومدى قوتها، وفرض كلمتها. بينما تحمل في وجهها الآخر مدى ما وصلت إليه الدولة العثمانية من الضعف في حين تتقاذفها رياح المصالح السياسية الأوربية مولية بوجهها أنى شاءت.كما أن هذه المعاهدة دليل واضح على فقد العثمانيين لهيبتهم الدولية، ونزول مرتبتهم العالمية، وتزعزع مكانتهم الحربية.بالإضافة إلى أن هذه المعاهدة قد أعطت الروس رسمياً حق العبور من المضايق العثمانية بحرية تامة، وهذه هي المرة الأولى في التاريخ التي يقر فيها العثمانيون رسمياً بمنح روسيا ذلك العبور لمضايقهم[1].

---

(1) Yasar Yücel, Ali Svim: Türkiye Tarihi, IV, P 138 .

المبحث الرابع : معاهدة تجديد التحالف الدفاعي عام ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م .

رأينا فيما سبق كيف أن روسيا استفادت من الظروف الدولية القائمة من جراء احتلال فرنسا لمصر، وكيف استغلت روسيا ذلك الموقف في الدخول مع الدولة العثمانية في معاهدة دفاع مشترك بين الدولتين، خصوصاً وأن ما جعل الدولة العثمانية تقوم بتلك الخطوة هو ما وصلت إليه من الضعف العسكري تبعاً لنظيراتها من الدولة الأوربية، ومعرفتها التامة بعدم التمكن وحدها من تحرير مصر من الاحتلال الفرنسي والذي اضطرها إلى وضع يدها في يد روسيا. ونظراً لتلك الأحوال الداخلية والخارجية التي أحاطت بالدولة العثمانية فقد قبلت كثيراً من الشروط الروسية في تلك المعاهدة التي جعلت من روسيا وصية على الدولة العثمانية ومسئولة عن حمايتها والدفاع عنها، كما لو إنها كانت كإحدى مقاطعاتها كما استخلصت ومن تلك المعاهدة اعتراف الدولة العثمانية رسمياً بانفتاح جميع البحار والمضايق العثمانية في وجه البحرية الروسية، وبذا تخلصت روسيا من أكبر معوقاتها التوسعية.وبناء على المكاسب التي حصلت عليها روسيا من جراء معاهدة الدفاع المشترك فقد سعت لدى الدولة العثمانية لتجديد تلك المعاهدة وقد نجحت في ذلك التجديد عام ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م، حيث تم الاجتماع في القسطنطينية بين مندوبي الدولة العثمانية قاضي عسكر روملي " سيد إبراهيم عصمت" ورئيس الكتاب " أحمد واصف" ممثلين عن الدولة العثمانية لديهما الصلاحيات الكاملة لإجراء مراسم تجديد التحالف الدفاعي مع روسيا، بينما مثل روسيا في تلك المباحثات سفيرها لدى الدولة العثمانية السيد "شاملان"[١]. وقد أتت معاهدة التجديد تلك لتحمل في طياتها بنوداً عامة (معلنة) وبنوداً خاصة (سرية) ولكلاً منهما شروطه على النحو التالي [٢]:

---

(١) الأرشيف العثماني A.DVNS.NMH.D.00010 .

(2) Hurwitz , I bid , PP 73-76 .

بنود المعاهدة العامة

البند الأول:-

نتيجة للسلام والود الموجودين بين السلطان العثماني والإمبراطور الروسي وأيضاً بين الشعبين ومن يمثلونهما، ولدعم العلاقات الجيدة وتوافر الأمن والرخاء يجب تطبيق معاهدة الولاء والدفاع المشترك عن المضايق بين الدولتين، لذلك فإن صديق إحدى الدولتين يعتبر صديقاً للأخرى، وعلى العكس فإن عدو إحدى الدولتين يعتبر عدواً للأخرى، ويعتبر السلطان العثماني والإمبراطور الروسي مسئولين عن تطبيق بنود هذه المعاهدة، فجناب السلطان وجلالة الإمبراطور الروسي يجب أن يعملا على حل جميع القضايا التي تتعلق بالسلام والأمن بين الجانبين ومن الضروري القضاء على أي عدوان تتعرض له أي دولة من الطرفين لكي تعمل على استعادة السلام العام.

البند الثاني:-

إذا حاولت أي قوة معادية التعرض لإحدى الأطراف الموالية فلابد أن يعمل على منعها، وإذا فشلت المحاولات السلمية في دعم الاستقرار ومنع التمرد داخل الدولة فيجب شن هجوم ضد هذه القوة المعادية، ويجب على القوة المحالفة تقديم المساعدة لقوات البر وقوات البحر، وإذا فشلت إحدى القوتين في تقديم المساعدة بسبب موقعها الجغرافي أو البعد المكاني فيجب في هذه الحالة أن تقدم لحليفتها المساعدة المالية التي يتم إرسالها لتجهيز الجيش ويجب الأخذ في الاعتبار تعداد القوات البحرية وعدد السفن الحربية التي توضع في خدمة القوات المتحالفة، التي يجب ألا تقل عن ستة سفن مجهزة ،مع الأخذ في الاعتبار القوات البرية التي يجب أن تتكون من عدد لا يقل عن عشرة آلاف جندي، وعن ألفى من جنود المدفعية، ولكن كلاً من القوات البرية والبحرية يجب أن لا تزيد إلا بعد المعرفة المسبقة لسبب زيادتها.

البند الثالث:-

إن الاختيار بين المساعدة العسكرية أو المالية يخضع للقوة المهاجمة فإذا كانت القوة المهاجمة تتطلب مساعدة في شكل قوات عسكرية أو سفن حربية يجب أن يتم تزويد القوة المحالفة بسرعة في مدة لا تزيد عن ثلاثة أشهر من تاريخ طلب المساعدة كحد أقصى، وإذا كانت المساعدة المالية هي المطلوبة فيجب الإمداد لها منذ وقت إعلان الحرب.

البند الرابع:-

إن التجهيزات العسكرية ولوازم الحرب والمؤن يجب أن تكون على نفقة الدولة المحاربة، فمثلاً القمح والشعير والتبن، يجب أن يتم التزويد بأي نوعاً منها عند طلبها من القوة المحالفة بنفس النسبة والجودة التي قد قدمت إليها أو إلى جيشها في وقت الحرب، وذلك من يوم أن تغادر القوات حدود دولتها، ولكي نتجنب أي خطأ أو تأخير في عملية الاتصال فإن الطرق التي تتبعها هذه القوات يجب أن يتقدمها طلب المساعدة المسبقة، ومن جانب الدولة التي تطلب المساعدة عليها أن تمد القوات التي تخص حليفتها بنفس التسهيلات والتجهيزات والمؤن التي كانت تتمتع بها في دولتها ويجب التأكيد على هذه النقطة.

البند الخامس:-

إن الدولة التي تطلب المساعدة من حليفتها في شكل قوات بحرية يجب أن تكون مسئولة عن تزويد هذه القوات وتدعيمها بالحاجات الأساسية من يوم وصولها إلى المياه التي تقوم عليها المعركة، وطول المدة التي تخدم فيها ضد العدو المشترك، وأن تكون خاضعة للظروف التي يتعرض لها كلا الجانبين، وفي حالة عدم قدرتها على إمدادها بما تحتاج إليه من أي نوع يجب دفع مبالغ مالية يتم الموافقة عليها لصالح القطع البحرية وعندما تحتاج القطع البحرية المكون منها الأسطول إلى إصلاحات فإن الدولة التي تطلب المساعدة يجب أن تتحمل كافة هذه الإصلاحات وتقديم المبالغ المناسبة بدون أي تأخير وبدون تقديم أي صعوبات، بالإضافة إلى أن هذه القطع البحرية المكون منها الأسطول يجب أن تتلقى نفس المعاملة عند الدولة المحالفة أثناء عملية النقل داخل الحرب وأن تكون في خدمة كلا القوتين المتحالفتين ولها الحق في الدخول إلى المواني الخاصة لكلا الجانبين أثناء الشتاء أو أثناء عملية الإصلاح.

البند السادس:-

إذا كانت الدولة المهاجمة غير مهاجمة بقواتها الخاصة أو مع مساعدة القوات البرية والبحرية التي تدعمها بها القوة المحالفة فإن البند الثاني من هذه المعاهدة يتضمن على حليفتها إعلان الحرب المفتوحة واستخدام جميع القوى المتاحة حتى التوصل في النهاية إلى السلام وتكون المشاركة هنا براً وبحراً حسب موقعها الجغرافي، ولكن المسافة الكبيرة التي تفصل كلا الدولتين تجعل من المستحيل لأحد الحلفاء أن يشارك مباشرة في الحرب بجميع قواته وإذا كانت الدولة المهاجمة تبدى رغبتها في المساعدة براً أو بحراً فإن كلا الدولتين يجب أن يتوصلا إلى اتفاق لتقديم المساعدة والدعم اللازم حسب الظروف المتاحة.

البند السابع:-

إن كلا من الطرفين المتحالفين يجب أن يقدما الولاء لبعضها سواء في العلاقات السياسية أو العسكرية في جميع الظروف التي تتطلب الفعل السريع واستخدام جميع القوات المتاحة أو التزويد والإمداد للقوات وهذا ما تم الاتفاق عليه في هذه المعاهدة ويجب أيضاً أن يجتمع الطرفين في وقت السلم ويجب على كلا الطرفين بأن لا يعقد السلام أو الحرب مع أي طرفاً آخر إلا بعد موافقة حليفه من أجل تدعيم أمن كلا الدولتين.

البند الثامن:-

إن كلا الدولتين المتحالفتين يجب أن يوافقا على الراية التي ترفعها السفن الحربية أو ناقلات الجنود أثناء الحرب وعلى القيادة لهذه السفن، إذا كان القادة من كلا الطرفين بنفس الرتبة فيجب أن لا يتبادلا التحية أو إحدى الطرفين يستقبل التحية وسوف يرد عليها بإطلاق النار من البنادق بنفس العدد، وعند اللقاء يجب أن تُعزف التحية المناسبة لكلا الطرفين من أجل تجنب الأخطاء أو سوء الفهم.

البند التاسع:-

إن الأسلحة والمؤن التي تستولي عليها قوات أحد الجانبين من العدو أثناء الحرب هي أحق بها وتكون من نصيبها.

البند العاشر:-

بينما لكلا الطرفين المتعاقدين الحق في التفاوض كما هو الحال في الماضي فإن المعاهدات مع القوات الأخرى التي لها قيمة يجب أن لا يتم الاتفاق عليها نهائياً إلا بعد قبول الدولة المحالفة بما لا يتعارض مع امتيازاتها التجارية أو يؤذى اهتمامات أو مصالح شعبها أو رعاياها في الدولة الأخرى وعلى العكس فإن كلا الطرفين المتعاقدين يجب أن يدافعا قدر الإمكان عن مثل هذه الاهتمامات لرفعة وأمان الطرف الآخر المتحالف.

البند الحادي عشر:-

حيث أن جناب السلطان العثماني والإمبراطور الروسي قد توصلا إلى هذه المعاهدة الحالية في الدفاع المشترك والولاء وعدم البحث عن توسيع مستعمراتهما ولكن عن التكامل بين دولتيهما فإن الأمان لرعايا كلا الدوليتين والتوازن في الحاجات الضرورية لكل دولة يجب أن يتساوى، وحيث أنهما يرغبان في الحفاظ على الأمن وإبعاد الخطر عن دولتيهما فقد تمت دعوة شريك ثالث لهذا التحالف وهو ملك انجلترا وهو من القوى التي سعت لدخول هذا التحالف.

البند الثاني عشر:-

لقد تم توقيع اتفاقية السلام في جاسى في ١٧٩٢م وتم إضافة بنود لهذه المعاهدة فيما يخص الجزر الأيونية، ووقعت المعاهدة في ٢١ مارس ١٨٠٠م باستثناء العبارات التي تم تعديلها ببنود المعاهدة الحالية.

البند الثالث عشر:

من أجل تدعيم الولاء فإن الدولتين المتحالفتين يضمنان تعاون جميع المقاطعات التي تحت أيديهم.

البند الرابع عشر:

على كلا الطرفين المتحالفين أن يحترما بنود هذه المعاهدة من حيث الولاء والدفاع المشترك، وحيث أن التغيرات في الزمن والظروف تتطلب تعديل بعض العبارات، فتم إقرار هذه المعاهدة لمدة تسعة أعوام على تاريخ هذه التعديلات، وعند انتهاء هذه المدة يتم تجديدها تبعاً للمفاوضات الودية بين الدولتين.

ثانيا : البنود السرية للمعاهدة

البند الأول:

يجب الأخذ في الاعتبار شئون الدول في أوروبا وسياسة فرنسا وتحركاتها العسكرية من أجل توسيع ممتلكاتها، فيجب العمل على إبعادها عن المقاطعات التي تخص الدولتين، وصد هجماتها الأخيرة على الإمبراطورية العثمانية، فيجب على جلالة السلطان العثماني وعظمة إمبراطور الروس الذين تجمعهما علاقات المودة المخلصة التي قادتها إلى توقيع معاهدة الولاء والدفاع المشترك التي تم تجديدها مؤخراً أن يقيما مفاوضات حرة تخص القضايا الهامة التي ذكرت عاليه.

وخلاصة معاهدة الولاء والدفاع المشترك بين العديد من القوى العظمى في أوروبا تنوى أن تقاوم المخطط الفرنسي، والمعاهدة التي تدخل فيها الإمبراطورية الروسية توجب على جلالة السلطان العثماني أن يتعاون

فيما يخص هذه البنود كما هو الحال في معاهدة أغسطس، على الأقل يجب على الحكومة العثمانية أن تقدم القوات المساعدة المذكورة في البند الثاني من معاهدة الدفاع المشترك مما يجعل من الممكن استمرار الحرب، وتسهيل حركة السفن الحربية وناقلات الجنود عبر مياه القسطنطينية، فمن الممكن أن تضطر روسيا إلى حرب بحرية فقط.

البند الثاني:

جلالة إمبراطور روسيا ينوى دعوة حكومات كلاً من النمسا وبروسيا والسويد والدنمرك وأيضاً باقي الدول الأخرى للدخول في معاهدة تحالف، دخلت فيها دولته مع انجلترا، وتوحيد القوات التي ذكرت سالفاً من أجل زيادة الضغوط على فرنسا للحصول على موافقتها في تأسيس نظام أوروبي مناسب يضمن الأمن داخل أوروبا ويحفظ السلام ويحترم مبادئ القانون الدولي وجلالة السلطان العثماني من جانبه سوف يتعاون من أجل تحقيق هذا الهدف.

وعظمة الإمبراطور الروسي سوف يفتتح المفاوضات بهذا الشأن مع القوى المذكورة، وحكومة عظمة السلطان العثماني سوف توليه كامل الثقة بخصوص ترتيبات هذا الغرض.

البند الثالث:

تعلن حكومة جلالة السلطان العثماني عن نيته المؤكدة في نشر السلام والرخاء لسكان ألبانيا، الذين انفصلوا سابقاً عن حكومة جمهورية فينا، واتحدوا مع تركيا، وأيضاً المؤن التي تم ضمانها لهم، ويتم تنفيذ بنود المعاهدة الخاصة بهذا الشأن، ولا يجوز لأي قائد أو حاكم ولاية الخروج على البنود السابقة، ولا فرض أي ضرائب على الشعب الذي ما زال يتمتع بنفس المؤن السابقة تحت الحكم الفيني، لذلك فإن بنود معاهدة ٢١ مارس ١٨٠٠م على الجزر الأيونية قد تم نقلها كلمة بكلمة في هذه المعاهدة الحالية. ولقد أحتفظ الوزير الروسي في القسطنطينية بحق مراجعة هذه البنود إذا تم نقضها، وفى هذه الحالة فإن الحكومة الإمبراطورية العثمانية سوف تجتمع لتتخذ الإجراءات المناسبة.

البند الرابع:

طبقاً للبند الأول فإن المعاهدة التي تم توقيعها في ٢١ مارس سنة ١٨٠٠م بين الإمبراطورية العثمانية وروسيا، ولقد تعهد قيصر روسيا باسمه واسم خلفاءه من بعده سلامة الجزر الأيونية والدفاع عنها من كل اعتداء خارجي وأن يستمر الاحتلال الروسي لها طالما دعت الحاجة إلى ذلك، ووفقاً لعلاقات الصداقة المتبادلة بين الدولتين فيجب على الحكومة العثمانية تسهيل مرور القوات والسفن الحربية عبر المضايق من أجل خدمة وتمويل القوات الروسية التي تقوم بالاحتلال.

البند الخامس:

يجب على سكان الجزر الأيونية والرعايا العثمانيين أن يخدموا في مقاومة الهجمات الايطالية ضد الإمبراطورية العثمانية، فيجب أن تكون الحكومة في هذه الجزر قوية وتضمن الدفاع المناسب عنها كما تم تنظيم ذلك في معاهدة عام ١٨٠٠م، ويجب على الحكومة العثمانية تقوية حدود الدولة وإعادة التنمية الضرورية اللازمة لها.

البند السادس:

يوجد ضعف في القوات البحرية وأيضاً في إمدادات القوات البرية فيجب تعزيز من كلا الطرفين المتحالفين، ويجب حماية الرعايا الروس من المسلمين، وإذا وجد هناك أي من الروس دخلوا في الإسلام فيجب أن يظلوا في موقعهم سواء في الجيش أو البحرية حتى العودة بالقوات إلى روسيا ويجب أن يعاملوا وفقاً للمادة الثامنة من اتفاقية جاسي.

البند السابع:

اتفقت الدولتين المتحالفتين على اعتبار البحر الأسود بحراً مغلقاً لا يُسمح بأن تمر السفن الحربية للدول الأخرى عبر المضايق وتعتبر كل محاولة من جانب أي دولة أخرى لانتهاك هذا القرار عملاً عدائياً موجهاً للدولتين العثمانية والروسية، وعلى ذلك فهما يتعهدان باستخدام كل قواتهما البحرية في وجه كل سفينة حربية أو كل سفينة تحمل مواد حربية تحاول دخول البحر الأسود.

البند الثامن:

في حالة أن فرنسا تقدمت بقواتها قرب الدنمرك عبر مياه السند فإن المخرج الوحيد للتجارة الروسية من بحر البلطيق والممر الوحيد لقواتها البحرية في الشمال، أو في حالة وجود حرب بينها وبين روسيا فإن الحكومة العثمانية تتعهد بأن تنفذ اتفاقية الدفاع المشترك إما بأن تشارك معها في الحرب أو أن تعزز القوات كما جاء في المعاهدات.

البند التاسع:

إن تفاصيل المساعدة المالية التي تمت الموافقة عليها وفقاً للبند الثالث تم تحديدها كالأتي:

إجمالي المبالغ التي تدفع لجندي المشاة (مائة قرش)، ويدفع لرجل البحرية (مائة وخمسون قرشاً)، وإجمالي المبلغ يجب أن يدفع مقدماً عن طريق الدولة في حين طلب المساعدة من الشهر الأول لإعلان الحرب حتى الوصول في النهاية إلى السلام، وإذا دعت الحاجة إلى تطبيق البند الأول والبند الثامن من هذه المعاهدة السرية التي تم ذكرها سوف يتم دفع نفس المبلغ في الظروف المشابهة حتى يعود النظام كما كان.

البند العاشر:

البنود السرية السابقة يجب أن يتم إبعادها كلية عن القوى الأخرى، ولكن بعد اتفاق بين الطرفين المتحالفتين يجب أن يعلموا بها كل من يشترك في هذا التحالف.

وبالنظر إلى ما تحمله بنود هذه المعاهدة فسوف يكون الحديث على شقين على النحو التالي:

الشق الأول وهو ما يتعلق بالبنود العامة"المعلنة"من هذه المعاهدة،ويشير البند الأول منها إلى السلام والود القائم بين الدولتين والذي كان احد الركائز لهذه المعاهدة،ولينتقل بعد ذلك للحديث وبشكل مباشر عن حق الدفاع المشترك بين الدولتين عن المضايق.وهذه الصيغة تعطي مدلولاً واضحاً لأهمية تلك المضايق بالنسبة لروسيا،فهي أول أمر يتم الحديث عنه وإذا تمت

الموافقة على حق الدفاع المشترك عن المضايق بالنسبة للدولتين فما بعدها من وجهة نظر الروس يسير ويمكن بعد ذلك استكمال هذه المعاهدة.ومن ناحية أخرى فإن إيراد مثل هذه الصيغة هو إشراك من الدولة العثمانية وتنازل منها عن حماية تلك المضايق التابعة لها، ووضع روسيا موضع المؤتمن على مصالح الدولة العثمانية وهذا الإشراك من قبل العثمانيين للروس هو إثبات شيء من لا شيء،بالإضافة إلى أن حق الدفاع المشترك يضمن للروس تواجداً دائم ومستمراً في تلك المضايق، وهذا تهديد مباشر لأمن الدولة العثمانية واختراق صريح لخطوطها الحمراء.وهذه الصيغة تدل على ما وصلت إليه الدولة العثمانية من ضعف حتى تضع أملاكها موضع حماية من قبل الروس.وليستكمل البند حديثه ليقرر أن عدو إحدى الدولتين عدو للآخر وأن صديق إحدى الدولتين صديق للدولة الأخرى، كما يوجب هذا البند على جلالة السلطان العثماني والإمبراطور الروسي العمل سوياً لإقرار السلام بينهما، وتدعيم جهودهما لتنفيذ بنود هذه المعاهدة، وكذلك التعاون بين الطرفين للقضاء على أي عدوان قد يتعرض له أحد الجانبين.

وينتقل البند الثاني للحديث عن مساعدة الدولتين بعضهما لبعض في حالة تعرض أحدهما للاعتداء،وتكون تلك المساعدة بالمحاولات السلمية، وإعمال الدبلوماسية لفض النزاع مع الدولة المعتدية، وإذا لم تنجح المحاولات السلمية واضطرت إحدى الدولتين المتحالفتين إلى الحرب فيجب على الدولة الحلف الأخرى الوقوف إلى جانبها، إما عن طريق المساعدات المالية، أو المساندة البحرية، بواقع لا يقع عن ست سفن،أما ما يتعلق بالقوات الحربية فيجب ألا تقل تلك القوات عن عشرة آلاف جندي، وألفين من جنود المدفعية، على ألا يزيد عدد تلك القوات عن ذلك إلا بسبب واضح لتلك الزيادة.ومن خلال هذا البند فإن روسيا كان لها الكثير من الأطماع التوسعية التي لا يتسنى لها ذلك إلا من خلال الحروب وبالتالي فإن مثل هذا الوضع يوجب لها الأعداء الكثر،وبالتالي فإن روسيا لا تأمن على جانب الهجوم عليها، وعلى هذا النحو فسوف تضطر الدولة العثمانية إلى مساعدة روسيا مالياً؛ لأن روسيا لا تحتاج إلى الجنود العثمانية المتخلفة علمياً عما هي عليه الجيوش الروسية،وهذه المساعدات المالية قد

تزيد من إرهاق خزانة الدولة العثمانية،حيث إن هذه المساعدات المالية غير محددة، وهذا قمة الخبث السياسي الروسي وإدراك من الروس لما يحتاجون إليه من الدولة العثمانية.أما الجانب المضطر إلى مساعدة القوات فهو الجانب العثماني، هذا أيضاً سوف يكلف الأخيرة الكثير من النفقات لصالح روسيا، كما هو مقرر من خلال البند التاسع من البنود السرية.وبالتالي فإن هذا البند، جملة وتفصيلا، في غير صالح الجانب العثماني، بل يصب في مصلحة الجانب الروسي.

ويترك البند الثالث الباب أمام المساعدات المقدمة إلى الدولة المعتدى عليها من حليفتها على مصراعيه في الاختيار بين المساعدات المالية أو الحربية منها،فإذا كانت الأولى منها فإنها سوف تكون مباشرةً ودون تأخير فور إعلان الحرب،أما إذا كانت الثانية فسوف تكون في مدة أقصاها ثلاثة أشهر.وإذا أمعنا النظر في نصوص هذا البند لعلمنا أن روسيا كانت تعلم حاجتها إلى المال أكثر من الجنود العثمانية وبالتالي فقد اشترطت في هذا البند سرعة إرسال الأموال،بينما تعلم روسيا حاجة الدولة العثمانية إلى الجنود الروسية المعلمة أكثر من الأموال، وبالتالي فقد أتاح هذا البند ثلاثة أشهر لتجهيز تلك المساعدة وهو وقت كافٍ لتدرك فيه روسيا عدم تمكن القوات العثمانية المتخلفة من الصمود في وجه القوات الأوروبية آنذاك، وعلى هذا الأساس فتحرك القوات الروسية لم يعد منه فائدة تذكر،بينما يمكن للدبلوماسية أن تلعب دورها.وبناءً على ما سبق فإن هذا البند يصب في مصلحة روسيا،ويدل من جهة أخرى على عبقرية الدبلوماسية السياسية الروسية.

ويورد البند الرابع يتضح مدى تحمل الدولة الطالبة للمساعدة جميع النفقات والمؤن المقدمة للحليف المساعد لها، مع الحرص على جودة تلك المؤن،كما يجب على الدولة الطالبة للمساعدة توضيح الطرق والمسالك التي سوف تعبر منها قوات النجدة لسرعة الوصول ولسلامتها من الأخطار.

وفي البند الخامس بعض ما يجب توافره بالنسبة للقوات البحرية في حالة طلب مساعدتها،فينص هذا البند على أن الدولة الطالبة للمساعدة يقع على عاتقها تزويد قوات

النجدة البحرية بما تحتاج إليه من يوم وصولها إلى المياه التي تقوم عليها الحرب، وحتى انتهاء مهمتها الحربية بشكل كامل،وإذا لم يكن ذلك من استطاعة الدولة الطالبة للمساعدة من إمداد أسطول النجدة بما يحتاج إليه فعليها بدلاً من ذلك دفع مبالغ مالية.كما يشير هذا البند إلى ضرورة تقديم الدولة الطالبة للمساعدة يد المساعدة لأسطول النجدة من المساهمة في الإصلاحات، وكذا تحمل لكافة النفقات بالإضافة لفتح موانئها في وجه أسطول النجدة.

ويذهب البند السادس والثامن والتاسع إلى بعض التنظيمات الحربية التي يجب على الدولتين اتباعهما.بينما يركز البند السابع والعشر على ضرورة عدم إقدام أي من الدولتين المتحالفتين على إبرام سلام أو إعلان حرب دون موافقة الحليف الآخر.وقد يكون هذا من الخطورة بمكان؛ فقد تستغل روسيا ذلك لإطالة عمر الحرب أو لإنهائها بما يتوافق مع مصالحها.

ويعرج البند الحادي عشر على إشراك حليف ثالث في هذا الحلف وهو انكلترا.بينما يؤكد البند الثاني عشر على التأكيد على ما تم الاتفاق عليه بين الدولتين في معاهدة جاسي"ياش"،وكذلك التأكيد على البنود الخاصة بالجزر الأيونية.

وفي البند الثالث عشر تأكيد من قبل الدولتين على وجوب تعاون جميع المقاطعات التي تحت أيديهما فيما يدعم هذا التحالف.ومعنى ذلك أن الاحتلال الروسي للجزر الأيونية –كما في البند الرابع من البنود السرية- سوف يتعداه إلى تعاون بين روسيا وسكان تلك الجزر مما قد يؤدي إلى تقوية أواصل الترابط الروحي والديني لسكان تلك الجزر بروسيا وولائهم لروسيا والذي قد يؤدي بدوره إلى خلق مشكلات جمة للدولة العثمانية فيما بعد.ومن جهة أخرى فإن تدرج البند الثاني عشر، ومن بعده الثالث عشر، لهو خير دليل على عمق الدبلوماسية الروسية وبعد نظرها.

ولينهي البند الرابع عشر سلسلة البنود العامة"المعلنة"بتأكيد كلا المتحالفين على احترام البنود المقررة في هذه المعاهدة وإمكانية تعديل بعض الفقرات بناءً على مجريات الأحداث،وإقرار مدة هذه المعاهدة بتسع سنوات قابلة للتجديد بما تراه الدولتان.

وبالانتقال إلى الشق الآخر من المعاهدة وهي البنود السرية "غير المعلنة" فالبند الأول منها يشير إلى ضرورة التحرك من قبل الحليفين وفق ما تقتضيه السياسة الدولية بما يخدم مصالح البلدين.كما يخص هذا البند بالذكر فرنسا وتحركاتها العسكرية التي يجب على البلدين الحليفتين الوقوف صفاً في وجه تلك التحركات الفرنسية، وبالذات محاولات فرنسا لمهاجمة الدولة العثمانية. وهنا إظهار للجانب الأضعف والمعرض للهجوم من قبل فرنسا ألا وهي الدولة العثمانية.

ويواصل البند الأول في تأكيده على صلات الود بين السلطان العثماني والإمبراطور الروسي التي قادتاهما إلى توقيع هذه المعاهدة،وأن عليهما العمل سوياً لمواصلة المباحثات المفضية إلى السلام، وإلى ما يعود على بلديهما بالخير والنفع.بالإضافة إلى إشارة هذا البند بتبعية الدولة العثمانية لروسيا في حالة دخول الأخيرة في معاهدات مع الدول الأوروبية لتحالف معها ضد فرنسا،وهي تبعية الأضعف للأقوى،وأن هذه التبعية تستوجب على جلالة السلطان العثماني تقديم المساعدات العسكرية، كما أقرت في البند الثاني من البنود العامة"المعلنة"،وكذلك تسهيل حركة السفن الحربية من قبل الجانب العثماني وكل ما يخص استمرارية الحرب.وهذا استسلام واضح للعثمانيين لدخول في فلك السياسة الروسية وتوجيه الروس لدفة السياسة العثمانية بما يخدم مصالحهم أولاً وأخيراً.

ومن الملاحظ البند الثاني عزم روسيا على القيام بدعوة حكومات كل من النمسا وبروسيا والسويد والدنمرك للدخول معها في تحالفات، كما فعلت مع إنجلترا للوقوف ضد التمدد الاستعماري الفرنسي، والضغط على فرنسا لاحترام حقوق الجوار وإقرار السلام.وتظهر قمة التبعية العثمانية والانهزامية السلطانية في تفويض روسيا لاتخاذ ما تراه مناسباً مع تلك الدول والموافقة على ذلك من قبل العثمانيين دون قيد أو شرط.

ويذهب البند الثالث إلى التدخل الروسي البين في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية، وعدم قدرة الأخيرة على دفع ذلك التدخل،ومن ذلك انتزاع روسيا اعترافاً من الحكومة العثمانية بالمحافظة على نشر الأمن والاستقرار في ربوع ألبانيا،بما يفيد أن ألبانيا جزء منفصل

عن كيان الدولة العثمانية. وهذه الحيلة قديمة نفذتها روسيا من قبل على الدولة العثمانية فيما يخص القرم، وإنما أرادت روسيا من ذلك تقطيع ممتلكات الإمبراطورية العثمانية.ومن ناحية أخرى فقد جاء هذا البند على ذكر ما للجزر الأيونية من حقوق ضمنتها له معاهدة ١٨٠٠م، مع احتفاظ الوزير الروسي في القسطنطينية في حق بلاده في الضغط على العثمانيين ومتابعتهم في تنفيذ بنود تلك المعاهدة.وهذا دليل واضح على ما وصلت إليه الدولة العثمانية من الضعف .

وفي البند الرابع إظهار للقوة الروسية في تعهد قيصرها في الدفاع عن الجزر الأيونية،ولا يتسنى ذلك إلى من خلال الاحتلال الروسي لتلك الجزر وتواجد القوات الروسية فيها بشكل دائم،وفي المقابل فإن على الدولة العثمانية تسهيل مهمة الجنود الروس هناك بالمساعدة في عبور القوات الروسية في يسر وسهولة عبر مضايقها، بل وتمويل تلك القوات بما تحتاج إليه.ويظهر خبث الدبلوماسية الروسية من خلال عدم وضع فترة لذلك الاحتلال الروسي، ويتبين هذا من تعهد القيصر الروسي وخلفائه من بعده بحماية الجزر الأيونية ويبدو من ذلك أنه احتلال طويل الأجل.

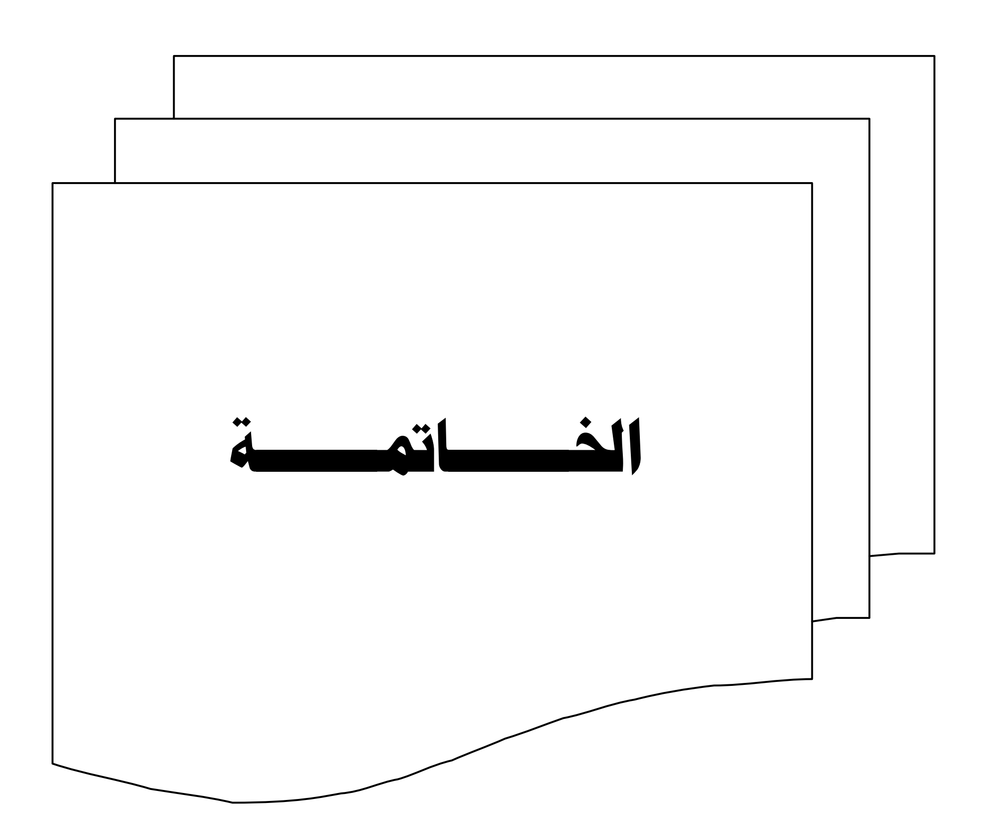
أما البند الخامس فإنه يؤكد على تعاون سكان الجزر الأيونية والرعايا العثمانيين في صد الهجمات الإيطالية على ممالك الدولة العثمانية.وهنا تستوقفنا عدة لمحات لخبث الدبلوماسية الروسية،فقد ذكر هذا البند"سكان الجزر الأيونية"ثم ذكر"الرعايا العثمانيين"وهنا تفرقة واضحة تدلي بدلالة واضحة على أن سكان الجزر الأيونية جزء خارج عن نطاق الحكم العثماني.ويتابع البند تأكيده على أن تكون هناك حكومة قوية تحكم هذه الجزر،وهذه عبارة تم تمييعها،فبأي معيار سوف تقاس قوة تلك الحكومة؟ وبالتالي يكون لروسيا حق تعيين من تشاء وعزل من تشاء بما يوافق سياستها على ضوء ضعف تلك الحكومات.

ويؤكد البند السادس على ضرورة زيادة الجهد من قبل المتحالفين لتدعيم القوات البحرية والبرية على حد سواء، بالإضافة إلى حماية من أسلم من رعايا روسيا، أما من دخل الإسلام من الروس، وهم من عناصر الجيش أو البحرية، فيظل في موقعة حتى انتهاء مهمته

الحربية، وإنما يدل ذلك على وصـاية روسيا حتى على من أسلم من رعاياها وأصـبح مـن رعايا الـدولة العثمانية بشأن التدخل من روسيا في الشؤون الـداخلية للدولـة العثمانيـة، وهذا دليل على فـرض الجانب القوى لشروطه، وقد تستخدم روسيا هذه العبارة لصـالحها في إدخـال عناصر روسية إلى الدولة العثمانية خدمة لمصالها تحت مظلـة الإسـلام، وقـد تستخدم بعض ضـعاف المسلمين في الدولة العثمانية لخدمة مصالحها مع توفير الحماية لهـم بموجب هذه العبارة.

وفي البند السابع تعهد من قبل الحليفين بإغلاق البحر الأسود ووجوب الـدفاع عنـه ضد أي دولة تريد دخوله واعتبار ذلك عملاً عدوانياً من قبلها.وهذا يؤكد على حق روسـيا في البحث الأسود، ولتوجس روسيا من أن حرباً وشيكة الوقوع بينها وبين فرنسـا، فقـد حصـلت من خلال البند الثامن على تأكيد من الدولة العثمانيـة علـى الوقـوف معهـا ومساعدتما بما تقتضيه بنود هذه المعاهدة، حيث يؤكد هذا البند وقوفاً من جانب واحد فقـط وهذا لصالح روسيا.

ويقرر البند التاسع المبالغ التي يجب على الدولة الطالبـة للمسـاعدة دفعهـا لجنـود النجدة،فيقرر (١٠٠ قرش) لجندي المشاة و (١٥٠ قرش) لجندي البحرية.وليختـتم البنـد العاشر هذه المعاهدة في التأكيد على الدولتين بوجوب بقاء النصوص الأخيرة من المعاهدة طي الكتمان، وإبعادها عن علم الدول الكبرى إلا في حالة دخول إحدى تلك الـدول في هـذا الحلف.



الخـــــاتمـــــة

الخاتمـــة:

وختاماً لهذه الدراسة التي أبرزت مسار الحـــروب والمعاهــدات العثمانيـــة والروســـية خلال هذه الفترة مـــن (١١٢١-١٢٢٠هــــ/١٧٠٩-١٨٠٥م) فإنـــه حـــتى القـــرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي لم تكن روسيا تجـــرؤ علـــى مواجهـــة الدولـــة العثمانية أو التعدي على حدودها وممتلكاتهـــا. وقـــد يكـــون مـــرد ذلـــك إلى التخلـــف وكثرة الانقسامات والثورات الداخلية الروئية من جهـــة، ومـــن جهـــة أخـــرى إلى قـــوة الدولة العثمانية، بل إن روسيا درجت على ملاطفة الســـلطنة العثمانيـــة وكســـب ودهـــا تحاشياً لغضبها. ثم حدث أن تغيرت الأوضـــاع وأصـــبحت روســـيا في موقـــف الهجـــوم والدولة العثمانية في موقع الدفاع، وقـــد تكـــون نقطـــة التحـــول الروســـي في نقطـــتين هامتين .

- تخلص روسيا من الحكم المغولي عـــام ١٤٨٠م علـــى يـــد قيصـــرها إيفـــان الثالـــث (١٤٦٢-١٥٠٥م) واستقلالها بحكم نفسها.
- الانفتاح على أوروبا وما شمله من إصلاحات روسية داخلية وحركة تطويرية تقدمية شملت كافة المجالات، ومنها المجال العسكري على يد القيصر بطرس الأكبر.

وقد صاحب ذلك تراجع للقوة العثمانية على الصعيد الدولي خلال القرن الثاني عشـــر الهدري الثامن عشر الميلادي، بينما كانت روسيا تسعى منذ زمن إلى مـــد حـــدود بلادهـــا للإشراف على بحر البلطيق وكذلك البحر الأسود، زاد من توتر الموقف العثمـــاني الروســـي سقوط كرسي البابوية للأرثوذكس بفتح العثمانيين للقســـطنطينية (٨٥٧هـــــ/ ١٤٥٣م) واعتلاء مطران روسيا لذلك المنصب، مما جعل روسيا حامية الطائفة الأرثوذكسيقـــ، وبالتالي فقد أصبحت المواجهة الروسية العثمانية أمراً لا مفر منه، حيث تمخض عن ذلك عـــدد مـــن الحروب والمعاهدات خلال الفترة الممتدة من (١١٢١-١٢٢٠هــ/ ١٧٠٩-١٨٠٥م) التي سبق وأن عالجناها في فصول الدراسة ووصلت فيها إلى النتائج التالية :

كانت حرب بروث (١١٢٣هــ/١٧١١م) : إحدى تلك الحروب التي اتقد نارها بين الدولة العثمانية وروسيا، وكان بطرس قد اندفع إلى تلك الحروب إرضاءً لغروره في التمكين

لروسيا كدولة لها مكانتها الدولية أمام العالم، بالإضافة إلى البحث عن منفذ بحري لبلاده، كما كان للعامل الديني أثره البالغ في توجه الروس للحرب ضد العثمانيين، زاد على ذلك ما كان من تأثير من استيلاء الروس على آزوف وانتزاعها من يد العثمانيين الأمر الذي حفَّز الروس للمضي قدماً في ضرب الدولة العثمانية، ووضع خطة إستراتيجية روسية قبل خوض الحرب تلخصت في التالي :

- عزم بطرس على تحقيق النصر وتحمله العناء في سبيل ذلك، وعدم استيلاء اليأس على عزيمته.
- استعانة بطرس بالقادة الأوروبيين المتمكنين لتدريب الجيوش الروسية على نسق الجيوش الحديثة .
- يُعد سقوط آزوف محفزاً مهماً للروس لمواصلة حربهم ضد الدولة العثمانية، بينما كانت من جهة العثمانيين أحد الأسباب الرئيسة لحرب بروس .
- تمكن بطرس من خصمه اللدود الملك " تشارل الثاني عشر" ملك السويد، وهزيمته إياه في معركة بولتافا ١٧٠٩م.
- نجاح مخططات بطرس التوسعية بهزيمة العثمانيين في آزوف والإشراف على البحر الأسود، وكذلك السويديين في بولتافا ١٧٠٩م، والتمكن بعد ذلك من بحر البلطيق . وهذا يدل على نجاح مسيرة بطرس التنموية الحضارية، وخصوصاً في القطاع العسكري. ومن جهة أخرى يدل على ما أصبحت تمثله روسيا من خطر واضح على جيرانها.
- جمود الدولة العثمانية على استرداد آزوف أو مساعدة السويديين في حربهم ضد روسيا، وهذه دلالة على ما وصلت إليه الدولة العثمانية من تفكك سياسي واضح، وغلبت الجانب المصلحي الدنيوي على رجال الدولة أكثر من مصلحة الدولة نفسها، كما ساعد على هذا الأمر عدم استقلال السلطان برأيه وخضوعه لمن حوله، أضف إلى ذلك وضع الجيش العثماني الذي وصل إلى مرحلة من الضعف والتدهور وعدم جاهزيته لخوض الحروب.

ونتيجة لخطط بطرس التوسعية، ولتصرفاته غير اللائقة مع الدولة الثعمانية، بالإضافة لإحساس الدولة العثمانية بالخطر الروسي ومحاولة إيقاف ذلك المد، فقد أضحت الحرب أمراً لا مفر منه . نتج عن ذلك كله حرب بروس عام (١١٢٣هـ/ ١٧١١م) التي انتصر فيها العثمانيون . مع ملاحظة أن ذلك النصر العثماني لم يكن في الأساس راجعاً إلى قوة العثمانيين بقدر ما هو راجع إلى إخفاق الخطط الروسية العسكرية في تلك المواجهة. فإن عجلة بطرس بغرض القتناص فرصة عدم جاهزية الدولة العثمانية، وابتعاده كثيراً عن خطط تمويله والغلبة العددية للجيش العثماني فقد أحاطت كل تلك الأسباب بفكر بطرس الذي توقع غير ذلك، مما جعل الحسابات الحربية في صالح الدولة العثمانية . ومما يدل على عدم تفوق الدولة العثمانية، ذاك التفوق الواضح، امتناعها عن القضاء على الجيش الروسي وفرض شروط قاسية على الروس من خلال ما تم بينهما في معاهدة بروس (١١٢٣هـ/ ١٧١١م) .

ثم حدثت حرب عام (١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م) : بسبب اتحاد روسيا والنماسا ضد الدولة العثمانية . وقد أظهرت الدراسة لهذه الحرب النقاط التالية :

أولاً : تفويت الدولة العثمانية لفرصة الانضمام إلى فرنسا عندما طلبت منها الأخيرة ذلك حربها لكلتا الدولتين .

ثانياً : وقوف العثمانيين موقفاً سلبياً من الأحداث الجارية على الصعيد الدولي، فيا لاستفادة من الفرض، أو إقامة التحالفات العسكرية لمواجهة الأخطار المتعددة .

ثالثاً : تجرؤ روسيا والنمسا على مهاجمة الدولة العثمانية لما نمى إليهما من ضعفها والأخذ بزمام المبادرة الهجومية تلك .

وعلى الرغم من انتصار العثمانيين نظراً لظروف الحرب إلا أنه ومن المؤكد أن تلك الحرب قد أضعفت الجانب العثماني وأثرت فيه .

وبدراسة حرب عام (١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م) : اتضح أن روسيا خاضت تلك الحرب وحدها ضد الدولة العثمانية، دون الدخول في تحالفات مع إحدى الدول الأوروبية لمساعدتها كما حدث من قبل، وهذا ما أدى إلى تغير واضح في ميزان القوى لصالح روسيا التي رأت

نفسها نداً للدولة العثمانية إن لم يكن أقوى منها. كما أن حاكمة روسيا "كاترين الثانية" (١٧٦٢-١٧٩٦م) كان لها الأثر الواضح على سير الأحداث، إذ كانت ذات خطط توسعية كبيرة سعت من خلالها إلى طرد الترك بالكلية من القارة الأوروبية وإحياء القسطنطينية من جديد، كما كانت قبل الفتح العثماني(٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م) . وعلى الجانب العثماني فلم تكن الدولة العثمانية جاهزة لتلك الحرب، ففي خلال الثلاثين سنة التي قضتها من معاهدة بلغراد (١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م) حتى اشتعال نار الحرب العثمانية الروسية (١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م) لم تحرك ساكناً في استغلال تلك المدة لتنظيم نفسها للجولة المقبلة، بل ركنت للهدوء والسكينة خارجياً، مع ما انتابها داخلياً من الفوضى السياسية وتغيير الصدور العظام، وإقالة السلاطين، أضف إلى ذلك أن الجيش العثماني كان في حالة يرثى لها من الترتيب والتنظيم والتدريب. وعلى النقيض من ذلك فقد كانت روسيا في عنفوان شبابها، خاصة من الناحية العسكرية، بل إن جيشها أصبح أحد الجيوش المعتبرة في أوروبا، وبالتالي فقد كانت نتيجة تلك الحروب لصالح روسيا، وكان من أهم نتائجها ضياع القرم من يد الدولة العثمانية حيث استولى الروس عليه بعد أن ظل ٢٩٦عاماً في حكم العثمانيين، وهذه بادرة خطيرة في تاريخ الدولة العثمانية إذ أخذ الروس في اقتصاص أملاكها كما تدل تلك الحادثة على ما انتاب الدولة العثمانية من ضعف واضح أبان عن وجهها الحقيقي أمام العالم وقلل من مكانتها الدولية، في الوقت الذي أخذت روسيا تصبح ذات ثقل دولي واضح . وكنتيجة من نتائج هذه الحرب فقد واصل الجانبان حربهما تلك عام (١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م) لكن دون نتيجة تذكر للعثمانيين، بل على العكس فإن بروسيا والنمسا وفرنسا، لِمَا أَلَّم بالدولة العثمانية من هزائم واضحة وخوفهم من تمدد روسيا البري والبحري، درجوا في الضغط على روسيا لإبرام معاهدة قينارجة عام (١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م) . وهذا يدل على ما لحق بالعثمانيين من ضعف واضح على الصعيد الدولي، وأن بقاء العثمانيين إنما أصبح أمراً مؤقتاً لحفظ التوازن الدولي .

وفي سلسلة حروب الجانبين بعضها مع بعض حدثت حرب عام (١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م)، ومن الملاحظ في تلك الحرب تدخل فرنسا لمنع الدولة العثمانية من خوض هذه

الحرب لعلمها بضعف الدولة العثمانية، وعدم تمكنها من روسيا، خصوصاً إذا كانت هذه الحرب تجمع روسيا والنمسا معاً ضد الدولة العثمانية .

وبالفعل فقد صدق إحساس فرنسا حيث إن إصرار الدولة العثمانية على دخولها الحرب قد جلب لها الهزيمة مما حدا ببريطانيا وهولندا وبروسيا للتدخل لوقف تلك الحرب حفاظاً لمصالحهم وإبقاءً على التوازن الدولي والتوحد من أجل مقاومة الثورة الفرنسية. وبالتالي فإن الدولة العثمانية لم تعد ذات حول أو قوة إلا من تدخل الدول الأجنبية للدفاع عنها. نتيجة لما سبق فقد جاءت المعاهدات المبرمة بين الدولة العثمانية وروسيا في صالح الأخيرة نتيجة التفوق الروسي الواضح، حيث كانت تلك المعاهدات من الضرر بمكان بالدولة العثمانية .

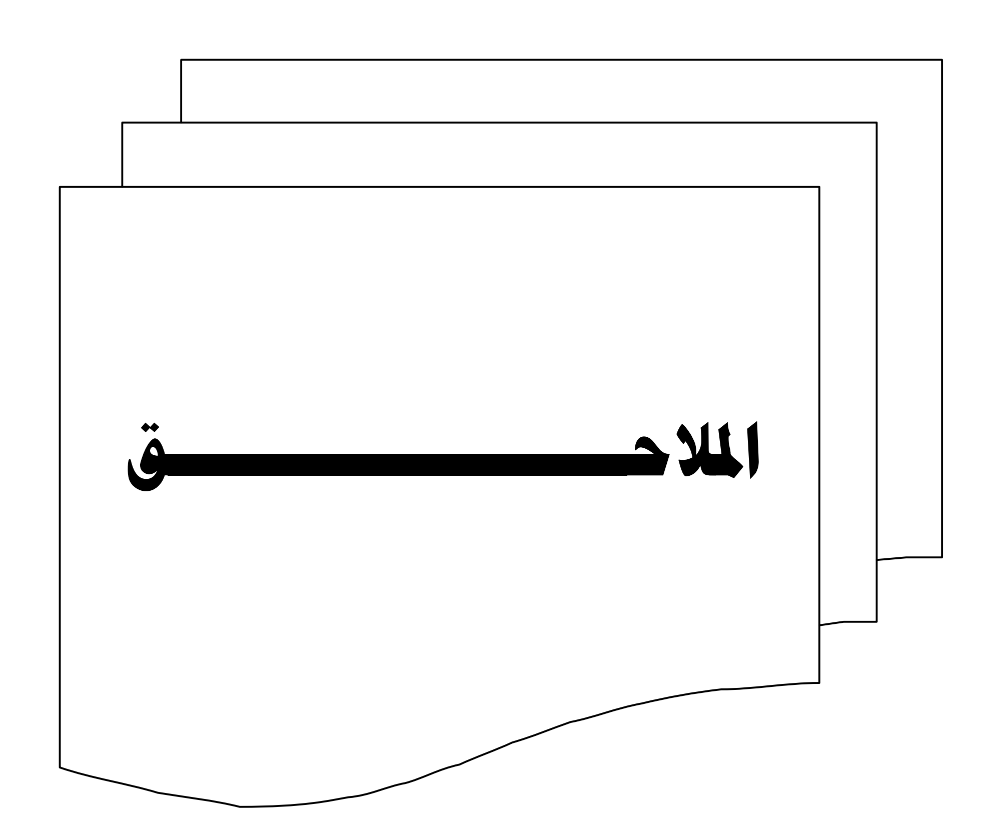
لقد عالجت هذه الرسالة عدداً من المعاهدات منها :

- معاهدة بروث (١١٢٣هـ/ ١٧١١م) التي ظهر من خلال دراستها بأنها لم تكن بتلك المعاهدة المؤثرة في الجانب الروسي كما أنها ليست بذلك المكسب للجانب العثماني.
- معاهدة أدرنة (١١٢٥هـ/١٧١٣هـ) التي كانت متممة لمعاهدة بروث. فالمعاهدتان وجهان لعملة واحدة، مع ملاحظة تماسك الجانب العثماني في هاتين المعاهدتين والظهور بالمظهر اللائق، وعن معاهدة الصلح بين الجانبين التي تمت عام (١١٣٦هـ/١٧٢٤م) إذ تُعد مصلحة مشتركة جمعت أعداء الأمس لاقتسام فارس بما يتوافق مع مصالحهما.
- وفي عام (١١٥٢هـ/ ١٧٢٩م) أبرمت الدولة العثمانية مع روسيا معاهدة بلغراد التي أوضحت الدراسة بأنها كانت متوازية إلى حد ما . إلا أن لسان الحال، لِمـَا سبق من المعاهدات، ليؤكد على أن الدولة العثمانية تتخذ في تلك المعاهدات جانب الدفاع في حفظ حدودها واسترجاع ما أخذ منها ورغبتها في السلام دونما إلحاق الأذى أو الضرر بالخصم المحارب. وهذا دليل على تحول الدولة العثمانية من وضعية الهجوم إلى وضعية الدفاع، ولا يكون ذلك إلا في الجانب الأضعف. إلا أن الأمور تغيرت، وبالتحديد في معاهدة قينارجة (١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م) وما بعدها، لصالح الجانب الروسي، نظراً لنتائج المعارك بين الجانبين فقد كانت تلك المعاهدات مما أضر بالدولة العثمانية وفرض شروط

الأقوى، وهذا تغير واضح في ميزان القوى لصالح روسيا، بل إن الضعف العثماني بلغ حده من خلال معاهدة التحالف الدفاعي (١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م) وما تبعها من تجديد عام (١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م)، حيث تمثل تلك المعاهدات قمة الضعف العثماني، إذ صورت روسيا على أن عليها مهمة الدفاع عن الدولة العثمانية والزود عنها ضد الأخطار المحدقة بها، وكان هذا إيذاناً بأفول الدولة العثمانية، كما هو إشارة إلى التنبؤ بظهور دولة مرهوبة الجانب أصبح لها ثقلها الدولي وهي روسيا .

وبناء على ما سبق فإنه حتى عام (١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م) ظلت الدولة العثمانية متماسكة في وجه المد الروسي إلا أن ميزان القوى لم يستمر كذلك؛ إذ سرعان ما تغير لصالح روسيا وبالتحديد مع بدء حكم "كاترين الثانية" (١٧٦٢- ١٧٩٦م)، ونتيجة لما سبق يتضح الدور الذي لعبته روسيا، في إضعاف الدولة العثمانية والمساهمة في التسريع من عجلة نهايتها، ولم يكن ذلك راجعاً بالدرجة الأولى إلى قوة الروس أو تفوقهم غير المحدود، بل كان مرده في الأساس إلى تراجع العثمانيين وتوقفهم عن الاشتغال بالعلوم والإمكانيات العسكرية عند حد العصور الوسطى، مما جعل الجو خالياً لروسيا في التفوق على العثمانيين خلال القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلاد، ومن جهة أخرى فإن تلك الانتصارات أدت إلى فقدان العثمانيين مكانتهم الدولية التي كانوا يتمتعون بها من قبل، وتراجعهم إلى المركز الرابع دولياً بعد كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا .

تمت بحمد الله ،،،،،


الملاحــــــــــــق


ملحق رقم (١)
معاهـــدة بـــــروث
لعام ١١٢٣هـ / ١٧١١هـ

ترجمة صورة البيور لدى الذي كتب من طرف محمد باشا البالطه جي إثر وقعة البروت

الباعث لتحرير الكتاب الصحيح النصاب هو إنه بتوفيق الله الملك العلام انتهت حرب عساكرنا المنصورة مع قيصر الموسقوف وعساكره في طرف نهر پروت وبعد التضييق عليه فبلطفه تعالى الكريم وفضله العميم طلب القيصر المرقوم إجراء المصالحة وعند ذلك عقدت وربطت قيود وشروط الصلح على الوجه الآتي بيانه وهو أن قلعة أزاق مع أراضيها وسائر ملحقاتها يجري تسليمها كالأول للدولة العلية. والقلعة الجديدة الكائنة في أعالي طيفان وقمانكه وصمار المختصة بالقيصر تهدم بالكلية والمدافع والجبخانة الموجودة ضمن قمانكه يجري تسليمها بتمامها للدولة العلية وفيما يأتي من الزمن لا يبنى في المحل المذكور قلعة ولا تحصل مداخلة بعد الآن من طرف القيصر المرقوم مع اللهويين والتابعين لهم وهم راياش والبورتقال ولا إلى القزاق التابعين لحضرة صاحب السعادة دولتكراي خان، خان القريم، بل يرفع القيصر يده عن جميع تلك المواضع بحيث تعود كما كانت قبل الآن. وبعد اليوم لا يحق للقيصر أن يقيم سفيراً في استامبول من طرفه وأما التجار الروسيون الذين يأتون براً للممالك المحروسة لأجل التجارة فإنهم مأذونون في الإقامة فيها. والأسرى من المسلمين الذين أسروا من قبل ومن بعد يلزم ويجب على القيصر أن يسلمهم للدولة العلية مهما كان عددهم وملك إسوج حيث إنه التجأ ووقع تحت جناح عناية الدولة العلية فبعد الآن يتوجه إلى مملكته بالأمن والسلامة ولا يحصل له التعرض والممانعة من طرفهم قطعياً وإذا وجد بينهم عدم توفيق ورضاء اتحاد فعليهم أن يجريا المصالحة. وأنا أرجو من كمال أفضال مولانا وسلطاننا صاحب الشوكة والعناية والعظمة ومن فيض مكارمه الملوكانية غض النظر من طرف العلية عن الحركات الخارجة

عن الأدب التي سبق وقوعها في جانب رعايا الدولة وسائر المنسوبين إلى الممالك المحروسة وأن لا يصير عليهم فيما يأتي من الزمان تعدي كما تقرر ذلك في الشروط والعهود، وبحسب الوكالة المطلقة حرر هذا الصك وأعطي لطرف القيصر إلى أن يعقد العهد والميثاق إن شاء الله تعالى في دار السعادة بالوجه المشروح وتعطي صورته له. وبعد أن يأخذ القيصر صك العهد فلا تكن حينئذ ممانعة ومداخلة في أمر ذهاب عساكره إلى بلاده في الطرقات المستقيمة لا من طرف العساكر المنصورة ولا من فرد من أفراد طوائف التاتار وجماعتهم. وأما أمين أسرار القيصر قدوة أعيان الملة المسيحية قبارون قانجلير بترو شافروف والجنرال ميخائيل اولدبورس حفيد شرمث ختمت عواقبهما بالخير حيث إنهما كانا حضرا من طرف القيصر للمعسكر المنصور ليكونا رهناً، فمن بعد تسليم المواد المذكورة وإعطاء صك العهد من طرف القيصر وإتمام خدمتهما يعطي لهما الإذن والرخصة من طرف الدولة العلية بذهابهما إلى بلادهما بلا تأخير ولبيان ذلك حرر هذا في اليوم السادس من جمادي الأخيرة سنة ثلاثة وعشرين ومائة وألف.

بيورلدى صحراء

خوش كچدي.


ملحق رقم (٢)
معاهـــدة بـــــروث
لعام ١١٢٣هـ / ١٧١١هـ

RUSSO-OTTOMAN ARMISTICE (PRUTH)[(1)]

14. OTTOMAN TERMS OF PEACE ACCEPTED BY RUSSIA AT PRUTH 10/21 July 1711

[Translated from the French text in Edward Hertslet, *Treaties, &c. between Turkey and Foreign Powers 1535–1855* (London, 1855), pp. 434–35]

After conquering Azov from the Ottomans in 1696, Tsar Peter I, in renewed fighting a decade and a half later, faced ignominious defeat at the hand of his southern neighbor and sued for peace. The terms, dictated by the Ottoman plenipotentiary at the Pruth River, although severe, proved far less exacting than the Russians had anticipated. The stipulations at Pruth provided the basis for the definitive peace, signed at Adrianople on 22 June/3 July 1713 (French text in Hertslet, *op. cit.*, pp. 440–45), which delayed for more than sixty years the acquisition by Russia of the outlet it sought on the Black Sea and for seven years the restoration of a permanent diplomatic mission at the Sublime Porte (Ottoman Imperial government), originally procured in 1701. B. H. Sumner, *Peter the Great and the Ottoman Empire*, chaps. 1–2, 5, 7–9; M. T. Florinsky, *Russia, a History and an Interpretation*, vol. 1, pp. 335–45; H. Übersberger, *Russlands Orientpolitik in den letzten zwei Jahrhunderten*, pp. 49–118.

Since it has pleased God, the Sovereign Master of the Universe, to allow by His wise providence and His infinite mercy the victorious armies of the believers to encircle the Tsar of Russia and all his troops on the banks of the Pruth [River], where they have been so defeated that his Tsarist Majesty has been forced to seek peace and to sue for it publicly, this is the real reason which caused us to write these presents, the conditions of which are expressed as follows:

ART. 1. The fortress of Azov shall be returned to the Ottoman Empire in the state in which it was when captured with all its dependent lands and jurisdictions.

ART. 2. The three fortresses of Tychan [Tsaritsyn?], Kamenny Zaton and the new one [Taganrog] built near the Samara [River] shall be demolished. The cannon of the last-mentioned fort with all its ammunition shall be surrendered to the Empire. The rebuilding of forts in the three places mentioned shall never be allowed.

ART. 3. The Tsar shall refrain from molesting in any manner in the future the Barrabas and Potkali Cossacks, subjects of Poland, and those dependent on the very powerful Han Devlet Girey, Prince of the Crimea. The said Tsar shall let them enjoy their places of habitation, as always defined in the past.

ART. 4. In the future, with the exception of merchants who travel, the Tsar shall have no one in residence at Constantinople on his behalf with the rank of Ambassador or Minister.

ART. 5. All Turks who have been taken prisoner or enslaved, whatever their number, shall be freed, and returned to the Sublime Porte.

ART. 6. Since the King of Sweden has placed himself under the favorable protection of the Sublime Porte, no hindrance shall henceforth be caused him. When he may want to return to his states, he shall not be caused anxiety en route. Similarly, if he cannot [return], peace shall be concluded between the parties, once agreement can be reached on the conditions.

ART. 7. The Sublime Porte for its part and the Russians for theirs shall promise that the inhabitants, subjects or other persons who may be under their protection shall nowhere be molested or caused anxiety. It is stipulated, however, that the Most Serene, Very High, and Very Clement Emperor, our very Clement Lord and Master will be supplicated to forget the irregular behavior of the Tsar and, at God's good pleasure, to ratify at Constantinople the treaty of alliance, a copy of which will be delivered to the Tsar, since he undertook on this basis to accept the obligation, approved in accordance with our full powers. The above articles will be executed after [the Sublime Porte] has received the hostages and four written engagements from the said Tsar who will be permitted to withdraw to his states, without fear of trouble

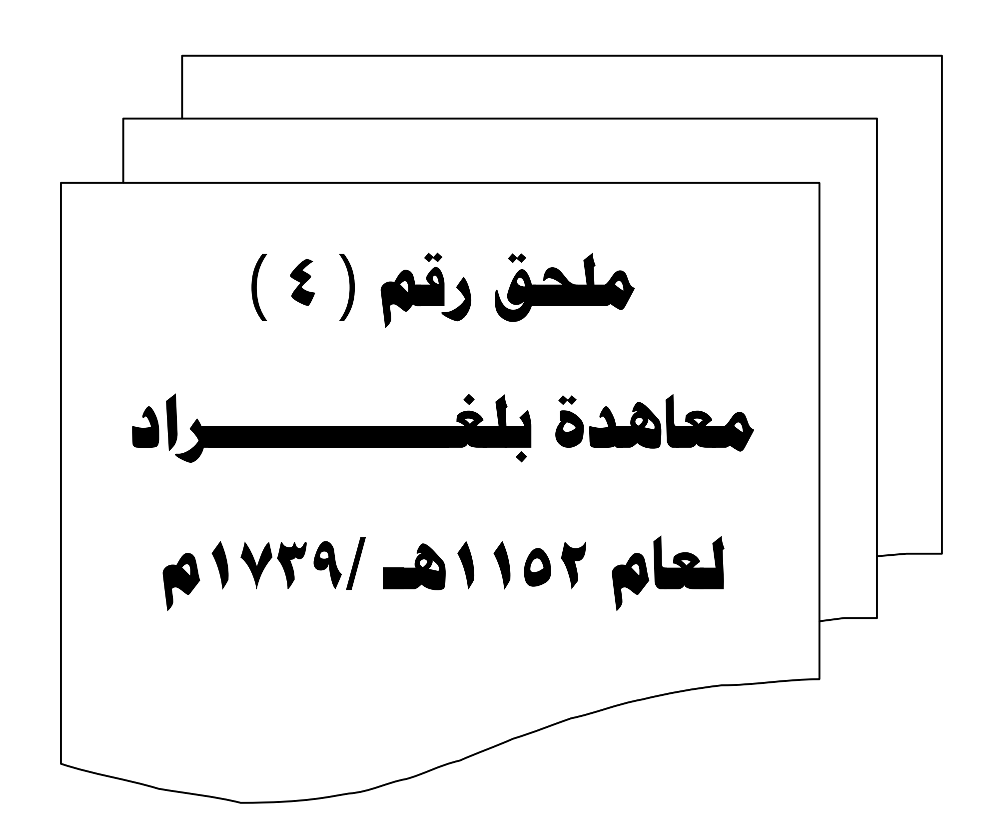
(1) Hurewitz, I Bid, P 39


ملحق رقم (٣)
معاهـــــدة أدرنـــــة
لعام ١١٢٥هـ / ١٧١٣م

معاهدة أدرنة[١]

(١) أرشيف رئاسة الوزراء بتصنيف : A.DVNS.NMH,D.01.

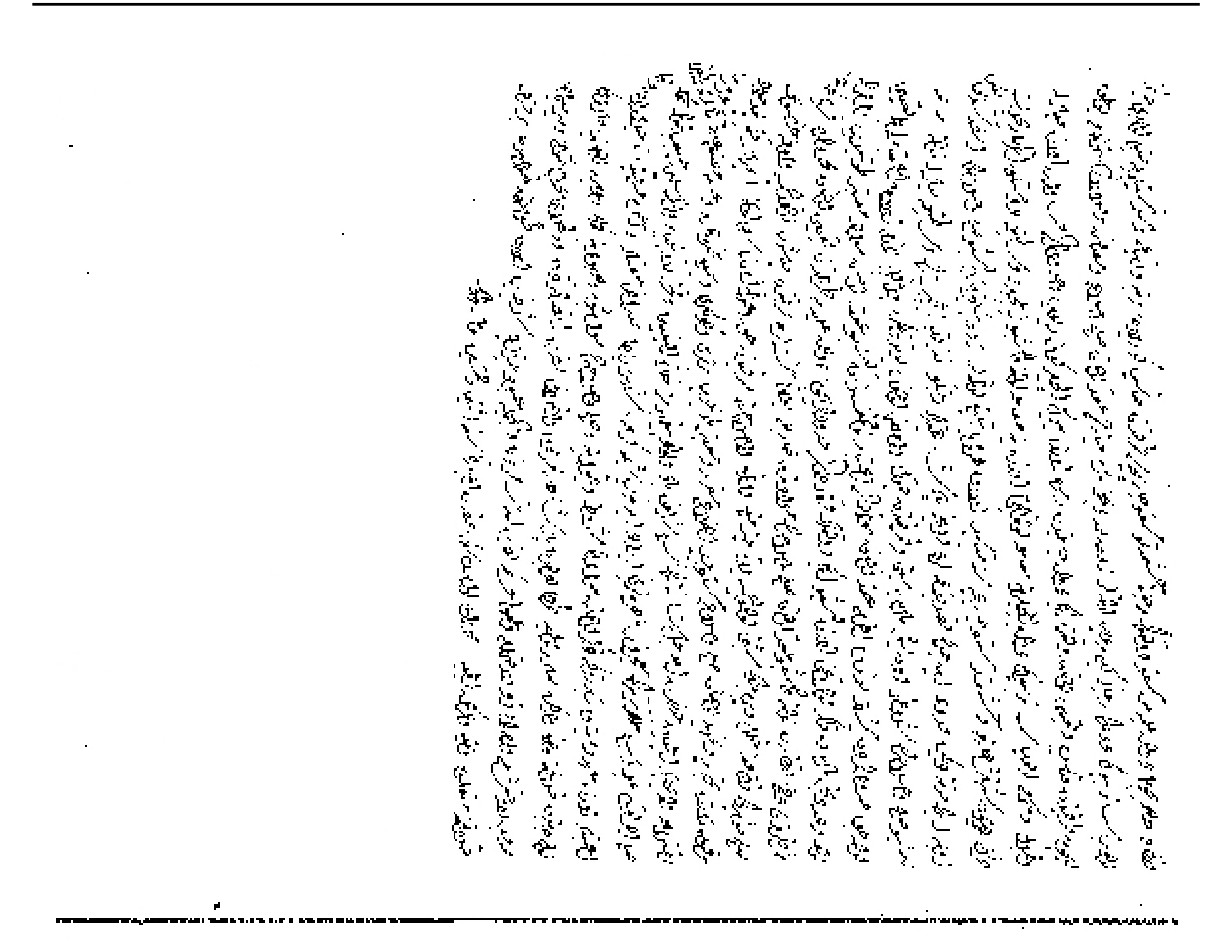
[illegible]



ملحق رقم (٤)

معاهدة بلغراد

لعام ١١٥٢هـ /١٧٣٩م





ملحق رقم (٥)

معاهدة بلغـــــــــراد

لعام ١١٥٢هـ /١٧٣٩م

DRPLOMCY IN THE NEAE NEAR AND MRDDLE EAST(1)

the Dniester, Bug, Dnieper, Don, and Kuban rivers. The consequent Russo-Ottoman war dragged on inconclusively for four years, largely the result of poor military planning and organization at St. Petersburg and of Austria's belated and half-hearted fulfillment of its 1726 alliance with Russia. The peace signed at Belgrade was chiefly the handiwork of the Marquis de Villeneuve, French Ambassador at the Sublime Porte who served as mediator. Russia retained Azov and the surrounding area on the express condition of the demilitarization of the district. Moreover, Russia was forbidden to engage in commerce on the Black Sea except on Ottoman vessels. The treaty of Belgrade, guaranteed by France, provided the basis for relatively stable relations between the signatories for more than a quarter of a century. L'Abbé Laugier, *Histoire des négociations pour la paix conclue à Belgrade le 18 Septembre 1739* (Paris, 1768), 2 vols. (analytical narrative and texts of principal supporting documents); A. Vandal, *Une Ambassade française en orient sous Louis XV, la mission du Marquis de Villeneuve, 1728–1741*, chap. 7; P. H. Mischef, *La Mer Noire et les détroits de Constantinople,* chap. 1; M. T. Florinsky, *Russia,* vol. 1, pp. 462–65; H. Übersberger, *Russlands Orientpolitik*, pp. 157–240.

ART. 1. As of today all hostility and enmity between the two Parties shall remain suspended and annulled forever. All hostilities and acts of provocation committed by either Party, overtly or otherwise, shall be overlastingly forgotten, and [neither side] shall seek revenge. On the contrary, perpetual, constant and inviolate peace shall be maintained on land and sea. Sincere harmony shall be preserved. Friendship shall remain unchangeable by the very precise fulfillment of the articles and conditions stipulated by the two High Contracting Parties, Her Imperial Majesty and His Sultanic Majesty, [binding] their heirs and successors and the empires, domains, lands, subjects and inhabitants of the two nations, so that in the future the two Parties will avoid the commission of any hostility or act of provocation, public or secret. They shall also preserve between themselves faithful amity and sincere peace, wishing and providing for each other every kind of prosperity and happiness, so that peace and tranquillity may remain inviolably safeguarded for the well-being and growth of the two empires and of their subjects.

ART. 2. The two Parties sincerely intend to establish durable and constant peace, so that the subjects of the respective empires may profit therefrom and live in blissful tranquillity. To extirpate every cause of dissension and dispute, it has been mutually agreed that the boundaries of the two empires shall be the same as those established by preceding treaties and shall be precisely and clearly defined in a convention that will be concluded in consequence of the present treaty.

ART. 3. The fortress of Azov shall be entirely demolished. To insure peace in a most solid and durable manner, the territory of the said fortress shall remain deserted within the limits fixed by the treaty of 1700 and shall serve as a barrier between the two empires. In compensation Russia will be permitted to erect a new fortress in the vicinity of the Circassian island situated in the Tanaïs (Don) River near Azov, an island that is the former frontier of Russia; and similarly the construction of an Ottoman fortress will be permitted on the Kuban frontier near Azov, after the establishment of the location of the two above fortresses by the commissioners of the two Parties, to whose equity and discretion the decision will be entrusted. It is further stipulated that the former fortress of Taganrog, already demolished, will not be rebuilt and that Russia will not be allowed to construct or maintain fleets or other ships on the Sivash Sea or on the Black Sea.

ART. 4. In order that the subjects of the two empires may be more positively knowledgeable of the borders that will be determined, the two empires will name, as soon as possible after the confirmation of the present treaty of peace, commissioners having the required capacity and provided with full powers and sufficient instructions, so that their commissions will not be subjected to vain difficulties. [The commissioners], coming together in virtue of the present treaty, will demarcate without delay the borders between the two empires. After placing in the proper locations the

(1) HurWITZ, Ibid P4/-51.

Imperial Majesty who may go into these countries to deliver Russian slaves, provided that they limit themselves to the orderly execution of their commission. All those who contrary to divine law may do violence to them or cause them damage shall be punished.

ART. 8. If after the conclusion and ratification of the present treaty of peace subjects of either [Signatory] Power should commit crimes or acts of insubordination or treason and flee to [the territory] of the other empire, they shall in no way be received or protected but—excepting only those who may have become Christians in the Empire of the Russias and those who may have become Muslims in the Ottoman Empire—shall at once be returned or at least expelled from the lands where they may happen to be, so that such infamous men may produce neither coolness nor dispute between the two empires. Henceforth, if a subject of Russia should flee to the states of the Ottoman Porte or if a subject of the Porte should flee to Russia, [the fugitive] shall be returned whenever his government requests [the extradition].

ART. 9. Merchants, subjects of the Sublime Porte, will be allowed to engage freely in commerce—the fruit of peace that provides states and peoples with every sort of abundance—in all the Russias in the same manner as merchants of other powers and with payment of the same duties. Reciprocally, merchants, subjects of the Empire of the Russias, will be allowed as freely to engage in commerce in the states of the Ottoman Porte. But the commerce of the Russians on the Black Sea shall be pursued on ships belonging to Turks.

ART. 10. If differences and dissensions should occur during this peace among subjects of the two empires, the governors and commanders of the frontiers shall conduct the necessary investigations as equitably as possible. Cases of litigation arising between [subjects] of the two empires shall be settled by all suitable means, in order better to insure the preservation of peace and friendship. When these disputes [take place] among limitrophe subjects, neither side shall undertake acts of hostility. But the inalterable maintenance of tranquillity shall be realized by both sides with every sort of consideration and in an amicable manner.

ART. 11. Russian laymen and ecclesiastics will be allowed freely to visit the Holy City of Jerusalem and other places that deserve to be visited. No tributes or payment whatsoever may be levied on these passengers or pilgrims at Jerusalem or elsewhere by subjects of the Ottoman Empire. [Russian subjects] will be given the requisite passports, since the Sublime Porte customarily issues them to nations friendly to the Ottoman Empire. Moreover, in accordance with divine law, no injury or violence will be done to Russian ecclesiastics while they are in territories under Ottoman domination.

ART. 12. Friendly negotiations will be conducted regarding the imperial title that has been mentioned on behalf of Her Imperial Majesty of All the Russias, and agreement will be reached to the satisfaction of the two Parties, as the propriety and the supreme dignity and power of Her Imperial Majesty require.

ART. 13. In order further to strengthen the peace between the two empires and the surety of the articles of the present treaty and [more effectively to accomplish] everything that the affairs of the respective subjects may demand, the ministers of Her Imperial Majesty are allowed to reside at the Porte with such rank as Her Imperial Majesty may deem suitable. The said ministers and their households will enjoy the same privileges, franchises and all the rest as those of the ministers of the other most distinguished powers.

ART. 14. In order that the present peace and good friendship between the two empires may be even more firmly established by the two Parties, Ambassadors Extraordinary will be exchanged at a time to be determined later and fixed by agreement of the two Courts. The Ambassadors shall be exchanged on the frontier with equality. They shall be received, honored and treated with the same ceremonies and formality and in the same manner as are observed in the exchange of ambassadors between the

most distinguished powers and the Ottoman Porte. As a friendly gesture, the ambassadors will bear mutual presents, suitable to the dignity of Their Imperial Majesties.

ART. 15. Furthermore it has been agreed that in three months from the day of the signature of the present treaty the instruments of ratification will be exchanged through the medium of the most illustrious and most excellent Lord, the Ambassador of His Very Christian Majesty [the King of France], mediator of the present peace. Finally, for the greater clarification of the above articles, declaration is made that, since it was agreed in article 4 that commissioners will be named for the regulation of the borders and the execution of the convention that will be framed concerning the said borders, the commissioners appointed by the Sublime Porte will be subordinated to the Khan of Crimea. If, on the part of either empire, incidents capable of altering the peace should occur for which no provision has been made in the articles of the present treaty of peace, the two sides will seek remedy with justice and equity. In order that the conditions of this peace, stipulated in the preceding fifteen articles, may be implemented in the future by the two sides and maintained inviolable as they should be, it is declared that in virtue of the present treaty all previous treaties shall forever remain without force or validity, with the reservation of the borders that are to be determined.

19. TREATY OF PEACE (KURDAN): THE OTTOMAN EMPIRE AND PERSIA
4 September 1746

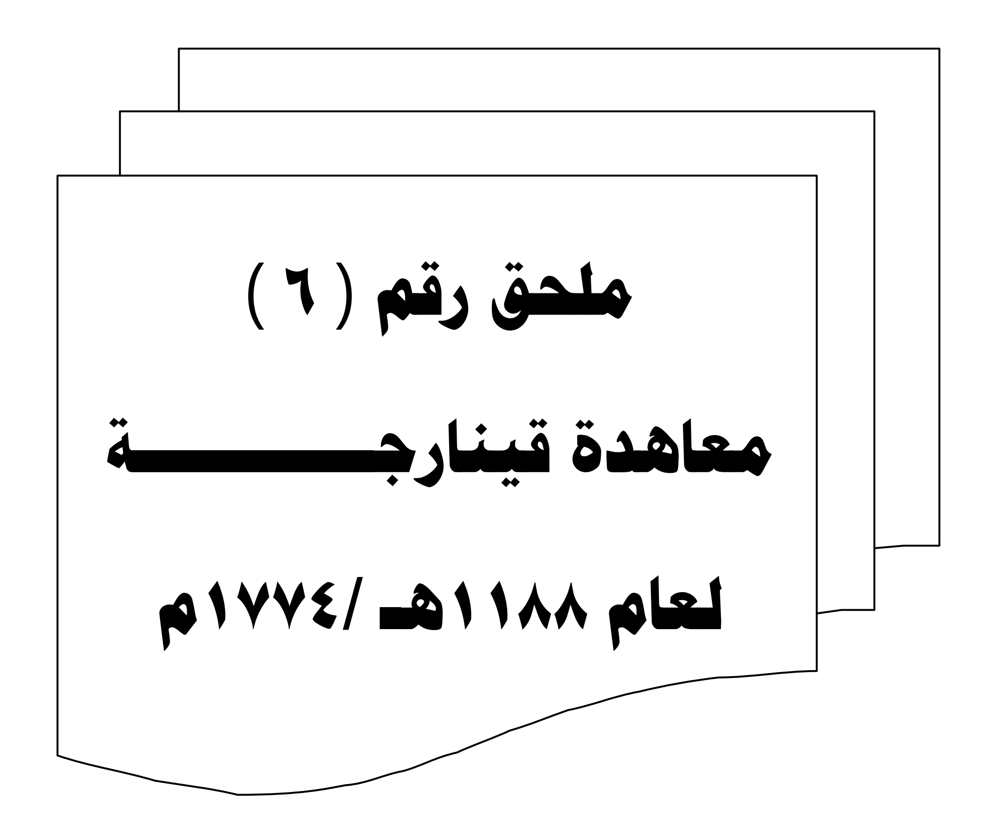
(Confirmed by the treaty of Erzurum, 28 July 1823)

[Translated from the French text in Gabriel Noradounghian, *Recueil d'actes internationaux de l'empire ottoman* (Paris, 1897), vol. 1, pp. 306–08]

Following the attempted Ottoman annexation of Persia's northwest provinces in the early 1720's, the two Muslim states remained technically at war for more than two decades. Actual campaigns, however, never endured beyond a few months. Sustained periods of military inactivity on the Ottoman-Persian front attested to the distraction of both powers by other problems. Efforts at adjustment in October 1727 and January 1732 failed because the principals—Ashraf and Tahmasp—in whose names the negotiations were successively conducted on the Persian side, did not long remain in positions of authority. Once Nadir Quli Khan came to power, as regent after September 1732 and as shah after March 1736, the shepherd boy turned king laid down the Persian terms for coexistence. The parties indeed initialed several instruments—in December 1733, September 1736, and December 1743—but ratified none. The chief stumbling block was Nadir's insistence on Ottoman recognition of his artificially created fifth sect of Sunni Islam, which he labeled the Ja'fari, and on the installation by the Sublime Porte of a fifth column in the Ka'bah at Mecca for the Imam Ja'far after whom the sect was named. When a mutually acceptable peace was finally arranged in September 1746, it proved too late, for Nadir Shah was assassinated on 19 June 1747 before ratification of the treaty. Nevertheless, the terms were confirmed three quarters of a century later in the treaty of Erzurum (Doc. 36). L. Lockhart, *Nadir Shah*, especially chaps. 5–7, 10, 22, 24, 25; M. A. Hekmat, *Essai sur l'histoire des relations politiques irano-ottomanes de 1722 à 1747*, pp. 201–55 (incorrectly dates the treaty January 1747); J. Hanway, *Historical Account of British Trade over the Caspian Sea*, 4 vols., passim.

BASIS OF THE TREATY

The treaty of peace concluded in the reign of Sultan Murad IV [at Zuhab on 17 May 1639], of glorious memory, shall be maintained as valid by the two governments, and the frontiers and limits fixed by that treaty shall be preserved on the same footing, and there shall occur neither change nor alteration of the principles enunciated therein.



ملحق رقم (٦)

معاهدة قينارجــــــــة

لعام ١١٨٨هـ /١٧٧٤م

TREATY OF KUCUK KAYNAARCA [(1)]

Relations of Russia and Turkey from 1774 to 1853; H. Übersberger, *Russlands Orientpolitik,* chap. 3; A. Sorel, *La Question d'Orient au dix-huitième siècle,* also English translation by F. C Bramwell, chap. 20; E. Laloy, *Les Plans de Cathérine II pour la conquête de Constantinople;* P. H. Mischef, *La Mer Noire,* chap. 2; C. Phillipson and N. Buxton, *The Question of the Bosphorus and Dardanelles,* part 2, chap. 1; J. T. Shotwell and F. Deák, *Turkey at the Straits,* chap. 3; and J. A. R. Marriott, *The Eastern Question* (4th ed.), chap. 6.

ART. I. From the present time all the hostilities and enmities which have hitherto prevailed shall cease for ever, and all hostile acts and enterprises committed on either side, whether by force of arms or in any other manner, shall be buried in an eternal oblivion, without vengeance being taken for them in any way whatever; but, on the contrary, there shall always be a perpetual, constant, and inviolable peace, as well by sea as by land. In like manner there shall be cultivated between the two High Contracting Parties, Her Majesty the Empress of all the Russias and His Highness, their successors and heirs, as well as between the two Empires, their states, territories, subjects, and inhabitants, a sincere union and a perpetual and inviolable friendship, with a careful accomplishment and maintenance of these Articles; so that neither of the two Parties shall, in future, undertake with respect to the other any hostile act or design whatsoever, either secretly or openly. And in consequence of the renewal of so sincere a friendship, the two Contracting Parties grant respectively an amnesty and general pardon to all such of their subjects, without distinction, who may have been guilty of any crime against one or other of the two Parties; delivering and setting at liberty those who are in the gallies or in prison; permitting all banished persons or exiles to return home, and promising to restore to them, after the peace, all the honours and property which they before enjoyed, and not to subject them, nor allow others to subject them, with impunity, to any insult, loss, or injury under any pretext whatsoever; but that each and every of them may live under the safeguard and protection of the laws and customs of his native country in the same manner as his native fellow-countrymen.

II. If, after the conclusion of the Treaty and the exchange of the ratifications, any subjects of the two Empires, having committed any capital offence, or having been guilty of disobedience or of treason, should endeavour to conceal themselves, or seek an asylum in the territories of one of the two Powers, they must not be received or sheltered there under any pretext, but must be immediately delivered up, or at least expelled, from the States of the Power whither they had escaped, in order that, on account of such criminals, there should not arise any coolness or useless dispute between the two Empires, with the exception, however, of those who, in the Empire of Russia, shall have embraced the Christian religion, and, in the Ottoman Empire, the Mahometan religion. In like manner, should any subjects of the two Empires, whether Christians or Mahometans, having committed any crime or offence, or for any reason whatsoever, pass from one Empire into the other, they shall be immediately delivered up, so soon as a requisition to that effect is made.

III. All the Tartar peoples—those of the Crimea, of the Budjiac, of the Kuban, the Edissans, Geambouiluks and Editschkuls—shall, without any exception, be acknowledged by the two Empires as free nations, and entirely independent of every foreign Power, governed by their own Sovereign, of the race of Ghengis Khan, elected and raised to the throne by all the Tartar peoples; which Sovereign shall govern them according to their ancient laws and usages, being responsible to no foreign Power whatsoever; for which reason, neither the Court of Russia nor the Ottoman Porte shall interfere, under any pretext whatever, with the election of the said Khan, or in the d[omestic], political, civil and internal affairs [of] the same; but, on the contrary, they sha[ll] acknowledge and consider the said Tart[ar] nation, in its political and civil state, up[on] the same footing as the other Powers wh[o] are governed by themselves, and are d[e]pendent upon God alone. As to the cer

(1) Hurewitz, I Bid, P55-61.

monies of religion, as the Tartars profess the same faith as the Mahometans, they shall regulate themselves, with respect to His Highness, in his capacity of Grand Caliph of Mahometanism, according to the precepts prescribed to them by their law, without compromising, nevertheless, the stability of their political and civil liberty. Russia leaves to this Tartar nation, with the exception of the fortresses of Kertsch and Jenicale (with their districts and ports, which Russia retains for herself), all the towns, fortresses, dwellings, territories, and ports which it has conquered in Crimea and in Kuban; the country situated between the rivers Berda, Konskie, Vodi, and the Dnieper, as well as all that situated as far as the frontier of Poland between the Boug and the Dniester, excepting the fortress of Oczakow, with its ancient territory, which shall belong, as heretofore, to the Sublime Porte, and it promises to withdraw its troops from their possessions immediately after the conclusion and exchange of the Treaty of Peace. The Sublime Ottoman Porte engages, in like manner, on its part, to abandon all right whatsoever which it might have over the fortresses, towns, habitations, &c., in Crimea, in Kuban, and in the island of Taman; to maintain in those places no garrison nor other armed forces, ceding these States to the Tartars in the same manner as the Court of Russia has done, that is to say, in full power and in absolute and independent sovereignty. In like manner the Sublime Porte engages, in the most solemn manner, and promises neither to introduce nor maintain, in future, any garrison or armed forces whatsoever in the above-mentioned towns, fortresses, lands, and habitations, nor, in the interior of those States, any intendant or military agent, of whatsoever denomination, but to leave all the Tartars in the same perfect liberty and independence in which the Empire of Russia leaves them.

IV. It is conformable to the natural right of every Power to make, in its own country, such dispositions as it may consider to be expedient: in consequence whereof, there is respectively reserved to the two Empires a perfect and unrestricted liberty of constructing anew in their respective States, and within their frontiers, in such localities as shall be deemed advisable, every kind of fortresses, towns, habitations, edifices, and dwellings, as well as of repairing and rebuilding the old fortresses, towns, habitations, &c.

V. After the conclusion of this happy peace, and the renewal of a sincere and neighbourly friendship, the Imperial Court of Russia shall always have, henceforth, at the Sublime Porte, a Minister of the secon rank, that is to say, an Envoy or Minist Plenipotentiary; the Sublime Porte sh show to him, in his official character, all t attentions and respect which are observ towards the Ministers of the most disti guished Powers; and upon all public occ sions the said Minister shall immediate follow the Emperor's Minister, if he be the same rank as the latter; but if he be a different rank, that is to say, either s perior or inferior, then the Russian Minist shall immediately follow the Ambassad of Holland, and, in his absence, that Venice.

VI. If any individual in the actual ser ice of the Russian Minister during his st at the Sublime Porte, having been guilty theft or having committed any crime or a liable to punishment, should, for the pu pose of escaping the penalty of the la become Turk; although he cannot be pr vented from so doing, yet after he has u dergone the punishment he deserves, all t articles stolen shall be restored *in toto*, a cording to the specification of the Minist But those who, being intoxicated, might desirous of adopting the turban, must n be allowed so to do until after their fit drunkenness is over, and they have come their right senses; and even then, their fin declaration shall not be taken, unless in t presence of an interpreter sent by the Mi ister, and of some Mussulman free from t suspicion of partiality.

VII. The Sublime Porte promises to pr tect constantly the Christian religion a its churches, and it also allows the Mini ters of the Imperial Court of Russia make, upon all occasions, representatior as well in favour of the new church at Co

stantinople, of which mention will be made in Article XIV, as on behalf of its officiating ministers, promising to take such representations into due consideration, as being made by a confidential functionary of a neighbouring and sincerely friendly Power.

VIII. The subjects of the Russian Empire, as well laymen as ecclesiastics, shall have full liberty and permission to visit the holy city of Jerusalem, and other places deserving of attention. No charatsch, contribution, duty, or other tax, shall be exacted from these pilgrims and travellers by any one whomsoever, either at Jerusalem or elsewhere, or on the road; but they shall be provided with such passports and firmans as are given to the subjects of the other friendly Powers. During their sojourn in the Ottoman Empire, they shall not suffer the least wrong or injury; but, on the contrary, shall be under the strictest protection of the laws.

IX. The interpreters attached to the Russian Ministers resident at Constantinople, of whatever nation they may be, being employed upon State affairs, and consequently in the service of both Empires, must be regarded and treated with every degree of kindness; and they shall be subjected to no ill-treatment on account of the business with which they may be entrusted by their principals.

X. If between the signing of these Articles of Peace and the orders which shall thereupon be dispatched by the Commanders of the two respective armies, an engagement should anywhere take place, neither party shall be offended thereat, nor shall it be productive of any consequences, every acquisition made thereby being restored, and no advantage shall accrue therefrom to one party or the other.

XI. For the convenience and advantage of the two Empires, there shall be a free and unimpeded navigation for the merchant-ships belonging to the two Contracting Powers, in all the seas which wash their shores; the Sublime Porte grants to Russian merchant-vessels, namely, such as are universally employed by the other Powers for commerce and in the ports, a free passage from the Black Sea into the White Sea, and reciprocally from the White Sea into the Black Sea, as also the power of entering all the ports and harbours situated either on the sea-coasts, or in the passages and channels which join those seas. In like manner, the Sublime Porte allows Russian subjects to trade in its States by land as well as by water and upon the Danube in their ships, in conformity with what has been specified above in this Article, with all the same privileges and advantages as are enjoyed in its States by th[e] most friendly nations, whom the Sublim[e] Porte favours most in trade, such as th[e] French and the English; and the capitul[a]tions of those two nations and others sha[ll,] just as if they were here inserted word f[or] word, serve as a rule, under all circum[]stances and in every place, for whatev[er] concerns commerce as well as Russian me[r]chants, who upon paying the same duti[es] may import and export all kinds of good[s] and disembark their merchandize at eve[ry] port and harbour as well upon the Black [as] upon the other Seas, Constantinople bei[ng] expressly included in the number.

While granting in the above manner [to] the respective subjects the freedom of com[]merce and navigation upon all waters wit[h]out exception, the two Empires, at the sam[e] time, allow merchants to stop within the[ir] territories for as long a time as their affai[rs] require, and promise them the same sec[u]rity and liberty as are enjoyed by the su[b]jects of other friendly Courts. And in ord[er] to be consistent throughout, the Sublim[e] Porte also allows the residence of Consu[ls] and Vice-Consuls in every place where th[e] Court of Russia may consider it expedien[t] to establish them, and they shall be treate[d] upon a perfect footing of equality with th[e] Consuls of the other friendly Powers. [It] permits them to have interpreters calle[d] Baratli, that is, those who have patent[s,] providing them with Imperial patents, an[d] causing them to enjoy the same preroga[]tives as those in the service of the sai[d] French, English, and other nations.

Similarly, Russia permits the subjects [of] the Sublime Porte to trade in its domin[]ions, by sea and by land, with the same pre[]rogatives and advantages as are enjoyed b[y]

the most friendly nations, and upon paying the accustomed duties. In case of accident happening to the vessels, the two Empires are bound respectively to render them the same assistance as is given in similar cases to other friendly nations; and all necessary things shall be furnished to them at the ordinary prices.

XII. When the Imperial Court of Russia shall have the intention of making any Commercial Treaty with the regencies of Africa, as Tripoli, Tunis, and Algiers, the Sublime Porte engages to employ its power and influence in order to accomplish the views of the above-named Court in this respect, and to guarantee, as regards those regencies, all the conditions which shall have been stipulated in those Treaties.

XIII. The Sublime promises to employ the sacred title of the Empress of all the Russias in all public acts and letters, as well as in all other cases, in the Turkish language, that is to say, "Temamen Roussielerin Padischag."

XIV. After the manner of the other Powers, permission is given to the High Court of Russia, in addition to the chapel built in the Minister's residence, to erect in one of the quarters of Galata, in the street called Bey Oglu, a public church of the Greek ritual, which shall always be under the protection of the Ministers of that Empire, and secure from all coercion and outrage.

XV. Although, according to the manner in which the boundaries of the two Contracting Powers are arranged, there is every reason to hope that the respective subjects shall no longer find any occasion for serious differences and disputes amongst themselves, nevertheless, at all events to guard against whatever might occasion a coolness or cause a misunderstanding, the two Empires mutually agree that all such cases of disagreement shall be investigated by the Governors and Commanders of the frontiers, or by Commissioners appointed for that purpose, who shall be bound, after making the necessary inquiries, to render justice where it is due, without the least loss of time: with the express condition that events of this nature shall never serve as a pretext for the slightest alteration in the friendship and good feeling re-established by this Treaty. . . .

XVII. The Empire of Russia restores to the Sublime Porte all the islands of the Archipelago which are under its dependence; and the Sublime Porte, on its part, promises:

1. To observe religiously, with respect to the inhabitants of these islands, the conditions stipulated in Article I concerning the general amnesty and the eternal oblivion of all crimes whatsoever, committed or suspected to have been committed to the prejudice of the interests of the Sublime Porte.

2. That the Christian religion shall not be exposed to the least oppression any more than its churches, and that no obstacle shall be opposed to the erection or repair of them; and also that the officiating ministers shall neither be oppressed nor insulted.

3. That there shall not be exacted from these islands any payment of the annual taxes to which they were subjected, namely, since the time that they have been under the dependence of the Empire of Russia; and that, moreover, in consideration of the great losses which they have suffered during the war, they shall be exempt from any taxes for two years more, reckoning from the time of their restoration to the Sublime Porte.

4. To permit the families who might wish to quit their country, and establish themselves elsewhere, free egress with their property; and in order that such families may arrange their affairs with all due convenience, the term of one year is allowed them for this free emigration, reckoning from the day of the exchange of the present Treaty.

5. In case the Russian fleet, at the time of its departure, which must take place within three months, reckoning from the day on which the present Treaty is exchanged, should be in need of anything, the Sublime Porte promises to provide it, as far as possible, with all that may be necessary.

XVIII. The Castle of Kinburn, situated at the mouth of the Dnieper, with a proportionate district along the left bank of the Dnieper, and the corner which forms

the desert between the Bug and the Dnieper, remains under the full, perpetual, and incontestable dominion of the Empire of Russia.

XIX. The fortresses of Jenicale and Kertsch, situated in the peninsula of Crimea, with their ports and all therein contained, and moreover with their districts, commencing from the Black Sea, and following the ancient frontier of Kertsch as far as the place called Bugak, and from Bugak ascending in a direct line as far as the Sea of Azow, shall remain under the full, perpetual, and incontestable dominion of the Empire of Russia.

XX. The city of Azow, with its district, and the boundaries laid down in the Conventions made in 1700, that is to say in 1113, between the Governor Tolstoi and Hassan Bacha, Governor of Atschug, shall belong in perpetuity to the Empire of Russia.

XXI. The two Cabardes, namely, the Great and Little, on account of their proximity to the Tartars, are more nearly connected with the Khans of Crimea; for which reason it must remain with the Khan of Crimea to consent, in concert with his Council and the ancients of the Tartar nation, to these countries becoming subject to the Imperial Court of Russia.

XXII. The Two Empires have agreed to annihilate and leave in an eternal oblivion all the Treaties and Conventions heretofore made between the Two States, including therein the Convention of Belgrade, with all those subsequent to it; and never to put forth any claim grounded upon the said Conventions, excepting, however, the one made in 1700 between Governor Tolstoi and Hassan Bacha, Governor of Atschug, on the subject of the boundaries of the district of Azow and of the line of demarcation of the frontier of Kuban, which shall remain invariably such as it has heretofore been.

XXIII. The fortresses which are standing in a part of Georgia and of Mingrelia, as Bagdadgick, Kutatis, and Scheherban, conquered by the Russian armies, shall be considered by Russia as belonging to those on whom they were formerly dependent; so that if, in ancient times, or for a very long period, they have actually been under the dominion of the Sublime Porte, they shall be considered as belonging to it; and after the exchange of the present Treaty the Russian troops shall, at the time agreed upon, quit the said Provinces of Georgia and Mingrelia. On its part, the Sublime Porte engages, conformably to the contents of the present Article, to grant a general amnesty to all those in the said countries who, in the course of the present war, shall have offended it in any manner whatsoever. It renounces solemnly and for ever to exact tributes of children, male and female, and every other kind of tax. It engages to consider such of these people only as its subjects as shall have belonged to it from all antiquity; to leave and restore all the castles and fortified places which have been under the dominion of the Georgians and Mingrelians, to their own exclusive custody and government; as also not to molest in any manner the religion, monasteries, and churches; not to hinder the repairing of dilapidated ones, nor the building of new ones; and it promises that these people shall not be oppressed on the part of the Governor of Tschildirsk, and other chiefs and officers, by exactions which despoil them of their property. But as the said people are subjects of the Sublime Porte, Russia must not, in future, intermeddle in any manner in their affairs, nor molest them in any way.

XXIV. . . . As to the islands of the Archipelago, they shall be left, as heretofore, under the legitimate dominion of the Ottoman Porte, by the fleet and the Imperial troops of Russia, as soon as the arrangements and peculiar necessities of the fleet shall permit, with regard to which it is not possible to assign here the precise time. And the Sublime Porte, in order to accelerate as much as possible the departure of the said fleet, already engages, as a friendly Power, to furnish it, as far as it can, with every necessary of which it may be in need.

During the stay of the Imperial troops of Russia in the Provinces to be restored to the Sublime Porte, the government and po-

lice shall remain there in the same vigour as at present and since the conquest, and the Porte must take no part whatever therein, during the whole of this time, nor until the entire withdrawal of all the troops. Up to the last day of their quitting these countries, the Russian troops shall be provided with all necessaries, as well provisions as other articles, in the same manner as they have hitherto been furnished with them.

The troops of the Sublime Porte must not enter the fortresses which shall be restored to it, nor shall that Power commence to exercise its authority in the countries which shall be given up to it, until at each place or country which shall have been evacuated by the Russian troops, the Commander of those troops shall have given notice thereof to the officer appointed for that purpose on the part of the Ottoman Porte.

The Russian troops may, at their pleasure, empty their magazines of ammunition and provisions which are in the fortresses, towns and wherever else they may be, and they shall leave nothing in the fortresses restored to the Sublime Porte but such Turkish artillery as is actually found there. The inhabitants in all the countries restored to the Sublime Porte, of whatever state and condition they may be, and who are in the Imperial service of Russia, have the liberty, besides the term allowed of one year, as assigned in the Articles XVI and XVII of the Treaty of Peace, of quitting the country and withdrawing with their families and property in the rear of the Russian troops; and conformably to the above-mentioned Articles, the Sublime Porte engages not to oppose their departure, neither then nor during the entire term of one year.

XXV. All the prisoners of war and slaves in the two Empires, men and women, of whatever rank and dignity they may be, with the exception of those who, in the Empire of Russia shall have voluntarily quitted Mahometanism in order to embrace the Christian religion, or in the Ottoman Empire shall have voluntarily abandoned Christianity in order to embrace the Mahometan faith, shall be, immediately after the exchange of the ratifications of this Treaty, and without any excuse whatever, be set at liberty on either side, and restored and delivered up without ransom or redemption money; in like manner, all the Christians fallen into slavery, such as Poles, Moldavians, Wallachians, Peloponnesians, inhabitants of the islands, and Georgians, all, without the least exception, must be set at liberty without ransom or redemption money. Similarly all Russian subjects who, since the conclusion of this happy peace, shall by any accident have fallen into slavery, and who shall be found in the Ottoman Empire, must be set at liberty and restored in like manner; all which the Empire of Russia promises also to observe, on its part, towards the Ottoman Porte and its subjects.

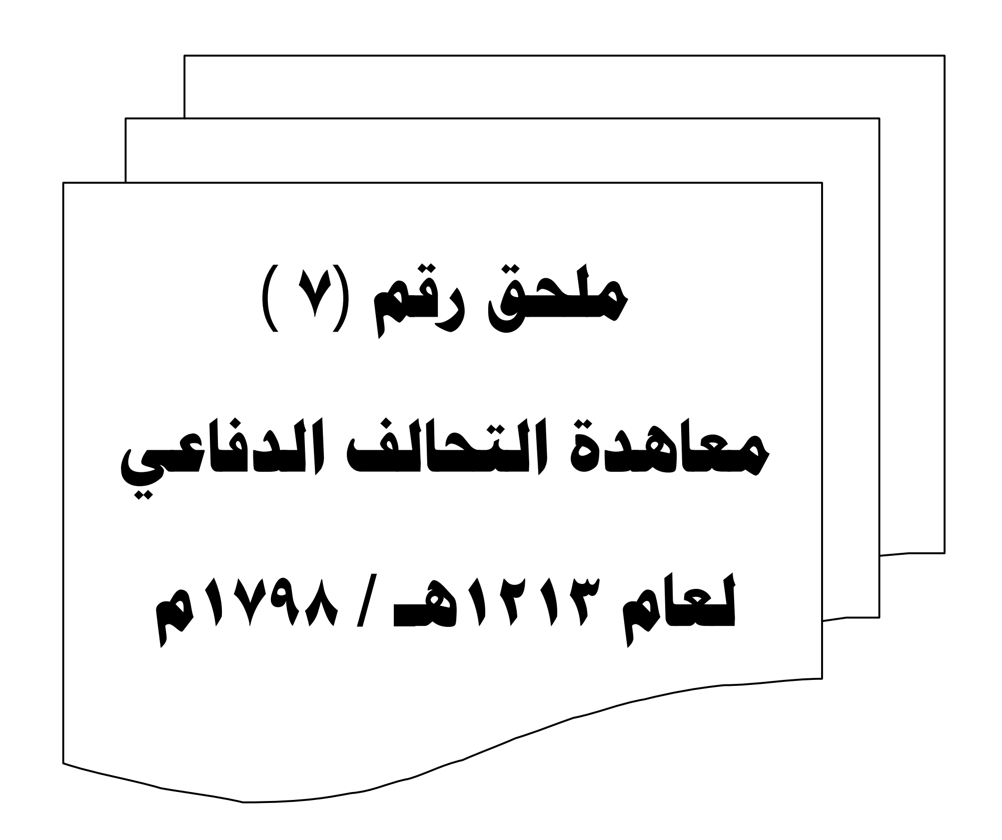
XXVI. After having received in Crimea and in Oczakow intelligence of the signature of these Articles, the Commander of the Russian army in Crimea, and the Governor of Oczakow must immediately communicate with each on the subject, and within two months after the signing of the Treaty send, respectively, persons duly accredited for effecting, on the one hand, the cession, and on the other the taking possession, of the Castle of Kinburn, with the desert, as stipulated in Article XVIII above; and this the said Commissioners must absolutely effect within two months from the day of their meeting, in order that within four months, or even sooner, reckoning from the signing of the Treaty, the whole of this business be accomplished, and immediately after the said execution thereof, notice of the same shall be given to their Excellencies the Field-Marshal and the Grand Vizier.

XXVII. But in order that the present peace and sincere friendship between the two Empires be so much the more strongly and authentically sealed and confirmed, there shall be sent on both sides solemn and extraordinary Embassies with the Imperial ratifications signed, confirmatory of the Treaty of Peace, at such time as shall be agreed upon by both the High Contracting Parties. The Ambassadors shall be met

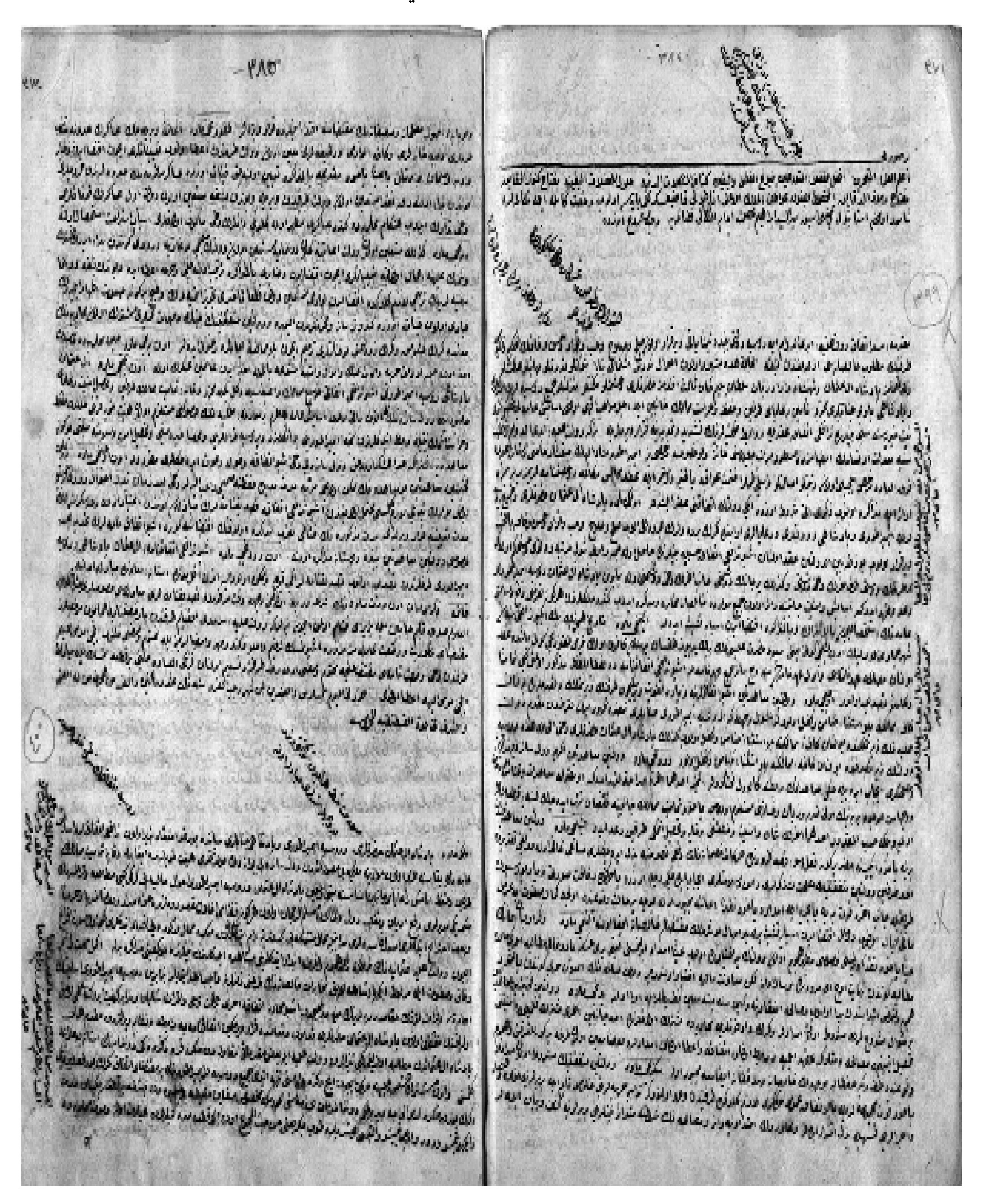
on the frontiers in the same manner, and they shall be received and treated with the same honours and ceremonies as are observed in the respective Embassies between the Ottoman Porte and the most respectable Powers. And as a testimonial of friendship, there shall be mutually sent through the medium of the said Ambassadors presents which shall be proportionate to the dignity of their Imperial Majesties.

XXVIII. After these Articles of the perpetual peace shall have been signed by the said Plenipotentiaries, the Lieutenant General Prince Repnin, and on the part of the Sublime Porte the Nischandgi Resmi Achmet Effendi and Ibrahim Munib Effendi, all hostilities are to cease between the principal as well as between the separate corps, both by land and by sea, so soon as orders to that effect shall have been received from the Commanders of the two armies. For this purpose, couriers must first of all be dispatched on the part of the Field-Marshal and the Grand Vizier into the Archipelago, to the fleet which is in the Black Sea, opposite to the Crimea, and to all the places where hostilities are being mutually carried on, in order that by virtue of the concluded peace all warfare and hostile operations may cease and determine; and these couriers shall be provided with orders on the part of the Field-Marshal, and of the Grand Vizier, in such wise, that should the Russian courier arrive first at the quarters of the Commander to whom he is sent, he may, through his means, transmit to the Turkish Commander the orders of the Grand Vizier; and in like manner, if the courier of the latter should be the first to arrive, then the Turkish Commander may transmit to the Russian Commander the orders of the Field-Marshal.

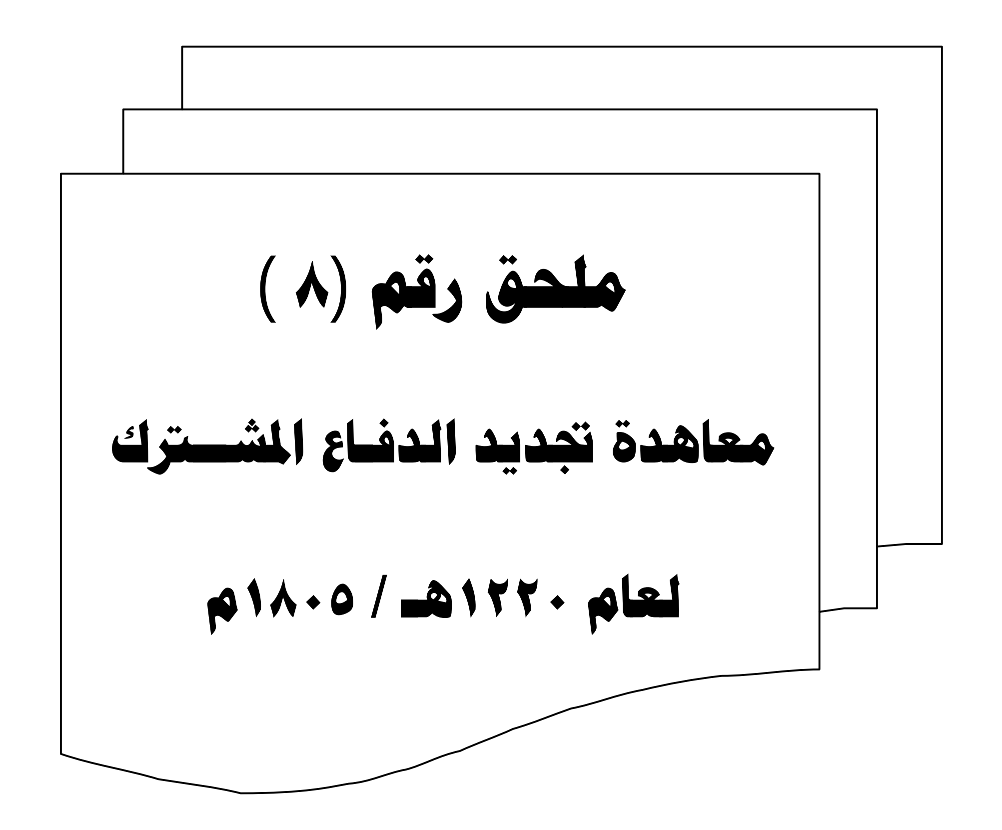
And as the negotiation and accomplishment of this peace have been confided by the Sovereigns of the respective Empires to the care of the Commanders-in-chief of their armies, namely, the Field-Marshal Count Pierre de Roumanzow, and the Grand Vizier of the Sublime Porte, Mousson Zade Mechmet Bacha, the said Field-Marshal and Grand Vizier must, by virtue of the full power given to each of them by their Sovereigns, confirm all the said Articles of the perpetual peace as they are herein expressed, and with the same force as if they had been drawn up in their presence, sign them with the seal of their coat-of-arms, observe and faithfully and inviolably accomplish all that has been there stipulated and promised, do nothing, nor suffer anything whatsoever to be done in contravention of the said Treaty, and the copies, in every respect similar to the present one, signed by them, and having their seals attached, on the part of the Grand Vizier in the Turkish and Italian language, and on the part of the Field-Marshal in Russian and Italian, as well as the full-powers to them given by their Sovereigns, shall be respectively exchanged by the same persons above-mentioned, who have been sent, on the part of the Sublime Porte, to the Field-Marshal, within five days without fail, reckoning from the day of the signing of the present Treaty, and sooner if it be possible; it being, from this present time, determined that they shall receive the said copies from the Field-Marshal as soon as they shall have notified that those of the Grand Vizier have reached them.


ملحق رقم (٧)
معاهدة التحالف الدفاعي
لعام ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م

معاهدة التحالف الدفاعي[1]



(١) أرشيف رئاسة الوزراء بتصنيف : A.DVNS. NMH.D.00009



ملحق رقم (٨)

معاهدة تجديد الدفاع المشـــترك

لعام ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م

RUSSO-OTTOMAN DEFENETVE ALLIANCE (1)

cession that the Sublime Porte was ever to make to Tsarist Russia on sharing responsibilities for the defense of the straits. But the arrangement had hardly been put into operation when it was upset by astute Napoleonic diplomacy, which before the end of 1806 smashed the triple alliance of Britain, the Ottoman Empire and Russia. V. J. Puryear, *Napoleon and the Dardanelles*, chaps. 3, 4; S. Goriainow, *Le Bosphore et les Dardanelles*, chaps. 2–4; C. Phillipson and N. Buxton, *The Question of the Bosphorus and Dardanelles*, part 2, chap. 2; Sir J. Headlam-Morley, *Studies in Diplomatic History*, chap. 8; M. P. Coquelle, "Sébastiani, ambassadeur à Constantinople, 1806–1808," *Revue d'histoire diplomatique*, 18 (1904), 574–611; P. F. Shupp, *European Powers and Near Eastern Question, 1806–1807*, chaps. 2–3.

1. PUBLIC TREATY

ART. 1. As a result of the peace, amity and good understanding very fortunately existing between the Sultan of the Ottomans and the Emperor of All the Russias as well as between their respective states and subjects, the bonds of good relations based on their mutual security and prosperity shall not only be maintained but shall also be drawn closer by the present defensive alliance, so that the friend of one of the two states will be considered a friend of the other and the enemy of the one an enemy of the other. In consequence, His Imperial Majesty the Sultan and His Majesty the Emperor of Russia undertake to act loyally in concert on all questions affecting the peace and security of the two Contracting Parties, and to ally themselves in taking necessary measures to repel every aggression against their respective countries and to re-establish common peace.

ART. 2. Whenever any power may manifest enmity toward one of the two Allied Powers or toward both, the Allied Power shall do everything that it can to prevent acts of hostility, but if it fails in its efforts to settle the litigation peacefully and if the menaced state is not in a position to repel with its own means the attack launched against it, its Ally shall come to its assist- geographic position or remoteness, it shall then be obliged to help its Ally financially in proportion to the costs involved in sending an auxiliary army. As regards naval forces, the number of warships placed by one Ally at the service of the other shall not be fewer than six ships of the line and four frigates; and as regards land forces, the troops shall consist of at least ten thousand infantrymen and two thousand cavalrymen; but the land and sea forces shall not be furnished without a preliminary understanding to that effect.

ART. 3. The choice between armed assistance or a financial subsidy rests with the attacked state. If the latter requests assistance in the form of troops and war vessels, they will be furnished within a maximum of three months from the date of request. If financial assistance is requested, it will be furnished in installments effective the date of the declaration of war of the aggressor state or the date of commencement of hostilities.

ART. 4. Armament in artillery, war munitions and all the equipment of the assisting forces shall be at the expense of the expeditionary state. As to the rations of wheat, barley, straw and hay, they will be furnished in kind by the state requiring them, in same proportion and quality as those adopted in its own army in time of war, and this from the day the troops leave the frontiers of their country. To avoid any error or delay in this connection, the routes to be followed by these troops will be indicated in advance by the state requiring assistance. The state that has required assistance, for its part, will provide the troops of its ally with the same facilities and accommodations as those which they enjoy in their country and those which are assured to its own troops.

ART. 5. The state that may require from its ally the assistance of a naval force will be responsible for furnishing this force with necessary rations, effective on the date of arrival of the force in its territorial waters or in the waters where it may be called to

(1) Hurewitz, I Bid, P73-76.

Parties. In the event that it proves impossible to furnish the rations in kind, a financial subsidy proportional to the value of the rations agreed upon shall be paid. Furthermore, when the vessels of the assisting fleet may need repairs, the state requesting assistance will provide same in its own arsenals and stores at current prices without the least delay and without raising any difficulty. In addition to the vessels of the said fleet, the same treatment will also be assured, for the duration of the alliance, to other vessels of war and transport of the two Powers destined for common service. These vessels shall, therefore, have the right without impediment to enter the ports of one and the other Party for winter haven or for repair.

ART. 6. If the attacked state is unable, with its own forces or with the assistance of the land and sea forces furnished by its Ally in conformity with Article 2 of this treaty, to repel the aggression directed against it, its Ally shall participate openly in the war using all available forces until the conclusion of peace, provided however that this participation by land and by sea is possible in terms of its geographic position; but if the great distance separating the two countries renders impossible for one of the allies direct participation in the war with all its forces and if the attacked state signifies its desire to see the assisting contingent of land and sea forces augmented, the two states shall reach a common agreement on the scope and conditions of the necessary supplementary help.

ART. 7. The two High Contracting Parties undertake to communicate loyally to each other information pertaining to military measures taken and mutually to facilitate their execution on all occasions when their collective action is necessary, using all available forces or furnishing each other the assistance stipulated in the present treaty. They also obligate themselves to consult together concerning the prolongation of hostilities or the eventual conditions of peace. Neither of the two Allied States may conclude an armistice or peace with the enemy without including its ally and without assuring the security of the two countries.

ART. 8. The two Contracting States agree that, in commencing the salute when their fleets or large vessels or other ships of war meet, account will be taken of the rank of the commanders as evidenced by the flag hoisted to that effect. If the commanders of the two parties have the same rank, they will not exchange salutes. The one receiving the salute will answer by firing an equivalent number of guns. When meeting, the parties involved will therefore act in concert, through the despatch of launches, in order to avoid errors or misunderstanding on the subject.

ART. 9. The arms and munitions of war and the various effects taken from the enemy during the war will belong to the troops which seized them.

ART. 10. While the two High Contracting Parties have the right to negotiate and conclude, as in the past, treaties and conventions with other Powers, they nevertheless undertake in a clear and precise manner not to conclude agreements which might affect adversely the interests of the Allied State or its territorial integrity or to grant commercial advantages which might be harmful to the interests of the populations and subjects of the other country. On the contrary, each of the two Contracting Powers undertakes to defend to the extent possible in such a case the interests, the glory and the security of the other Party.

ART. 11. Since His Imperial Majesty the Sultan and His Majesty the Emperor of Russia, in concluding the present treaty of defensive alliance, seek not territorial expansion but only the maintenance of the integrity of their states, the security of their respective subjects and the balance essential to public tranquillity, and since they wish in this respect to safeguard from danger the positions of other states, they have decided to invite to participate in the alliance the King of England and other powers which, guided by laudable purposes, might be desirous of entering into such an alliance.

ART. 12. The treaty of peace, concluded at Jassy on 29 December 1791 and other conventions and acts mentioned therein plus the treaty of peace [relating to the

Ionian Islands] signed on 21 March 1800 are confirmed with the exception of clauses that have been modified by subsequent acts and by the clauses of the present treaty of alliance.

ART. 13. In order to strengthen their alliance, the two Contracting States mutually guarantee the integrity of all territories presently in their possession.

ART. 14. The two Contracting States have the firm desire to respect, as far as possible, the substance of the present treaty of defensive alliance. Since, however, changes in time and circumstances may require the alteration of some clauses, it has been decided that [the treaty] shall remain in force for a period of nine years following the date of the exchange of ratifications. At the approach of the expiry of this period, renewal of the act will be the subject of friendly negotiations between the two states. . . .

2. SECRET ARTICLES ANNEXED TO PUBLIC TREATY

ART. 1. Taking into grave consideration the state of affairs that obtains in Europe, the attitude and actions of France tending unjustly to enlarge her possessions, to upset the European equilibrium and to take away the territories of their respective states, given particularly the ends which she follows against the Ottoman Empire, His Imperial Majesty the Sultan, and His Majesty the Emperor of All the Russias, guided by the bonds and relations of constant and sincere friendship that so happily exist between them and that have been consolidated by the treaty of defensive alliance recently renewed, are convened to undertake negotiations free of all reserve on the subject of the above important questions. With the end in view of a defensive alliance of several of the Great Powers of Europe intended to oppose France's schemes—an alliance into which the Empire of Russia would enter—it is resolved that His Imperial Majesty the Sultan will cooperate in it as well, in accord with his august Ally. At the very least, the Ottoman Government will place at the disposal of his Ally the auxiliary troops mentioned in Article 2 of the defensive treaty of alliance and will make possible, for the duration of the war, passage through the Straits of Constantinople of vessels of war and transports that Russia may be obliged to send into inland waters.

ART. 2. His Majesty the Emperor of Russia intending to invite the governments of Austria, Prussia, Sweden and Denmark as well as other states to enter into the alliance that might be concluded by his country with England and with one of the above-mentioned powers, for the purpose of exerting collective pressure on France to obtain her consent to the establishment of a proper system [that will] produce and safeguard territorial equilibrium in Europe, maintain peace and public tranquillity and respect the principles of international law—the Government of His Majesty the Sultan for his part will cooperate in the realization of this laudable objective.

His Majesty the Emperor of Russia undertakes to open negotiations on the matter with the said powers, and the Government of His Imperial Majesty the Sultan accords him full and complete confidence in the measures adopted toward that end.

ART. 3. The Government of His Majesty the Sultan declares his firm intention to assure the peace and prosperity of the population of the districts of Albania, separated previously from the republic of Venice and reunited with Turkey, as well as the immunities that have been guaranteed to them, and to execute promptly the stipulations of the treaty concluded on the subject. No aggression on the part of the governors of the province or the commanders of the fleet will be tolerated against the said districts, nor any levy of taxes against the said population, who shall continue to enjoy all the immunities that they enjoyed under Venitian rule. Thus the terms of the treaty of 21 March 1800 [on the Ionian Islands] are deemed confirmed word for word by the present treaty. The Russian Minister at Constantinople reserves the right to intervene whenever acts contrary to these stipulations might occur, in which case the Imperial Ottoman Government will be held

liable to have the offenders indemnify the injured population.

ART. 4. Under the terms of Article 1 of the treaty concluded on 21 March 1800 between the Ottoman Empire and Russia, His Majesty the Emperor of Russia having guaranteed in his name as well as in that of his successors the integrity of the Ionian Islands, and the state of affairs in Italy still rendering necessary the Russian occupation of these islands, it is decided that this [occupation] will continue so long as the situation which provoked it is not modified. In exchange for this proof of friendship, the Ottoman Government undertakes to facilitate the passage through the Constantinople Straits of Russian warships destined for the service and the supply of the occupation forces.

ART. 5. The population of the Ionian Isles, Ottoman subjects, having to serve as a barrier to attempts directed by the Italians against the Ottoman Empire, it is desirable that the [Ionian] Republic become strong and be in a position to guarantee its defense and respect for its integrity, stipulated in the treaty of 1800. In consequence, the Ottoman Government undertakes to revoke certain parts of the statute, previously granted to that Republic, that are not in accord with the aforesaid stipulations and to replace them with others more favorable and to devise the necessary means for the development and preservation of that Republic.

ART. 6. Since desertions in the navy and among the auxiliary ground forces tend to weaken reinforcements to be furnished, the two parties agree reciprocally never to receive or protect deserters save only in case of conversion. Thus Muslim deserters who are Russian subjects will be returned and, if there should be any Russians who convert to Islam, they shall remain in the ranks of the army or navy until the return of the said troops to Russia, in which case they will be treated in conformity with article 8 of the treaty of Jassy.

ART. 7. The two contracting parties, having agreed on the closure of the Black Sea, declare that any attempt by any power whatsoever to violate it shall be considered a hostile act against them. Consequently, they pledge to oppose with all their naval forces the entrance into that sea of every vessel of war and every ship carrying military stores.[1]

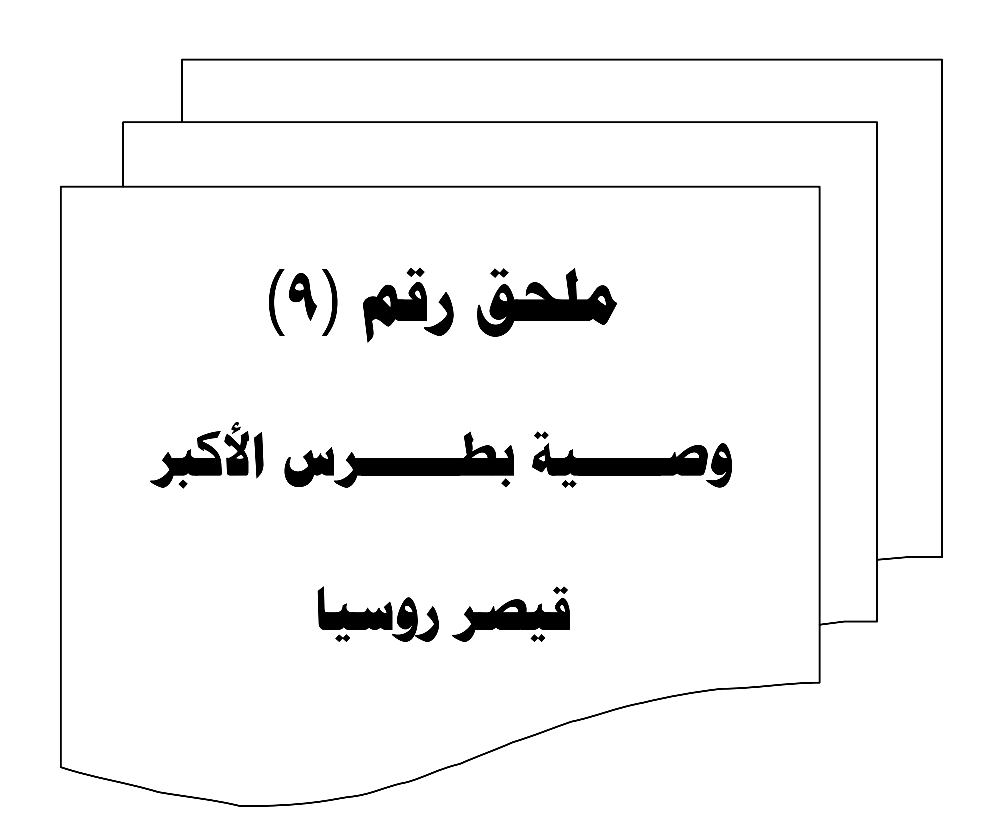
ART. 8. If France, despite the present alliance, should occupy with its troops stationed near Denmark, the Straits of Sund, only outlet of Russian commerce from the Baltic Sea and sole passage for her northern naval forces, or if a state of war should occur between her and Russia, the Ottoman Government promises to act in concert with its ally, either to cooperate with her or to furnish the contingent of troops stipulated in the treaty.

ART. 9. The details of financial aid agreed upon in Article 3 of the annexed treaty are fixed as follows: The annual sum to be paid for each infantryman will be 100 net piasters and for each cavalryman 150 net piasters.[2] The whole of the amount thus calculated will be paid quarterly in advance by the state from whom the aid is demanded, from the first month of declaration of war until the conclusion of peace. When it becomes necessary to execute the stipulations of Articles 1 and 8 of the present secret treaty, the aforementioned subsidy will be paid under the same conditions

---

[1] The Russian version of article 7, as translated from Serge Goriainow, *Le Bosphore et les Dardanelles* (Paris, 1910), p. 6, reads as follows: "The two high contracting parties agree to consider the Black Sea as closed and not to permit the appearance therein of any flag of war or armed vessel of any power whatsoever, and if any should attempt to appear there in arms, the two high contracting parties undertake to regard such an attempt as a *casus foederis* and to oppose it with all their naval forces, as being the only means of assuring their mutual tranquillity; it is understood that the free passage through the canal of Constantinople will continue in effect for the vessels of war and military transports of His Imperial Majesty of All the Russias, to which in each instance the Sublime Porte will furnish every assistance and grant every facility that may be required."

[2] The French phrase "piastres effectives" might also be translated "piasters at prevailing rates."


ملحق رقم (٩)
وصـــــية بطـــــرس الأكبر
قيصر روسيا

وصية بطرس[1]

البند الأول: من اللازم أن تقاد العساكر دائماً إلى الحرب وينبغي للأمة الروسية أن تكون متمادية على حالة الكفاح لتكون أليفة الوغا. وترك وقت لراحة العساكر أو لأجل إصلاح المالية وتوفيرها وإن كان ضرورياً يلزم أن يكون تنظيم المعسكرات متعاقباً وتكون مراقبة الوقت الموافق للهجوم متصلة آناً بآن وعلى هذه الصورة ينبغي لروسيا أن تتخذ زمن الصلح والأمان وسيلة قوية للحرب وهكذا زمن الحرب للصلح وذلك لأجل زيادة قوتها وتوسيع منافعها.

البند الثاني: في وقت الحرب ينبغي اتخاذ جميع الوسائل الممكنة لاستجلاب ضباط للجنود من بين الملل والأقوام الذين هم أكثر معلومات في أوربا وكذلك في زمن الصلح يتعين استجلاب أرباب العلم والمعارف منهم أيضاً ويلزم الاعتناء بما يجعل الأمة الروسية تستفيد من منافع سائر الممالك ومحسناتها بحيث إنها لا تضيع سعياً أصلاً في تحصيل المحسنات المخصوصة بمملكتها.

البند الثالث: عند سنوح الفرصة ينبغي وضع اليد والمداخلة في الأمور المصالح الجارية في أوربا وفي اختلافاتها ومنازعاتها وعلى الخصوص في وقوعات ممالك ألمانيا الممكن الاستفادة منها بلا واسطة بسبب شدة قربها.

البند الرابع: ينبغي استعمال أصول الرشوة لأجل إلقاء الفساد والبغضاء والحسد دائماً في داخلية ممالك (له) وتفريق كلمتهم واستمالة أعيان الأمة ببذل المالك واكتساب النفوذ في مجلس الحكومة حتى نتمكن من المداخلة في انتخاب الملك وبعد الحصول على انتخاب من هو من حزب روسيا من تلك الأمة ينبغي حينئذ دخول عساكر روسيا إلى داخل البلاد لأجل حمايتهم والتعصب لهم بإقامة العساكر المذكورة مدة مديدة هناك إلى أن تحصل الفرصة لاتخاذ وسيلة تمكننا من الإقامة وعند ما تظهر مخالفة في ذلك من طرف الدولة المجاورة فلأجل إخماد نار الفتنة مؤقتاً ينبغي أن نقاسم المخالفين في ممالك (له) ثم نترقب الفرص لاسترجاع

---

(١) أحمد جودت باشا: تاريخ جودت ، المصدر السابق، ص٤٩٩. محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق ، ص٣٣٢م.

الحصص التي تكون قد أعطيت لهم.

البند الخامس: ينبغي الاستيلاء على بعض الجهات من ممالك إسوج بقدر الإمكان ثم نسعى في اغتنام وسيلة لاستكمال الباقي منها ولا نتوصل إلى ذلك إلا بوجه تضطر فيه تلك الدولة إلى أن تعلن الحرب على دولة الروسية وتهاجمها. والذي يلزم أولاً هو أن نصرف المساعي والهمة لإلقاء الفساد والنفرة دائماً بين إسوج والدانمرقة بحيث يكون الاختلاف والمراقبة بينهم دائمين باقيين.

البند السادس: يجب على الأسرة الامبراطورية الروسية أن يتزوجوا دائماً من بنات العائلة الملوكية الألمانية وذلك لتكثير روابط الزوجية والاتحاد بينهم واشتراكهم في المنافع إذ بهذه الصورة يمكن إجراء نفوذهم في داخل ألمانيا ويربطون أيضاً الممالك المذكورة لجهة منافعنا ومصلحتنا.

البند السابع: بإن دولة انكلترة هي الدولة الأكثر احتياجاً إلينا في أمورها فلذلك من الواجب ترجيح الاتفاق معها في أمر التجارة على سائر الدول وبيع محصولات ممالكنا كالأخشاب وسائر الأشياء إلى انكلترة وجلب الذهب من عندهم إلى ممالكنا واستكمال أسباب الروابط والمناسبات متمادياً بين تجار وملاحي الطرفين فيتوسع بهذه الوسيلة أمر التجارة وسير الفن في ممالكنا.

البند الثامن: على الروسيين أن ينتشروا يوماً فيوماً شمالاً في سواحل بحر البلطيق وجنوباً في سواحل البحر الأسود.

البند التاسع: ينبغي التقرب بقدر الإمكان من استانبول والهند وحيث إنه من القضايا المسلمة أن منيحكم على استانبول يمكنه حقيقة أن يحكم على الدنيا بأسرها فلذلك من اللازم إحداث المحاربات المتتابعة تارة مع الدولة العثمانية وتارة مع الدولة الإيرانية وينبغي ضبط البحر الأسود شيئاً فشيئاً وذلك لأجل إنشاء دار صناعات بحرية فيه والاستيلاء على بحر البلطيق أيضا لأنه ألزم موقع لحصول المقصود وللتعجيل بضعف بل بزوال دولة إيران لنتمكن من الوصول إلى البصرة وربما نتمكن من إعادة تجارة الممالك الشرقية القديمة إلى بلاد الشام والوصول منها إلى بلاد الهند التي هي بمثابة مخزن للدنيا وبهذه الوسيلة نستغني عن ذهب انكلترة.

البند العاشر: ينبغي الاهتمام بالحصول على الاتفاق والاتحاد مع دولة اوستريا والمحافظة على ذلك ومن اللازم التظاهر بترويج أفكار الدولة المشار إليها من جهة ما تبتغي إجراؤه من النفوذ في المستقبل في بلاد ألمانيا وأما باطناً فينبغي لنا أن نسعى في تحريك عروق حسد وعداوة سائر حكام ألمانيا لها وتحريك كل منهم لطلب الاستعانة والاستمداد من دولة روسيا، ومن اللازم إجراء نوع حماية للدول المذكورة بصورة يتسنى لنا فيها الحكم على تلك الدول في المستقبل.

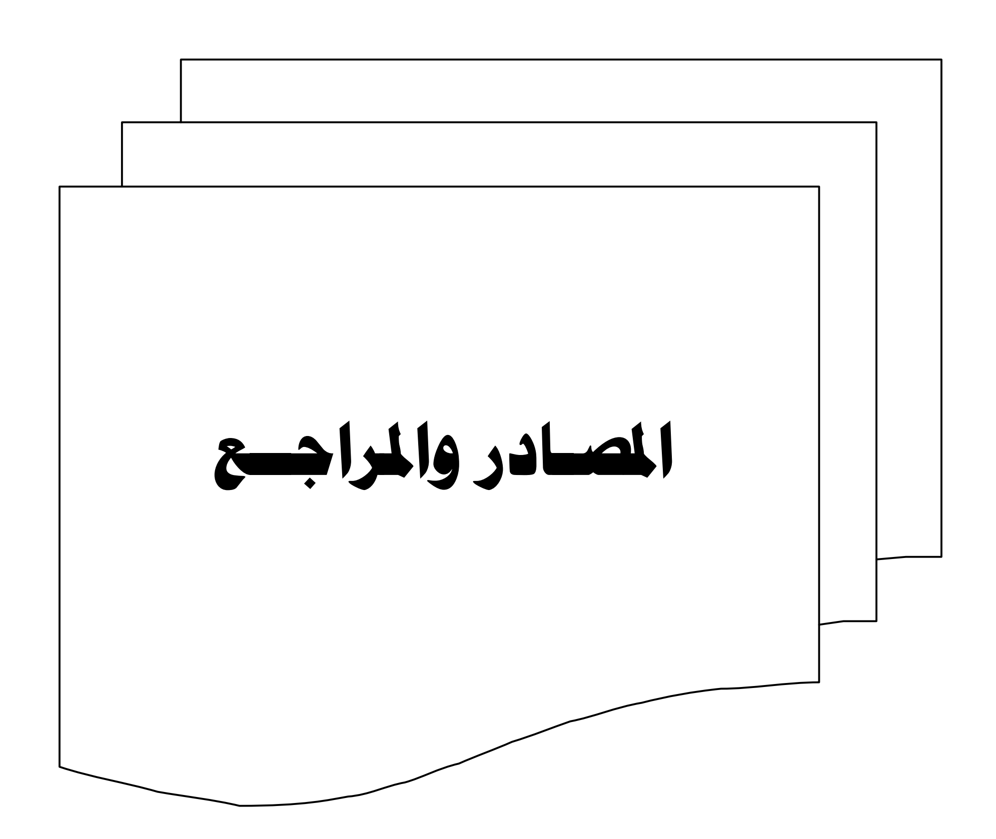
البند الحادي عشر: ينبغي تحريض العائلة المالكة في أوستريا على طرد الأتراك وتبعيدهم من قطعة الروملي وحينما نستولي على إستانبول علينا أن نسلط دول أوربا القديمة على دول أوستريا حرباً أو نسكن حسدها ومراقبتها لنا بإعطائها حصة صغيرة من الأماكن التي نكون قد أخذناها من قبل، وبعده نسعى بنزع هذه الحصة من يدها.

البند الثاني عشر: ينبغي أن نستميل لجهتنا جميع المسيحيين الذين هم من مذهب الروم المنكرين رياسة البابا الروحية والمنتشرين في بلاد المجر والممالك العثمانية وفي جنوبي ممالك (له) ونجعلهم أن يتخذوا دولة روسيا مرجعاً ومعيناً لهم ومن اللازم قبل كل شيء إحداث رياسة مذهبية حتى نتمكن من إجراء نوع نفوذ وحكومة رهبانية عليهم، فنسعى بهذه الواسطة لاكتساب أصدقاء كثيرين ذوي غيرة نستعين بهم في ولاية كل من أعدائنا.

البند الثالث عشر: حينما يصبح الأسوجيون متشتتين والإيرانيون مغلوبين واللاهيون محكومين والممالك العثمانية مضبوطة أيضاً حينئذ نجمع معسكراتنا في محل واحد مع المحافظة على البحر الأسود وبحر البلطيق بقوتنا البحرية وعند ذلك نظهر أولاً لدولة فرانسا كيفية مقاسمة حكومات الدنيا بأسرها بيننا ثم لدولة أوستريا ويعرض ذلك على كل من الدولتين المشار إليهما كل منهما على حدة بصورة خفية جداً لقبول ذلك وحيث إنه لابد من أن إحداهما تقبل بهذه الصورة فعند ذلك ينبغي مداراة واحترام كل منهما ونجعل من كان منهما قابلاً بما عرضناه عليهما واسطة لتنكيل الأخرى وإذ تكون دولة روسيا حينئذ قد ضبطت جميع الممالك الشرقية ويكون مثل ذلك أعظم قطع أوربا حديثة الدخول في يد تصرفها

فعنده يسهل عليها أن تقهر وتنكل فيما بعد أية دول بقيت في الميدان من الدولتين المذكورتين.

البند الرابع عشر: على فرض المحال أن كلا من الدولتين المشار إليهما لم تقبل بما عرضته عليهما روسيا فينبغي حينئذ لروسيا أن تصرف الأفكار لمراقبة ما يحدث من النزاع والخلاف بينهما فإذا وقع ذلك فلابد أن يحصل تعب للطرفين ويشتبك هذا مع الآخر وفي ذلك الوقت يجب على روسيا أن تنتظر الفرصة العظيمة وتسوق حالاً معسكراتها المجتمعة أولاً بأول على ألمانيا فتهجم على تلك الجهات ثم تخرج قسمين كليين من السفن أحدهما من بحر أزاق المملو بالعساكر الوافرة المجتمعة من أقوام الأناضول المتنوعة والثاني من ليمان أرخانكل الكائنة في البحر المتجمد الشمالي فتسير هذه السفن وتمر في البحر الأبيض والبحر المحيط الشمالي مع الأسطول المرتب في البحر الأسود وبحر البلطيق وتهجم كالسيل على سواحل فرانسا. وأما ألمانيا فإنها تكون إذ ذاك مشغولة بحالها وبما ذكرناه تصبح المملكتان الواسعتان المذكورتان مغلوبتين على هذه الصورة فالقطعة التي تبقى من أوربا تدخل بالطبع تحت الانقياد بسهولة وبدون محاربة وتصير جميع قطعة أوربا قابلة للفتح والتسخير.



المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً : الوثائق :

١. الأرشيف العثماني، أرشيف رئاسة الوزراء العثماني ، **A . DVNS . NMH . D . 01**

٢. الأرشيف العثماني، أرشيف رئاسة الوزراء العثماني ، **A.DVNS.NMH.D.00009**

٣. خط همايوني، أرشيف رئاسة الوزراء، رقم الوثيقة ١٦٦ **HATHUMAYUN**

٤. خط همايوني، أرشيف رئاسة الوزراء، رقم الوثيقة ٦٢٣١ /١٤٨ **HATHUMAYUN**

٥. خط همايوني، أرشيف رئاسة الوزراء، رقم الوثيقة ٦٢٣٠/١٤٨ **HATHUMAYUN**

٦. خط همايوني، أرشيف رئاسة الوزراء، رقم الوثيقة ٧٨٩٩ /١٧٦ **HATHUMAYUN**

٧. خط همايوني، أرشيف رئاسة الوزراء، رقم الوثيقة ٦٦٢١ /١٤٨ **HATHUMAYUN**

٨. الأرشيف العثماني، أرشيف رئاسة الوزراء العثماني ، **A.DVNS.NMH.D.00010**

ثانياً : المخطوطات :

١. يوسف آصاف:تاريخ سلاطين آل عثمان،تحقيق/بسام الجـــابي،دمشـــق،دار البصـــائر، ط٣ ، ١٤٠٥/١٩٨٥م.

ثالثاً: المصادر والمراجع التركية :

١. احمد حامد،مصطفى محسن : توركيه تاريخي استانبولك فتحندن زمانمزه قادار،استانبول،ملـــي مطبعة، ١٩٢٦م .

2. **Bir Heyet Tarafindan Hazirlanmiştir: Mufassal Osmanli Tarihi, V.Cilt, Güven Yayincvi Tarafindan Yayinianiniştir Güven Basimevi Istanbul. 1971.**

3. **Ord . Prof. ismail Hakki UzunÇarşili : Osmanli TarÎhi, Iv.Cilt, I. BöIüm,3 Baski, Türk Tarih Kurumu Basimevi- Ankara 1982 .**

4. **Őmer Faruk Yilmaz : Osmanli Tãrihi , Tashih / Abdüiladir Dedeoĝlu – Nuri Barut III. Cilt, Istanbul 1999, 2. Baski .**

5. Akdes Nimet Kurat : XII Kael'in Türkiyede Kalişi ve Bu Siralarda Osmanli imparatorluĝu, Istanbul Riza Kosun Matbaasi , 1943 .

6. Yasar Yücel, Ali Svim: Türkiye Tarihi, III, Türk Tarih Kurumu Basimevi – Ankara 1992 .

7. Ziya Nur Aksun : Osmanli Tarihi, Őtüken Neşriyata.ş .

8. MAARIF Vekaletinge Muallтmlerden Murekkep Bir Heyete Telif Ettirilmistir " Tarih" III. Kitap , istanbuk , devlet matbaasi , 1929 .

رابعاً: المصادر والمراجع المعربة :

١. احمد جودت باشا: تاريخ جودت ، تعريب/عبدالقادر افندي الدنا ، تحقيق/عبداللطيف محمد حميد ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .

٢. أكمل الدين إحسان اوغلى : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ،نقله إلى العربية/صالح سعداوى،استانبول، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية،١٩٩٩م .

٣. بوغانوف : حياة بطرس الأكبر، ترجمة / خيري الضامن ، الاتحاد السوفييتي ، دار التقدم ، ١٩٩٠م .

٤. جون باتريك كينروس:القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية،ترجمة/ناهد دسوقي،الإسكندرية،منشأة المعارف،٢٠٠٣م .

٥. دونالد كواترت : الدولة العثمانية ١٧٠٠-١٩٢٢م، تعريب، أيمن الأرمنازي، الرياض، العبيكان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م .

٦. شاهين بك مكاريوس:تاريخ إيران،مصر،مطبعة المقتطف،١٨٩٨م .

٧. عباس إقبال اشتيانى:تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية(٢٠٥هـ/٨٢٠م-١٣٤٣هـ/١٩٢٥م)،ترجمة/محمد علاء الدين منصور،القاهرة،دار الثقافة،١٩٨٩م .

٨. ماتيو اندرسون : تاريخ القرن الثامن عشر في أوروبة ، ترجمة/نور الدين حاطوم ، دمشق ، دار الفكر ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

٩. هارولد لامب : سليمان القانوني سلطان الشرق العظيم،ترجمة/شكري نديم ، بغداد ، النبراس للنشر والتوزيع ،١٩٦١م .

١٠. ولتير:تاريخ بطرس الأكبر،ترجمة/احمد الطهطاوي تحت مسمى"الروض الأزهر في تاريخ بطرس الأكبر"،القاهرة،مطبعة بولاق،١٢٦٦م .

١١. يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، إستانبول ، مؤسسة فيصل للتمويل،ج١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

خامساً: المصادر والمراجع العربية :

١. إبراهيم بك حليم : تاريخ الدولة العلية العثمانية "التحفة الحليمية" ، بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .

٢. أحمد بن فضلان : رسالة ابن فضلان ، دمشق ، ط٢ ، إحياء التراث العربي ، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م .

٣. أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية، ج٥، ط٧، ١٩٨٦م .

٤. أحمد عبد الرحيم مصطفى :في أصول التاريخ العثماني،القاهرة،دار الشروق.

٥. إسماعيل سرهنك: تاريخ الدولة العثمانية، بيروت،دار الفكر الحديث،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٦. أماني جعفر الغازي: دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية، القاهرة، دار القاهرة، ٢٠٠٧م.

٧. املين نسيب:التاريخ القديم والحديث،بيروت،دار الجيل .

٨. باسيليوس كرباوي:تاريخ روسيا منذ نشأتها إلى الوقت الحاضر،نيويورك،مرآة الغرب،١٩١١م.

٩. بديع جمعة،احمد الخولى:تاريخ الصفويين وحضارتهم،دار الرائد العربي،١٩٧٦ .

١٠. بسام العسلي : بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) مشاهير قادة العالم ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

١١. بسام العسلي:فن الحرب الإسلامي في العهد العثماني،دمشق،دار الفكر،ج٥ .

١٢. خالد زيادة : اكتشاف التقدم الأوربي دراسة في المؤثرات الأوروبية على العثمانيين في القـــرن الثامن عشر ، بيروت، دار الطليعة ، ١٩٨١م .

١٣. السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال البريطاني ١٥١٧-١٨٨٢م، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٠م .

١٤.صالح حسن العكيلي : الوجه الآخر للنهضة الأوروبية محاضرات في تاريخ أوروبـــا في عصـــر النهضة ١٤٥٣-١٧٨٩ ، عمان ، الوراق للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦م .

١٥. صلاح العقاد:التيارات السياسية في الخليج العربي،القاهرة،مكتبة الانجلو المصرية .

١٦. عبد العزيز الشناوي:الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها،القاهرة،مكتبة الانجلو المصرية.

١٧. عبد العزيز سليمان نوار، عبد المجيد نعنعي : التاريخ المعاصر (أوروبا من الثورة الفرنســية إلى الحرب العالمية الثانية)، بيروت، دار النهضة العربية .

١٨. عبدالعزيز سليمان نوار:الشعوب الإسلامية،بيروت،دار النهضة العربية،١٩٧٣م .

١٩. عبدالفتاح ابوعليه،إسماعيل ياغي:تاريخ أوروبا الحديث والمعاصـــر، الريـــاض، دار المـــريخ، ١٣٩٩هـــ/١٩٧٩م.

٢٠. عبدالكريم رافق:العرب والعثمانيون١٥١٦-١٩١٦،دمشق،ط٢، ١٩٩٣م .

٢١. عراقي يوسف محمد : في أصول التاريخ الأوروبي الحديث، القاهرة، المنار .

٢٢. علـــى حســـون : الدولـــة العثمانيـــة وعلاقاتهـــا الخارجيـــة،دمشـــق،المكتـــب الإسلامي،١٤٠٠م/١٩٨٠م.

٢٣.علي شعيب : بطرس الأكبر،بيروت،دار الفكر،١٩٩٢م .

٢٤.علي محمد الصلابي:الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب الســقوط،القـــاهرة،دار الفجـــر للتراث،١٤٢٥هــ/٢٠٠٤م .

٢٥.عمر الإسكندري، سليم حسن : تاريخ أوروبا الحديثة وآثار حضارتها، القاهرة، المعـــارف، ج١، ط٢، ١٣٣٢هـــ / ١٩٢٠م .

٢٦. عمر عبدالعزيز عمر:دراسات في تاريخ العرب الحديث،بيروت،دار النهضة العربية .

٢٧. ليلى الصباغ : الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين (١٠-١١هـ / ١٦-١٧م) بيروت، مؤسسة الرسالة، ج٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٢٨. محمد سهيل طقوش : العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ، بيروت ، دار المحروسة ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

٢٩. محمد عبد اللطيف البحراوي:حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ١٨٠٨-١٨٣٩م،دار التراث،١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

- فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر ، القاهرة ، دار التراث ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

٣٠. محمد عبداللطيف هريدى:الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوروبا،القاهرة،دار الصحوة،١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .

٣١. محمد على حلة : دراسة في تاريخ أوروبا الحديث ، ط٣ ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

٣٢. محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،تحقيق/إحسان حقي ، بيروت ، دار النفائس ، ط٦ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٣٣. محمود السيد:تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها،الإسكندرية،مؤسسة شباب الجامعة،١٩٩٩م.

٣٤. محمود شاكر : تركية، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٧، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٣٥. مفيد الزيدي : موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر(تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ٤٧٦-١٥٠٠م)، عمان ، دار أسامة .

٣٦. ناديه مصطفى وآخرون : العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي،العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية ، القاهرة ، المعهد العالي للفكر الإسلامي،١٩٩٦م .

٣٧. نبيل عبد الحي رضوان :جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث،مكة المكرمة ،مكتبة الطالب الجامعي،١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣٨. وديع أبو زيدون:تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط،عمان،الأهلية للنشر والتوزيع،٢٠٠٣.

٣٩. يوسف الثقفي :

- دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب على مر العصور، مكـــة المكرمـــة، دار الثقافة، ط٢، ١٤١١هـــ/ ١٩٩٠م.
- موقف أوروبا من الدولة العثمانية، الطائف، دار الطائف، ١٤١٧هـــ.

سادساً : المصادر والمراجع الأجنبية :

1. Hurewitz, J. C : Diplomacy in the Near and Middle East ,A Documentary record: 1535-1914, D-Van Nostrand Compony, In C, Vol. I. London, 1956.
2. Eugene Schuyler: Peter The Great Emperor Of Russia , New York, Vol. II,1884 .
3. K . Waliszewski: Peter The Great, London , Vol. I , 1897 .
4. Jacob Abbott : Peter the Great , New York , 1901 .
5. Smollett : History of Peter the Great, Emperor of Russia, London , 1836 .
6. Voltaire : History Of The Russian Empire Under Peter The Great, Akron, Ohio, VOL. II,1901 .
7. R Grant Barnwell: Russ-Turkish War, San Francisco,California .

سابعاً : الرسائل العلمية :

١. تركية حمد الجار الله : العلاقات الخارجية للدولة العثمانية في عهد السلطان ســـليم الثالـــث ١٢٠٣-١٢٢٢هـــ/١٧٨٩-١٨٠٧م وأثرها على الأوضاع الداخلية،مكة المكرمة،جامعـــة أم القرى،رسالة دكتوراه،١٤٢٩هـــ.

٢. عباس إسماعيل صباغ:تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية الحـــرب والســـلام بـــين العثمـــانيين والصفويين، بيروت ،رسالة ماجستير،١٤٢٠هـــ/١٩٩٩م .

٣. ياسر عبدالعزيز قاري:الامتيازات الأجنبية في سقوط الدولة العثمانية،مكة المكرمة ، جامعـــة أم القرى،رسالة دكتوراه،ج٢،١٤٢٢هـــ/٢٠٠١م .

ثامناً: الدوريات العلمية :

1. عبدالرؤوف سنو : العلاقات الروسية العثمانية (١٦٨٧-١٨٧٨) سياسة الاندفاع نحو المياه الدافئة،تاريخ العرب والعالم،بيروت،دار النشر العربية،العددان ٧٣/٧٤ ، تشرين الثاني/كانون الأول، ١٩٨٤م .
2. مطبعة الهلال : كاترين الثانية، القاهرة، ١٩٢٢م .

تاسعاً: المعاجم والموسوعات العلمية :

1. بطرس البستاني : دائرة المعارف،بيروت،دار المعرفة،١٩٦٦م.
2. حسين مجيب المصري : معجم الدولة العثمانية،القاهرة،الدار الثقافية للنشر، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
3. س.موستراس:المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية،ترجمة/عصام الشحادات،بيروت،دار ابن حزم،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
4. سهيل صابان:المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،مراجعة/عبدالرزاق بركات،الرياض،مكتبة الملك فهد،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .
5. عبد الحكيم العفيفي :موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية،بيروت، أوراق شرقية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
6. مسعود الخوند:الموسوعة التاريخية الجغرافية،بيروت،مؤسسة هانياد .
7. الموسوعة العربية العالمية: الرياض ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع .
8. الموسوعة العربية الميسرة ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٩٦٥ .